

رسائل الجزائري

الثالثة

ست عشرة رسالة
في مواضيع دينية وإصلاحية مختلفة

عنى بنشرها وتصحيحها
مؤلفها

أبو بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف
بالمدينة المنورة



Abu Bakr Jabir Al-Jazairi

Profit Mohd. Mosque's Teacher
Madina Munawarah
Tel. 8371500
P.O.Box: 871 Saudi Arabia



أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف
المدينة المنورة
هاتف ٨٣٧١٥٠٠
ص. ب. ٨٧١ المملكة العربية السعودية

DATE

التاريخ ٢٠١٥/٥/٢٠

تفويض

فوضت أنا المذمّع أستاذ أستاذ جابر الجزائري المؤلف
فوضت تكليف إصدار الكتاب ودار النشر والنشر وبيع
محمّد بن عبد الله بن جابر بن طهارة - ساكن الجزائر، كذا
والكتاب وكتاب دار السلام، وهذا تفويض من يد

المفوض

أبو بكر جابر الجزائري

٢٠١٥/٥/٢٠

أبو بكر جابر الجزائري

المدرس بالمسجد النبوي الشريف

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

الطبعة الثانية: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م



دمشق - ٣٢٨١٩٩/٤٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسائل التي تضمنها هذا السفر المبارك الكريم

- ١ - الصلاة !
- ٢ - الجمل في زكاة العَمَل .
- ٣ - هكذا الحج المبرور والزيارة !
- ٤ - حسن المقال في ثبوت رؤية الهلال .
- ٥ - من المسئول عن ضياع الإسلام ؟
- ٦ - إلى التصوف يا عباد الله !!
- ٧ - فصل الخطاب في المرأة والحجاب .
- ٨ - الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف .
- ٩ - كمال الأمة في صلاح عقيدتها .
- ١٠ - النصائح الأزواج .
- ١١ - عشر وصايا نافعة .
- ١٢ - السنة الوحى الثانى .
- ١٣ - حرمة الابتداع فى الدين وكل بدعة ضلالة .
- ١٤ - اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات .
- ١٥ - الأحاديث النبوية الشريفة ، فى أعاجيب
المخترعات الحديثة .
- ١٦ - منطلق الفكر الإسلامى .

●● الرسالة الأولى

الصلاة

الصلاة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن
والآله .

وبعد :

الصلاة^(١) ما الصلاة ،^(٢) وما أدراك ما الصلاة ! ؟ علة^(٣) الوجود وضريبة
الحياة هي الذكر وهي الشكر^(٤) الإقرار بها إيمان ونكرانها كفران أولى
العبادات^(٥) وآخرها ومبدأ الصالحات ومختتمها^(٦) سلم الوصول^(٧) ومعراج
القبول الحد الفاصل^(٨) بين الكفر والإيمان والبرزخ الحاجز للشك عن
الإيقان شقيقة^(٩) الزكاة ، وصاحبة^(١٠) الحياة لا تباين الأولى ولا تفارق

١ : الصلاة : لغة : الدعاء . وشرعا : عبادة روحية بدنية ذات ركوع وسجود ، وتلاوة ،
وتسبيح ودعاء ، قوامها الخشوع فيها . تفتح بالتكبير ، وتختتم بالتسليم .

٢ : ما اسم استفهام مبتدأ والصلاة خبر والجملة خبر الصلاة ، والرباط تكرار المبتدأ ، والاستفهام
للتفخيم من شأنها والتعظيم لقدرها .

٣ : كون الصلاة علة الوجود ظاهر في قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وقوله
في الحديث القدسي : يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجل . فعلة الوجود
الإنسان وعلة وجود الإنسان العبادة ، والعبادة هي الصلاة فالصلاة إذا هي علة الوجود فلذا جُرم
تارك الصلاة جرم من أفسد الكون كله ، وعطل الحياة جميعها !!

٤ : لقوله تعالى : « وأقم الصلاة لذكري » وقوله : « اعملوا آل داود شكراً » فلما أمر آل داود
بالشكر قام فيهم داود خطيباً . وقال أكفوني النهار أكفكم الليل . فما شئت بعدها أن ترى في مسجد
آل داود راكعاً أو ساجداً أو قائماً في أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته حتى أن سليمان عليه السلام
مات وهو قائم يصلي في المحراب .

٥ : نعم أول ما فرض من العبادات البدنية والمالية الصلاة : إذ فرضت في السنة العاشرة من البعثة
ولم يكن قد فرض قبلها سوى كلمة التوحيد (٦) لحديث آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة .

(٧) : بها يصل العبد إلى مقام الولاية والتقوى ، ومنازل القرب قال تعالى « فاسجد واقترب » وفي
الحديث « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » .

(٨) : الحديث : « ما بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

٩ : وذلك لاقترانها بها في آي القرآن : « أقيموا الصلاة واتوا الزكاة » ، وقول الصديق الزكاة شقيقة
الصلاة والله لأقاتلن من فرق بينهما .

١٠ : صاحبة الحياة : إذ لا تسقط عن المؤمن إلا بانتهاء الحياة بوفاة الإنسان .

الثانية ما بقيت الحياة . (١٠)

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ فى السماء كان فرضها (١١) وفى الأرض بركتها ونورها ، قرآ (١٢) عين النبى وروح (١٣) كل ولى ملاذ الفزع (١٤) الخائف ومأمنه وعدة المجاهد المصابر ومسلحته (١٥) وصاة (١٦) محمد النبى الامى ومنتهى مهمة ابن الخطاب الأبى طب القلوب وشفاءها وزكاة النفوس (١٧) وصلاخها ، أولى (١٨) وصفة الدواء وآخرتها وأمره النفس (١٩) المؤمنة وناهيتها .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ بها كان الإسرائ ، ولها كان المعراج حدثان لم يشهد الكون مثلها ، الصلاة سرهما وعلة حدوثهما ، تلك هى الصلاة جنة الحياة وفردوسها ، داخلها الرّوح والريحان ، وخارجها شواظ النار ولهيها . سجدها (٢٠) تزن الدنيا وما فيها ؛ إذ بها

- (١٠) : الإجماع أن الصلاة فرضت فى السماء ليلة الإسرائ والمعراج .
 (١١) : لقوله صلى الله عليه وسلم : « جعلت قرآ عيني فى الصلاة » .
 (١٢) : الروح : الراحة والفرح فأولياء الله هم المؤمنون المتقون يجردون فى الصلاة الراحة والفرح ويشهد لهذا حديثا : « أرحنا بها يا بلال » . « وجعلت قرآ عيني فى الصلاة » .
 (١٣) : إذ كان النبى ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .
 (١٤) : المسلحة : مركز أمامى للجند ، كما هى موضع السلاح . والجماعة ذوو السلاح .
 (١٥) : لحديث « أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيانكم » .
 (١٦) : لحديث الموطأ : أن عمر كتب إلى عماله يقول لهم : إن أهم أمركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها « أحفظ » الحديث ..

(١٧) : كل العبادات مشروعة لتزكية النفس والصلاة من أكبر العبادات تزكية للنفس .
 (١٨) : وذلك أن الله تعالى لما ذكر هلع الانسان وهو داء خطير ذكر وصفة لعلاج الهلع فابتدأها بالصلاة ، وختمها بالصلاة ، وذلك فى قوله تعالى « إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » إلى « والذين هم على صلاتهم يحافظون » فوصف الدواء وجعله مركبا من ثمانية أرقام أولها الصلاة وآخرها الصلاة أقرأ الآية من سورة المعارج .

(١٩) : إشارة إلى قوله تعالى . « وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . فلما بها توجده فى النفس من الصفاء يصبح العبد يرى المعروف فلا يتركه ، ويرى المنكر فلا يرتكبه .

(٢٠) : صبح عن ابن عمر رضى الله عنها قوله : لو أعلم أن الله تعالى تقبل منى سجدة واحدة لما كان غائب أحب إلى من الموت : لأن الله تعالى : إنما يتقبل الله من المتقين .

يقرب (٢١) البعيد ويبعد القريب ، سر إبلّاس إبليس (٢٢) ، ومعيّار النفيس من الخسيس

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! فريضة لا تسقط إلا (٢٣) بالموت ، وواجب لا يؤخر ولا يفوت . جبريل أول من (٢٤) أمّ بها ، والبيت الحرام أول محرابها . مواقيتها مواعيد (٢٥) مراقي وتلاق . أول وقتها رضوان ، وآخره غفران ، (٢٦) ووسطه الروح والريحان . ينادى لها من على المنارات بأعلى الأصوات ولم يكن هذا لغيرها من سائر العبادات . فكان ذلك آية فضلها ، وعلامة شرفها على غيرها من كل الطاعات وسائر القربات .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ؟ ! بالحسن والمعروف أمرة ، وعن الفحشاء والمنكر ناهية ، الطهارة مفتاح بابها ، والله (٢٨) أكبر كلمة السر فيها ، الخشوع روحها العلوية ، والتسبيح (٢٩) أنفاسها الزكية . إنها الإيمان ، وقوام الإسلام ، وشاهد الإحسان . قوامها الجامع والجماعة ، بهما يضاعف (٣٠) أجرهما ، وتمّ للمشائين (٣١) لها نورها ، هي العهد

- (٢١) : لقوله تعالى : فاسجد واقترب . قرب بها سلمان وأبعد بها أبو طالتب .
 (٢٢) : إبليس إبليس لتركه السجود ، ولذا ورد أن المؤمن إذا قرأ السجدة فسجد صرخ إبليس وأويلاه !! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فكانت له الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فكانت لى النار .
 (٢٣) : أو بالجنون فإن المجنون رفع عنه القلم حتى يفيق ومثله النائم .
 (٢٤) : لما في الموطأ من أن جبريل نزل فصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل فصلي . الحديث في أوقات الصلاة .

- (٢٥) : لأن الصلاة معراج العبد بروحه إلى ربه عز وجل .
 (٢٦) : لحديث « المصل يتأجر ربه ، وأن الله تعالى ينصب للعبد وجهه في الصلاة » .
 (٢٧) : لحديث . « أول الوقت رضوان الله ووسطه رحمة الله وآخره مغفرة » .
 (٢٨) : إذا تصح الصلاة إلا بتكبيرة الإحرام ويلفظ الله أكبر فقط .
 (٢٩) : سبحان ربى العظيم في الركوع وسبحان ربى الأعلى في السجود ثلاثا فأكثر .
 (٣٠) : لحديث « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة » .
 (٣١) : لحديث : « بشر المشائين في الظلمة بالنور التام يوم القيامة » .

والوعد . تعهد الله لمن أداها وحافظ عليها أن (٣٢) يدخله جنته ، وأن يلبسه حلته .

الصلاة ما الصلاة وما أدراك ما الصلاة ! ؟ هي الخير وجماعه ، وعنصر الكمال في الإنسان وقوامه . سبب (٣٣) خيبة الشيطان ، وعلة خسران تاركها من إنس وجان . هي الرحمة والرحموت (٣٤) ، والفضل والفضلوت ، القائم فيها على رأسه البر (٣٥) يُذر ، ومنتظرها الملائكة تدعو له وتستغفر (٣٦) . حامية النظام ، وحارسة الأنام . أغنت عن الدرك (٣٧) والبوليس وما أغنى عنها غال ولا رخيص . سر الحياة وعقد نظامها ، بها الحياة مشرقة طاهرة زاهرة ، وبدونها عفة مظلمة وحالكة كالحة .
الله ، الله عبد الله في الصلاة ، فإنها العروة الوثقى ، والدوحة العظمى ، المتمسك بها آمن من الانقطاع والمستظل بوارف ظلها ما ظمأ ولا جاع .

(٣٢) : لما صح من قوله ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد إلى قوله كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة » الحديث .

(٣٣) : إشارة إلى أنه أمر بالسجود فأبى فألبسه الله تعالى وخيبه .

(٣٤) : الرحموت كالملكوت الاسم من الرحمة دال على الكثرة والاتساع .

(٣٥) : البر : الخير وهذا الحديث « إذا قام العبد في صلاته ذر البر على رأسه » الحديث .

(٣٦) : لحديث الصحيحين : والملائكة يصلون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له اللهم أرحمه ما لم يحدث .

(٣٧) : دليل هذه القضية واقعان الأول واقع دولة الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين بالمدينة النبوية فإن تلك الدولة تحققت لها من الأمن والطمأنينة ما لم يتحقق لغيرها بحيث انعدمت فيها الجريمة انعداماً كاملاً ، وفي نفس الوقت لم يكن فيها نظام شرطة ولا درك قط . وما ذاك إلا بإقامة الصلاة . والثاني واقع دولة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود رحمه الله تعالى فإنه تحققت لدولته من الطهر والأمن ما لم يقع نظيره في دنيا الناس إلا ما كان من دولة الراشدين . وما ذاك إلا بإقامة الصلاة . حيث أقيمت الصلاة فيها بصورة ما وجدت إلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والراشدين . وسر ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمتى أقيمت انعدمت الفحشاء والمنكر . وهما أصل كل فساد وشر وإذا انعدما انعدمت الجريمة معهما ولم يخرج الأمر إلى درك ولا بوليس . أما مع عدم إقامة الصلاة فوالله لا ينفع شيء أبداً . وهل نفع أميركا دركها وأوروبا بوليسها ؟

فالصلاة يا عبد الله الصلاة ، والسلام عليك ما أقمتها وأدمتها ، ورحمة الله !! واسمح لى أخى الحاج قبل أن أنهى حديثى معك على هذه الوصية أن أنبهك إلى أمر مهم جدا وهو أن العادة التى هى سر الحياة ، وجنة الدنيا والآخرة يفسدها الشرك فيها وعدم الإخلاص فيها لله تعالى فاحذر ذلك غاية الحذر كما قد يبطل مفعولها فى تزكية النفس وتطهيرها بالإحلال بأدائها على الوجه المشروع عليه فلذا وجب مراعاة كيفيتها الواردة من الشارع عليها فلا يزداد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم منها مؤخر ، ولا يؤخر مقدم فاذكر هذا واعتن به .

وأخيرا وفاء بما وعدتك به من بيان كون العبادة جنة الدنيا والآخرة معا أقول لما كانت الجنة هى دار النعيم والنعيم هو كل ما خلا من الحزن والخوف والهم والغم ووافق مزاج الإنسان ، ولأعم طبعه من سائر الطيبات والمستلذات والمتع الجسمية والروحية فان العبادة سبب وجود هذا النعيم للعبد فى الدنيا والآخرة .

ومن هنا أطلقنا عليها اسم جنة الدنيا والآخرة من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب . أما كونها سببا لجنة الآخرة فإن ذلك ثابت فى القرآن الكريم قال تعالى : وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ، وما عملهم إلا العبادة . وأما كونها سببا لنعيم الدنيا وسعادتها فإنه ثابت أيضا بالقرآن الكريم قال تعالى : ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة والحياة الطيبة هى الخالية من الخبث والهم والغم والخوف والحزن وقال تعالى : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال ولو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وما الإيمان والتقوى فى الآية الأولى ، ولا إقامة التوراة والإنجيل وما أنزل من وحى الله وشرعه فى الآية الثانية إلا العبادة ، وما البركات المفتوحة من السماء

والأرض ، وما الأكل من فوق ومن تحت إلا عبارة عما يعم الله تعالى به أهل
 عبادته من الخيرات والبركات مع ذهاب الخوف والحزن مع اشتراقات
 الروح وأنس النفس بذكر الله تعالى ومراقبته ، وبذلك تتحول الحياة الدنيا
 إلى جنة أشبه بهجنات الآخرة .

الرسالة الثانية



الجُمل في زكاة العُمل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد المرسل رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين .
ويعد :

فقد كثرت تساؤلات الإخوة المسلمين عن نصاب زكاة العمل المختلفة حيث نابت عن العين (١) ، وقامت مقام النقدين ولم يك بُدُّ من معرفة نصاب كل عملة من تلك العمل التي تجاوزت العشرات إلى المئات ؛ إذ لكل دولة عملتها الخاصة بها ، وذلك كالريال السعودي والدينار الأردني والدرهم المغربي والليرة السورية والجنيه المصري والروبية الباكستانية وما إلى ذلك مما يكثُر عدّه ، ولا يفيد ذكره ..

ومعرفة نصاب كل عملة من هذه العمل المتعددة المختلفة لا يتم إلا بالرجوع إلى الأصل وهو معرفة الدرهم والدينار الشرعيين ، وزنتهما بالجرام المتداول عالمياً اليوم ، فإذا عرف ذلك عرف نصاب كل عملة يراد زكاتها من هذه العمل كما سيأتي ذلك مبيناً في هذه الرسالة - إن شاء الله - عند الكلام على زكاة العين : الذهب والفضة .

(١) العين : الذهب والفضة وكذا النقدان ..

ونظراً إلى حاجة المسلم إلى معرفة جملة من أحكام الزكاة عامة فقد
ضممت هذه الرسالة التي سميتها « الجمل في زكاة العمل (١) » بياناً عاماً
لأكثر أحكام الزكاة فذكرت حكم الزكاة وحكماتها ، وعقوبة مانعها ، وما
تجب فيه الزكاة من العين والحرث والماشية ، وما لا تجب فيه الزكاة ،
وأنصبة الزكاة في كل المزيكات ، وبيان مصارف الزكاة عامة ، وزكاة الفطر
خاصة ، وبذلك كانت الرسالة وافية ، والله أسأل أن ينفع بها ، وألا
يحرمني أجرها ، إنه قدير وبالإجابة جدير ، وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

(١) العمل جمع عملة ، والعملة ما يعطاه العامل من أجره ولما كانت هذه الأوراق تُعطى أجره العامل قيل فيها عملة ،
وجُمعت بالدارجة على عمل وعمليات .

حكم الزكاة

لا خلاف بين المسلمين في فرضية الزكاة ووجوبها على كل مسلم ملك نصاباً من المال سواء كان المالك ذكراً أو أنثى كبيراً أو صغيراً ، وذلك لأدله الكتاب والسنة ، وإجماع الأمة .

فمن أدلة الكتاب قول الله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ وقوله جل شأنه ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ في عدة مواضع من كتابه العزيز . وقوله عز وجل في المشركين : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ فجعل تعالى الأخوة في الدين متوقفة على إيتاء الزكاة ، فمن منع الزكاة فلا أخوة له بين المسلمين بل يجب أن يُقاتل عليها حتى يؤديها أو يهلك فيها .

ومن أدلة السنة قوله ﷺ في الصحيح : « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » . فكون الزكاة قاعدة بنى عليها الإسلام دليل على وجوبها لتوقف بناء الإسلام وتمامه عليها . وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث معاذ في الصحيح : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .

ومن أدلة الإجماع قتال أبي بكر الصديق رضي الله عنه أهل الردة ما نعى الزكاة وقوله : والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه وقد وافقه على ذلك كافة الصحابة رضي الله عنهم وقاتلوا معه أهل الردة بإجماع لم يشذ عنه أحد .

حكمة الزكاة

الزكاة كغيرها من سائر العبادات ما شرعها الله تعالى وهو العليم الحكيم
إلا لحكم عالية تدور كلها على إكمال الإنسان المؤمن وإسعاده في الحياة
الدنيا والآخرة .

ومن تلك الحكم العالية التي شرعت لها الزكاة في الإسلام ما يلي :

- ١ - تطهير روح المؤمن من رذيلة الشح والبخل ودائها الفتاك .
- ٢ - تزكية نفس المؤمن من أضرار الذنوب والآثام وأثارهما السيئة على
القلوب .
- ٣ - كفاية الفقير المسلم وسد حاجته وإكرامه عن ذل سؤال غير ربه
تعالى .
- ٤ - التخفيف من همّ المدين المسلم بسداد دينه وقضاء ما وجب عليه من
ديون الغرماء .
- ٥ - جمع القلوب المشتتة على الإيمان والإسلام والانتقال بها من الشكوك
والاضطرابات النفسية لعدم رسوخ الإيمان فيها إلى الإيمان الراسخ
واليقين التام .
- ٦ - تجهيز المقاتلين في سبيل الله ، وإعداد العدد والعتاد الحربى لنشر الخير
ورفع راية العدل بين الناس حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله
لله .
- ٧ - تحرير الأرقاء بشرائهم من مالكيهم وإعتاقهم في سبيل الله ليتمكنوا
من الحياة الحرة التي يعبدون فيها الله تعالى عبادة تكمّلهم
وتسعدهم .
- ٨ - مساعدة المسلم المسافر إذا انقطع في طريقه ولم يجد ما يكفيه مؤونة
سفره مساعدة من الزكاة بما يسد حاجته حتى يعود إلى داره .
- ٩ - تيسير تداول المال وانتقاله من يدٍ إلى يدٍ ومن شخص إلى آخر للانتفاع

به ؛ إذ لو لم تفرض فيه الزكاة لبقيت أموال كثيرة مجمدة مكنوزة عند أصحابها أزمنة طويلة معطلة لا ينتفع بشيء منها .

١٠ - تطهير المال المزكى ونماؤه ببركة طاعة الله تعالى فيه .

وبعد ؛ فهذه جملة من الحكم السامية التي شرعت لها صدقة الزكاة وغيرها كثير ؛ إذ لا يحيط بأسرار الشرع وحكمه إلا الله عز وجل .

وقد جاء أكثر هذه الحكم التي ذكرناها في آية مصارف الزكاة من سورة التوبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ ﴾ .

عقوبة مانع الزكاة

اعلم أن مانع الزكاة إما أن يكون منعه لها ناتجاً عن جحود بوجوبها وإنكار لفرضيتها ، وهو في هذه الحال كافر لا سبيل له إلى دخول الجنة إن مات على هذه الحال من الكفر والجحود ، وإما أن يكون المانع لها ليس عن جحود بوجوبها ولا إنكار لفرضيتها ، ولكن عن شح نفس وبخل بالمال ، وهذا المانع لها إن قدر عليه فأخذت منه قهراً وكرهاً أجزأته ولا يحاسب عليها يوم القيامة ولكن إذا لم يقدر عليه ، ولم تؤخذ منه ومات وهو مانع لها فهذا الذي يعاقب عليها يوم القيامة ويعذب بها . وهاك دليل ذلك وبيانه من الكتاب والسنة .

أما دليل الكتاب فقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ^(١) ۖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَحْسِنِ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ

(١) من سورة النساء .

يوم القيامة (١)

وأما دليل السنة فقد روى البخارى أن النبي ﷺ قال : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شذقيه ، ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ثم تلا : لا يحسن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله الآية .

وروى مسلم وأحمد عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من صاحب كنز لا يؤدى زكاته إلا أحمى عليه فى نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وما من صاحب إبل لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع (٢) قرقر كأوفر ما كانت تستن (٣) عليه ، كلما مضى عليه أخرها ردت عليه أولها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها ، وتنطحه بقرونها ، ليس عقصاء (٤) ولا جلهاء ، كلما مضى عليه أخرها ردت عليه أولها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » الحديث .

وروى مسلم قوله ﷺ : « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخرها عادت عليه أولها حتى يقضى بين الناس .

(١) من سورة آل عمران .

(٢) القاع : المستوى من الأرض وكذلك القرقر .

(٣) تستن : تعدو وتجري مرحلة نشطة يقال استن الفرس إذا عدا لمرجه ونشاطه .

(٤) العقصاء : اللثوية القرون ، والجلحاء التى لاقرن لها .

ما تجب فيه الزكاة من المال

إن ما تجب فيه الزكاة من الأموال هو ما بينه رسول الله ﷺ بقوله أو عمله أو تقريره ، إذ القرآن الكريم أجهل ذلك ولم يفصله ، وعممه ولم يخصه بناءً على أن السنة النبوية هي التي تتولى بيان ذلك وتفصيله ، كما قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر ؛ لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (١)

ومن الآيات الآمرة بالزكاة وهي مجملة تحتاج إلى بيان وفيها عموم يحتاج إلى تخصيص قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، وما أخرجنا لكم من الأرض ﴾ (٢) فقد تضمنت الآية الأمر بالزكاة في المكتسب من المال والخارج من الأرض ، وكذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ (٣) تضمن الأمر بالإِنفاق مطلقاً فيشمل الزكاة وغيرها . فالآية الأولى لم تبين مقدار ما تجب فيه الزكاة وهو النصاب ، ولم تبين ما يزكى من الخارج من الأرض كالبر والتمر وما لا يزكى كالخضر والفواكه مثلاً ، والآية الثانية أجملت الأمر بالنفقة ، ولم تفصل : هل المراد من النفقة الزكاة ، وإذا كانت الزكاة فما هو نوع المال الذي يزكى وما مقداره ؟ وما الذي لا يزكى مما هو عفو لا تجب فيه الزكاة ؟ ومن هنا جاءت السنة النبوية ببيان ذلك وتفصيله وإليك فيما يلي :

١ - الذهب والفضة وهما النقدان وما يقوم مقامهما من أنواع العمل المختلفة .

٢ - عروض التجارة المدارة منها والمحتكرة على حد سواء .

٣ - الركاظ وهو دفن الجاهلية ، وهو المال يوجد مدفوناً في الأرض .

(١) من سورة النحل .

(٢) من سورة البقرة .

(٣) من سورة البقرة .

- ٤ - المعادن النافعة كالحديد والنفط والفحم الحجري .
 ٥ - الماشية وهي الإبل والبقر والغنم .
 ٦ - الحبوب من مقتات مدخر كالبر والشعير والتمر والزيتون .

شروط وجوب الزكاة

إن لوجوب الزكاة في مال المرء المسلم شروطاً لابد من توفرها ، وإلا فلا زكاة تجب في مال لم تتم فيه شروط زكاته وهي :

١ - الملك التام بأن يكون المسلم مالكاً لذلك المال ملكاً تاماً بحيث يكون بيده وتحت تصرفه ، ولا يخل بشرط الملكية أن يكون المال تحت يد غيره إذا كان يقدر على تحصيله متى شاء تحصيله ليصبح في يده ، وذلك كالدين يكون على ملىء أو غير مُعسر .

٢ - النضج والطيب في التمر والحبوب ، إذ لا زكاة على حب قبل اشتداده ولا على تمر قبل نضجه واستوائه . قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (١)

٣ - الحول وهو مضي السنة من يوم ملك النصاب في ذلك على النقدين والأوراق المالية والماشية .

٤ - النصاب وهو بلوغ المال حداً معيناً وضعه الشارع لزكاته ، والنصاب يختلف باختلاف الأموال المزكاة فالنصاب في الماشية غيره في المال والحُرث .

وهذا بيان الأنصبة :

- ١ - في النقدين : الذهب والفضة .
 إن نصاب الذهب سواء كان تبراً أو كان مَصُوغاً عشرون ديناراً ، والدينار وزنه اثنتان وسبعون حبة شعير من الشعير المتوسط المنزوع الطرفين .
 ووزنها بالجرام ثلاثة جرامات ونصف جرام .

(١) من سورة الأنعام .

وعليه فإذا ضربت الثلاثة جرائم والنصف في عشرين كان الحاصل سبعين جراماً ، وهو نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار من الذهب وقد حال عليه الحول فقد وجبت فيه الزكاة .

والواجب في زكاة الذهب ربع العشر ، وعليه فالواجب في سبعين جراماً : جرام وثلاثة أرباع الجرام ، وما زاد فبحسابه مهما بلغ ، ففي كل مائة جرام جرامان ونصف ، أوقيمتها من العمل المتداولة بين الناس اليوم .

٢ - في الفضة وهو خمس أواق والأوقية أربعون درهماً فالأربعون مضروبة في خمسة فالحاصل مائتا درهم وهو نصاب الفضة لحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس أواق صدقة » .

والدرهم زنته إحدى وخمسون حبة شعير ، ووزنه بالجرام جرامان وثلاثة من عشر جرائم [٣ و ٤] فإذا ضربت في مائتين كانت أربعمائة وستين جراماً وهو نصاب الفضة والواجب فيه ربع العشر كالذهب . وعليه ففي أربعمائة وستين جراماً : أحد عشر جراماً ونصفاً ، أو قيمتها من العمل المتداولة ، وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراماً من الفضة أو قيمتها من العمل وحال عليه الحول فقد وجب عليه زكاته وهو ربع العشر أى بنسبة اثنين ونصف في المائة .

٣ - في الإبل وهو خمس ذود أى خمسة من الإبل لقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح : « ليس فيما دون خمس ذود ^(١) صدقة » .
فمن ملك خمسة أبعة وحال الحول عليها وهى مملوكة له فقد وجب عليه زكاتها وهى شاة من الغنم .

٤ - في البقر وهو ثلاثون بقره فمن ملك ثلاثين بقره وحال عليها الحول فقد وجب عليه زكاتها . والواجب فيها عجل تباع أمه ولا يستقل

(١) الذود : الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين ولا يقل عن الثلاثة وهو جمع لا واحداً له .

بنفسه لصغر سنه لحديث معاذ رضى الله عنه : « بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً أو تبيعة ومن كل أربعين مسنة » (١)

٥ - في الغنم وهو أربعون شاة فمن ملك أربعين شاة ضأنا كانت أو معزاً خليطاً منهما وحال عليها الحول فقد وجب عليه فيها شاة أوفت سنة ودخلت في الثانية لحديث أنس رضى الله عنه : « وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين ففيها شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت ففيها شاتان إلى مائتين » (٢)

٦ - في الحبوب والثمار وهو خمسة أوسق لقول الرسول ﷺ : « ليس فيهما دون خمسة أوسق صدقة » . والوسق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد بمد الرجل المتوسط غير قابض كفيه ولا باسطهما (٣)

وعليه فمن ملك خمسة أوسق من حب أو تمر بحصوله عليها من زرع أو نخله أو شجره فقد وجب عليه فيها زكاتها وهي عشرها إن كانت تسقى بماء السماء أو العيون أو كانت عثرية لا تسقى بماء وإن كانت تسقى بالسواقي والمكائن أو الدلاء والآبار ففيها نصف العشر . ففي كل خمسة أوسق نصف وسق أو ربعه .

٧ - في الركاز وهو الخمس لقول الرسول ﷺ : « في الركاز الخمس » والركاز هو دفن الجاهلية وعليه فمن وجد كنزاً مدفوناً من كنوز الجاهلية وجب عليه أن يزيكه بمجرد العثور عليه بنسبة عشرين في المائة وهي الخمس .

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة .

(٢) رواه البخاري رحمه الله .

(٣) بناء على هذا فإن لكل فلاح أن يتخذ آنية تتسع لأربعة أمداد بلا زيادة ولا نقصان ويكيل بها ثماره وحبوبه فستون كيلة منها يوسق ومن ملك خمسة أوسق زكاهما بنصف وسق أو بربعه كما تقدم حسب سقى الزرع .

٨ - في المعادن وهو ربع العشر كزكاة النقدين غير أنه لا يشترط له الحول .

وعليه فكلما استخرج صاحب المعدن كمية بلغت نصاب الذهب أو الفضة زكاها فور استخراجها ولا ينتظر بها الحول . هذا الذي قرره مالك في موطنه مستدلاً عليه بما شاع بين أهل المدينة أن رسول الله قطع لبلال بن الحارث المزني معادن القبيلة وهي من ناحية الفرع فتلك المعادن كان لا يؤخذ منها إلا الزكاة .

٩ - في الحلى وهو ما يتحلّى به النساء من مصوغات الذهب والفضة ويشترط لوجوب الزكاة فيه ما يلي : أن يبلغ نصاباً وأن تنوى صاحبتها مع التحلى الادخار للحاجة أو أن تمنع إعارته إن طلبت منها وعليه فإن لم يبلغ الحلّى نصاباً أو كان لمجرد التحلى به ولم تمنع إعارته فلا زكاة فيه على مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف .

بيان كيفية زكاة الماشية

أ - الإبل :

إذا ملك المسلم خمس ذؤد من الإبل وحال عليها الحول وهي في ملكه وجب عليه فيها شاة من الضأن وإذا ملك عشرًا وجب عليه فيها شاتان ، وإذا ملك خمس عشرة وجب عليه فيها ثلاث شياه ، وإذا ملك عشرين وجب عليه فيها أربع شياه ، وإذا ملك خمسًا وعشرين وجب عليه فيها بنت مخاض (١) ، وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية فإن لم يجد لها أجزاء ابن لبون (٢) وهو ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة حتى تبلغ ستة وثلاثين فيجب فيها بنت لبون وهي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة حتى تبلغ ستة وأربعين ففيها حقة (٣) وهي التي أوفت ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة

(١) بنت مخاض : بنت الحامل يقال مخضت الناقة فهي ماخض إذا حملت .

(٢) ابن لبون : اللبون من الإبل ما وضعت حملها الثاني .

(٣) الحقة : والجمع حقاق وهي ما بلغت ستا يطرقتها الفحل فيها .

حتى تبلغ فإذا بلغت إحدى وستين إلى خمسة وسبعين ففيها جذعة (١) وهي التي أوفت أربع سنين ودخلت في الخامسة وهي أكبر أسنان الإبل حتى تبلغ تسعين ففيها بتالبون حتى تبلغ مائة وعشرين فيها حقتان فإذا زادت على ذلك ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة .

وهذا جدول يوضح ذلك :

جدول رقم (١) في بيان زكاة الإبل

من	إلى	الواجب
٥ — ٩		شاة
١٠ — ١٤		شأتان
١٥ — ١٩		ثلاث شياه
٢٠ — ٢٤		أربع شياه
٢٥ — ٣٥		بنت مخاض
٣٦ — ٤٥		بنت لبون
٤٦ — ٦٠		حقة
٦١ — ٧٥		جذعة
٧٦ — ٩٠		بتالبون
٩١ — ١٢٠		حقتان

فإذا زادت على المائة والعشرين فالواجب في كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة وهكذا مهما بلغت .

(١) الجذعة : هي ما جذعت مقدم أسنانها أي أسقطته .

ب - البقر :

إذا ملك المسلم ثلاثين بقرة إلى تسع وثلاثين وجب عليه فيها عجل تباع أو في سنة كاملة ، وإذا ملك أربعين إلى تسع وخمسين وجب عليه فيها مسنة أوفت سنتين كاملتين وإذا ملك ستين إلى تسع وستين وجب عليه فيها عجلا ن تبيعان وإذا ملك سبعين إلى تسع وسبعين وجب عليها فيها مسنة وتبيع ثم في كل ثلاثين تباع وفي كل أربعين مسنة وهكذا مهما بلغت .

وهذا جدول يوضح ما سبق :

جدول رقم (٢) فى بيان زكاة البقر

الواجب	من إلى
عجل تباع	٣٠ — ٣٩
مسنة	٤٠ — ٥٩
تبيعان	٦٠ — ٦٩
مسنة وتبيع	٧٠ — ٧٩

ثم إذا بلغت ثمانين فما فوق ففي كل ثلاثين تباع وفي كل أربعين مسنة وعليه ففي الثمانين مستتان أو في التسعين ثلاثة عجاجيل وفي المائة مسنة وعجلا ن تبيعان .

ج - الغنم :

إذا ملك المسلم أربعين رأساً من الغنم إلى مائة وعشرين وجب عليه فيها شاة فإذا زادت واحدة إلى مائتين ففيها شاتان. فإذا زادت واحدة إلى

ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه فإذا زادت واحدة إلى أربعمائة ففيها أربع شياه فإذا زادت واحدة إلى خمسمائة ففيها خمس شياه ، ثم في كل مائة . شاة . منها بلغت .

وهذا جدول يوضح ذلك ويبينه :

جدول رقم (٣) في بيان زكاة الغنم

الواجب	من إلى
شاة	٤٠ — ١٢٠
شاتان	١٢١ — ٢٠٠
ثلاث شياه	٢٠١ — ٣٠٠
أربع شياه	٣٠١ — ٤٠٠
خمس شياه	٤٠١ — ٥٠٠

تنبيهات تتعلق بزكاة الماشية

الأول : الوقص لا زكاة فيه

والوقص هو العدد بين الفريضتين ، والإجماع قائم على أنه لا زكاة فيه ؛ والوقص لا يكون إلا في زكاة الماشية فقط ؛ أما زكاة الحرث والعين فلا وقص فيها ؛ إذ مازاد على الفريضة يزكى بحسابه قلة وكثرة .

ومثال الوقص في الإبل : أن يملك المسلم تسعا من الإبل فإنه يزكى الخمس ذود بشاة ، ولا يزكى الأربعة الأربعة الباقية حتى إذا زادت فأصبحت عشرا فإنه يزكيها بشاتين . ومثاله في البقر : أن يملك المسلم ثلاثين بقرة فيزكيها بعجل فإذا زادت واحدة أو أكثر فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ، فالعدد ما بين الثلاثين والأربعين وقص لا زكاة فيها . ومثاله من الغنم : أن يملك المسلم أربعين شاة فيزكيها بشاة واحدة فإذا زادت فلا زكاة فيها زاد حتى تبلغ مائة وإحدى وعشرين فيزكيها بشاتين ، فالعدد ما بين الأربعين إلى مائة وعشرين وقص ولا زكاة فيه .

الثاني : الأنواع يضم بعضها إلى بعض . فالضأن والمعرنوعان ، والبقر والجاموس نوعان ، والبُخْتُ (١) والعراب (٢) نوعان ويضم كل نوع إلى نوعه في الزكاة وتخرج الزكاة من أكثر النوعين .

الثالث : الخليطان يتراجعان بالسوية .

إذا كان هناك اثنان لكل منهما عدد من الإبل أو البقر أو الغنم وكان راعيها واحداً ، ومراح ماشيتهما واحداً ، والفحل واحداً فهما خليطان ، فإن للمصدق أخذ الواجب في تلك الماشية ، وهما يتراجعان بالسوية وذلك كأن يكون لهما أربعون شاة فيأخذ المصدق منها شاة ، فالذي أخذت الشاة من غنمه يرجع على صاحبه بما أخذ منه إذ الساعى أو المصدق ينظر إلى الماشية المختلطة فيعدها ويأخذ ما وجب فيها والخليطان يتراجعان بينهما بالسوية .

الرابع : لا يجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين مجتمع خشية الزكاة .

نهى رسول الله ﷺ عن جمع المفترق ، وتفريق المجتمع خشية الصدقة (٣) ومثاله أن يكون لرجلين مائتا شاة وشاتان ، فالواجب عليهما ثلاث شياه فإذا شعرا بمجميء المصدق فرقا غنمهما فأصبح لكل واحد مائة شاة وشاة فقط فيجب عليهما شاتان بدل ثلاث .

أو يكون لكل واحد منهما أربعون شاة مستقلة فإذا شعرا بمجميء المصدق جمعاهما حتى لا يجب فيها إلا شاة واحدة ، إذ لو تركت متفرقة لوجب في كل أربعين شاة ولكن إذا جمعاهما وأصبحت غنماً واحدة فإن فيها شاة واحدة .

(١) البُخْتُ : الإبل الخراسانية .

(٢) العراب : كرائم الإبل السائلة من الهجنة .

(٣) رواه أهل الصحاح .

الخامس : اشتراط السوم في الماشية :

الجمهور من أهل العلم على أن السوم شرط في وجوب الزكاة . وعليه فمن كانت له ماشية يعلفها ولم تكن ترعى في المراعى العامة فلا زكاة فيها وإن بلغت نصاباً لقول الرسول ﷺ : « فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة » (١).

فقوله : سائمة الرجل اعتبر به السوم شرطاً عند الجمهور وعملوا به . فأسقطوا الزكاة على المعلوفة نظراً لكلفة العلف .

السادس : الخيل لا زكاة فيها .

الإجماع على أنه لا زكاة في الخيل لقول الرسول ﷺ : « ليس على المسلم في عبده ولا في فرسه صدقة » (٢).

غير أن الخيل إذا كانت للنسل بأن كانت ذكوراً وإنثاء يرى بعض أهل الفقه الزكاة فيها فيخرج عن كل فرس ديناراً سنوياً . وهو رأي ضعيف لم يره الجمهور .

السابع : السخلة تعد ولا تؤخذ هي ولا الأكلة :

إن السخلة والجمع سخال : بنت الشاة التي ما زالت صغيرة يحملها الراعى لصغرها وعدم قدرتها على المشى . هذه السخلة يعدها المصدق على أصحابها ولا يأخذها في الصدقة وإنما يأخذ الكبيرة . كما لا يأخذ الأكلة وهي السمينة المعدة للأكل ولا الرثى وهي التي تربى ولدها ، ولا المخاض وهي الحامل ولا الفحل لأن هذه المذكورات من كرام الأموال . والرسول ﷺ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » وهي خيارها لما في ذلك من أذى أهل المال المسلمين وأذية المسلم حرام .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مالك عن أبي هريرة رضى الله عنه في الموطأ .

بيان كيفية زكاة الثمار والحبوب

أ - الثمار .

الثمار جمع ثمرة ، ثمرة كل شيء نتاجه والمراد بالثمار هنا ثلاثة أشياء :
 هى التمر والزيتون والعنب ، إذ غيرها لم يصح عن النبى ﷺ ولا عن
 أصحابه رضى الله عنهم ما يدل على وجوب الزكاة فيه ، ومن احتج بآية
 البقرة ^(١) على زكاة ما عدا الثلاث المذكورة أنفا فإنه محجوج بأن الآية مجملة
 والسنة مبينة ، ولم يأمر رسول الله ﷺ الأنصار وكانوا أهل حقول بزكاة غير
 التمر والعنب والزيتون من سائر أنواع الثمار ، ولذا الجمهور على أنه لا زكاة
 فى الفواكه كالتفاح والرمان ولا فى الخضر كالقثاء والبطيخ ، ولا فى البقول
 كالبصل والثوم ولا فى القصب كالبرسيم لعلف الدواب والغنم . وإنما
 الزكاة فى الثمار والحبوب التى تقتات ^(٢) وتدخر ، أما القصب والبقول
 والفواكه والخضر فلا زكاة فيها لأنها لا تقتات ولا تدخر وما كان منها مقتاتا
 فإنه لا يدخر وما كان يدخر فإنه لا يقتات والاقتيات والادخار هما الوصف
 الملائم لوجوب الزكاة .

الواجب فى زكاة الثمار والحبوب :

والواجب فى زكاة الثمار والحبوب هو العشر ، فمن ملك نصاباً وهو خمسة
 أوسق من تمر أو زيتون ، أو عنب فقد وجب عليه زكاة فإن كان يسقى بماء
 العيون والأمطار والأنهار أو كان عثرياً ^(٣) فإن الواجب فيه العشر ، وإن

(١) هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ .

(٢) المقتات : ما يتخذ قوتاً يعيش عليه الإنسان فى حال الاختيار لاق حال الضرورة

(٣) العثرى : هو البعل وهو ما يشرب بعروقه ولا يسقى بماء .

كان يسقى بالحبال والدلاء أو المكائن ففيه نصف العشر لقول الرسول ﷺ : « فيما سقت^(٢) السماء والعيون والبعل العشر ، وفيما سقى بالنضح^(٣) نصف العشر » .

تنبيهات

الأول : العنب إن صلح أن يكون زيباً فإنه يزكى بعد أن يصير زيباً إذا بلغ خمسة أوسق ، والزيتون يزكى بعد عصره فتخرج الزكاة من زيتته إذا بلغ نصاباً وهو خمسة أوسق .

الثاني : ما كان من الرطب والعنب والزيتون لا يصلح أن يكون تمراً وزيباً وزيتاً خُرَصَ^(٣) فإذا بلغ نصاباً زكى ثمّنه بعد بيعه رطباً وعنباً وزيتوناً .

الثالث : الجنس إذا اختلفت أنواعه جودة ورداءة أخرجت الزكاة من وسطه فيتحاشى خياره كما يتحاشى أردؤه ويخرج من وسطه ، وذلك كالتمر فإن منه الجيد جداً كالعجوة ومنه الرديء جداً كالحلّة والجعرور وما إلى ذلك ، وهذا تمشياً مع إرشاد الرسول ﷺ إذ قال لمعاذ رضى الله عنه : « إياك وكرائم أموالهم » . وقول عمر رضى الله عنه : عُدَّ عليهم السخال ولا تأخذها منهم . والسخال : الصغير من الغنم .

الرابع : ما كان من الثمار كاللوز والجوز ، والفواكه كالتفاح والخوخ والبرتقال والكمثرى يبلغ خمسة أوسق ويزيد ، الأحوط لدين المسلم أن يزكى ماباعه منه بأثمان كبيرة ، ولو بنسبة اثنين ونصف في المائة كزكاة العين كما قيل في زكاة الخيل إذا كانت للنماء والنسل .

الخامس : لو بلغ العسل^(٤) كميات كبيرة كخمسة قناطير من العسل

(١) رواه مالك في الموطأ .

(٢) المراد من النضح : السقى بالسواقي والمكائن والدلاء إذا النضح هو الرش بالماء .

(٣) خُرَصَ : قدر بالجزر وهو على الشجرة والنخلة قبل جداده أو قطفه .

(٤) ورد في زكاة العسل حديث ضعيف ولذا الجمهور على عدم زكاته ولأن العادة لا يجنى منه كميات كبيرة تبلغ خمسة أوسق أو تزيد .

فأكثر فإن الأحوط زكاته كذلك ولو بزكاة ثمنه بربع العشر كالنقدين .
 السادس : من باع تمرا قبل بدو صلاحه ، أو زرعاً قبل اشتداد حبه
 واستوائه فزكاته على المشتري إلا أن يشترط عدم زكاته فيكون عندئذ على
 البائع ، ومن باع التمر بعد بدو صلاحه والزرع بعد استوائه فزكاته على
 البائع بلا خلاف .

ب - الحبوب :

المراد من الحبوب في باب الزكاة ما كان مقتاتاً^(١) مدخراً من سائر أنواع
 الحبوب كالبر والشعير والبقول والحمص والعدس والسلت والذرة والأرز
 واللوبيا والجلبانة وما شابه ذلك من أنواع الحبوب والقطنية .
 فمن حصد من ذلك خمسة أوسق فما فوق وجب عليه زكاته وهي
 العشر فيما يسقى بدون مؤونة ونصف العشر فيما يسقى بمؤونة ، وذلك بعد
 حصاده ودرسه وتصفيته لقول الله تعالى : ﴿ وأتوا حقه يوم حصاده ﴾^(٢)

تنبيهات

الأول : أنواع الجنس الواحد يُضم بعضها إلى بعض في الزكاة ،
 فالذهب يُضم إلى الفضة ، والبر والشعير والذرة والسلت والأرز يضم
 بعضها إلى بعض فإذا بلغ المجموع خمسة أوسق وجبت فيها الزكاة وإلا
 فلا .

والقطنية كالقطن والحمص والجلبان واللوبيا والعدس يُضم بعضها إلى
 بعض فإن بلغت خمسة أوسق زكيت وإلا فلا . والزيتون تضم أنواعه إلى
 بعضها ، ويزكى إن بلغ خمسة أوسق والتمر جنس تحته أنواع بلغت أكثر
 من مائة نوع منها الجيد ومنها الرديء يضم بعضها إلى بعض فإن بلغت
 خمسة أوسق وجبت فيها الزكاة وإلا فلا .

(٢) قيد الاقتيات يخرج به مثل الغنفل والبصل والبرسيم وقيد الادخار يخرج به الفواكه والخضر كالبطيخ والطماطم .
 (١) الآية من سورة الأنعام .

الثاني : الدين لا يسقط زكاة الثمار والحبوب :

إن الدين يسقط زكاة النقدين فمن كان له ألف درهم وعليه دين أسقط دينه أولاً وما بقي زكاه إن بلغ نصاباً .

غير أن الدين لا يسقط زكاة الثمار والحبوب والماشية فمن حصد ألف قنطاراً وعليه مائة درهم مثلاً فإنه يجب عليه أن يزكى بره بلغ دينه ما بلغ ، لأن الزكاة متعلقة بعين الحب والثمار لا بذمة صاحبه كما هي الحال في النقدين : الذهب والفضة .

اللهم إلا أن يكون قد استدان صاحب الحرث لأجل الحرث كسواء بذر ، أو استتجار آلة حرث أو حصاد ، أو دياس ففى هذه الحال يسقط دينه المترتب على الحرث ويزكى مابقى . هكذا رأى بعض أهل (١) العلم ، وهو رأى حسن يتفق ورحمة الإسلام بأهله .

الثالث : لا زكاة على شريك لم تبلغ حصته نصاباً .

إذا كان فى النخل أو العنب أو الزيتون أو الحرث مطلقاً شركاء فجدوا تمرهم أو قطفوا عنبهم أو جنوا زيتونهم ، أو حصدوا زرعهم واقتسموه بينهم بحسب أنصبتهم فى الشركة/ فإن من حصل منهم على نصاب أى خمسة أوسق زكى نصيبه، ومن حصل منهم على أقل من نصاب فلا زكاة عليه .

بيان كيفية زكاة النقدين

أ - الذهب :

الذهب ويقال له التبر قبل أن يضرب أو يصاغ ، واحده ذهبية : جوهر كريم معروف ومنه الأحمر والأصفر . وتحب الزكاة فيه إذا بلغ نصاباً ،

(١) يروى هذا عن عطاء وهذا نص قوله فى المجموع للنووى : تكون المؤونة من وسط المال لا يختص بتحملها المالك دون الفقراء ؛ لأن المال للجميع فوزعت المؤونة عليه . كما يروى عن ابن عباس وعمر رضى الله عنهم وكذا سفيان الثورى رحمه الله تعالى .

ونصابه عشرون ديناراً ، والدينار زنته اثنتان وسبعون حبة شعير ، وزنتها بالجرامات ثلاثة جرامات ونصف جرام ، فإذا ضربت في عشرين ديناراً صارت سبعين جراماً وهي نصاب الذهب ، فمن ملك هذا المقدار ملكاً تاماً وحال عليه الحول وجب عليه زكاته وهي ربع العشر : جرام وثلاثة أرباع الجرام ؛ إذ في الأربعين جرام وفي الثلاثين ثلاثة أرباع جرام . ومن ملك أقل من سبعين جراماً وملك من الفضة أو العمل النقدية ما يكمل به سبعون جراماً وجبت عليه فيه الزكاة ، إذ الفضة تضم إلى الذهب والعمل قائمة مقامهما . وذلك لحديث الصحيح : وفي الرقة ربع العشر .

ب : الفضة :

الفضة ويقال لها الرقة والورق : جوهر كريم أبيض تضرب منه الدراهم كما تضرب الدينارين من الذهب ، ويصاغ منها الحلى للنساء كما يصاغ من الذهب ، وتتخذ منها الأواني للأكل والشرب ، ومحرم الأكل والشرب في أنيتهما على المسلم لقول الرسول ﷺ : « لا تشربوا في إناء الذهب »^(١) والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير فإنه لهم في الدنيا وهو لكم في الآخرة يوم القيامة .

وتجب الزكاة في الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة إذا بلغت نصاباً والنصاب فيها خمس أواق ، لقول الرسول ﷺ : « ليس فيها دون خمس أواق صدقة »^(٢) .

والأوقية أربعون درهماً ، فإذا ضرب الأربعون في خمسة عدد الأواقي كان الحاصل مائتي درهم وهو نصاب زكاة الفضة بالدراهم ، والدرهم إحدى وخمسون حبة شعير وزنتها بالجرامات : جرامان وثلاثة من عشرة هكذا (٣ و ٤) فإذا ضربت في مائتين عدد الدراهم كان الحاصل أربعمائة

(١) رواه مسلم .

(٢) في الصحيح .

وستين جراما ، وهو نصاب الفضة بالجرامات ، والواجب فيه ربع العشر كالذهب سواء بسواء .

وعليه فمن ملك أربعمائة وستين جراما من الفضة ملكاً تاماً وحال عليها الحول وجب عليه زكاتها بربع العشر ، وهو أحد عشر جراما ونصف جرام ومن ملك أقل من نصاب وكان معه ذهب أو عملة يكمل بها النصاب وجب زكاة ذلك لأن الذهب يضم إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب والعمل قائمة مقامهما فتضم إليهما ويطلق على الكل لفظ النقد أو العين .

ح : عروض التجارة :

العروض جمع عرض بفتح العين وسكون الراء : ما يعرض للبيع والشراء من سائر السلع والبضائع . ووجبت الزكاة فيها لأنها أموال مُعَدَّة للنماء والزيادة ولحديث : في الإبل صدقتها وفي البقر صدقتها وفي البز صدقته (١) .

وحديث أبي داود (٢) : كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى يُعَدُّ للبيع . ولا زكاة في العروض واجبة إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط وهى : الملك التام ، وحول الحول ، ونية الاتجار بها فإن نقص شرط فلا زكاة .

وكيفية زكاة العروض أن ينظر فيها أولاً : هل هى محتكرة أو مُدارة ، فإن كانت مُدارة أى تدخل وتخرج كلما باع صاحبها كمية اشترى أخرى لبيعها وهكذا لا تستقر البضاعة عنده حتى يبيعها ويشتري أخرى

(١) الحديث رواه البيهقى والدارقطنى والحاكم وصححه . والشاهد منه قوله « وفي البز صدقته » إذ البز : الكتان وهو من عروض التجارة ، وكذا الإبل والبقر إذا كانت للتجارة فإنها تزكى زكاة الأموال لا زكاة الأنعام .

(٢) الحديث ضعفه بعضهم وسكت عنه أبو داود . وما سكت عنه أبو داود يمتنع به أهل العلم ويصلح للعمل به .

كأصحاب الحوانيت والدكاكين من بائعي البقول والأقمشة وأدوات البناء وأواني الطبخ وما إلى ذلك فصاحب هذه العروض التجارية عليه أن يقوم الموجود بدكانه رأس كل حول ، ويضيف إليه الناض من النقود ويزكيه بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة إذا بلغ الجميع نصاباً .

وإن كانت محتكرة وهى التى يترصد بها التاجر غلاء الأسعار ، ولا يبيعها إلا إذا غلت وارتفعت أسعارها ، ولو مكثت عنده سنين عديدة ، وذلك كالاتجار فى الأراضى والمباني والمواشى من خيل وإبل وبقر وغنم وبعض الأثاث المنزلى وما إلى ذلك مما لا يديره التاجر ، وإنما يحتكره حتى يبيعه بغلاء فركاة هذه العروض عند مالك رحمه الله تعالى وهو المذهب الذى اخترناه فى هذه المسألة بالذات لما فيها من الرفق . والتيسير أن يزكيها صاحبها يوم يبيعها إن بلغت نصاباً لعام واحد ولو مكثت عنده أعواماً . ووجه الرفق فيها : أن المسلم قد تكون عنده نقود فيشتري بها قطعة أرض أو منزل أو بهيمة ينتظر بها الغلاء لعل الله تعالى يكسبه منها ربحاً فيحول الحول ولم تبع ، وما عنده من النقد ما يفضل عن قوته فيقع فى حرج كبير إذ ليس له ما يزكى به ذلك العرض الذى اشتراه بنية الربح فيه . فمن الرفق به أن يمهل حتى يبيع ولو بعد سنين/ فإذا باع عرضه زكاة فوراً لعام واحد إذ لو طال البناء بزكاة سنين قد تستغرقه الزكاة وهذا يتنافى مع رحمة الإسلام وعدالته . مع العلم أنه لا نص صريحاً فى المسألة ولا إجماع بل الظاهرية لا يرون الزكاة فى العروض التجارية بالمرة لعدم الدليل القاطع فى ذلك ، ومع هذا فلو أن المسلم زكى ما يحتكره كل سنة لكان أحب إلينا ، لا سيما والتطوع محمود وفى الحديث : « إلا أن يشاء ربها » . وإذا باع المحتكر عروضه زكاه فوراً ولا ينتظر بثمنها الحول . والوجب فيها هو الواجب فى النقدين : ربع العشر أى اثنين ونصف فى المائة .

د - الديون :

الديون جمع دين وهو ما تعلق بذمة إنسان لآخر من عرض أو نقد إلى أجل معين أو إلى غير أجل .

وكما يكون المسلم دائناً يكون مديناً ، فالدائن إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه ينظر إلى ديونه التي له على الغير فإن كانت مرجوة الحصول عليها ، وذلك بأن كانت بذمة مقر بها غير معسر فإنه يحصيها ويضمها إلى ما عنده من مال أو عرض تجارة حال عليه الحول ويزكيها معه . وإن كانت ديونه ميئوساً منها أو شبه ميئوس لكونها بذمة منكر لها أو مقر بها وهو معسر لا سداد له فإن هذه الديون يزكيها يوم قبضها ولو بقيت سنوات. شأنها شأن عروض التجارة المحتكرة فإنها تزكى يوم بيعها لعام واحد ولو بقيت سنوات عدة والمدين إذا حال الحول على ما عنده من نقد أو عرض تجارة فإنه يحصى ما عليه من الديون ويسقطها مما عنده فإن بقي به ما تجب فيه الزكاة زكاة وإلا فلا . مثاله : أن يكون لمسلم مائة ألف درهم حال عليها الحول وعليه دين هو مائة ألف أو أكثر فإنه لازكاة عليه ، وإنما عليه أن يسدد ديون الغير التي بذمته ، وإن كان له ألف درهم وحال عليه الحول ، وعليه دين وهو أربع مائة درهم فإنه يسقطها من الألف فيبقى ستمائة فيزكيها ، دون الأربع مائة لأنها لغيره وليست له . ولأن صاحبها سوف يزكيها يوم يقبضها أو قبل قبضها .

تنبيهات

الأول : إن في مسألة زكاة الديون خلافاً طويلاً بين أهل كل مذهب ، وما مشينا عليه هو مذهب مالك وقد استدلل عليه في الموطأ بعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه وعمل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ،

والاقتداء بالخلفاء الراشدين خير من القول بالرأى .

الثانى : أن من قبض شيئاً من دينه ينظر فيه فإن كان بالغاً نصاباً ، أو كان عنده مال غيره وجبت فيه الزكاة ضمه إليه وزكاه معه ، وإن كان ما حصل عليه من الدين لم يبلغ نصاباً عرف عدده حتى إذا تسلم قدراً آخر من دينه ضمه إليه وزكاه إن بلغ نصاباً .

الثالث : إن كان لمسلم دين على فقير لا يجزئه أن يجعله من الزكاة ويبرئه منه ، لأن هذا الفقير معسر لا يقدر على سداد هذا الدين ، وعليه فقد أصبح المالك غير قادر عليه فملكه إذاً غير تام والزكاة تجب بشرط الملك التام . ولذا لا يزكى هذا الدين حتى يتسلمه ولو بقى سنوات بذمة الفقير ، ولا يزكيه إلا مرة واحدة كما تقدم بيانه .

هـ - المال المستفاد :

إن المراد من المال المستفاد : ما حصل عليه المسلم من إرث أو هبة أو عطية ، أو أجرة عمل أو كراء دابة أو سيارة ، أو أجرة منزل أو دكان ، أو أرض وما إلى ذلك . فهل فى هذا المال زكاة ؟ وهل يشترط له الحول ؟ وهل حوله خاص به ؟ أو هو حول ما عند صاحبه من مال سابق ؟

والجواب : أنه مادام هذا المال المستفاد عيناً أى ذهباً أو فضة أو عملة تقوم مقام الذهب والفضة فإن فيه الزكاة ، لأن الزكاة تجب فى العين والحرق والمأشبة ، وهذا المال المستفاد عين فالزكاة واجبة فيه إذاً بلا خلاف ، وأما الحول فعامة المسلمين من صدر الإسلام إلى اليوم على أنه شرط فى زكاة المال المستفاد ، فمن استفاد مالاً بإرث أو هبة أو كراء أو إجارة أو عمل قام به فإن هذا المال لا يزكى حتى يحول عليه الحول ، أو يكون للمسلم مال غيره حال عليه الحول فإنه يجمعه معه ويزكيهما معاً ، أما أن يزكى المال المستفاد فور استفادته بدون مرور الحول عليه فهذا مخالف

لإجماع المسلمين ^(١) ، فقد كان أبو بكر رضى الله عنه ^(٢) إذا أعطى الناس أعطياتهم يسأل الرجل : هل عندك مال وجبت عليك فيه الزكاة ؟ فإن قال : نعم . أخذ من عطائه زكاة ذلك المال ، وإن قال : لا ، أسلم إليه عطائه ولم يأخذ منه شيئاً ، ومعنى هذا أن يستقبل بما أعطيه من مال جولا كاملاً من يوم تسلمه .

وهذا الذى عليه المسلمون من عهد نبيهم ﷺ إلى اليوم : أن من استفاد مالاً لا يزكيه حتى يحول عليه الحول ، أو يكون له مال وجبت فيه الزكاة فإنه يضمه إليه ويزكيها معاً .

فالمسلم يرث المال أو يعطاه هبة أو يحصل عليه بعمل قام به أو باستئجار منزله أو دابته أو أرضه فإنه ينفق منه على نفسه وأهله ويتصدق منه فإذا حال الحول وبقي منه شيء يبلغ نصاباً زكاه ، أو يكون له مال آخر حال عليه الحول فإنه يزكيه ولو لم يحل الحول على المال المستفاد لوجود مال سابق وجبت فيه الزكاة ، وقد تقدم أن أبا بكر إذا أعطى الرجل سأل : هل عندك مال وجبت فيه الزكاة ؟ فإذا قال : نعم أخذ الزكاة من أعطيته التى هى مال مستفاد .

ولو قلنا بزكاة المال المستفاد فور الحصول عليه إذا بلغ نصاباً لكنا قد أبطلنا قاعدة شرعية وهى الحول ، وهذا مالا نقدر عليه ، إذ اشتراط الحول أمر مجمع عليه بين المسلمين ، فليس من حق أحد أن يسقطه باجتهاد . غير أن هناك طريقاً سليماً لا بأس أن يوجه المسلم إليه وهو أن يقال لذى الدخول الكبير من رواتب عالية إبراد إجازات كبير يزيد على نفقة المسلم إن هذه الأموال نعمة من الله تعالى فأنفق منه فى وجوه البر والإحسان ، ولا تكتف

(١) خالف فى هذا عثمان وواقفه ابن عباس رضى الله عنهم ثم انعقد الإجماع على أن المال المستفاد لازكاة فيه حتى يحول عليه الحول وابن عباس قال بعدم اشتراط الحول فى مسألة الأعطية السنوية ، التى كان الخلفاء يعطونها للمسلمين من بيت المال كل عام لاقى كل مال مستفاد .

(٢) رواه مالك فى الموطأ .

بالزكاة من الحول إلى الحول فإن في المال حقاً غير الزكاة . وقد قال رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه : « إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذهُ وكل وتصدق » . فمثل هذا التوجيه والإرشاد نافع ، ويصبح المسلم معه ينفق من ماله أكثر من واجب الزكاة .

و- زكاة الأوراق المالية :

إن المراد من الأوراق المالية تلك العمل المختلفة كالدولار والفرنك والدينار والريال والدرهم والجنيه والليرة والروبية المصنوعة من الورق أو النيكل أو الحديد ، وأصبحت بديلاً عن الدينار الذهبي والدرهم الفضي .

هذا وبما أن الجمهور من الفقهاء يرون ضمَّ الذهب إلى الفضة ، والفضة إلى الذهب في تكميل النصاب وإخراج الزكاة من أحدهما بدلاً عن الآخر فإنه لا مانع من تقويم العملة النقدية بالذهب أو الفضة وإخراج زكاتها بما قُوِّمَتْ به إن بلغ نصاباً ، فإذا كان نصاب الذهب : سبعين جراماً كما تقدم وكان ما بيد العبد من العملة يساوي هذا القدر جاز إخراج زكاته بحساب نصاب الذهب ، كما أنه إذا كان نصاب الفضة أربعمائة وستين جراماً - كما تقدم - وكان عند المرء المسلم مبلغ من العملة يساوي هذا القدر من الفضة جاز له أن يخرج زكاته بحسابه إذ هو في الحالين لا يعطى ذهباً ولا فضة ولكن يعطى عملة بلده من الريال أو الدرهم أو الدينار أو الجنيه مثلاً .

بيان وتوضيح :

لقد علمنا مما سبق أن نصاب الذهب سبعون جراماً وذلك لأننا أخذنا بما قرره سلف الفقهاء المالكية من أن الدينار زنته اثنتان وسبعون حبة شعير ، فأخذنا الاثنتين والسبعين حبة من الشعير فوزناها بميزان دقيق

فوجدناها تساوى ثلاثة جرامات ونصفا فضربنا في عشرين دينارا نصاب الذهب الشرعى فكانت سبعين جراما . وعليه فمن كان لديه من العملة ما يساوى قيمة سبعين جراما من الذهب فقد وجبت عليه الزكاة فيزكى ما عنده من العمل بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف في المائة وبهذا أصبح الأمر ميسراً سهلاً إذ ما على المسلم إذا حال الحول على ما عنده من المال الذى هو عمل في الغالب ما عليه إلا أن يأتى بائع ذهب ويسأله عن قيمة سبعين جراماً من الذهب أو أربعمئة وستين جراماً من الفضة فإذا أعلمه بها نظر هل هذا المبلغ الذى ذكره له عنده أولاً ؟ فإن وجده عنده علم أن الزكاة وجبت عليه وزكى ما عنده وإن كان ما عنده أقل مما أخبره به بائع الذهب علم أن ماله لم يبلغ نصاباً وأنه لا زكاة عليه فيه .

وزيادة في التوضيح لينظر في الجدول التالى رقم (١)

الدينار وزنه بالشعير وزنه بالجرام النصاب بالدينار قدره بالجرام الواجب

١	٧٢	٣	٢٠	٧٠	١
---	----	---	----	----	---

وذلك أننا لما عرفنا أن الدينار الشرعى زنته ٧٢ حبة شعير ووزناها فوجدناها ثلاثة جرامات ونصفا ، ضربناها في عشرين نصاب الذهب فوجدناها سبعين جراما فعلمنا أنه نصاب الذهب . وبما أن الواجب هو ربع العشر ففى الأربعين جرام وفى الثلاثين جرام إلا ربعاً أى ثلاثة أرباع ، وهو الواجب فى السبعين جراما نصاب الذهب (١)

(١) ليعلم من يقرأ هذه الرسالة : أننا نظرنى في كتب الفقه القديمة والحديثة ، وأن مارجحناه من أن نصاب الذهب هو سبعون جراما ، ونصاب الفضة هو أربعمئة وستون جراما في حين أن من قائل من يقول : نصاب الذهب خمسة وثمانون جراما ونصاب الفضة خمسمئة وخمسة وتسعون جراما . إن مارجحته قائم على الحقائق التالية :

- (أ) أن الأخذ بالأقل هو الأحوط لدين المسلم وأنفع للفقير المسلم .
 (ب) أن زنة الدينار باثنين وسبعين حبة شعير وزنة الفضة بخمسين حبة وخمسمئة عليه الفقهاء المالكية وهو أخصط وأيسر وأحوط .
 (ج) قيمة الخمسة والثمانين جراما من الذهب تساوى مايقارب ثلاثة آلاف ريال وزيادة من الريالات السعودية وهذا مبلغ لم يقل أحد اليوم أنه نصاب الريالات أو أية عملة أخرى وذلك لكبره وكثرته !!!

كما أننا أخذنا بتقدير المالكية في الفضة لانضباطه وحياطته وسهولته ويسره ، إذ نصاب الفضة خمس أواق والأوقية أربعون درهما ، وعليه فمائتا درهم هي نصاب الفضة ، والدرهم زنته خمسون وخمسا^(١) حبة شعير وقد وزناها بالجرامات فكانت جرامين وثلاثة من عشرة ، فضربنها في المائتين نصاب الفضة الشرعى فوجدناها أربعمائة وستين جراماً .

"وعليه فمن ملك من العمل المختلفة ما تساوى قيمة أربعمائة وستين جراما من الفضة فقد وجبت عليه الزكاة فليخرجها من عملته بنسبة ربع العشر أى اثنين ونصف في المائة .

وهذا جدول توضيحي لذلك رقم (٢) .

الدَّهْرَم زَنْتُهُ بِالشَّعِير زَنْتُهُ بِالْجَرَام النَّصَابُ بِالدَّهْرَم قَدْرُهُ بِالْجَرَامِ الْوَاجِبُ فِيهِ

١	٥١	٢, ٣	٢٠٠	٤٦٠	١١, ٥
---	----	------	-----	-----	-------

→ ذلك أننا لما عرفنا أن الدرهم الشرعى زنته إحدى وخمسون حبة شعير ووزناه فوجدناها جرامين وثلاثة من عشرة ضربنها في مائتين نصاب الفضة بالدرهم فوجدناها أربعمائة وستين جراما . فعلمنا أنه نصاب الفضة ، وبما أن الواجب هو ربع العشر ، ففى الأربعمائة : عشرة جرامات ، وفى الستين : جرام ونصف الجرام ، وهو الواجب فى الأربعمائة والستين جراما نصاب الفضة .

(١) تنبيه : قد ذكرنا أن زنة الدرهم بالتقدير المالكي الذى اعتمدنا عليه وحياطته ويسره هو خمسون حبة شعير وخمسا حبة ، غير أننا في الوزن والتقدير الغينا الكسر وأتممنا الحبة فجعلنا الكمية إحدى وخمسين حبة ، وذلك للإعتبارات التالية .

(أ) أن المسألة اجتهادية إذ هناك من قال بأكثر من هذا العدد .

(ب) أن الحب الشعير قد يختلف وزنه بعض الشيء بحسب الخصب وعدمه ، فزيادة ثلاثة أخماس الحبة غير ضائر .

وحسبنا أننا قدرنا الكمية الواجب فيها الزكاة بأربعمائة وستين ومن الفقهاء من قدرها بخمسمائة وخمسة وتسعين جراما ومن هنا فلا خوف في زيادتنا ثلاثة أخماس حبة شعير في كل درهم .

مصارف الزكاة

إن الجهات والأشخاص الذين تصرف لهم الزكاة مما تولى الله تبارك وتعالى بيانه ولم يكله إلى غيره ، وقد أجهل تعالى ذلك في آية واحدة من كتابه وهي قوله تعالى من سورة التوبة :

﴿ إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم ﴾ .

وهذا بيان ذلك :

١ - الفقراء : جمع فقير وهو من لا يجد كفايته وكفاية من يعول من زوجة وولد إن كان له زوجة أو ولد .

والمراد من الكفاية : ما يكفي من طعام وشراب ، وكساء ومسكن

(٢) المساكين : جمع مسكين هل هو من له شيء لا يكفيه مؤونة حياته فيكون أحسن حالاً من الفقير ، أو هو من لا شيء له بالمرّة ، ولا يقدر على الكسب لزمانة أو عائق آخر فيكون أسوأ حالاً من الفقير؟؟

في التفرقة بين الفقير والمسكين خلاف . ولذا لم يضر المسلم إذا لم يفرق بينهما لاسيما وأن الجمهور على جواز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية .

(٣) العاملون عليها : جمع عامل وهو من يعمل في جبايتها وتحصيلها أو في كتابتها وتدوينها أو حراستها وحمايتها أو تفريقها وتوزيعها . والأولى أن يكون العاملون عليها من بنى هاشم من آل البيت حتى يأخذوا كفايتهم منها برسم الوظيفة لأن الصدقة لا تحل لهم لشرفهم ، إذ قال رسول الله ﷺ : « إن الصدقة لا تحل لآل محمد ، إنها أوساخ الناس » (١) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

فالعاملون عليها يُعطون أجر عملهم ولو كانوا أغنياء غير محتاجين ؛ إذ لكل عامل أجر وهم قد عملوا على جمعها وتفريقها فيعطون منها لقاء ذلك العمل .

(٤) المؤلفه قلوبهم وهم أناس يكون لهم شأن وخطر اجتماعي بمعنى أن لهم أثرا ما في الحياة الاجتماعية فيعطون من الزكاة دفعا لشرهم ، أو جلبا لخيرهم وقد يكون أحدهم مؤمنا ضعيف الإيمان وقد يكون كافرا . فالمؤمن منهم يُعطى ليسكن قلبه وتطمئن نفسه بالإيمان فينقطع شره ويصل خيره . والكافر يُعطى ليرغب في الإسلام ويدخل فيه ، أو يحترمه ويقف موقف المدافع عنه المناصر له .

والمؤلفه قلوبهم قد يوجدون أيام ضعف المسلمين وينقطعون أيام عزه لذا فإن عمر رضى الله عنه قد أوقف جريان هذا المصرف لعزة الإسلام على عهده .

(٥) في الرقاب : الرقاب جمع رقبة والمراد بها العبد أو الأمة يشتري بهال الزكاة ليعتق فتكمل حريته ويتم تصرفه فيصبح عضوا نافعا في الهيئة الاجتماعية ويتمكن من عبادة الله كحضور الجمع والجماعات والجهاد والحج والاعتبار وما إلى ذلك مما كان مقيدا عنه لا يمكنه أدائه مع الرق والعبودية غيره . ولذا يشترط أن يكون الرقيق مسلما .

ويعطى العبد لتحرير كله أو بعضه إن كان مبعضا . ويعطى المكاتب ما يتم به نجوم كتابته ليتم تحريره في أقرب وقت .

(٦) والغارمين جمع غارم وهو المدين لغيره بدين عجز عن سداذه لقلة ذات يده فأهمه ذلك فيعطى من الزكاة إذا كان قد ارتكب الدين لأحد أميرين .

أولهما : إصلاح ذات البين ^(١)

ثانيهما : إصلاح نفسه وأهله (فيكون ما أنفقه مرتكبا به الدين قد أنفق

(١) المراد من إصلاح ذات البين أن يكون هناك خلاف بين جماعتين أو فردين فيدخل المؤمن ليصلح بينها فينفق في سبيل إصلاح ذات بينهم أموالا استدانها لذات الغرض

في غير معصية الله تعالى بحيث لم ينفقه في حرام ، ولا في إسراف أو تبذير .
 (٧) في سبيل الله المراد من سبيل الله : الجهاد في سبيل الله بهذا فسرهُ
 عامة أهل العلم فيشتري من الزكاة العتاد الحربي ويعطى المجاهدون
 المتطوعون (٢) ما يسد حاجتهم من الزكاة وألحق عمر رضي الله عنه وكثير
 من أهل العلم الحج والعمرة بسبيل الله فيعطى الحاج أو المعتمر ما يساعده
 على أداء حجه أو عمرته إن لم يكن قد حجَّ فرضه واعتمر .

(٨) ابن السبيل المراد من ابن السبيل المسافر يحتاج في سفره إلى ما
 يواصل به سفره حتى عودته إلى بلاده فيعطى من الزكاة ما يساعده على
 ذلك وهل يشترط أن يكون السفر مباحاً ؟ نعم ينبغي أن يكون المسلم قد
 سافر لغرض صحيح ، أما إذا كان سفره لمعصية فلا يعطى من الزكاة لما في
 ذلك المساعدة على المعصية . وهذا مما لا يجوز ولا يقر عليه أحد

هذه مصارف الزكاة الثمانية التي جاءت في الآية الكريمة وليس هناك
 للزكاة مصارف غيرها ، غير أن هناك مسائل ينبغي التنبيه إليها وهي :

١ - الجمهور على جواز دفع الزكاة لصنف أو أكثر من الأصناف الثمانية .
 وليس واجباً أن توزع الزكاة على كل الأصناف الثمانية في حال وجودها
 في وقت واحد .

٢ - يجوز إعطاء الغارم ما يسد كل دينه أو بعضه .
 ٣ - لا يجوز إعطاء الزكاة لكافر أصالة أو مرتد ، ولا لتارك الصلاة
 للقول بكفره .

٤ - لا يجوز إعطاء الزكاة لغنى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
 « لا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب » .

٥ - لا يجوز إعطاء الزكاة لمن تجب النفقة عليهم كالزوجة والولد
 والوالدين .

٦ - يجوز إعطاء المرأة زكاة ما لها لزوجها إن كان فقيراً لإعطاء امرأة ابن

(١) أما المتدنون من المرتقة وهم الذين يأخذون رواتب شهرية من الدولة ، فلا يعطون من الزكاة .

- مسعود زكاتها لزوجها عبد الله وإقرار الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك .
- ٧ - لا يجوز إعطاء الزكاة لبني هاشم ، ولا بأس أن يوظفوا فيها ليأخذوا أجرهم منها مقابل عملهم .
- ٨ - لا تنقل الزكاة من بلد إلى بلد إلا من ضرورة تستدعي ذلك كمجاعة أو يكون إمام المسلمين هو الذي ينقلها لمصلحة العامة .
- ٩ - من استفاد مالا وجبت فيه الزكاة في غير بلده أخرج زكاته في البلد الذي اكتسبه فيه ، ولا ينقله إلى بلده إلا من ضرورة كما قدمنا .
- ١٠ - يجوز إعطاء الفقير من الزكاة ما يكفيه لعدة أشهر أو لسنة كاملة .

- ١١ - إذا كان الرجل معروفا بقبوله الزكاة لظهور فقره لا بأس بعدم إعلامه بأن ما أعطيه من الزكاة وإلا وجب إعلامه بأن ما أعطاه إياه من الزكاة ، ثم هو إن شاء أمسكه أو رده إن علم أنه من غير أهل الزكاة .

صدقة الفطر

تعريفها ، وحكمتها :

صدقة الفطر ، ويقال لها زكاة الفطر وزكاة النفوس والفطرة : هي صدقة يخرجها المسلم قبل صلاة عيد الفطر شكراً لله تعالى على نعمة التوفيق لصيام رمضان وقيامه . يختم بها المسلم عمل رمضان يرجو بركتها ومشوبتها ويغنى بها أخاه الفقير المسلم عن السؤال يوم العيد يوم فرح المسلمين بنعمة الإسلام .

حكمها :

صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ذكراً كان أو أنثى ، كبيراً أو صغيراً حراً أو عبداً ، تجب على المسلم وعلى من يعرفهم وينفق عليهم من زوجة وولد وخادم .

فرضها رسول الله ﷺ وبين مقدارها كما جاء ذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما « فرض رسول الله زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين . »
بيان مقدارها :

زكاة الفطر صاع أو أربعة أمداد ، والمد : حفنة الرجل المعتدل غير قابض أصابعه ولا بأسطها لحديث ابن عمر في الصحاح : « صاعاً من شعير » الحديث . والأحوط أن يزداد على أربع حفنات مثل نصف حفنة لاحتمال نقصان حفنة الرجل اليوم عن حفنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

بيان ما تخرج منه :

تخرج زكاة الفطر من غالب قوت أهل البلد من بُرٍّ أو شعير أو أرز أو تمر أو زبيب أو إقط (١) ولا خلاف في هذا . وكل ما كان أجود فهو خير وأفضل .

هل يجوز اخراجها نقوداً ؟

الجمهور على عدم الجواز وهو الصحيح لأن النبي ﷺ لم يذكر ديناراً ولا درهما وكان التعامل بهما قائماً . غير أنه إذا تعذر اخراج الطعام يجوز ضرورة إخراج النقدين بدلاً عن الطعام حتى لا تتعطل الفريضة .

وقت إخراجها :

وقت إخراج زكاة الفطر المستحب : ما بين صلاة الصبح وصلاة العيد : ويجوز إخراجها قبل ذلك ، إذ تجب زكاة الفطر بدخول ليلة العيد وإخراجها بعد صلاة العيد فما دون ذلك إلى الغروب مجزئ لحديث السنن : فرض النبي ﷺ صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، من أداها قبل صلاة العيد فهي زكاة ومن أداها بعد

(١) الإقط : اللبن المجفف .

صلاة العيد فهي صدقة من الصدقات .
 ويحرم تأخيرها عن يوم العيد إلا لضرورة كغيبة المال أو أخذها ، وذلك
 لحديث : « أغنوهم في هذا اليوم عن المسألة » .
 كما يجوز إخراجها قبل يوم العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة لحديث مالك
 عن نافع أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يبعث بزكاة الفطر إلى الذى تجمع
 عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة

مصرفها :

مصرف زكاة الفطر على الصحيح أنه الفقراء والمساكين لحديث
 « أغنوهم - يعنى المساكين - في هذا اليوم عن المسألة » إلا أن يرى الإمام
 غير ذلك فهو له ؛ إذ تصرفه مبنى على أساس المصلحة العامة للمسلمين ،
 إذ من الجائز أن تجمع زكاة الفطر ويتولى الإمام إخراجها حيث يرى النفع
 للمسلمين .

مسألان :

الأولى : يجوز إعطاء زكاة الفطر الواحدة إلى اثنين من الفقراء أو أكثر ،
 كما يجوز إعطاء عدة فطرات إلى فقير واحد وهو مذهب الجمهور .
 الثانية : تسقط زكاة الفطر عمن لم يكن له فضل عن قوته وقوت من
 يعول يوم العيد ، وتجب على من يكون له فضل عن قوته وقوت من يعول
 يوم العيد .

الفهرس

الموضوع

٣	مقدمة الرسالة
٥	حكم الزكاة
٦	حكممة الزكاة
٧	عقوبة مانع الزكاة
٩	ما تجب فيه الزكاة من المال
١٠	شروط وجوب الزكاة
١٣	بيان كيفية زكاة الماشية
١٣	الإبل
١٥	البقر
١٥	الغنم
١٦	تنبيهات هامة في بيان الوقص
١٧	ضم الأنواع إلى بعضها في الزكاة
١٧	الخليطان يترادآن بالسوية
١٧	لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الزكاة
١٨	الخيول لا زكاة فيها
١٨	السخال تعد على صاحبها ولا تؤخذ منه
١٩	الثمار
٢٠	الواجب في زكاة الثمار والحبوب
٢١	تنبيهات هامة تتعلق بزكاة الثمار
٢١	الحبوب

٢١	ثلاثة تنبيهات في زكاة الحبوب
٢٢	بيان كيفية زكاة النقدين
٢٢	الذهب
٢٣	الفضة
٢٤	عروض التجارة
٢٦	الديون
٢٦	تنبيهات هامة في ذلك
٢٧	المال المستفاد
٢٩	زكاة الأوراق المالية
٢٩	بيان وتوضيح لزكاة الأوراق
٣٢	مصارف الزكاة
٣٥	صدقة الفطر
٣٥	تعريفها وحكمتها
٣٥	حكمها
٣٦	بيان مقدارها
٣٦	بيان ما تخرج منه
٣٦	هل يجوز إخراجها نقودا
٣٦	وقت إخراجها
٣٧	مصرفها
٣٧	إعطاء الفطرة إلى أكثر من واحد
٣٧	أعطاء عدة فطرات إلى واحد

●● الرسالة الثالثة

هكذا
الحج المبرور والزيارة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد
أخى المسلم . . . إذ أردت أن يكون حجك مبروراً تخرج به من
ذنوبك كيوم ولدتك أمك ، ويكون جزاؤك عنه الجنة فاتبع كيفية
الحج التالية :

إذا عازمت على الخروج إلى مكة فقم أظفارك وتنظف ،
واغتسل والبس إزاراً ورداء نظيفين ، والبس نعلين ، وإذا وصلت
إلى الميقات « أبار على » فصل ركعتين ، ثم انو نسكك ، وإن
كنت تريد التمتع - وهو أفضل - فلبّ قائلاً : لبيك اللهم
عمرة . وإن كنت تريد الأفراد - وهو أفضل لمن اعتمر قبل أشهر
الحج - فقل : لبيك اللهم حجاً . وإن كنت تريد القرآن - وهو
أفضل إن سقت معك هدياً - فقل لبيك اللهم حجاً وعمرة . ثم
واصل التلبية .

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد
والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وإن كان خروجك إلى مكة بطريق الجوفتنظف واغتسل والبس
إزارك ورداءك ونعليك وصل ركعتين بمسجد المطار واركب
طائرتك ، فإذا ارتفعت الطائرة من أرض المطار وفارقتة بقدر دقيقة
فانو نسكك ولّب وواصل التلبية حتى تصل إلى مكة المكرمة واحذر
وأنت محرم ما يلي :

لبس الثياب ، تغطية الرأس ، مس الطيب ، قص الشعر ،
قلم الظفر ، مباشرة النساء . النطق بفحش . وأكثر من فعل ما
يلى :

التلبية ، الدعاء ، الصلاة على النبي ﷺ ، الصدقة ، بذل
المعروف من قول وفعل . وإذا وصلت مكة المكرمة فتطهر واقصد

المسجد الحرام ، فإذا وصلته فادخل من أى أبوابه تيسر لك وقدم
رجلك اليمنى وقل : بسم الله ، اللهم صل على محمد وآله ،
اللهم اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك . وإذا رأيت
البيت - حرسه الله - فقل اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا
ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً
وبراً وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيماً
وتكريماً ومهابةً وبراً ثم ادخل المطاف كاشفاً عن كتفك الأيمن
وتقدم الى الحجر الأسود وقبله إن تيسر أو المسه بيدك أو أشر اليه
ناوياً الطواف . ثم طف جاعلاً البيت عن يسارك قائلاً : بسم الله
والله أكبر اللهم ايمناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً
لسنة نبيك محمد ﷺ وواصل طوافك مهرولاً فى الأشواط الثلاثة
الأولى وماشياً فى الأربعة الباقية تدعو بما فتح الله عليك وتختتم
كل شوط بدعاء : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار وكلما مررت بالركن اليمانى لمست بيدك وبالحجر الأسود
قبلته أو لمست أو أشرت اليه حسب امكانك وإذا فرغت من
الطواف سبعة أشواط فأت مقام ابراهيم فصل خلفه ركعتين ولو
بعيداً منه . تقرأ فى الأولى الفاتحة والكافرون ، وفى الثانية الفاتحة
والصمد ، ثم إيت رزم فاشرب منه وأكثر وادع بعد الشرب بما
تحب من الخير وإن قلت اللهم إنى أسألك علماً نافعاً ورزقاً
واسعاً ، وشفاء من كل داء وعافية من كل بلاء فحسن ، ثم تخرج
إلى المسعى من باب الصفا تالياً قول الله تعالى : « إن الصفا
والمروة من شعائر الله . . الى عليم » (١) . فإذا وصلت الصفا
فاصعده واستقبل البيت وارفع يديك قائلاً : الله أكبر (ثلاثاً) لا
إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل

(١) تمام الآية : فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بها . ومن تطوع خيراً : فإن الله شاكراً عليم .

شئء قدير . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، وادع بها شئت من الخير ، وانزل ساعياً الى المروة ، واذا كنت بين الميلين الأخضرين فخبّ (أى مسرعاً دون الركض) واذا وصلت الى المروة فاصعده واستقبل البيت وقل ما قلته على الصفا ثم انزل ساعياً الى الصفا . وهكذا حتى تتم سبعة أشواط بثمانى وقفات (أربع على الصفا وأربع على المروة) واذا فرغت من السعى فقصر شعرك « ان كنت متمتعاً » والبس ثيابك فقد تمت عمرك وان كنت مفرداً أو قارناً ، فلا تقصر ولا تتحلل ، وإنما إبق على إحرامك حتى ترمى جمرة العقبة يوم النحر .
 تنبيه : أنبهك أخى المسلم الى ان شأن مكة والحرم عظيمان فاحذر أن ترتكب فيهما أى ذنب ، فإن الله تعالى يقول : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » فإياك والكذب والظلم والفحش وسماع الأغاني والباطل وحلق لحيتك وأذية عباد الله فى بيته وحرمة .

هذا واذا كان يوم التروية ثامن الحجة فاغتسل وتجرد من ثيابك والبس إحرامك (ان كنت قد تحللت) وانو الحج ملبياً به واخرج الى منى ضحى ملبياً فبت بها واقض جل هذا الوقت فى التلبية والدعاء والصلاة والسلام على النبى ﷺ . واذا صليت الصبح من يوم عرفة (تاسع الحجة) خرجت الى عرفة فنزلت بها ، واذا أمكنك أن تأتى مسجد نمرة فتصلى الظهر والعصر مع الإمام جمعاً وقصرافاً فافعل فإنه خير . ثم توجه بعد ذلك الى جبل الرحمة فقف به مستقبلاً القبلة وقف حيث تيسر لك الوقوف لأن عرفة كلها موقف ، وأكثر من الذكر والدعاء وأفضل الذكر : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئء قدير ، حتى اذا غربت الشمس افضت من عرفات الى مزدلفة فإذا وصلت

فصل المغرب والعشاء قصراً (جمع تأخير) ثم بت فيها وإذا صليت الصبح وقفت مستقبلاً القبلة تذكر الله تعالى كثيراً وتدعوه الى قرب طلوع الشمس ثم تنفر الى منى بعد ان تلتقط ان شئت سبع حصيات لرمي جمرة العقبة ، وإذا وصلت الى منى فارم جمرة العقبة قبل الزوال بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة (الله أكبر) فإذا فرغت نحرت هديك وحلقت رأسك ولبست ثيابك وقصدت مكة المكرمة لطواف الإفاضة ، فإذا وصلتها فطف بالبيت حرسه الله كما طفت عند قدومك غير انك لا تكشف عن كتفك ولا تهوّل فإذا فرغت فصل ركعتين خلف المقام واخرج الى المسعى فاسع ان كنت حججت متمتعاً وان كنت مفرداً أو قارناً فإن سعيك الأول يجزئك ، ثم عد الى منى لتبيت بها ثلاث ليال ، وقد تم حجك .

وإذا زالت الشمس من اليوم التالى للعيد فارم الجمرات الثلاث كل جمرة بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة ، وتدعوه بعد الفراغ من الرمي عند كل جمرة إلا جمرة العقبة فلا تدع بعدها وأبدأ فى الرمي بالجمرة الصغرى التى تلى مسجد الخيف واختتم بجمرة العقبة ، وهكذا افعل فى اليوم الثانى . وان شئت تعجلت فخرجت من منى (قبل الغروب) الى مكة وان شئت بت ورميت فى اليوم الثالث ، ثم أتيت مكة المكرمة لطواف الوداع . وعندما تعزم على السفر طف طواف الوداع على النحو الذى طفته فى طواف الإفاضة ، ثم اخرج عائداً الى بلادك قائلاً : أيون تائبون عابدون لربنا حامدون ، لا إله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

تنبيهات

- ١ - لا تنظف إلا وأنت متوضئ ، وأما السعى فيجوز بدون وضوء .
- ٢ - لا تترك التلبية في ذهابك من مكة الى منى ، ومن منى الى عرفات ، ومن عرفات الى مزدلفة ، ومن مزدلفة الى منى حتى ترمى جمرة العقبة ، ثم استبدل بها التكبير بعد الصلوات الخمس أيام منى الثلاثة .
- ٣ - لا تخرج من عرفات قبل غروب الشمس .
- ٤ - بت بمزدلفة وإذا كنت مضطرا الى الخروج منها فعلى الأقل انزل بها وصل العشائين واسترح بها الى أن يمضى جزء كبير من الليل واذكر الله وادع ثم اخرج منها الى منى .
- ٥ - لا ترم قبل الزوال ، وإن اضطرت الى التأخير فأخر الى المساء .
- ٦ - العاجز والمريض ينيب من يرمى عنه ولا حرج .
- ٧ - يجوز أن تشتط أثناء احرامك فتقول : لبيك اللهم لبيك محلى من الأرض حيث تحبسنى ، فانه إن نزل بك حادث منعك من مواصلة الحج تحللت ولا شئ عليك .
- ٨ - يجوز للمفرد والقارن تأخير السعى الى ما بعد طواف الإفاضة إن لم يتيسر بعد طواف القدوم .
- ٩ - علامة قبول حجك أن تجد نفسك عند رجوعك الى بلدك تحب الخير وتعمله وتكره الشر وتجتنبه ، تلازم المساجد والصلاة فيها ، وتبتعد عن المقاهى والجلوس فيها .



الزيارة

أخي المسلم . وإذا أردت أن تكون زيارتك مقبولة تثاب عليها فاتبع فيها ما يلي :

إذا عزمت على الزيارة فانوزيارة المسجد النبوي الشريف أولاً ، ثم اذا وصلت المدينة فانو التشرف بالوقوف على قبر النبي ﷺ والسلام عليه وعلى صاحبيه ، إذ الزيارة طاعة وكل طاعة تحتاج الى نية . وإذا وصلت فتطهر وادخل المسجد النبوي مقدماً رجلك اليمنى قائلاً : « بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، ثم ايت الروضة الشريفة أو ما جاورها من المسجد وصل ركعتين ، فاذا فرغت فاقصد الحجرة الشريفة واستقبل المواجهة وسلم على النبي ﷺ قائلاً السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين » .

ثم سلم على أبي بكر قائلاً « السلام عليك أبا بكر الصديق صفى رسول الله وثانيه في الغار » .

ثم سلم على عمر قائلاً : « السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته » .

ثم انصرف في أدب ، واجلس في ناحية المسجد ، وادع الله تعالى واسأله من خير الدارين وبهذا تمت زيارتك (وإن شئت أقمت بالمدينة لتكثر من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ فإن في ذلك أجراً كبيراً وخيراً كثيراً) . وإن أمكنك زيارة مسجد قباء للصلاة فيه فافعل فإن الصلاة فيه كأجر عمرة . وإن زرت قبور الشهداء بأحد وقبور أزواج النبي ﷺ وبناته وأصحابه والمؤمنين بالبقيع فحسن . وأنبهك أخيراً الى ما يلي :

١ - لا ترفع صوتك عند السلام على الرسول ﷺ ولا في مسجده أبداً .

٢ - لا تفعل ما يفعله الجاهل من طول الوقوف عند القبر الشريف والدعاء ورفع الصوت وإنما سلم كما بينت لك وانصرف واجلس في المسجد وادع بما شئت من الخير ، تأدبا مع الرسول ﷺ .

٣ - لا تكثر من التردد على القبر الشريف ومزاحمة الزائرين عنده وأذيتهم ، فإنه يكفيك أن تزوره عند قدومك ، وعند سفرك الى بلادك ، وأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله وآله وأنت جالس مستقبل القبلة في مسجده الشريف ، وأكثر من دعاء الله تعالى بالخير لك ولإخوانك المسلمين ولن قدم لك هذه النصيحة في هذا البيان :

أبو بكر الجزائري غفر الله له

وعفا عنه آمين

●● الرسالة الرابعة

حُسن المقال في ثبوت رؤية الهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله فائق الحبِّ والنوى ، وجاعل الليل سَكَنًا ، والشمس والقمر حسبانًا ، وهو العزيز العليم . والصلاة والسلام على النبي الأُمِّي محمد المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحابه أجمعين .

وبعد : فقد كثر في هذه الأيام القيل والقال ، حول ثبوت رؤية الهلال ، وتوحيد الفطر والصيام . واضطربت لذلك نفوس ، وحارت له عقول وأفكار ، وتطلع المسلم إلى معرفة الحق في هذه القضية الإسلامية . وكان لابد من كلمة شافية (وإن لم تكن كافية) تنير الطريق ، وتهدى إلى معرفة الحق في هذه المسألة التي أصبحت تُحدث في كل عام مشاكل وتثير تساؤلات وأصبح لها - فعلا - آثار سيئة في بعض بلاد المسلمين . وما كان مثل هذه ليكون لو عرف الحق في هذه المسألة وقبلته نفوس المسلمين . فكتبت هذه الكلمة إسهاماً مني في حل هذه المشكلة ، وهي تدور على سؤالين اثنين :

بم يثبت الصوم والإفطار ؟ وهل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين مع تباعد ديارهم ممكن ؟

وبسم الله تعالى أقول : إنه بمعرفة ما يثبت به الصيام والإفطار شرعاً والالتزام به تنحل هذه المشكلة العويصة الحل ، التي أوجدت متاعب لبعض المسلمين في بلادهم .

وأما مسألة توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين على اختلاف بلادهم وتنائي ديارهم فهي في الحقيقة مشكلة ليس مما ينبغي للمسلمين أن يرهقوا أنفسهم في البحث عن حلها - كما سنبينه إن شاء الله تعالى أثناء البحث فيها .

هذا - والله تعالى أسأل أن ينفع إخوة الإسلام حكوماتٍ وشعوباً بهذه الرسالة التي حملت إليهم كلمة الحق واضحة ، والمعرفة سهلة ميسرة اللهم آمين . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

السؤال الأول

بم يجب الصوم والإفطار ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد فإن الصيام عبادة محضة تعبّد الله تعالى بها الأمم والشعوب قبل هذه الأمة ، وعلته حصول ملكة التقوى التي بها يبقى العبد نفسه خزي الدنيا وعذاب الآخرة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ﴾ (١) .

وقد عين الله تعالى زمن هذه العبادة وأنها شهر رمضان فقال عز وجل : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبيّنات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ (٢) .

وحدد وقتها وأنه من طلوع الفجر إلى غروب الشمس من كل يوم من شهر رمضان فقال عز من قائل : ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (٣) . وبين الرسول ﷺ معنى قوله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ وأنه رؤية هلال رمضان وسواء رآها الفرد المسلم أو رآها غيره ، وبلغته وهو حاضر غير مسافر ، وصحيح غير مريض .

فقال ﷺ : « إذا رأيتموه فصوموا ، وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له » (٤) . وقال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن

(١) الآية من سورة البقرة .

(٢) الآية من سورة البقرة .

(٣) الآية من سورة البقرة .

(٤) رواه مسلم .

عَبِي عَلَيْكُمْ فَكَمَلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ» (٥). وقال : « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » (٦) . وقال : « إنا أمة أُمِّيَّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين » .

ونهى ﷺ عن صيام يوم الشك فقد أخرج أبو داود والترمذى والبخارى تعليقا عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قوله : « من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » .

وأجاز الصيام برؤية الرجل الواحد فقد روى أبو داود والترمذى والنسائى أن أعرابيا جاء النبى ﷺ فقال رأيت الهلال ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : يابلل أذن فى الناس فليصوموا غداً » .

وعلى ضوء هذه النصوص من الكتاب والسنة ، والتى صام عليها المسلمون وأفطروا أربعة عشر قرناً وبضع سنوات نقرر الحقائق التالية .
وفىها الجواب الشافى عن سؤالنا السابق : بم يجب الصوم والإفطار ؟

(٥) رواه الشيخان وعَبِي بفتح العين وكسر الباء مخففة بمعنى غُمَّ عليكم أى حال دون الرؤية سحاب أو ضباب وقتر .

(٦) رواه مسلم .

الحقيقة الأولى لا يجب صيام ولا إفطار إلا بيقين الرؤية

بسم الله وبعد فإن صيام رمضان كإنهائه لا يتم شرعاً ودينياً إلا بيقين دخول شهر رمضان وانقضائه ، لأن الصوم عبادة محضة فلا تصح في غير زمنها إذ المقصود منها تطهير النفس وتزكيتها ، ولا يتم ذلك ولا يحصل من العبادة إلا إذا أدت في وقتها المحدد لها بيقين مع استيفاء باقى شروطها . واليقين فى ثبوت الصيام أو الإفطار يتم بأحد شيئين لا ثالث لهما وهما :

الأول : الرؤية أى رؤية الهلال بالعين المجردة ، وذلك فى حال الصحو للسماء ، وعدم السحاب والغيم والقتر ، وذلك بأن يرى الهلال عدل من المسلمين وإن خفت العدالة فى الناس لغلبة الجهل وعدم التربية الدينية استكثر من الشهود .

وقولنا : بالعين المجردة يخرج الرؤية بالمجاهر ومكبرات النظر فإنها لا يعتد بها لأن الله تعالى ورسوله ﷺ لم يكلفانا بما فيه عسر ومشقة ولم يتعبدنا الله تعالى بما فيه الحرج قال تعالى :

﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ . ومطالبة المسلم باتخاذ آلة تكبير المرئيات من العسر والحرج المتففين بنص الكتاب العزيز . والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وهو لا يعنى بقوله هذا إلا الرؤية بالعين المجردة حسب واقع الذين خاطبهم بهذا اللفظ الكريم من نبي رحيم .

الثانى : إكمال شعبان ثلاثين يوماً للصيام وإكمال رمضان ثلاثين يوماً للإفطار ، وذلك فى حال وجود غيم أو سحاب ليلة الثلاثين من شعبان أو رمضان . ودليل هذه قوله ﷺ : « فإن غمّ عليكم فاقدروا له » . وفى

بعض ألفاظ الحديث المروي بها « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً » .
وعبارة « فاقدرُوا » تدل على إكمال شعبان في حال الغيم ثلاثين وإكمال
رمضان كذلك ثلاثين في حال السحاب أو القتر أو الغيم ، إذ لا فرق بين
الصيام والإفطار ، لأنه لا يصام إلا رمضان ولا يفطر إلا شوال .

وبما تقدم يتقرر مبدأ أن لا صيام ولا إفطار إلا بيقين ، وهو مدلول قوله
ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » المقرر لمبدأ اليقين في الصوم
والإفطار ، إذ اليقين ثبت بروية الهلال ، أو بإكمال الشهر ثلاثين يوماً ، إذ
لا شهر أكثر من ثلاثين يوماً وعليه فمتى اكتمل شعبان أو رمضان ثلاثين يوماً
كان الصيام أو الإفطار يقينياً لا شك فيه .

وهذا هو المطلوب للعبادة ذات الوقت المحدد لا يصح وقوعها إلا فيه
وبيقين تام . فمن شك في طلوع الفجر لا يصح أن يصلي الصبح حتى
يتيقن طلوع الفجر . ومن شك في غروب الشمس لا يصلي المغرب إلا بعد
اليقين من غروب الشمس . لما تقرر من أن العبادة لا تثمر زكاة النفس
وطهارة الروح إلا إذا استوفت شروطها من الوقت وغيره إذا كانت مرتبطة
بوقت معين .

الحقيقة الثانية

الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون

إن كون الشهر لا تزيد أيامه على الثلاثين يوماً ولا تنقص على التسعة والعشرين، أمرٌ مُسَلَّمٌ لا نزاع فيه . ومرد ذلك إلى تنقل القمر في منازل ، فإذا كان آخر منازل أصابه المحاق الذي هو أشبه بالكامل فلا يرى ليلة الثلاثين فيكون الشهر ثلاثين يوماً . ويرى أحيانا ليلة الثلاثين فيكون الشهر تسعة وعشرين يوماً قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل : لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ .

قرر هذه الحقيقة العلمية النبي ﷺ بقوله : « الشهر تسعة وعشرون يوماً فإذا رأيتم الهلال فصوموا . وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له » (١) . وقال ﷺ : « الشهر هكذا ، وهكذا . . . مرة تسعة وعشرين يوماً ، ومرة ثلاثين » (٢) .

وهكذا تتقرر هذه الحقيقة العلمية بما لا يتطرق إليه الشك بحال وهو أن الشهر كما أراد الله وعز وجل يكون بحسب سنة الله تعالى في الهلال من كونه يبدو صغيراً ، ويتكامل حتى يكون بداراً ، ثم يتناقص حتى يصيبه المحاق في آخر أيامه وهي أيام الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين . وبغض الطرف عن السبب الناشئ عنه ذلك ، فإن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً ، ويكون ثلاثين وذلك لأن رؤيته ليلة الثلاثين

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

من سبعان ممكنة ، وإنما لدقة الهلال ومحاقه ليلة الثلاثين قد لا يرى في أغلب البلاد . ولو عني به في سائر البلاد لرؤى إن شاء الله تعالى ذلك .
وقول علماء الفلك قد تكون الرؤية ليلة الثلاثين غير ممكنة باطل ، إذ الهلال ما مات ولن يموت حتى يولد كما يزعمون حتى قال بعضهم : إن من ادّعى رؤية الهلال ليلة الثلاثين وهو لم يولد كمن ادّعى أنه رأى الولد ولمسه وغسله وهو لم يولد ما زال في بطن أمه ، وإنما القمر هو هو في جسمه وجسمه الذي خلقه الله تعالى عليه ينتقل في منازلها التي قدرها الله تعالى له لفائدة الإنسان وصالحه ، وإنما يغيب ويظهر بحسب ما يظلمه من جرم الشمس التي هي أخته تنتقل في بروجها بحساب دقيق لا يقدر عليه إلا الله خالقهما وخالق كل شيء .

ومن تنقل الشمس في بروجها والقمر في منازلها تكونت الأيام والشهور والأعوام والقرون والدهور . كما قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة . قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا . وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ (٢) . وقال عز وجل : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ، والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (٣) .
وأخيرا فبهذا قد تقرر قطعيا أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، ويكون ثلاثين كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وقرره بقوله - فداء أبي وأمي - « الشهر هكذا وهكذا : مرة تسعة وعشرين يوما ، ومرة ثلاثين » .

(١) الآية من سورة البقرة .

(٢) الآية من سورة يونس .

(٣) الآية من سورة يس .

الحقيقة الثالثة

وجوب ترائي الهلال ، وحرمة ترك ذلك للحساب

لِيَعْلَمَ القارىء الكريم مرة أخرى أن الصيام كالإفطار : صيام رمضان وإفطار أول شوال مما تعبد الله تعالى بهما أمة الإسلام على لسان نبيه محمد ﷺ ، إذ قال : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته » . فلا يجب صوم إلا برؤية ولا فطر كذلك . ومن هنا وجب على المسلم الذى يعيش فى مكان ما منفرداً بنفسه ، كما يجب على الجماعة كثراً أو قلوأ فى الحاضرة كانوا أو بادية يجب على الجميع أن يطلبوا رؤية هلال شعبان لأجل رمضان ، وتطلب رؤية رمضان لرمضان ، وشوال وتطلب رؤية شوال للفطر فى أوله . أما طلب رؤية شعبان فمن أجل أننا إذا عرفنا أول يوم من شعبان (١) . وغم علينا ليلة الثلاثين منه لوجود سحب أو غيم أو قتر لم نصم يوم الثلاثين لأنه يوم شك ، لأن الشهر كما تقدم وتقرر أن الشهر قد يكون ثلاثين يوماً وقد يكون تسعة وعشرين . ونحن لا نصوم إلا على يقين تام ، فلذا وجب أن نكمل عدة شعبان ثلاثين يوماً ، إن من الجائز أن يكون شعبان تاماً أى ثلاثين فلا يجوز أن نصوم آخر يوم من شعبان ، لأنه غير رمضان والله تعالى لم يتعبدنا بصيام غير رمضان .

وأما طلب رؤية هلال رمضان : فلأجل صيام رمضان الذى فرض الله تعالى علينا صيامه . فمساء التاسع والعشرين من شعبان وعند غروب الشمس وجب على المسلمين فى أى مكان كانوا أن يتراءوا هلال رمضان ، فإن رأوه صاموا ، وإن لم يروه لغيم ونحوه لم يصوموا وأكملوا شعبان ثلاثين يوماً ، ثم صاموا فى اليوم التالى فإنه من رمضان قطعاً ، إذ الشهر لا يكون

(١) يبدو أن فى العبارات تكراراً نعم فيه بعض التكرار استلزمه واجب البيان للعلماء .

واحداً وثلاثين أبداً كما قرر ذلك رسول الله ﷺ بالوحي الإلهي (١) الذي لا يتطرق إليه الإغفال أو الخطأ أو النسيان . بحال من الأحوال .

وأما طلب رؤية هلال شوال : فلأجل أن لا نصوم غير رمضان ، ونحن متعبدون بصيام رمضان لا بصيام غيره ، فليلة الثلاثين من رمضان يجب على المسلمين أن يتراءوا الهلال ويبذلوا جهدهم في تحرى الرؤية فإن رؤى الهلال أصبحوا مفطرين ، وكان رمضان تسعة وعشرين يوماً وهو شهر شرعي لا فرق بينه وبين الشهر الكامل . وإن لم نر الهلال لغيم ونحوه فلا يحل أن نفطر لاحتمال أن يكون رمضان ثلاثين يوماً ، ونحن متعبدون بأن لا نصوم ولا نفطر إلا على يقين تام ، فلذا أوجب أن نكمل رمضان ثلاثين يوماً ثم نفطر . ويكون فطرنا على يقين كما كان صومنا على يقين .

وإذا عُرف هذا وتقررت حقيقة : ألا صوم ولا فطر إلا بيقين ، وأن اليقين لا يحصل إلا برؤية هلال رمضان في الصوم وهلال شوال في الإفطار أو إكمال شعبان ثلاثين يوماً في حال الغيم ، وإكمال رمضان ثلاثين يوماً أيضاً في حال عدم الرؤية لغيم أو قتر . وأنه يجب على المسلمين أن يتراءوا هلال شعبان لأنه وسيلة إلى معرفة رمضان « وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » . وأن يتراءوا هلال رمضان لصيامه وهلال شوال لفطره تمثيلاً مع قول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » . فإذا عرف هذا وذاك فليعلم أن ترك الرؤية وإهمالها إعتداداً على الحساب أمر باطل شرعاً ، ولا يحل للمسلمين أن يأخذوا به . وإن هم فعلوا ذلك فقد عصوا الله ورسوله وتعرضوا لفتنة تصيبهم أو عذاب أليم لقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٢) وقد رأينا مصداق هذا الوعيد الإلهي في إقليمين من بلاد المسلمين زين الشيطان لبعض علمائهم وبعض أمرائهم الصيام والإفطار على الحساب الفلكي

(١) لقوله تعالى من سورة النجم : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

(٢) الآية من سورة النور .

فتركوا ترائي الهلال واعتمدوا على الحساب فكانوا يعلنون بكل جرأة أن بداية صيام رمضان يوم كذا ، ونهاية رمضان وبداية الإفطار يوم كذا ، وذلك قبل دخول رمضان وشوال بأيام . فإذا روى هلال رمضان قبل اليوم الذي قرره له صام بعض مواطنيهم ، وكذا في الفطر ، لأن المسلم الصحيح الإسلام لا يمكنه أن يرى هلال رمضان ولا يصوم ، أو يرى هلال شوال ولا يفطر طاعة للعلماء والأمراء ، لأن الطاعة واجبة لهم في المعروف لا في المنكر ، وترك الصيام أو الإفطار بعد ثبوت الرؤية معصية الله ولرسوله ﷺ ، لأن الله تعالى قال : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ ، والرسول ﷺ قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، وهما أمران من الوحي الإلهي مقتضيان للوجوب وترك الواجب معصية محرمة بإجماع . وإذا صام أو أفطر المسلمون من مواطنيهم قياماً بالواجب بطشوا بهم ، ونالوا منهم ، وتعيش لذلك بلادهم كل عام في قلق واضطراب في بداية رمضان وفي نهايته . وما سبب ذلك إلا ترك العمل بصريح الكتاب والسنة . ولولا أنهم حرموا توفيق الله عز وجل بسبب ذنوبهم لما تكررت هذه المحنة بينهم ، إذ يكفيهم أن يعرفوا أن مواطنيهم مسلمون وأنهم لا يطيعونهم في غير المعروف فيرجعوا إلى الحق والرجوع إلى الحق فضيلة ويكونوا لجناً لرؤية الهلالين أو الأهلة في أطراف الإقليم ووسطه لترائي الهلال ، وبحسب الرؤية إثباتاً أو نفياً يعلنون الصيام أو الإفطار ، وبذلك يرضون ربهم ، ويريحون مواطنيهم من ألم القلق والتعب كل عام .

ولكنهم مع الأسف مصرون على الخطأ عناداً وكبراً وأصبح حالهم حال من قال الله تعالى فيهم : ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ؟ ﴾ وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره : فمن يهديه إلى معرفة الحق والعمل به بعد الله تعالى ؟ لا أحد لا أحد أبداً .

الحقيقة الرابعة

اختلاف المطالع معتبر شرعا

لا أحسب أن هناك عالماً بالكونيات يجهل تأثير خطوط العرض والطول على الأقاليم الأرضية . إن من المحسوس المشاهد طول الليل والنهار وقصرهما في بلاد دون بلاد بحسب موقع البلد من خطوط الطول والعرض ، وبحسب الفصول من صيف وشتاء وربيع وخريف . وهو أمر تابع لتنقل الشمس في بروجها ، وموافاة الأرض ومسامتها لها . كما أن من المحسوس المشاهد أن الليل يدخل في شرق البلاد قبل غربها ، ويطلع النهار كذلك ، وهو ناشئ عن دورة الشمس في فللكها . ولا يقال عن دورة الأرض ، إذ الأرض إن دارت فدورها ينبغي أن لا تنتقل فيها من برج إلى آخر ، وإنما تدور في فللكها الخاص بها دورانا منتظما بحيث لا تزحف فيه أدنى زحف بتقدم أو تأخر أو ارتفاع أو انخفاض وعلى مدى الحياة .

ومن هنا كانت مطالع الشمس والقمر مختلفة ومعتبرة شرعاً ، قال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ . فاختلاف الليل والنهار كما يكون بدخول آخر وخروج الثاني لمصالح الناس وانتظام الحياة ، يكون كذلك بقصر هذا وطول ذاك . وقصر الليل وطول النهار والعكس ناشئان قطعاً عن مطالع الشمس المختلفة نتيجة تنقل الشمس في بروجها التي تنزل فيها بدقة حسابية فائقة .

هذا والذي نريد أن نصل إليه من بيان هذه الحقيقة هو أن اختلاف المطالع ثابت ، وأن الشارع قد اعتبره ، وهو ظاهر في الصلاة ، فلم يكن من الممكن بحال أن يتحد المسلمون في الصلوات الخمس ولا حتى في

صلاة واحدة منها ما دامت ديارهم متنائية ، وبلادهم متباعدة ، إذ يدخل الوقت في إقليم ولا يدخل في آخر . وبما أن الوقت المعين للعبادة يعتبر جزءاً منها فإنها لا تصح إلا في وقتها المحدد لها ، ولهذا امتنع أن يتحد المسلمون في صلاة واحدة . والصيام كالصلاة في كون الوقت معتبراً فيه . وقد رأى الخبر ابن عباس رضى الله عنه هذه الحقيقة وطبقها فعلاً فقد رُفِعَ إليه نبأ أن أهل الشام رأوا الهلال^(١) يوم كذا ، ولم ير أهل المدينة فيه هلال فاختلف صومهم فلم يأمر أهل المدينة بالفطر تبعاً لأهل الشام بناءً على أن لكل أهل إقليم رؤيتهم ، وبمقتضاها يصومون ويفطرون . وهذه القاعدة أثر عظيم في راحة المسلمين كما سنبينه في الحقيقة التالية إن شاء الله تعالى .

(١) الحديث رواه مسلم وأصحاب السنن ونصه : عن كريب مولى ابن عباس أن أم الفضل بعته إلى معاوية بالشام فقال فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة في آخر الشهر . فسألني عبد الله ابن عباس رضى الله عنها . ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت رأيته ليلة الجمعة . فقال أنت رأيته ؟ فقلت : نعم ورأه الناس وصاموا وصام معاوية . فقال : لكننا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه . فقلت : ألا نكتفي برؤية معاوية وصيامه ؟ فقال : لا . هكذا أمرنا رسول الله ﷺ .

الحقيقة الخامسة

اختلاف المسلمين في الصيام والإفطار تبعاً لثبوت الرؤية وعدمها أمر محمود وغير مذموم شرعاً

يرى كثير من المسلمين في هذه الأيام أن اختلاف المسلمين في الصيام والإفطار أمر منكر لا يجيزه الشرع ، وأنه مظهر من مظاهر الضعف في المسلمين وعلامة على تفرقهم وسوء سياستهم . وهو خطأ وجهل بالشريعة وحقائقها كخطأ وجهل من ألغى الرؤية واعتمد على الحساب بحجة أن الحساب ينهى الخلاف في الصيام والإفطار بين المسلمين ، متشبثاً بقول الرسول ﷺ : « إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا » . فظن هذا البعض أنه متى أصبحت أمة الإسلام تكتب وتحسب ، ولها مرصد فلكية وعلماء فلك استغنت عن الرؤية وتحلت عنها نهائياً وأصبحت تصوم وتفطر على ما يضعه كل سنة علماء الفلك والحساب من تقاويم حسابية .

وما علم هؤلاء أن رؤية الهلال كثيراً ما تختلف مع التقويم ، فيثبت التقويم الرؤية وهي تنفيها ، وينفى التقويم الرؤية وهي تثبتها يقيناً ، وهذا أمر ثابت ومتكرر ويقىنى ، وإبطاله يعتبر مكابره وعناداً يشينان صاحبهما ويزريان به بين العقلاء .

وبناءً على هاتين الحقيقتين : وهما لا صيام ولا إفطار إلا بيقين ، وإن اختلاف المطالع معتبر شرعاً فإن صيام أهل إقليم ما من بلاد المسلمين ، وإفطارهم لعدم ثبوت الرؤية اليقينية عندهم هو مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ، وهو بالتالى عين الإيذان وآية الإسلام أيضاً ، والصائمون كالمفطرين مأجورون على صومهم وإفطارهم . وليس بينهم مذموم ، ولا

فيهم غير محمود ، إذ الكل عامل بطاعة الله وطاعة رسوله متبع لشرع الله ورسوله ﷺ . ولا يذم المسلمون في هذا الاختلاف أو يشنع عليهم إلا جاهل بشرع الله ورسوله ﷺ . كما أن هذا الاختلاف القائم على أساس طاعة الله ورسوله في ثبوت الرؤية وعدم ثبوتها هو مظهر من مظاهر الإيمان والإسلام كما قدمنا ، لأن التمسك بطاعة الله ورسوله إيمان ، والتفريط في ذلك وعدم المبالاة به كفر وعصيان .

وأمر آخر وهو أن أمة الإسلام عاشت قرونا طويلة كغيرها والمواصلات السريعة معدومة بينها ، وهي تصوم في إقليم وتفطر في آخر بحسب الرؤية وعدمها ولا يلوم أحد أحداً ، ولا يؤمر الناس بقضاء ما نقص بحسب عدم الرؤية ، وما ذاك إلا لاعتبار اختلاف المطالع والعمل به ، وفيه من الرحمة ونفى الحرج والعسر ما يدركه العاقل بأدنى تأمل أو تفكير ، ولكن أكثر الناس لا يفكرون .

الحقيقة السادسة

في وجوب التأكد من صحة الرؤية

إنه تمشيا مع قاعدة الشك لا يُبطلُ اليقين ، وأن الصيام كالإفطار لا يتَّيَّن إلا على أساس من اليقين التام بدليل حرمة صوم يوم الشك في حديث عمار : « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » . فإنه يجب التأكد من صحة الرؤية فلا يلتفت إلى رؤية من يدعى أنه رأى الهلال ليلة التاسع والعشرين من شعبان أو رمضان أو رجب قبل شعبان وذلك لأن الرؤية ليلة التاسع والعشرين غير ممكنة ، لأن الهلال يطلع فيها من المشرق قبل طلوع الشمس بزمن لا تدركه الشمس فيه ، وسيغرب الهلال قطعاً قبل غروبها . وحينئذ تتعذر رؤيته إن لم تستحل وذلك لدقة الهلال ورقته وشدة ضوء الشمس وقوته . كما أن عامة الفقهاء يشترطون لرؤية هلال شوال عدلين من المسلمين كما أن أكثرهم يشترط ذلك لرؤية هلال رمضان أيضاً ، ومن اكتفى منهم بعدل واحد عملاً بحديث الأعرابي الذي أتى النبي ﷺ فقال : إني رأيت الهلال فاستشهده النبي ﷺ أى قال له : أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ فشهد ، ثم أمر بلالاً أن يؤذن في الناس أن يصوموا فصام المسلمون فإنه يُقال : إن الأعرابي كان صحابياً والصحابة عامتهم عدول ومع ذلك فإن رؤيته أقرها الوحي الإلهي ؟ إذ لو لم تكن ثابتة في نفس الأمر لنزل الوحي يبين عدم صحتها ، وردها الرسول ﷺ لذلك .

ومادمنّا متفقين على اشتراط العدالة في مدعى الرؤية انفراداً أو تعدد ، لأن الله تعالى اشترطها في كتابه في قضايا مشابهة كالطلاق والرجعة والبيع ونحوه كما أن الرسول ﷺ اشترطها في الأعرابي مدعى الرؤية حين سأله

عن إسلامه كما تقدم ، فإن العدالة اليوم في أكثر المسلمين هي شبه معدومة ، إذ العدل في الإسلام من يجتنب الكبائر ويتقى في الغالب الصغائر ، ومن هو الذي لم يغش الكبائر ويندر منه فعل الصغائر إلا من قل ، ورحم ربي عز وجل ؟
ولهذا وجب التأكد من صحة الرؤية ولا يؤمر المسلمون بصوم أو فطر إلا بيقين تام ، وذلك يتم بما يلي :

- ١ - أن تكون الرؤية ممكنة ، وذلك كأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .
- ٢ - أن يدعى الرؤية أكثر من واحد لعدم توفر شروط العدالة في أكثر الناس ، والفقهاء رحمهم الله تعالى يقولون : إذا خفت العدالة استكثر من الشهود جبراً لنقص شرط العدالة .
- ٣ - لا تقبل رؤية فاسق أو أكثر بحال لعدم اعتبار الشارع بشهادة الفاسق إذ قال تعالى : ﴿ فلا تقبل لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ (١) .
- ٤ - أن يمثل مدعى الرؤية أمام قاض عادل أو حاكم عالم بصير يسأله ويحقق معه في صفة رؤيته وكيفيتها . فإذا جاءت الرؤية على طريق سليم واضح ، مراعى فيه ما ذكر من الشروط الأربعة قبلت ، وأعلن للمسلمين عن ثبوتها وأمرُوا بالصيام أو الإفطار ، فيصومون أو يفطرون على يقين من صحة صومهم أو فطرهم وهذا هو المطلوب لتعظيم شعائر الله ، والله يقول : ﴿ ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (٢) .

(١) الآية من سورة النور .

(٢) الآية من سورة الحج .

الحقيقة السابعة

في بيان حكم من رأى الهلال ولم تقبل شهادته

إذا رأى المرء المسلم هلال رمضان وتأكد من صحة رؤيته ، ولم يبق في نفسه شك أنه رأى الهلال ، ولم تقبل شهادته لعدم عدالته أو لكونه واحداً لا ثاني معه ، أو أن التحقيق الذي أجرى معه من قبل القاضي لم يصحح رؤيته ، أو لأي اعتبار آخر ، وجب عليه أن يصوم في خاصة نفسه ولا يأمر أي أحد من المسلمين أن يصوم معه حتى لو كان زوجه أو ولده أو أباه أو أمه ، ولا ضرر عليه في ذلك ، وهو بخير وعافية والحمد لله .

وأما إذا رأى هلال شوال ولم تقبل رؤيته لقصورها ونزولها عن المستوى الذي تقبل فيه الرؤية كما قدمنا فإن عليه أن يتهم نفسه بالقصور ، ويذكر أنه رأى الهلال وحده وفي الأمة من هو أحدٌ منه بصرأ ، وأعرف بمكان الرؤية منه ، فكيف يراه هو وحده ، ولا تراه أمة كاملة معه ، ويصوم مع الناس ولا يفطر وحده أبداً ، وهذا أمر اقتضاه الاحتياط لدين العبد فإن رؤيته غير يقينية وصيامه يقيني ، وفطره لم يقم على أساس اليقين ، واليقين لا يزول بالشك . ومثل هذا من يسمع بالرؤية بواسطة المذياع في إقليم غير الإقليم الذي هو فيه فإن عليه أن يصوم احتياطاً لدينه ، إذ قد سمع بالرؤية ، وليس له ، ولا عليه أن يدعو الناس إلى الصيام ما داموا لم يروا الهلال في إقليمهم .

وكذلك الحال بالنسبة إلى الإفطار فإنه إن سمع برؤية هلال شوال ، ولم يره أحد من أهل إقليمه فلم يفطروا فإن عليه أن يفطر في خاصة نفسه ولا يتجاهر بالفطر بل عليه أن يُسر إفطاره ويخفيه تمام الإخفاء ، ولا يعلنه أبداً

كما ليس له أن يطلب من أحد أن يفطر ولو كان أقرب قريب ، وليترك
الناس يصومون ويفطرون بيقين الرؤية عندهم .
هذا كله في أهل إقليم يعتنون بالرؤية ويطلبونها بجد وصدق ثم لم تثبت
عندهم . وذلك لاختلاف المطالع كما قدمنا . أما إذا كانوا لا يعتبرون
الرؤية ولا يعتمدونها في صيام ولا إفطار ، وإنما يعتمدون على الحساب فإن
عليه أن يصوم على الرؤية المسموعة ويفطر هو وأهل بيته الذين يأتمرون
بأمره من ذوى قرابته ، ويدع أمر العامة خشية الفتنة والأذى يصيب
المسلمين .

هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

بسم الله وبعد : فإن في الإجابة عن هذا السؤال ثلاث حقائق الأولى
وهي [ثمانية الحقائق] التي تضمنتها هذه الرسالة .

وبيانها : أنه لم يسبق للمسلمين طيلة أربعة عشر قرناً أن اتحدوا في صوم
أو فطر قط ، وذلك لتناثر الديار ، وتباعد البلاد والأقطار ، وعدم وجود
مواصلات سلكية أو لاسلكية تنقل أخبار الرؤية وتصل بها إلى المسلمين في
شتى بلادهم ، ومختلف أقطارهم طيلة هذه الحقبة الطويلة من حياة
المسلمين . فهل يتم اليوم توحيدهم في صيام أو إفطار ؟ إنه أمر مستبعد
غير أنه ممكن ، وهذا ما سنتحدث عنه في الحقيقة الثانية وهي [تاسعة
الحقائق] في هذه الرسالة .

وبيانها : أنه قد يتم توحيد الصيام والإفطار بين بلاد المسلمين في هذه
الأيام بأحد أمرين :

الأول : وضع تقويم حسابي فلكي يتفق عليه المسلمون ويوزع عليهم
فيصومون ويفطرون عليه . وهذا ما سبق أن بينا أنه لا يصح بحال ،
والإسلام لا يجيزه ، ولذا فلا يمكن أن يتم عليه توحيد صيام أو إفطار حتى
أهل إقليم واحد فضلاً عن أقاليم شتى متباعدة بعضها في المشرق وبعضها
بالمغرب .

ثانياً : أن يعهد إلى حكومة الحرمين « السعودية » وهي متوسطة بين
أقطار العالم الإسلامي ، يعهد إليها أن تتلقى أنباء الرؤية من كافة أنحاء
البلاد الإسلامية وذلك ليلة الصيام وليلة الإفطار ، وتذيع ذلك بأدلة
اليقينية على العالم الإسلامي بواسطة التليفون والتللكس والإذاعة ، وعليه

يصوم المسلمون ويفطرون^(١) سواء منهم من رأى الهلال ومن لم يره ، وبذلك يتم توحيد المسلمين في الصيام والإفطار . وهو أمر ممكن وجائز ، غير أنه ما دام المسلمون - ما عدا السعوديين - لا تحكمهم شريعة الله ، ولا يساسون بسياسة الإسلام العادلة الرحيمة فإن اتفاقهم على أن يعهدوا لمثل الدولة السعودية لتتلقى منهم أنباء الرؤية ، ثم تذيعها لهم ليصوموا أو يفطروا عليها ويقبلوها ، أمر متعذر إلى حد الاستحالة ، إذ قد جربوا في أبسط من هذا فلم يتفقوا عليه ولم يتحدوا فيه ، وذلك لفقدانهم الاستعداد الروحي لقبول الحق والإذعان له ، وأكثرهم معرض عن ذكر الله ، ولا يخاف الله ولا يرجوه مع أن اتحاد المسلمين في أى شىء وعلى أى شىء يفزع أعداء الإسلام ويخيفهم فلذا يعملون على عدم تحقيقه بحال من الأحوال ، ويساعدون على ذلك سوء حال المسلمين ، ويعدهم عن الله عز وجل بترك عبادته والإعراض عن ذكره ، والعياذ بالله تعالى .

هاتان حقيقتان والثالثة وهى [عاشر الحقائق] فى هذه الرسالة .

وهذا بيانا : وهو أن يُعلم أن فرصة إمكان توحيد الصيام والإفطار فى العالم الإسلامى موقوفة على بقاء هذه المواصلات العصرية الحديثة وإلا فلإنها يوم تنتهى الطاقة بأن تنفذ أو بحرب ذرية تقضى على مسخريها ، وعلى الصناعة وصناعها لا يبقى من مطمع فى توحيد صيام ولا إفطار ، ويعود الأمر كما بدأ : الإقليم الواحد بعض مدنه صائم والبعض الآخر مفطر ، ولا يلوم أحد على أحد ، والكل معذور ومأجور ، وذلك لبعد ما بين البلاد ، وليس هناك مواصلات غير عادية من تليفون أو مذياع ، ولم يبق إلا البريد العادى والذى لا يصل فيه خبر الرؤية من بلد إلى آخر إلا فى فترة أسبوع من الزمن أو أكثر كما كانت الحال قبلا .

وإذا عرف هذا فلم يبق من معنى لتأسف الكثيرين وإعلان سخطهم

(١) يستثنى من ذلك من يختلفون عن بلاد المسلمين بالليل والنهار كسكان أمريكا مثلا إذ علينا نحن سكان الشرق الأوسط نهارهم ، ونهارنا ليلاً .

على الحكومات الإسلامية التي لم تسع في توحيد الصيام والإفطار ، ولم تعمل على تحقيقه بين البلاد الإسلامية .

وإلى هنا نكون قد أجبنا على سؤالنا : هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

وخاتمة القول في هذه القضية :

• أن على أهل كل بلد إسلامي أن يتحروا بكامل العناية رؤية هلال كل من شعبان ورمضان وشوال .

• وأن لا يصوموا أو يفطروا إلا على رؤية ثابتة يقينية ، وذلك لقول الله تعالى : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ وقول الرسول ﷺ : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » .

• وأن تتم الرؤية بالعين المجردة ، فلا يلتفت فيها إلى مكبرات النظر ولا إلى القواعد الحسابية الفلكية ، إذ الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما هو دائم في مكتتنا واستطاعتنا ، إذ نحن أمة كبيرة بعضنا في الشرق وبعضنا في الغرب ، ومنا الحضارى ، ومنا البادى ، ومنا العالم ومنا الجاهل ، وشريعتنا باقية ببقاء الكون ، تتغير الحياة ، ولا تتغير هي ولا تتبدل .

• وأن الرؤية تتم برؤية الهلال ليلة الثلاثين ، أو بإكمال شعبان أو رمضان ثلاثين يوماً .

• وأن يتأكد من صحة الرؤية فلا تقبل رؤية غير العدل من الناس ، وأن تكون الرؤية ممكنة بأن تكون ليلة الثلاثين لا ليلة التاسع والعشرين .

• وأن من رأى الهلال من المسلمين ولم تقبل شهادته بالرؤية لعدم استيفائها شروط الصحة المشروطة لها فإن عليه أن يصوم احتياطاً لدينه ، وإن كانت رؤيته لهلال شوال فلا يفطر احتياطاً لدينه كذلك .

• وأن الفرد أو الجماعة إذا بلغتهم الرؤية بواسطة الإذاعة وأهل إقليمهم تحروا الرؤية ولم تثبت عندهم ، لهم أن يصوموا أو يفطروا ولكن سراً فلا يستعملوا بصيام ولا إفطار ، أما إذا كان أهل بلادهم لا يتحرون الرؤية

ولا يعتمدونها فإن عليهم أن يصوموا ويفطروا على خبر الإذاعة مع عدم استعلائهم بصيام أو إفطار خشية الفتنة .

• وأن المسلمين لو اغتبنوا فرصة وجود هذه المواصلات الحالية فصاموا أو أفطروا متحدين لكان ذلك خيراً لهم وأبرأ لذمتهم وإن هم لم يفعلوا فلا حرج ، ولا إثم فيما أرى والله أعلم .
وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم .

أبو بكر جابر الجزائري
باريس في ١٧ / ١١ / ١٤٠٣ هـ

فهرست

- بم يجب الصوم والافطار
- لا يجب صيام ولا افطار الا بيقين الرؤيه
- الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون
- وجوب ترائي الهلال وحرمة ترك ذلك للحساب
- اختلاف المطالع معتبراً شرعاً
- اختلاف المسلمين في الصيام
- والافطار تبعاً لثبوت الرؤيه
- وعدمها امر محمود وغير مذموم شرعاً
- في وجوب التأكد من صحة الرؤيه
- في بيان حكم من رأى الهلال
- ولم تقبل شهادته
- هل توحيد الصيام والافطار
- بين المسلمين ممكن

●● الرسالة الخامسة

من المسئول عن ضياع الاسلام

من المسئول عن ضياع الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، وخيرة خلق الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته أجمعين .

أما بعد :

فإن واجب البيان الذي أخذ الله تعالى على أهل الكتاب في قوله : ﴿ وإذ (١) أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ .

وتحريمه تعالى كتمان ما أنزل من البينات والهدى في قوله : ﴿ إن الذين (٢) يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ .
وجعل الرسول ﷺ الدين النصيحة في قوله : ﴿ الدين النصيحة (٣) ﴾ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

(١) الآية من سورة آل عمران .

(٢) الآية من سورة البقرة .

(٣) الحديث أخرجه مسلم بلفظ أتم .

هذه الأمور الثلاثة هي التي اقتضت مِنِّي أن أكتب هذه الرسالة وأشرف بتقديمها إلى مسئولى أمة الإسلام ، وعامتهم .
والقصد إبراء الذمة مع رجاء أن يجعلها الله جل وعلا سببا لحفظ ما بقى (١) من الإسلام ، واسترداد بعض ما ضاع منه ، فإن هذا على الله يسير ، والله على كل شىء قدير .

الإسلام الضائع

- لا شك في أن أكثر الناس لا يعرفون الإسلام . وأن تصور أكثرهم له تصور خاطيء وذلك لأسباب كثيرة منها :
- ١ - غلبة الجهل بين المسلمين في حقبة طويلة من الزمن قد تزيد على خمسمائة عام .
 - ٢ - عدم قيام حياة أغلب المسلمين على أصوله وفروعه وأحكامه وآدابه .
 - ٣ - بُعد زمان تطبيقه في الأرض ، وعدم رؤية أكثر المسلمين لتطبيق شرائعه وأحكامه في واقع الحياة .
 - ٤ - ما طرأ على عقائد المسلمين من الشرك والخرافات ، وعبادتهم من البدع والمحدثات .
 - ٥ - تشويه أعداء الإسلام له . وطمس أكثر معالم الجمال والكمال فيه بألسنتهم وأقلامهم وأفلامهم تنفيرا للناس منه ، وصداء لهم عن الأخذ به حتى لا يكملوا ولا يسعدوا .
- لهذا وجب تحديد مفهوم كلمة الإسلام ، وتعيين المراد منها إذا هي

(١) المراد من ضياع الإسلام : ترك العمل به لا فقد شىء من شرائع الإسلام فإن شرائع الإسلام محفوظة في بطون الكتب وإنما الضائع من الإسلام هو العمل به ، حيث عطلت أحكامه ، وضيعت فرائضه وسنته في أكثر بلاد المسلمين . فإنهم

أطلقت ، لاسيما ونحن ندعو إلى المحافظة على مابقى منه ، وإلى استرداد ما ضاع بسبب ترك أكثر المسلمين لفرائضه وسننه وآدابه بعد تعطيل أحكامه ، والإعراض عن كتابه .

فالإسلام هو دين الله وشرعه الذى أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ لإصلاح البشر وإكمالهم فى عقولهم وأخلاقهم ، وإسعادهم فى أرواحهم وأجسادهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وذلك نتيجة عملهم به : عقائد ، عبادات ، وأحكاما ، وأخلاقا ، وآدابا .

هذا هو الإسلام ، وضده الكفر وهو عدم العمل بالإسلام : عقائد ، عبادات ، وأحكاما ، وأخلاقا ، وآدابا ، ولازم الكفر بقاء الإنسان فاسداً غير صالح ، وناقصا غير كامل فى عقله وخلقه ، شقيا غير سعيد فى جسده وروحه ، وذلك فى الدنيا والآخرة معاً .

دفع شبهة :

قد يقول قائل هنا : إنَّ ما سَبَقَ أَنْ قُلْتَهُ إِنَّمَا هُوَ مَجْرَدُ دَعْوَى ، فهل لك أن تثبتها بالبرهان العقلى ؟

فقول : نعم ، ونحن معك فى أن أية دعوى إذا لم تقم عليها بَيِّنَةٌ فهى دعوى ساقطة ، لاتناقش بل لا ينظر فيها مجرد النظر .

ولكن ما قلناه نحن وأدعينا من كون الإسلام هو أداة الإصلاح والإكمال والإسعاد البشرى . والكفر الذى هو ضد الإسلام هو أداة الإفساد والخسران والشقاء الإنسانى فى الدنيا والآخرة معاً ، نقيم عليه أكثر من بَيِّنَةٍ ، ونبرهن على صحته بأكثر من برهان . ولكن حسبنا من ذلك البينتان التاليتان والبرهان الآتى بعدهما :

البَيِّنَةُ الأولى : حال العرب فى شبه جزيرتهم قبل الإسلام ، إذ كانوا يعيشون على أسوأ الأحوال ، وشر الظروف : وثنية وكهانة ، فوضى فلا نظام ولا قانون ، جهل فلا علم ولا معرفة ، فقر ولا غنى ، غلظة فى الطباع وجفاء فى النفوس

وما أن جاء الإسلام وآمنوا به وعملوا به - وفي ربع قرن فقط وهي فترة زمانية قصيرة قد لا تكفى لإقامة مشروع صناعي ، والقيام عليه حتى ينتج ويتحسن إنتاجه - حتى تبدلت الوثنية والكهانة إلى ربانية صادقة لها نورها وهدايتها ، والفوضى إلى نظام دقيق محكم ، وشرع شامل انتظم كل جوانب الحياة ، فلم يُغفل منها جانباً ، إذ تعلق بحياة الإنسان كلها من ساعة وجوده نطفة في رحم أمه إلى أن يُوارى في قبره بعد موته . والجهل وعدم المعرفة إلى علم واسع ومعرفة شاملة تعلقت بالحياة والكون كليهما . والفقر وعدم الغنى إلى غنى واسع لم تشهد ديارهم مثله منذ أن كانت . فقد سجل التاريخ الصحيح أن عامل إفريقيا الشمالية كتب يوماً إلى الخليفة يقول : إننا لم نجد من يقبل الزكاة في هذه الديار فماذا نصنع بأموال الزكاة ؟ فكتب إليه الخليفة أن اشتر بها عبيداً وحررهم في سبيل الله عز وجل . والغلظة والجفاء إلى طُرف ولُطف ومودة وإخاء صادقين قلما وجد^(١) لهما نظير في حياة الناس . وبالجملة فقد أصبحت تلك الديار بعد أن أشرق فيها نور الإسلام تمثل المدينة الفاضلة التي طالما حلم بها فلاسفة اليونان ولم يروها في عالم الوجود ، حتى تجلت في ديار العرب بعد أن أشرق فيها نور الإسلام المحمدى . هذه بيّنة . . . وأخرى وهي :

البيّنة الثانية : وهي أنه لما ساءت حال المسلمين في كل ديارهم بتخلّى أكثرهم عن العمل بالإسلام ، واضطرب حبل النظام ، وسادت الفوضى ، وعم الفساد وانتشر الشر في كل جزيرة العرب والتي كانت بالأمس القريب معقل الفضائل والكمالات ، ومحط الإشراف والهدايات ، شاء الله تعالى أن يُرى عباده آية كبرى تشهد بصحة الإسلام وصدق قضاياه ، وسلامة قوانينه ، ونجاعة الأخذ به ، وأنه لاسبيل إلى الإكمال البشرى والإسعاد الإنساني إلا بالأخذ بالإسلام وتطبيق شرائعه ، فجاء

(١) اعتبر لفظ الظرف واللطف شيئاً واحداً ، ولفظ المودة والإخاء شيئاً واحداً ولذا عاد اللفظ مثنى عليهما في صادقين . وفي لهما .

تعالى بعبده المؤمن الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله تعالى فاقام دولة على أساس الإسلام وجعل شعارها الذى تحمله رايتها : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » بمعنى أن الأرض التى تظللها راية تحمل كلمة الإخلاص والتوحيد لا يُعبد فيها إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ . وتصدى رحمه الله للعقيدة التى فسدت فأصلحها . وللصلاة التى تركت فأقامها ، وللزكاة التى مُنعت فجباها . وأحيا مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكوّن هيّاته فى كل البلاد وخولهم سلطة مطلقة مكنتهم من أداء واجبهم فأمرُوا بالمعروف حتى عُرف ، ونهوا عن المنكر حتى أنكر وزال فساد تلك الديار التى تظللها راية التوحيد أُمّن وسلام ومودة وإخاء وطهر وصفاء عادت بها الحياة سيرتها الأولى أيام كانت دولة الخلفاء الراشدين .

وإلى الآن نورها وبركتها يعيش فيها المواطنون السعوديون ومن نزل دارهم حياة والله لا يوجد نظيرها فى دنيا الناس اليوم أجمعين !!
وبعد : فَتَانِكَ (١) الْبَيْتَانِ اللّثَانِ لا تردان ، والحجتان اللتان لا تدحضان .

وأما البرهان فإننا نقول لطالبه : انظر معنا بعين الجد والصدق إلى الكون كله فإننا نجده قد ربطه خالقه عز وجل بنظام ثابت دقيق عليه مدار استمراريته وبقائه صالحاً يؤدي وظيفته إلى نهاية أجل الحياة ، ونجد سنن الحياة ظاهرة فى كل الكائنات الحيّة ، وأنها لا تتبدل ولا تتغير ، ومن تلك السنن أن الجسم البشرى يقوم على أساس الغذاء والهواء والماء وعلى هذه الثلاثة ينمو ويصلح ويبقى يؤدي وظائفه إلى نهاية أجله ، وإن هذه السنة فيه لا تتبدل ولا تتغير بحال من الأحوال ، فإذا علمت هذا فاعلم أيضاً أن الخالق عز وجل قد وضع لغذاء الإنسان الروحى ، ولكماله العقلى

(١) تان : تنبيه « تا » وهو اسم إشارة للمؤنث يقابله « ذا » اسم إشارة .

والخلقى ، والجسمى ، وإسعاده فى روحه وجسمه وفى كلتا الحياتين الأولى هذه والآخرة الحتمية الإتيان ، قد وضع لذلك « الإسلام » فما من فرد أو جماعة أو أمة أخذ به فى جدية وصدق إلا حصل له الكمال والإسعاد وبمعناها الكامل الشامل . وما من فرد ، أو جماعة أو أمة أعرضت عنه فلم تأخذ به إلا حصل لها العكس وهو النقصان والخسران والشقاء وفى كلتا الحياتين معاً . وفى تلك سنة الله ، « ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وما إخالك يا صاحبي تطلب بعد هذا البرهان برهانا . وإن ارتبت فجرب الإسلام فإن التجربة أكبر برهان . أو أسلم تسلم وآمن تأمن . وما وراء هذا البيان بيان !!

وأخيراً زيادة فى التأكيد وتطمينا للخواطر ، وإبعاداً لسحاب الشكوك ، ودخان الظنون الفاسدة أقسم الله تعالى على ثبوت هذه الحقيقة وصحتها وسلامتها وهى أنه لا كمال ولا سعادة فى الحياتين للإنسان إلا على مبدء الأخذ بالإسلام كل الإسلام ، عقائده وعباداته وأحكامه ، وأخلاقه وآدابه . فأقول والله العظيم الذى لا إله غيره ولا رب سواه : إن الإنسان^(١) لا ينجو من الخسران ، ولا ينعم بالكمال والإسعاد فى الدنيا والآخرة إلا على العمل بالإسلام دين الله الحق لا يقبل ديناً سواه .

وهكذا نبالغ فى النصيح والبيان ، ليهلك من يهلك عن بينة وبحيا من يحيا عن بينة . والله من وراء القصد . والحياة والفوز للإسلام والآخذين به ، والهلاك والخسران للمعرضين عنه .

(١) وذلك لأن الله تعالى قد أقسم على هذه الحقيقة فى كتابه فى قوله : ﴿ والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

كيف ضاع الإسلام ؟

ذَلِكَ قولنا عن الإسلام الضائع وهو كما عرفناه : آلة الإكمال
الإنسانى ، والإسعاد البشرى .
أما عن كيف ضاع فإننا نقول - والأسى يملأ القلب ، والحسرة تمزق
النفس - : إن الإسلام فى حد ذاته لم يضع ولن يضع ، وذلك لتولى الرب
تعالى حفظه بحفظ كتابه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ، وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

وإنما الذى ضاع ويضيع هو العمل به ، حيث أصبح اليوم ومنذ عدة
قرون لا يظهر على أغلب حياة المسلمين ، فكان وكأنه ضاع ، وهو فى
الحقيقة لم يضع ، إذ هو موجود قائم يكمل ويسعد عليه بعض المؤمنين غير
أن العبرة كل العبرة ليست بوجوده كنزاً محفوظاً لا ينتفع به ، وإنما العبرة
بالعمل به ، والانتفاع بعقائده وشرائعه وقوانينه وأحكامه ، والتحلّى بأدابه
الرفيعة وأخلاقه السامية بين الناس .

ومن هنا صح لنا القول بأن الإسلام ضائع . ولما كان السؤال هو كيف
ضاع الإسلام أى ماهى الأسباب التى جعلت المسلمين يتخلون عنه فى
الجملة ، حتى اختفى من مظاهر حياة أكثرهم أو كاد ، اللهم إلا ماكان
من مثل الأذان والصلاة والصيام . فالجواب : أن هناك عوامل كثيرة
اقتضت ضياع الإسلام بترك العمل بشرائعه بين المسلمين حتى تعسوا
وشقوا ، بعد أن هانوا ودلوا زمناً غير قصير . ومن أهم تلك العوامل مايلى :
١ - الجهل به أى بالإسلام عقائد وشرائع وأحكاماً وأخلاقاً وأداباً .

بحيث أصبحت نسبة من يعرف الإسلام بين المسلمين لا تزيد

(١) الآية من سورة الحجر .

على عشرة في المائة ، وعلى أكثر تقدير . وهي نسبة غير كافية في حمل
الناس على العمل بالإسلام . وفي المثل : من جهل شيئاً عاداه (١)
 . وهذه حقيقة لا يسع المرء إنكارها إذ العالمون بالإسلام العارفون
بأنه مصدر سعادتهم وكمالهم لا يتأتى لهم أن يعيشوا بعيدين عنه ،
ولا يقدرون أن يحيا بدونه بحال من الأحوال ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا
يُخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢) .

٢ - ما ألصق به أى بالإسلام من بدع وضلالات حجبت عن الناس كثيراً
من حقائقه ، وسترت عنهم معظم معارفه الصحيحة ، وحالت دون
تذوق المسلم طعم الإيمان وحلاوته .

٣ - حرمان أكثر المسلمين من تطبيق الأحكام الشرعية في بلادهم .
وإنفاذها في أنفسهم زمناً طويلاً ، الأمر الذى سبب الجراحة الكبيرة على
انتهاك حرمت الشرع الإسلامى ، وتعدى حدوده .
هذه أهم العوامل التى كانت السبب المباشر في ضياع الإسلام بين
المسلمين مع الأسف !

(١) لما كان المثل هو القول السائر بين الناس فهذه الجملة أصبحت سائرة بين الناس فصح إطلاق لفظ المثل عليها ، وإن لم تكن
من أمثال العرب المأثورة عنهم في دواوين اللغة والأدب .
(٢) الآية من سورة فاطر .

من المسئول عن ضياع الإسلام ؟

هذا السؤال فرض نفسه ، والإجابة عنه متعيّنة وذلك مادامنا نبحث عن طريق استعادة الإسلام ؛ لنكمل به ، ونسعد عليه قناعة منا بأنه لا سبيل إلى الكمال والسعادة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالإسلام ، والإسلام فقط ، ونجيب عن السؤال فنقول : إن مسئولية ضياع الإسلام مسئولية مشتركة بين أعدائه وأوليائه أى أعداء الإسلام وأوليائه : فأعداؤه كادوا له ، وأوليائه فرطوا فيه ، وبين كيد الأعداء ، وتفريط الأولياء كان ضياع الإسلام مع الأسف !!

ومن هم الأعداء ، ومن هم الأولياء ؟

أما الأعداء فهم المتحالفون ضده وعليه وهم المجوس واليهود والنصارى . المجوس الناقمون على الإسلام الذى أسقط عرش كسرى ، وأحمد نار فارس . واليهود الحاسدون للعرب على النبوة المحمدية ، والرسالة الإسلامية وانتقال مجدهما إلى أولاد إسماعيل بدل بنى إسرائيل ، والحاقدون على الإسلام الذى كاد يقضى على الأمل اليهودى الصهيونى في إعادة مملكة إسرائيل من النيل إلى الفرات . والنصارى الصليبيون الخائفون من نور الإسلام أن يشرق على الديار الأوربية فيغمرها بالهدى ، والنور فتتهاوى كنائسهم ، وتسقط عروش ملوكهم لا سيما بعد أن شاهدوا آثار هداية الإسلام في بلاد الأندلس . والإسلام إسلام !!

وأما الأولياء فهم الأمراء والعلماء ، فالأمراء فرطوا في إقامة الشرع ، وحماية حدوده بما أوتوا من قوة ، وماخولوا من سلطان . وأما العلماء فقد فرطوا في العمل به (١) ، والدعوة إليه ، بعد بيان أحكامه ، وتعليم شرائعه وأدابه .

(١) هذا بالنسبة إلى من فرط وإلا فغير المفرطين كثير ، ولكن المفرطين أكثر وتفريطهم ضاع الإسلام .

وإن قيل : لقد عرفنا تفريط أولياء الإسلام فيه ، فما هو كيد أعدائه له ؟ قلنا : إن كيد التحالف الثلاثي للإسلام كان بإثارة النزعات والنعرات بين أُمم الإسلام وشعوبه ، كما كان في إيجاد المذاهب المتعددة والطوائف المختلفة ، والطرق الملتوية المنحرفة بعد بذور الفرق والشقاق في صفوف أمة الإسلام ، فسرى ذلك اللوث إلى العقائد ففسدت ، وإلى الأخلاق فسأت ، وإلى الأعمال فحبطت . ولما سقطت أمة الإسلام نتيجة ذلك الكيد من علياء مجدها وأوج كرامتها أجهز عليها الصليبيون فجزروها وتقاسموها واستعمروها واستذلوها واستعبدوها زمناً غير قصير . وبإارحة من الله وفضل استعادت أمة الإسلام إلا قليلاً منها وجودها واستردت سلطاتها ، ولكن مع الأسف لم تستعد عقلها ، ولم تسترد قلبها ، فأصبحت تفكر بعقلية الغرب ، وتعيش بلا قلب !!

وهنا احتار المصلحون ووقفوا أمام هذه المعضلة مدهوشين ، يرددون هذه الجملة الاستفهامية : كيف تصلح أمة لا قلب لها ، وهي تفكر بعقلية عدوها الكافر بدينها وحقها وقيمها ؟ ؟

وكان لابد من اتخاذ خطوة في سبيل إصلاحها وهي إقناعها أولاً بوجوب التفكير بعقليتها الإسلامية لا بعقلية عدوها الإلحادية . وثانياً العمل على إعادة قلبها المؤمن الذي يؤمن بالله ولقائه ، والوحي وضرورته ، ذلك القلب الذي يعقل عن الله كلامه ، ويفقه مراد الله من خطابه في مثل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا يَأْتِيَنكُمْ مِنِّي هَدًى فَمَنَ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى ، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمًى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ؟ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتِي فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَن أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (١) !!

(١) الآيات من سورة طه .

وإلى الآن لم تنجح هذه الخطوة في أكثر أمة الإسلام وبالأأسف !
وللتدليل على صحة ما قلنا نذكر التالى :

إن العالم الإسلامى كله من أندونيسيا شرقاً إلى المملكة المغربية غرباً
شريعة الله التى هى وحىه وهدهاء معطلة فيه بنسب متفاوتة حتى إن بعض
البلاد لاتطبق فيها أحكام الشريعة الإسلامية إلا بنسبة عشرة من مائة ،
وأعلى نسبة قد لاتزيد على ثلاثين من مائة . والمملكة العربية السعودية
وحدها التى تطبق فيها شريعة الإسلام بأعلى نسبة إذ قد تزيد على خمس
وتسعين من مائة ، ولذا صح أن نقول : إنها البلاد الوحيدة التى يُطبق فيها
شرع الله فى بلاد المسلمين اليوم . وقد نال السعودية من تطبيق الشريعة
وتحكيمها الخير الكثير ، ومن مظاهر هذا الخير الأمن الذى يسودها ،
والطهر الذى تعيش عليه ، والعزة والكرامة التى يتمتع بها أبنائها إلى
جانب يسر الحياة وهناءة العيش فيها . والحمد لله ؛ إذ الفضل فضله فى
ذلك كله وحده .

وكان المفروض فى المسلمين كل المسلمين من غير سكان هذه المملكة
التى سعدت بتحكيم شريعة الله فيها أن يعتزوا بهذه الدولة ويفاخروا بها ؛
لأنها دولة الإسلام ، وأن يحيطوها بهالة من التقديس ؛ لأنها تحمى
حرماتهم ، وتطبق شريعة ربهم ، وتمثل إسلامهم ولو تمثيلاً غير كامل -
والكمال لله - غير أن الواقع مع الأسف كان خلاف ذلك ؛ إذ المرء - والله -
لايكاد يسمع كلمة ثناء بخير على هذه الدولة فى الوقت الذى يسمع آلاف
كلمات الطعن والانتقاص ، بذكر النقائص والعيوب !!

ويعجب المرء من هذا الموقف العدائى السافر ، ويبحث عن أسبابه
ومبرراته فلا يجد له سبباً ولا مبرراً بحال ؛ إذ المفروض فى المسلم أن يستر
عن أخيه المسلم ، ويعذره إن أخطأ ما وجد له عذراً . وأن يحسن الظن به
ويحمله على أحسن المحامل ما أمكنه ذلك ، هذا فى حال وجود العيب
والخطأ به ، فكيف مع البراءة والسلامة ، ولا سيما إن فى هذه الدولة

المسلمة من الكمال والخير الشيء الكثير . وفوق ذلك أنها حامية الحرمين ، وحاملة راية التوحيد : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

فلم يعبد فيها إلا الله ، ولم يتبع فيها غير رسول الله . وهى ميزة لعمر الله - لا توجد فى بلد من بلادنا الإسلامية سواها .

فلماذا إذاً هذا الموقف الشاذ عن الفكر الإسلامى ، والبعيد كل البعد عن العقلية الإسلامية ، وحتى الوعى الإسلامى من جانب المسلمين كل المسلمين إلا ما قل ونذر ، وما هى أسبابه الحاملة عليه ، وبواعثه الدافعة إليه ؟؟

وليسمح لى كل مسلم وإنى معتذر إليه إن قلت فى الجواب : إن مرد هذا الموقف الشاذ من أغلب المسلمين وإن كان ما قدّمنا من أن أمة الإسلام لا قلب لها ، وأنها تفكر بعقلية أعدائها نتيجة الغزو الفكرى الذى غزاها بعد احتلال بلادها واستغلال خيراتها واستعباد أحرارها وتغيير معالم حضارتها كما سبق أن ذكرنا فإن مرده إلى السببين التاليين :

الأول : هو تسمم الفكر الإسلامى من جراء قبوله كل ما يأتى من الغرب من خير وشر وحسن وقبيح بدون مافرز ولا تحخير ، ولا نقد ولا تعيير ، والغرب وهو مشطور إلى شطرين : صليبيّ متعصب ، وشيوعى بلشفى حاقد يستحيل أن يرضى عن أمة إسلامية أو بلاد إسلامية تطبق فيها شريعة الله ، ولا تطبق فيها قوانينه الغربية الوضعية ؛ فيذكرها بغير الطعن والانتقاص ، والسخرية والازدراء ، وهذا شأن الكافر مع المسلم طوال الحياة . وبما للغرب من إعلام قوى : صحافة وإذاعة ورواية وتمثيل طبق أقطار الأرض كلها وملأها بالكذب والتضليل فأصاب ذلك البلاد الإسلامية فأصبح المسلمون يرددون أنشودة عدوهم ويتغنون بأغانيه وكلها انتقاص للإسلام وشرائعه ، وتهكم وازدراء للقائمين به ، والداعين إليه ، فتورط المسلمون فى هذه الفتنة إلا من رحم الله وهم قليل . وقد يتحفظ الغرب الكافر فى طعنه فى دولة الإسلام وانتقاصه لها أحياناً إلا أن مُتَبَنِي

الفكر الماركسي من المسلمين ، وكذا المحركين منهم بأصابع اليهودية العالمية كالروافض لا يتحفظون فتراهم يجاهرون بعداوتهم الكاملة للسعودية فضلا عن سبها وشتمها بعد انتقاصها والكيد لها والمكر بها . هذا سبب !!!

الثاني : أن الساسة في بلاد المسلمين وخاصة الأجهزة الحاكمة منهم مضطرون إلى الستر عن أنفسهم من معرفة حكم المسلمين بغير شرعة ربهم ، وهم يطالبونهم بذلك ويلحون عليهم ، وهم معرضون عن ذلك مصروفون عنه بما لا يعرف له سبب معقول . فهم من هنا لا يستطيعون أن يذكروا السعودية بخير وإن كانت تحسن إليهم ، ولها أكبر حق عليهم قد سبق أن أشرنا إليه آنفا ، فلا نرى الإعلام الإسلامى يذكر أى جانب من جوانب الخير فى الديار السعودية ، أو يبرز أى مظهر من مظاهر الخير والكمال فيها . فهذا الإغفال المتعمد ، خاضع طبعاً للحكم القائم جعل المواطنين المسلمين فى كل بلادهم لا يعرفون خيراً فى السعودية ولا يذكرونه بحال ، بيد أن ذكر المثالب ، وتعداد المعاييب فهى على طرف لسان أكثرهم وهم لا يشعرون !!

هذا وإن كان الطعن والانتقاص وإخفاء الحقائق ، وستر الفضائل ، ونشر المعاييب والمثالب من الغرب الكافر الحاقدا الحاسدا قد يتحمل لأنه عدو فإن ذلك من إخوة الإسلام والمصير والحال والمآل لا يتحمل ولا يطاق (١)

١ تنبيه

إني أشعر فعلاً أنى قد مسست بجانب الحاكم المسلم . وما كان ينبغي لى ذلك ؛ لأن إجلال الحاكم المسلم واجب ، واحترامه معروف . ولذا عسى أعترف وأكرر اعتذارى طالبا الصفح عني والعفو . مع تنبيهى إلى أن ماذكرته مما اعتذرت منه حق وأن على الحاكم المسلم المصطفى بأعياء مسئولية حكم المسلمين أن يتعود سماع كلمة الحق وقبولها لا سيما إن كانت من شخص لا غرض له إلا الخير والإصلاح . هذا ولظنى الجميل فى أكثر حكام المسلمين اليوم أنى أعتقد أن مثل هذا النقد الهادف والذى اضطررت إليه سوف لا يكون مبعداً لهم من القيام بواجبهم الذى أدعوا إليه فى هذه الرسالة وهو تطبيق كل من خطتى المحافظة على مابقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين وخارجها . وشكرى مع احترامى لهم سلفاً .

وقديما قال الشاعر :
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند
وشىء آخر وهو إن كان للسلاسة المسلمين ما يبرر سكوتهم أو سترهم
وإخفاءهم لآثار تحكيم الشريعة في البلاد السعودية من الخير والكمال فإن
العلماء والصلحاء والمفكرين والمصلحين في العالم الإسلامي لا يوجد ما يبرر
سكوتهم عن ذكر الخير فضلا عن تورط أكثرهم في العيب والانتقاص ،
وإنكارهم لتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد السعودية مع أن آثار ذلك
التطبيق مرئية محسوسة ، وهذه عدد منها ننشرها على سبيل المثال فَلْيَنْظُرْ
إليها :

- ١ - إقام الصلاة في طول المملكة وعرضها بكيفية إلزامية .
- ٢ - جباية الزكاة جباية كاملة تطبيقا لأمر الله عز وجل .
- ٣ - وجود هيآت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل قرية ومدينة عملاً
بقول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . وهذه هي الأسس
الأربعة التي يجب أن تبنى عليها كل دولة إسلامية ، ومع الأسف
فقد قامت للمسلمين في بلادهم دول ، ولم تبُنْ واحدة منها على هذه
الأسس فحُرمت أمة الإسلام من جراء ذلك خيراً كثيراً .
- ٤ - لا يوجد في طول البلاد السعودية وعرضها تمثال ، ولا قبة ، ولا تذكار
لم يأذن فيه الإسلام ، كما لا يوجد فيها قبر ولا ضريح ولا شجر ولا
حجر يُعبد من دون الله بأي نوع من أنواع العبادة . في حين أن بلاد
المسلمين الأخرى غارقة في ذلك وفي شر منه .
- ٥ - إقامة حدود الزنى ، والقذف ، وشرب الخمر ، والردة والكفر .
- ٦ - القصاص في الأطراف والنفس ، وأخذ الدييات الشرعية ، والأرش في
الجنایات حسب تقدير الشريعة الإسلامية في ذلك .

٧ - عدم السماح بظهور آية بادرة إلحادية من أى فرد ، وذلك كالطعن فى الإسلام ، أو سب الله تعالى أو الرسول ﷺ ، أو التمهذب بمذهب إلحادى كافر كالمذهب الشيعى أو البهائى أو القاديانى فى حين أن بلاد المسلمين تعج عجيجا بهذه العظائم مع كامل الأسف .

٨ - منع اختلاط النساء بالرجال منعاً باتاً ، ومن لازم ذلك عدم السماح بتوظيف المرأة المسلمة وعملها مع الرجال وفى آية دائرة حكومية أو مؤسسة أهلية ، أو غير أهلية .

٩ - استقلال التعليم النسائى عن الرجالى استقلالاً كاملاً وفى كل مرحلة حتى إن سائق سيارات حمل البنات إلى مدارسهن يجب أن تركب امرأته إلى جنبه حتى لا يضطر إلى مخاطبة الطالبة المسلمة .

١٠ - منع الخمر إنتاجاً ، وتصديراً وتوريداً وبيعاً وشرباً ، وكل مسكر محرم .

١١ - التعليم ، والعلاج ، وتجهيز الموتى ودفنهم مجاناً بلا أدنى مقابل .

١٢ - لاضريبة تذكر على المواطن السعودى الأمر الذى لا وجود له فى كل العالم ولم يكن هذا أيام الرخاء السعودى فقط بل هو من أيام قيام هذه الدولة الإسلامية وذلك لأن الإسلام يحرم إئصال كواهل المسلمين بالضرائب وإذلالهم بأنواع الخراج .

وأخيراً فهذه بعض مظاهر الخير والكمال وقد تجاوزت العشرة المظاهر عدداً ما كانت لتكون بحال لولا تطبيق الشريعة الإسلامية فى تلك الديار .

وسبحان الله فكيف عمى عنها أكثر المسلمين فهم يرونها ولا يذكرونها فى حين أن ألسنة أكثرهم مشغولة بتريد ما يذكروه إعلام الغرب العدو الكافر من أن الأمير فلان فعل كذا . . . والسعودى الفلانى ترك كذا . . . والسعودية أصبحت أمريكية ، إلى غير ذلك من قذر الكلام وساقطه الذى يذيعه وينشره على عمد من سبق أن ذكرنا من أجهزة المثلث المجوسى

اليهودى الصليبي صرفاً لأنظار المسلمين عن الإسلام وفضائله ، وتطبيق الشريعة الإسلامية وبركاتها من جهة ، وإطفاءً لهذا القبس المتبقى للمسلمين يشع بنور الله ويضىء للملتفين حوله سبيل السعادة والنجاة من جهة أخرى ، وحتى لا يبقى للمسلم المطالب بشرع الله والمنادى بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ما يستشهد به ويشير إليه في دنيا الناس قاطبة . وبالأأسف الشديد . وسبحانك اللهم أخيراً كيف لا يعرف هذا المسلمون . وكيف يجهلون أو يتجاهلون !!

تبيينه

إنى لا أشك فى أن قارئ هذه الرسالة وَقَدْ قَدِّمَتْ إليه ، ووضعت من أجله ، لأنه مسلم يجب أن يتحمل مسئولية إسلامه . سيلاحظ أن حماساً شديداً قد كتبت به هذه الفقرات المتعلقة بلوم المسلمين عن صمتهم عن ذكر مظاهر الخير والكمال فى السعودية نتيجة تطبيق الشريعة الإسلامية فيها ، وقد يتساءل عن سبب هذا الحماس فأجيب أخى بأن سببه أمران لاثالث لهما ويعلم الله أنى لم أشعر بدافع غيرهما أولهما : الانتصار للحق بإظهاره بعد تعمد الناس جحوده وكفرانه . وثانيهما : أن من خلقي الذى وهبني ربي عز وجل أنى أتألم فى حياتي أشد الألم من شيئين الأول سماع الكذب والبهتان ، والثاني رؤية جحود الفضل وإنكار المعروف لأهله . وقد بليت بالتعاش مع أناس لا أسمع من أكثرهم إلا الكذب وقول الزور والبهتان . ولا أرى لأكثرهم إلا جحود الفضل ونكران الجميل والمعروف كما هي حال أكثر المسلمين مع السعودية ، لأن أمة الإسلام اليوم أكثر أبنائها ينظرون بعين الغرب ويفكرون بعقلية الغرب ولا يعقلون عن الله كلامه ، ولا يفهمون من خطابه مراده لتعذر وجود القلب المؤمن الموقن . وإن الله وإننا إليه راجعون .

كيف يحفظ ما بقى من الإسلام داخل بلاده وخارجها

الحمد لله - وبعد :

فإن مضمون هذا العنوان من هذه الرسالة هو المقصود بالذات من كتابتها وتقديمها لخاصة المسلمين وعامتهم ، إذ هو البحث عن طريق يتوصل بها إلى الحفاظ على ما بقى معمولا به من شرائع الإسلام بين المسلمين داخل بلادهم وخارجها . وذلك كالجاليات الإسلامية في بلاد أوروبا ، وأمريكا ، وبعض أقطار آسيا وأفريقيا .

وبعد البحث الجاد والتفكير الطويل هدانى ربي عز وجل إلى أن الطريق بالنسبة إلى الجاليات الإسلامية لحفظ الإسلام بينهم ، ونمائه ونشره وتعميمه في تلك الديار الكافرة به والتي يرجى لها أن تؤمن به في يوم ما من الأيام فتسعد به ، وتكمل عليه إذ لا سبيل إلى الإسهاد البشرى ، والكمال الإنسانى إلا على الإسلام كما سبق أن بينا ووضحنا في هذا البحث من هذه الرسالة . أقول إن الطريق للحفاظ على الإسلام بين الجاليات الإسلامية يكون على النحو التالى :

١ - تكوين هيئة عليا يمثل كل عضو فيها دولة من الدول الإسلامية في العالم الإسلامى .

٢ - وضع ميزانية سنوية تُسهم كل دولة إسلامية فيها بحسب قدرتها المالية قوة وضعفا . على أن لا تتخلف أية دولة عن الإسهام في هذه الميزانية المشتركة بحال من الأحوال حتى ولو تجمع قسطها من مواطنيها بطريق التبرع أو الضرائب الملزمة .

٣ - دمج جمعيات كل إقليم من الجمعيات الإسلامية في جمعية واحدة تتولى إدارتها كافة المؤسسات الإسلامية من مساجد ومدارس ومكتبات وأندية رياضية في ذلك الإقليم ، على أن تشرف عليها الهيئة العليا للدعوة الإسلامية والمحافظة على الإسلام بين أهله خارج بلاد المسلمين (راجع رقم واحد) من هذا النظام الخاص بالجاليات الإسلامية .

٤ - مهام الهيئة العليا تنحصر في جمع المالية وإعدادها من دول الإسلام الصغيرة والكبيرة والغنية والفقيرة على حد سواء ، وتوزيعها وصرفها على الجمعيات الإسلامية الموجودة في خارج البلاد الإسلامية بمقادير تتفاوت بحسب العمل الإسلامي في ذلك الإقليم قوة وضعفاً . كما تقوم بالإشراف العام على سير العمل الإسلامي في كل إقليم فيه جماعة إسلامية ، وتقديم التوجيه اللازم والإرشاد المطلوب لسير العمل الإسلامي واطرادته ونمائه في تلك الديار .

٥ - مهام كل جمعية تنحصر في التالي :

- بناء المساجد وإعمارها بالأئمة والمؤذنين والمدرسين والوعاظ المرشدين
- إنشاء المدارس الدينية لتعليم أصول الدين الإسلامي وفروعه ،
وذلك بحسب حال المسلمين كثرة وقلة

- تقويم نفوس المسلمين وتركيتها ، وتهذيب أخلاقهم وترقيتها لتبلغ الكمال الخلقي والتهذيب النفسى المطلوب للمسلم القدوة الذى يدعو إلى الله تعالى بلسان حاله كما يدعو بلسان قاله ، والأول أبلغ وأنفع .
وينبغى أن يركز في الجاليات الإسلامية على هذا الجانب أكثر من غيره إذ هو الغاية الشريفة والمقصودة من تنظيم العمل الإسلامى في ديار غير المسلمين ، لأن الدعوة الإسلامية التى كانت واجبة بالجهاد والبيان قد أصبحت اليوم بالمقال وحسن الحال فقط ، ولم يبق من معنى للسلاح ، وأكبر بلاد العالم مفتوحة للدعاة المسلمين ، والناس يدخلون في الإسلام أفواجا . لاسيما في أوروبا الغربية وأمريكا واليابان .

٦ - توحيد المنهج التربوي والتعليمي بين سائر الجمعيات . فالعقيدة لا تكون إلا سلفية للإجماع على نجاة صاحبها . والفروع تكون على منهج الوحي الإلهي « قال الله » « قال رسول الله ﷺ » ، فتقرر وتدرس الكتب التي على غرار منهاج المسلم وعقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري ، وذلك لتوحيد قلوب المسلمين وأعمالهم ، والبعد بهم عن الفرقة والخلاف ، ولطلب السعادة لهم والنجاة في الدنيا والآخرة .

٧ - إبعاد الجماعات الضالة والمضللة من ساحة العمل الإسلامي في تلك الديار مثل البهائية والقاديانية والشيعة الروافض ، والطرق الصوفية الغالية في التصوف من غلاة الحلولية والباطنية . وذلك بإظهار ضلالتها ، وتحذير الناس منها ، والحيلولة بينهم وبين الاتصال بهم طلبا لنجاة الناس من شر هذه الفرق الضالة والمحسوبة على الإسلام وهو منها براء .

على نحو من هذه الخطة يمكن بفضل الله تعالى العمل في حقل الدعوة الإسلامية خارج ديار المسلمين فيحفظ لمسلمي الجاليات بها إسلامهم ناميا مطرد النماء والانتشار بين سكان تلك الديار ، وبذلك تبرا ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم وشعوبه .

أمّا المحافظة على ما بقي من العمل بالإسلام في بلاد المسلمين فإنه بالنظر إلى عدم جدوى العمل تحت شعار الأحزاب والجمعيات والمنظمات الدينية مطلقا حيث رأينا أن المنظمة أو الجمعية بمجرد ما تنمو وتأخذ عملها في الظهور والانتشار حتى تصطدم بالنظام الحاكم فتتحطم عندئذ وتموت ، وتجرح عواقب سيئة على الإسلام والمسلمين وبناء على هذا فقد تعين أن تُطلب سبيل أخرى للحفاظ - على الأقل - على المتبقى من العمل بشريعة الإسلام بين المسلمين في ديارهم وإلا فإن ربع قرن كاف لا قدر الله في ضياع ما بقي من الإسلام في بلاد المسلمين ، ويومئذ يحل ظلام وظلم لم تعرف بلاد المسلمين نظيره حتى في عهد الجاهلية الأولى والعياذ بالله تعالى .

ولذا فإنني أهيب بكل ذى قلب حتىّ وروح طاهرة تحمل حب الخير والجميل أن يتبنوا هذه الخطة التى أرسمها هنا وأن يعملوا على تنفيذها بكل صدق وإخلاص من أجل إنقاذ البقية الباقية من الإسلام فى بلاد المسلمين .

إن الإسلام يتعرض فى هذه الأيام الراهنة لهزة عنيفة ولولا لطف الله تعالى لأودت به وأتت عليه ولم يبق من كتابه إلا رسمه ولا منه هو أى الإسلام إلا اسمه . وفى الحديث « إن آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة » .

ومرةً أخرى أهيب بذوى المروءة الأدمية والغيرة الإسلامية فى بلاد المسلمين من رؤساء حاكمين ، ومرءوسين محكومين أن يدرسوا هذه الرسالة دراسة صادقة وأن ينظروا فى خطتى العمل للحفاظ على الباقية من العمل بالإسلام فى ديار المسلمين وخارجها ، وأن يتجددوا لله تعالى ويطلبوا رضاه ، وما عنده من خير الدنيا والآخرة ويعملوا على تنفيذ هاتين الخطتين بكل ما أوتوا من قوة وسلطان والله معهم ولن يترهم (١) أعمالهم .

والخطة الأولى قد تقدمت وهذه الثانية تلك للحفاظ على الإسلام فى بلاد غير المسلمين . وهذه للحفاظ على الإسلام فى بلاده وبين أهله . . .
فإليكم أيها المصلحون الخطة مفصلة وإنها لسهلة ميسرة لا كلفة فيها ولا أدنى مشقة . إنها لا تكلفكم أكثر من تفهمها بروح طيبة ونية صالحة ، وعزيمة صادقة .

إنها : تشكيل لجنة : فى كل مسجد من مساجد القرى والأحياء السكنية والمدن الإسلامية ، تتكون اللجنة من عمدة الحى أو شيخ القرية ، وإمام المسجد ومدرسه ورجل من أعيان الحى أو القرية يطلق عليها اسم لجنة القرية أو الحى .

(١) أى ولن ينقصهم أجر أعمالهم الخيرية الإصلاحية .

مهام اللجنة :

ومهام تلك اللجنة التى تقوم بها بالتعاون مع أفراد الحى أو القرية

هى :

١ - إجراء إحصاء عام لسكان الحى أو القرية لمعرفة الأفراد وأسره وأعمالهم وعناوينهم ؛ لأجل زيارتهم والاتصال بهم ، ومعرفة أحوالهم ؛ لمعونتهم عند حاجتهم إلى ذلك .

٢ - تربية وتعليم كافة أفراد الحى أو القرية رجالاً ونساء بواسطة الدروس التربوية التعليمية التى تلقى فى المسجد مساء كل يوم فيما بين صلاتى المغرب والعشاء ومن قبل مدرس المسجد وواعظه المختص بذلك .

٣ - تفقد كافة أفراد القرية أو الحى ومعرفة أحوالهم من صحة ومرض ، وغنى وفقر ، واستقامة وانحراف ، وتقديم العون والمساعدة لهم عملاً بمبدأ الأخوة الإسلامية ، وحكم الجيرة والمواطنة ، وتنفيذاً لأمر الله تعالى فى قوله ﴿ وتعاونوا على البر ^(١) والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

٤ - الإصلاح بين المتخاصمين ومساعدتهم على حل مشاكلهم بطريق الشرع مالم تستعص فإن استعصت أحيلت إلى المحاكم البلدية المختصة بذلك .

٥ - تأديب من يخل بأوامر الشرع ، أو يعيث بالآداب الإسلامية التى يعيش عليها المواطنون ، وبحسب حال المواطن يكون التأديب ، ولا يكون إلا بعد تقديم النصيح و الارشاد له وتعليمه بما ينبغى له ويجب عليه والإعذار إليه .

(١) البر : الخير كله والآية من سورة المائدة .

وفي حالة عدم جدوى النصيح والإرشاد والتأديب الأدبي المعنوي الذي تقدمه اللجنة . فإن أمره يرفع إلى حاكم الحى أو القرية ليتولى تأديبه بما يراه ، ولو بإبعاده من الحى أو القرية التى أفسد فيها ولم يصلح .

٦ - إنشاء صندوق مالى فى الحى أو القرية ، ومساهمة كل مواطن فيه بقدر معين بحسب حاله يساراً وإعساراً ، على أن يكون حِسبة لله تعالى بمعنى أن القدر الذى يسهم به الفرد المواطن ينوى به ثواب الآخرة لامردود الدنيا ، ولذا يجوز أن توقف الأوقاف على هذا الصندوق حيث مصارفه هى مصارف البر والإحسان وإن كان خاصاً بأهل الحى أو القرية .
ومن مصادر تنمية هذا الصندوق الزكاة الواجبة ، وصدقات التطوع ، والنذور الشرعية .

٧ - زيادة فى تقوية أواصر المحبة والإخاء بين سكان الحى أو القرية يفتح صندوق مالى يحفظ فيه المواطنون الزائد من المال على حوائجهم الضرورية ، وينمى لهم بواسطة إنشاء متجر فى الحى رابح ، أو مصنع منتج ، أو زراعة مغلة مثمرة ، وتكون الأرباح والخسائر بحسب المقادير التى يضعها المواطنون .

ومن لم يرغب فى تنمية زائد ماله ، يحفظ له بلا ربح ولا ضبيعة إذ هو أمانة إذن فى التصرف فيها وهى محفوظة له مضمونة يتسلمها كلاً أو بعضاً متى شاء بلا وكس ولا مُماطلة .

٨ - فتح معهد مهنى بحسب حال القرية أو الحى يتعلم فيه بعض أبناء المواطنين بعض المهن اليدوية التى تساعد على اكتساب العيش فى عزة وكرامة .

٩ - فتح ناد رياضى يزاوُل فيه أبناء القرية أو الحى الرياضات الإسلامية المختلفة كالسباحة والرماية والمسابقة تقوية لأبدانهم ، وتنمية لأفكارهم وعقولهم ، إذ العقل السليم فى الجسم السليم كما قيل .

وبعد فهذه أهم الواجبات التي تقوم بها لجنة الحى أو القرية المكونة فى المسجد ، وهى مهام لعمر الله جدرة بالتقدير والاحترام ، ومتى قامت بها اللجنة وتمت على أحسن وجوها فإنها تكون مثلاً عاليا للإصلاح البشرى النابع من روح الإخاء الإسلامى ، والتعاون الإيمانى وهو أمر واجب القيام به فى أمة تؤمن بالإسلام وتعمل به لتكمل وتسعد .

هل يعود الإسلام ، ويكمل الناس ويسعدون عليه ؟ ؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : أما كون الإسلام إذا عاد للحياة من جديد وعمل به الناس كملوا وسعدوا عليه فهذا أمر مقطوع به ولا شك فيه بحال ؛ لأن الإسلام وُضع وُضع السنن والقوانين الثابتة التي لا تتخلف نتائجها أبداً . فلا يمكن أن تعمل جماعة أو أمة أو حتى فرد بالإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وآداباً وأخلاقاً ثم تتخلف النتائج الموضوع للإسلام لها فلا تكمل الجماعة أو الأمة أو الفرد عقلياً وخلقياً ولا تسعد حالاً ومآلاً ، وذلك لأن قانون الكمال والإسعاد البشري هو الإسلام حيث شاء الله ذلك وأراد . وقد جرب الإسلام وصحت التجربة فكمّل العاملون بالإسلام وسعدوا في غير ما زمان ومكان ، والتجربة أكبر برهان كما يقال . فإن العرب قد سعدوا وكملوا بالإسلام في عصره الأول عندما طبق الإسلام التطبيق المطلوب منه ، وأصبح العرب الذين كانوا قبل الإسلام أسوأ الناس حالاً أصبحوا أكمل وأسعد من على الأرض قاطبة ، وفي تلك الظروف الصعبة الشديدة القاسية فكيف لو طبق الإسلام اليوم في عصر الذرة وغزو الفضاء في أمة أو جماعة ؛ فإنه بلا شك ستصبح تلك الأمة المطبق فيها الإسلام أكمل الناس وأسعدهم وتكون حياتها في كمالها وسعادتها أشبه بحال أهل النعيم المقيم في دار السلام بالملكوت الأعلى يوم القيامة .

وأما هل يعود الإسلام أو لا يعود إلى الحياة من جديد ليحيلها إلى كمال بشري وسعادة إنسانية لم يسبق لها مثيل فهذا مالا يملك أحد الإجابة الصحيحة عنه سواء بالنفي أو بالإيجاب ؛ إذ هو من الغيب والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى . وإنما عودة الإسلام ممكنة وجائزة وليست

هى من قبيل المحال وليس من حق أحد أن ينفى عودة الإسلام بصورة جازمة : الأقرب إلى سنن الكون ونظام الحياة أن يعود الإسلام من جديد لتكمس عليه أمم العالم وشعوبه ويسعدون عليه . لاسيما وقد جرب الناس فلسفات شتى وأنظمة عديدة مختلفة من وضع البشر وتقنينهم وقد أفلست جميعها . ولم يتحقق بها كمال الإنسان ولا سعادته .

فأى مانع إذاً أن تقوم أمة عظيمة كألمانيا الغربية أو بريطانيا في يوم من الأيام وتطبق الإسلام عقيدة وشريعة وآداباً وخلقاً فتكمل وتسعد عليه ، ويتحقق موعود الله تعالى لها في قوله : ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ الآية والمراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن كتاب الإسلام والجامع لشرائعه والحاوى لكل ما فى الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وآداب وأخلاق .

ومع هذا فإنه ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا أن هناك إشارة قرآنية وأخرى حديثية تدل كل واحدة منهما على عودة الإسلام وظهوره فى الأرض وسيادته .

فالإشارة القرآنية فى قوله تعالى من سورة التوبة والفتح والصف : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ﴾ - أو - ﴿ الكافرون ﴾ .

وأما الحديثية فأظهرها ما جاء فى أحاديث المهدي وفيها « يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً » . كما إن هناك سنة صحيحة تشير إلى عودة الإسلام وظهوره وسيادته على غيره من الأديان ، ولفظها : « ليلغى هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ، ولا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا دخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل » . أو كما قال ﷺ .

بيد أنه لما كان الإسلام قائماً موجوداً ومعمولاً ببعض شرائعه وسعد
 وكمل عليه القائمون به ، وكانت حاجة البشر اليوم ماسة إلى الكمال
 والإسعاد فإننا ندعو ونلح في الدعاء كافة الراغبين في الإصلاح والكمال
 والإسعاد من عرب وعجم ومسلمين وغير مسلمين الأخذ بالإسلام دين
 الإكمال والإسعاد وننعى عليهم هذا التسويف والتباطؤ ، والبشرية تعاني
 من طغيان المادة وإجحافها ومن الجوع الروحي والخوان النفس والهبوط
 الخلقى ، والضياح الشخصي ، الأمر الذي لا ينكره عاقل ، ولا يجاحد
 فيه أحد أو يكابر إلا من سفه نفسه ، ورضى أن يكون في عداد البهائم من
 الحيوانات .

لا سيما وأن التعصب الديني قد خف كثيراً إن لم يكن قد انقرض في كثير
 من بلاد العالم . فلم يبق من مانع يمنع من الأخذ بالإسلام بوصفه الأداة
 الحققة لإكمال البشرية وإسعادها جسماً وروحاً وديناً وآخره .
 فإلى الإسلام ياعقلاء الناس فإنه الآلة الرافعة للبشرية من سقوطها في
 وهدة المادة وطغيانها . وإن أبيتم فالحسارة عليكم . وما على الرسول إلا
 البلاغ !!

خلاصة ما جاء في الرسالة من حقائق علمية ثابتة

الحمد لله وبعد : فإلى القارئ الكريم خلاصة ما اشتملت عليه هذه الرسالة من حقائق علمية ثابتة هي جديرة بالتأمل والأخذ بعين الاعتبار عن يريد الإصلاح والخير لنفسه وللناس أجمعين .

١ - لم يكن الباعث على تقديم هذه الرسالة سوى ما وجب على العلماء من البيان ، وما تحتم من واجب النصيحة لحكام المسلمين وعامتهم .

٢ - إن أكثر الناس يجهلون معنى الإسلام ، ولهذا هجره من هجرة منهم ، وحاربه من حاربه منهم ، ولم ينتفعوا به في حياتهم فعاثوا أشقياء ناقصين في كل مجالات حياتهم الروحية والجسمية معاً .

٣ - الإسلام هو دين الله الذي أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ لإصلاح الناس وإكمالهم في عقولهم وأخلاقهم ، وإسعادهم في أجسامهم وأرواحهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وذلك إن هم عملوا به عقائد وعبادات وأحكاماً وأخلاقاً .

٤ - إقامة بَيِّنَتين وبرهان عقلى على صحة أن الإسلام هو آلة الإكمال والإسعاد البشرى : الأولى حال العرب في الجاهلية ، ثم في الإسلام ، والثانية سكان شبه الجزيرة العربية بعد فساد الحكم فيها وضياح الشرع الإسلامى بينها ، ثم بعد أن حكمها القرآن وسادها الإسلام الصحيح على عهد حكم السعوديين . والبرهان : أن الإسلام وضع وضع السنن التى لا تتخلف نتائجها مثل الماء يروى والطعام يشبع والنار تحرق والحديد يقطع فإن كانت هذه لا تتخلف نتائجها فكذلك شرائع الإسلام لا تتخلف نتائجها في الإكمال والإسعاد .

٥ - عوامل ضياع العمل بالإسلام هي جهل الناس به ، وما ألصق به من بدع وخرافات ، وحرمان أكثر المسلمين من تطبيق شرائعه بينهم .

- ٦ - بيان كيف ضاع الإسلام بين أعدائه وأوليائه ، ومن هم أولياؤه ، ومن هم أعداؤه .
- ٧ - استردت أمة الإسلام استقلالها ، ولكن لم تسترد عقليتها ولا قلبها المؤمن الحق البصير .
- ٨ - ضرب مثل لتعطيل الشريعة الإسلامية بنسب متفاوتة في بلاد المسلمين وأن أعلى نسبة لتطبيقها هي في المملكة السعودية ، وبيان كيف نالها بذلك الخير الكثير الذي لم يحظ به سواها من بلاد المسلمين قاطبة وكون المسلمين عميا عن هذا الخير لا يرونه ولا يذكرونه .
- ٩ - موقف البلاد الإسلامية الشاذ من دولة السعودية ورد ذلك إلى عاملين الأول تسمم الفكر الإسلامي نتيجة قبول المسلمين كل ما يأتي من الغرب ، والثاني ستر الحكام المسلمين عن أنفسهم فضيحة حكمهم المسلمين بغير شريعة ربهم .
- ١٠ - مظاهر الخير وآثار فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد السعودية وهي أكثر من عشر مظاهر تجلت فيها فائدة تطبيق الشريعة الإسلامية .
- ١١ - بيان طريقة لحفظ ما بقى من الإسلام خارج بلاد المسلمين ، بذكر تكوين هيئة عليا للدعوة الإسلامية ومساهمة أمة الإسلام في صندوق ميزانيتها ، وبيان مهامها التي تقوم بها .
- ١٢ - المحافظة على ما بقى من الإسلام داخل بلاد المسلمين ، وذكر طريقة ناجحة لذلك إن اتبعت بصدق وحزم ، ودعوة المسلمين إلى اتباع هذه الطريقة للحفاظ على ما بقى من الإسلام .
- ١٣ - تفصيل الخطة وذكر لجان الحق والقرية ، وبيان مهامها التي تقوم بها من الإصلاح بين المواطنين ، وبيان أن الخطتين المذكورتين للحفاظ على ما بقى معمولا به من الإسلام بين المسلمين داخل بلاد المسلمين وخارجها هو المقصود من كتابة هذه الرسالة ونشرها وتقديمها للمسلمين .

١٤ - إمكان عودة الإسلام إلى الحياة وسعادة الناس وكمالهم عليه ،
وتقرير الحقيقة السابقة وهي أن لا كمال ولا سعادة إلا بالإسلام .

١٥ - بشارة الكتاب والسنة بظهور الإسلام ، وتطبيقه الأرض كلها
حتى لا يبقى بلد إلا ويدخله ويسعد أهله عليه ويكملون به

المحتوى

ص	الموضوع
٥	● بين يدى الرسالة
٦	● الإسلام الضائع
١١	● كيف ضاع الإسلام
١٣	● من المسئول عن ضياع الإسلام ؟
٢١	● كيف يُحفظ ما بقى من الإسلام ، داخل بلاده وخارجها ؟
٢٨	● هل يعود الإسلام ويكمل الناس عليه ويسعدون عليه ؟

●● الرسالة السادسة

الى التصوف يا عباد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على نعمة الاسلام ، وكفى بها نعمة . والصلاة والسلام على محمد نبي الاسلام وكفى به نبيا ورسولا .
 ورضى الله عن آل نبينا وصحابته فاضلا ومفضولا .
 وبعد فانه - ويا للأسف الشديد - قد ظهرت الدعوة للتصوف من جديد ، وبعد أن ظن المصلحون أنها قد مضت فلا ترجع ، وماتت فلا تنشر . وذلك بعد أن أظهروا زيفها ، وكشفوا عوارها ، وأزحوا الستار عما تحفى وراءها من جيوش الخراب والدمار ، تلك الجيوش الكافرة الفاجرة التى ما فتئت تضرب فى جسم أمة الاسلام حتى مزقته أشلاء ، وطرحته لكباب الاستعمار أجزاء ، فامتصوا دمه ، وأكلوا لحمه ، وكسروا عظمه ، ، وواروه التراب ، وظنوا أنه لا يبعث الى يوم الحساب .
 وما ان نشر الله أمة الاسلام بعد موتها ، وعادت الى الحياة من بعد

مفارقتها ، ورآها العدو الثالث المركب من اليهود والمجوس والنصارى ،
 رآها وقد تحررت ديارها ، وتخلصت من نير الاستعمار الغربى بلادها
 وأقطارها ، فلم يعد فيها سلطة لكافر ، ولا سلطان لكفار ألمها تحررها ،
 وأكبرها وأحزنها خلاصها واستقلالها حتى راح يبحث عن عملائه
 الأقدمين ، وجنوده المخلصين من دعاة التصوف ، وأدعياء المتصوفين ،
 فأخذ يجمع شتاتهم ويحرك طلائعهم ويدفع بهم فى المعركة لضرب أمة
 الاسلام مرة أخرى ليوهنوها ويضعفوها ويومها يضعها مرة أخرى تحت
 كلكله ليمتص دمها ويأكل لحمها وعظمها كما فعل بها فى المرة الأولى -
 والعياذ بالله تعالى .

ومن هنا - وقد رأينا بأم أعيننا تحرك أدعياء التصوف الزائف ، ودعاة
 المتصوفة المرتزقة نحو أمة الاسلام ليزيدوا فى محتتها ، وتوسيع هوة الشقاق
 والخلاف بينها ، فهذا يؤلف كتابا ويكتب رسالة ، وذاك يفتح زاوية ويوزع
 منشائر ، وآخر يعقد مؤتمرا ويقيم احتفالات يشكك فى الدعوة الاصلاحية
 السلفية ، ويطعن فى دعائها وحماة راياتها قديما وحديثا .

وساعد على تحرك هذا الباطل وأعان على انتشاره تخوف بعض الحاكمين
 فى أغلب بلاد المسلمين من الدعوة السلفية التى أحيها بعد موتها فى العالم
 الاسلامى الامامان الجليلان :

أحمد بن حبت الخليم بن تيمية فى الديار الشامية ، ومحمد بن عبد
 الوهاب فى الديار النجدية .

اذ الأول نشر الله تعالى تراثه الفكرى والعلمى الاصلاحى على أيدي
 الحكام السعوديين - جزاهم الله خيرا - وذلك بعد أن طوقها الزمان بأيدي
 دعاة التصوف والضلال ، فأقبل طلبة العلم فى كافة أنحاء العالم الاسلامى
 يقرءون لابن تيمية أفكاره الاصلاحية ، ويتقمصون شخصيته السلفية
 الطاهرة النقية ، فأظهر الله دعوة الحق الدعوة السلفية فى كافة أرجاء
 العالم الاسلامى .

وأما الامام الثانى وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، فحسبه أن أثمرت دعوته المملكة العربية السعودية هذه المملكة التى احتضنت دعوته السلفية فبلغت بها من الكمال ما أصبحت به تحاكي دولة الراشدين السلفيين من الصحابة والتابعين .

أعود فأقول : لقد ساعد على تحرك المتصوفة فى هذه الأيام ، واطهار دعوتهم تخوف بعض الحكام فى بلاد المسلمين من الدعوة السلفية ، إذ رأوا فيها ما يبعث على الانقلاب الفكرى والروحى قد يؤدى أخيرا الى انقلاب ادارى شامل يقضى على مظاهر الفسق والفجور فى ديار المسلمين ، ويعطو بالأمة الاسلامية الى عهد سلفها الصالح عهد تحكيم الكتاب والسنة والهجرة والجهاد الى أن تبلغ أمة الاسلام غاياتها فى الطهر والصفاء والعزة والكرامة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

لهذا التخوف تحالف بعض جهال الحكام مع ضلال المتصوفة على محاربة دعاة الدعوة السلفية الاسلامية بين المسلمين فترى بعضا منهم لا يؤمنون بالله ولقائه لما أصاب قلوبهم من الاتحاد الماركسى يساعدون على نشر التصوف الباطل فيسهمون فى اقامة الحفلات الصوفية ويسهلون أمور القائمين عليها ، ومحوظونهم بعناية وحماية فى الوقت الذى يضطهدون دعاة الإصلاح ، وينكلون بهم ، ويسكتونهم .

ومن هنا - اخى المسلم - وجب التنبيه بسرعة الى خطر هذه الدعوة الصوفية الجديدة قبل استفحال أمرها ، وانتشار شرها بين المسلمين ، والتى يخشى أن تضع بلاد المسلمين مرة أخرى تحت وطأة الاستعمار بعد أن أنقذها الله تعالى منه بدعوة الاسلام التى حمل رايتها السلفيون وجاهد المسلمون تحتها حتى تحررت ديار المسلمين وبلادهم من الاستعمار الغربى الغاشم الظلوم .

وقياما بهذا الواجب أكتب هذه الرسالة وأنشرها بين المسلمين اعلاما لدعاة التصوف المزيف أن يكفوا عن دعوتهم فانه لا مجال اليوم بين المسلمين

لقبول هذه الدعوة الزائفة ، وقد استضاءوا بنور الوحي ، واستناروا بهدى الكتاب والسنة واهتدوا عليهما .

وعرفوا ما أصابهم وما حل بديارهم من المحن والفتن قرونا طويلة من جراء دعاة التصوف ، وما رموا به أمة الاسلام من قاصصات الظاهر .

وتحذير لأمة الاسلام عن أن تنخدع مرة أخرى بشعارات التصوف وبهرجه الكاذب ، وزخرفته الباطل ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وحسبى أن أقول للجميع ، أن التصوف اما أن يكون هو الاسلام ، أو يكون غيره ، فإن كان هو الاسلام فحسبنا الاسلام ، وإن كان غيره فلا حاجة بنا اليه .

وعليه فلا تصوف بعد اليوم ، ولكن الكتاب والسنة تعلمنا وعلمنا وعملا ودعوة . فهذا سبيل النجاة ، وطريق الكمال والاسعاد لأمة الاسلام في الدنيا والآخرة .

وحتى يكون المسلمون على بصيرة من أمر التصوف ، وشعاراته الزائفة ودعاوى دعائه الباطلة ، فلا يقعوا في مصائد دعائه وحبائل حاملي شعاراته الكاذبة أقدم لهم في الصفحات التالية صورة واضحة للتصوف المحذر منه ، والمنتبه الى خطره ، حتى اذا ما عرفوه ابتعدوا عنه ، وبذلك يسلمون من شره وينجون من خطره .

كما أقدم لهم أخيرا صفحات مشرقة هي البديل عن التصوف المنبوذ ، الذى حذرناهم منه ونبهناهم الى خطره ، بما يعرفون به الطريق الى الله تعالى والسير اليه ، فيكملون بطاعته ويصفون بذكره ، ويسعدون بأنسه والقرب منه . حقق اللهم لى ولهم ذلك ، انه على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

التصوف وأصوله

(أ) التصوف :

ما هو التصوف ؟

لقد اختلف منتحلوه في وضع حد له حتى بلغت تعاريفهم له نحواً من ألفي تعريف ، كلها حدود ورسوم لا واقع لها في الخارج .

والتعريف الصحيح للتصوف هو : أنه بدعة « ضلالة » من شر البدع ، وأكثرها اضلالاً ، وأكبرها ضلالة ، اذ لم يعرف التصوف في زمن نزول الوحي . ولا بعده والى أن انقرض من شاهد نزول الوحي المحمدي وعاصر نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يرد لفظ التصوف على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، فلم يحدث عنه ولم يخبر به ، اللهم الا ما كان من تحذيره صلى الله عليه وسلم من البدع والاحداث في الدين في مثله قوله : « اياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١) وقوله : « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٢) .

فانه قطعاً يدخل في البدع والمحدثات التي أشار اليها الحديث النبوي الشريف .

وكما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحدث عنه ولم يخبر به فضلاً عن أن يشرعه ويدعو اليه ، فان الصحابة رضوان الله عليهم لم يؤثر عن أحد منهم أنه عرف التصوف أو نطق به ، وكذا التابعون من أبناء الصحابة وأبناء أبنائهم وهم أهل القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فانه لم يعرف بينهم ولم يؤثر عن أحد منهم ، لا بالعبارة ولا بالإشارة ، فلذا هو بدعة قطعاً ولا شك في بدعيته واحداثه .

(١) رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم .

وحتى أهل اللسان العربى انكروا ان يكون لفظ التصوف عربيا اذ صيغة التفعّل لا بد وأن تكون مشتقة من فعل لازم يؤتى بها لأغراض المطاوعة أو التكلف كالتعلم والتشجيع من فعلى علم ، وشجع اللازمين ، والتصوف ما هو الفعل المشتق منه ؟

هل فعله صفا يصفو . أو صف يصف ، والجواب لا فلم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك . ولذا التصوف بدعة فى شكلها وموضوعها يأبأها الكتاب والسنة ، ولغتهما معا .

وغير ضائرنا قول أحد الراكضين فى الدعوة إلى التصوف فى هذا الأيام (١) أن أنكار بعض الناس على هذا اللفظ (التصوف) بأنه لم يسمع فى عهد الصحابة والتابعين مردود ؟ اذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقه والمنطق .

وفات هذا الشيخ أن انكار السلفين للفظ التصوف ومعناه أن التصوف استعمل معولا لهدم الاسلام ، وتفتيت عقائده ، وابطال شرائعه وأحكامه . وأما لفظ النحو والفقه فقد استعمل لحفظ الاسلام والابقاء عليه ، ولفهمه ومعرفة ما جاء به من الهدى والنور والخير ، وشتان ما بين الاصطلاحين : ان الأول وضع للهدم والتخريب ، والثانى وضع للبناء والتعمير ومن يسوى بين ما يبنى وما يهدم ؟

ان التصوف - أخى المسلم - ليس هو كما يقول دعائه باطلا وزورا : انه علم تعرف به أحوال تركية النفس وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية ، ولا هو استعمال كل خلق سنى ، وترك كل خلق دنى ، ولا هو كل ما عرفوه به ووضعوا له من حدود ورسوم لا تعدو كونها حبرا على ورق .

(١) هو عبد القادر عيسى شيخ الطريقة الشاذلية بالشام ، فى كتابه حقائق عن التصوف . والذي دلس فيه وغش أمة الإسلام بحيث لم يذكر من التصوف إلا الوجه المشرق ، وأخفى عن علم الوجه المظلم الملىء بالشرك والبدع المحرمة والكفريات

وانما هو بحسب واقع المتصوفين منذ أن نشأ التصوف فى القرن الرابع واستغله الزنادقة والباطنية وغلاة الحاقدين على الاسلام من يهود ومجوس وصليبيين لضرب العقيدة الاسلامية ووحدة المسلمين وقوتهم ، وانما هو اى التصوف أسلوب من الاحتيال والنصب والتدجيل يبتدىء بذكر الله وينتهى بالكفر به والعياذ بالله تعالى . أوله اتباع وآخره ابتداء ، ظاهره التقوى الظاهر ، وباطنه الفجر والعهر .

الله ، الله يا عباد الله ، كم عانت أمة الاسلام من الفرقة والانقسامات بسببه ، وكم ضيقت ونالها من الشر والسوء على أيدي دعائه ومتبنيه ، استعان به الاستعمار على فتح الدار ، والحاق العار ، كم اتخذ العدو المداهم لبلاد المسلمين فى الشرق والغرب من عيون تدله على ضعف المسلمين وعوراتهم ، وألسن تخبره عما يخفيه المسلمون عن عدوهم من أمور حريمهم وسلمهم ، وذلك من مشايخ الطرق والتصوف ، والتاريخ حافل بهذه المخازى وصفحاته تقر بذلك ولا تنكره وتعترف به وتشهد عليه . وسوف نذكر صوراً حية ، وأمثلة صادقة عن ذكر كل أصل من أصول التصوف والتي ظاهرها مشرق وباطنها محرق ، والتي مازال المصللون والمخدوعون المغرورون يعرضون الوجه المشرق منها ويخفون الوجه المظلم المحرق ، ولا أدري ما يحملهم على ذلك ، ألم يكن فى هدى الله ورسوله من فنون التربية ، وأنواع العبادة ما يزكى النفوس ، ويظهر الأرواح ، ويهذب الأخلاق ، ويوصل العبد الى حضرة القدس ، ويذيقه طعم الأنس بربه سبحانه وتعالى .

بلى : ان فى ذلك لغنى كبيراً عن شطحات التصوف ، وخيالات المتصوفين ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(ب) أصول التصوف :

ان للتصوف أصولا تواضع عليها أهل هذه البدعة منذ نشأتها ، فلا تعرف حقيقة التصوف الا بالنظر في تلك الأصول ، والوقوف على ما فيها من حق وباطل ، وخطأ وصواب وسنكتفى بذكر أصول منها وهى أهمها ، ومن خلال استعراضها نتبين ما جرته هذه البدعة على أمة الاسلام من أضرار وأخطار .

والغرض من هذا كله تنبيه أمة الاسلام وتحذيرها من الوقوع في حبائل هذه البدعة مرة أخرى ، حيث نشط اليوم دعائها من أديانها والمغرورين ببهرجها وزخرف القول فيها ، ولا يبعد أن يكون المحرك لأدعياء التصوف في هذه الأيام بالذات أصابع الماسونية العالمية ، لما رأت من تحرك الشباب المسلم نحو الاسلام واقباله على التدين الصحيح المستقى من الوحيين : كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخافت من عاقبة هذه الصحوه أن تنقلب نهضة اصلاحية شاملة فتنقذ العالم الاسلامى من سيطرتها ، وتخلصه من أنيابها ، وتنتشله من أظفارها الناشبة فيه منذ أن أردته صريعا بسكين التصوف الزائف البغيض ، وها هى ذى تلك الأصول نستعرضها أصلا بعد أصل ، لنرى ماتحملة من خراب ودمار لأمة الاسلام الخيرية الكريمة .

الأصل الأول

الطريقة

ماذا تعنى كلمة الطريقة ؟

انها تعنى اتصال المريد ^(١) بالشيخ وارتباطه به حيا وميتا ^(٢) وذلك بواسطة ورد من الأذكار يقوم به المريد باذن من الشيخ أول النهار وآخره ، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ . وهذا العقد يعرف بالعهد ، وصورته أن يتعهد الطرف الأول وهو الشيخ بأن يخلص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة ، متى ناداه مستغيثا به ، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة ، ويتعهد الطرف الثانى وهو المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدال غيرها من سائر الطرق بها .

هذه هى الطريقة عند المتصوفة ، وهى أحد أصول التصوف عند أصحابه ، وهذا بيان ما فيها من الباطل والشر والفساد :

١- تقسيم أمة الاسلام بين مشائخ ضلال جهال يستغلونهم ويتحكمون فيهم ، ويخرمونهم من نعمة الوحدة الإيمانية والأخوة الاسلامية ، ان المعروف أن العداوة متأصلة بين طوائف الطرق الى حد أن بعضهم لا يجالس البعض ، ولا يؤاكله ولا يشاربه بل ولا يزوجه ولا يتعاون معه ويقول هذا ليس بأخى من الشيخ ، وكفى بهذه التفرقة بين المسلمين باطلا وشرافسادا .

٢ - تفريق أمة الاسلام ، وتمزيق وحدتها ، اذ ما قامت الطرق الا على

(١) المراد بالمريد من يريد الوصول إلى الله تعالى بطريق الأذكار والمحافظة عليها .

(٢) اذ مات الشاغل مثلا واتباعه يأمون إلى اليوم . وكذا سائر الطرق .

أساس تفرقة المسلمين وتجزئتهم وتفكيك عرى وحدتهم الروحية والسياسية ليسهل قهرهم والتسلط عليهم ، كما حصل لهم في عهود الاستعمار البائدة ، وها هي ذى آثار ذلك باقية الى اليوم فامة الاسلام أمم ، ودولتهم دول ، - ولا حول ولا قوة الا بالله .

٣ - افتراء الشيخ على المريد بأن يخلصه من الشدائد ، وينقذه من المهالك متى استعان به وناداه ، كما يحضر له عند الموت فيلقنه الشهاداتتين ، ويخاصم عنه في قبره الملكين ، وأخيراً يشفع له يوم القيامة فيجوز على الصراط بمعية الشيخ ويدخل الجنة بشفاعته .

فهذا من الشيخ ، زيادة على أنه افتراء وكذب ، لا يحل مثله ولا يجوز بحال من الأحوال ، فان فيه تضليل المسلم والتغريب به ، وحمله على اعتقاد الباطل والعمل بموجبه الأمر الذى قد يفضى به الى الشرك والكفر والعياذ بالله تعالى .

وتضليل المسلم وغشه وخداعه من أعظم الذنوب وأكبر الآثام .

٤ - قطع المريد عن كل ما سوى شيخ الطريقة ، وذلك لاستغلاله والتحكم فيه ، حتى انهم ليحظرون عليه أن يزور أى ولى حيا كان أو ميتا ، فقد جاء فى كتاب الطائفة التجانية (الرماح) ما نصه : الثانى من شرط الطريقة عدم زيارة واحد من الأولياء الأحياء أو الأموات .

الأصل الثانى

الشيخ المأذون له

ان من أصول أصحاب الطرق من مشائخ المتصوفة ضرورة وجود شيخ مأذون له فى اعطاء الورد للمريد ، أو من ينوب عنه من خليفة للشيخ ، أو مقدم فى الطريقة .

وهذه لعمر الله احدى الوسائل التى يستعملها مشائخ الطرق لصيد عوام المسلمين وجهالهم من أجل تسخيرهم ، واستغلال كل طاقاتهم المالية والبدنية لخدمة الشيخ ونائبه من مقدم وغيره .

وبيان هذه الوسيلة : أنه من باب كلمة حق أريد بها باطل فاتخاذ شيخ عارف بالله تعالى والطريق الى الله تعالى من أجل التعلم عنه والافتداء به فى كمالاته الروحية والأخذ بتربيته الاسلامية ، أمر محمود ومأمور به ، اذ لا يمكن لأى أحد ان يعرف الله تعالى ، ويعرف محابه ومساخطه ويعرف كيف يعبد ويتقرب اليه ، الا اذا تتلمذ لمشائخ العلم ، وتعلم منهم ، وتربى تحت رعايتهم وكامل عنايتهم ، ولكن الخطأ فى اشتراط أن يكون الشيخ مأذونا له فى اعطاء الورد ، وسلوك الطريقة ، ولو كان أميا جاهلا ، وهذا هو الواقع اذ جل مشائخ الطريق أميون ، ومن علم منهم فعلمه محدود جدا لا يتجاوز معرفة بعض أركان الاسلام كالصلاة مثلا . إنهم لا يعنون بالاذن أكثر من أن يكون من نصب نفسه شيخا للطريقة قد خدم شيخا مثله من سلسلة مشائخ الطريقة خدمة طويلة فوهبه ذلك الشيخ الوارث لقب الشيخ وأعطاه الاذن باعطاء الورد ، والمشيخة على كل أتباع الطريقة .

ومن هنا أصبحوا يدعون أن طرائقهم الباطلة ذات سند متصل الى

الحضرة النبوية - سبحانه هذا بهتان عظيم ، ومنهم من يدعى عدم الحاجة الى تسلسل السند ، اذ هو قد أخذ طريقته عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة لا مناما كالشيخ أحمد بن محمد التجاني ، إذ جاء في كتابه : جواهر المعاني صفحة ٩٧ ما نصه : « وأما سند الطريقة المحمدية (التجانية) فإنه أخبرني فقال : أنا اخذنا عن مشايخ عدة فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود - وإنما سددنا وأستاذنا في هذا الطريق عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فقد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف .
وأما فضل أتباعه (١) فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يكون وليا قطعا .

فانظر أيها المسلم البصير كيف يفترى القوم الكذب على الله ورسوله والمؤمنين بدون حياء ولا خوف ولا وجل ؟

ومن العجيب ما رأينا من افتراءات المتصوفة أن شيخ الطريقة الشاذلية بالديار الشامية عبد القادر عيسى قد ذكر عن مورثه الطريقة الشاذلية وهو الشيخ محمد الهاشمي التلمساني الجزائري (٢) ذكر سلسلة مشايخ الطريقة منه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهي سلسلة ضمت كثيرا من غلاة الباطنية ودجاجة المتصوفة والعياذ بالله تعالى ، والسلسلة مشتركة بين أربع طرق : القادرية والشاذلية والدرقاوية ، والعلوية ، ومن أقطع الكذب وشره أن ترفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون الرسول فيها - فداه أبى وأمى - محاييا لثلاثة من أصحابه وهم أبو بكر الصديق وأنس بن مالك وعلى بن أبى طالب دون سائر أصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ، اللهم انما نبرأ اليك من الكذب على رسولك واتهامه بالمحاباة

(١) يريد أتباع الشيخ أحمد التجاني .

(٢) في كتابه دقايق عن التصوف الذى ضلل فيه المسلمين ، حيث ذكر الوجه الجميل للتصوف وأغفل عن عمد الوجه القبيح له .

والتحيز في ابلاغ الهدى وبيان سبيل الرشاد ، ونشهد أن رسولك محمد^١ صلى الله عليه وسلم قد بلغ كل ما أوحيت اليه وأمرته ببلاغه ..

ومما يفضح هذه الفرية القبيحة أن البخارى روى في سنده الصحيح الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : ما عندنا شيء الا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « المدينة حرم ما بين عاتر الى كذا » الحديث .. فنفى أن يكون رضى الله عنه قد خصه النبي صلى الله عليه وسلم بشيء لم يعلمه أمته ، وهذا مسلم أيضا روى في صحيحه عن طريق أبى الطفيل : كنت عند على فأتاه رجال فقال : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر اليك ؟ فغضب ، ثم قال : ما كان يسر الينا شيئا يكتمه عن الناس ، غير أنه حدثني بكلمات أربع . وفي رواية له : ما خصنا بشيء لم يعلم به الناس كافة الا ما كان في قراب سيفى هذا فأخرج صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من سرق من الأرض^(١) ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثا . والشاهد من هذا نفى على رضى الله عنه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد خصه هو وآل بيته بشيء لم يعم به كافة الناس . وبإبطال هذه الفرية الباطلة سقط بناء التصوف وانهدم فلا يقام ولا يرفع أبدا .

ان بدعة التصوف قامت على أساس ان النبي صلى الله عليه وسلم أسر لعلى وأبى بكر وأنس بعلم الحقيقة فكانوا يعرفون الحقيقة والشرعية ، وعامة الصحابة لا يعرفون الا الشريعة ، ومن هنا جاء علم الباطن والظاهر ، وضرب الاسلام على أيدي غلاة الروافض والباطنية والزنادقة من اليهود والمجوس المنتسبين الى الاسلام لهدمه وتقويض أركانه . وقد فعلوا مع الأسف ونجحوا ، ومن المخزن المؤسف أن يأتى بعد هذا رجال

(١) معناه : أنه غير العلامة الفاصلة بين الجار في الأرض أو المزرعة .

يركضون اليوم. وهم يحملون نفايات التصوف يشرون به ويدعون اليه خيب الله سعيهم . وأحبط أعمالهم .

والمقصود من وراء وضع هذا الأصل من أصول الطرق الصوفية هو احتكار الشيخ للطريقة بسد كل الطرق الموصلة الى الايمان بالله تعالى ومعرفته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيفية عبادته والتقرب اليه للفوز بمحبته ومرضاته وجناته بعد ولايته في حياته ، وبذلك يجد العبد نفسه مضطرا للأخذ بطريقة من الطرق الموضوعة في الظاهر للهداية والتربية الروحية والسلوكية ، وفي الباطن للتجهيل والتضليل معا .

ولو كانت طرق المتصوفة وافية ببيان سبيل الله تعالى ، كافية في تربية المسلم ديناً وخلقا وعقلا وفكرا ، لهان الأمر ، ولكن المعروف بالضرورة عن مشائخ الطرق أنهم لا يعطون المريد أكثر من الورد ، وبعض التوجيهات الخاصة كالمحافظة على الصلوات الخمس ، والورد ومحبة اخوان الطريقة أو الشيخ ، كما يقولون مع توصيته وتحذيره من أن يأخذ عن شيخ آخر أو ينتمى الى طريقة أخرى .

بهذا مضت فترة غير قصيرة على أمة الاسلام وهي جماعات متباينة لا يعطف بعضها على بعض . هذا قادري ، وهذا شاذلي ، وهذا نقشبندی ، وهذا رفاعي ، وهذا درقاوي وذاك هبري ، وعليوي .

وتمسك كل فريق بشيخ وورد وطريقة وجماعة ، ومن هنا سهل على أعداء الاسلام الاستيلاء على ديار الاسلام فوضعوا المسلمين قاطبة تحت حكمهم واستعمروهم واستغلوهم ، وهم الذين وضعوا للمسلمين الطرق والتصوف لتفرقتهم وازهاب ريحهم ، ليسهل أخذهم والتحكم فيهم واستعمار ديارهم واستغلال خيراتهم اذ هم القائلون (فرق تسد) (١) .

وما يؤسف له ويتعجب منه أيضا أن تعود اليوم الطرق من جديد وينشط

(١) هذه الجملة عبارة عن قاعدة وضعها أعداء الاسلام ، حيث لا توجد إلا في قواميسهم الاجرامية .

دعاتها ، بعد أن عرف المسلمون أذاها واكتووا بناها . وعانوا من شرورها وأضرارها .

وكلمة أخيرة : ان من غريب التناقض في الطرق الصوفية أن أصحابها يشترطون في الشيخ المربي ذى الاذن الخاص أن يكون متحليا بصفات الكمال التى لا يمكن أن توجد حتى في بعض الأنبياء ، ومع هذا تراهم ينصبون مشائخ ويضعونهم على رأس طرق يعطون الورد ويربون ، وليس لهم من تلك الصفات معشار معشارها .

ولنستمع الى قراءة ما جاء في جواهر المعانى للتجاني الجزء الثانى الصفحة الخامسة والثمانون بعد المائة : « أما ما هى حقيقة الشيخ الواصل فهو الذى رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر الى الحضرة الإلهية نظرا عينيا وتحقيقا يقينيا ، فان الأمر أوله محاضرة ، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف ، ثم مكاشفة وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق ؟ ثم مشاهدة وهو تجلى الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية ، ثم معاينة ، وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ، ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا ، وهو مقام السحق والمحق والدك وفناء الفناء ، فليس في هذا الا معاينة الحق في الحق بالحق .

فلم يبق الا الله لا شىء غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل » . . الى أن يقول الشيخ التجاني في جواهره : « فهذا هو الشيخ الذى يستحق أن يطلب ، ومتى عشر المريد على من هذه صفته فاللازم في حقه أن يلقي بنفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا ارادة ، ولا اعطاء له ولا افادة . . ومتى أشار عليه بعمل أو أمر فليحذر من سؤال بلم ؟ وكيف ؟ وعلام ؟ ولأى شىء فانه باب المقت والطرء » .

هذا ولا ينكر القوم وجود هؤلاء العارفين بل يقرون بوجودهم ويحددون حتى أماكن وجودهم وتواجدهم .

واسمع صاحب الجواهر يقول : « وأما الشيخ الذى هذه صفته وكيف

يتصل به ، وبماذا يعرف ؟

فالجواب أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون ، وأغلبهم في المدن الكبار فانها مقرهم . وأما معرفتهم والاتصال بهم فانه عسير أغرب وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم . وذلك لعله اقتضت منهم ذلك ، وهى أن العامة لفساد نظام الوجود لا يريدون أن يتعلقوا بهم الا من أجل ما يريدون من أغراضهم الدنيوية ، وشهواتهم المادية ، فلذا خلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عنهم باظهار أمور من الزنى والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس ، وغير ذلك من الدواهي التى تحكم على صاحبها أنه فى سخط الله وغضبه . والأمور التى يقتحمها العارفون فى هذا الميدان انما يظهرون صوراً من الغيب لا وجود لها فى الخارج ، انما هى تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة . وما فعلوا ذلك الا استتاراً لهم عن العامة حفظاً لمقاماتهم وتحريراً لآدابهم .

والآن أسألك أيها القارىء البصير : هل حقاً يوجد هؤلاء العارفون بالصفات التى تقدمت نقلاً عنهم ؟

لماذا يقرون بوجودهم ويقرونه ثم ينفون لقيامهم والحصول عليهم ؟ هل مثل هذا الكذب والباطل يقره الاسلام ، أو يرضى به مسلم عاقل ؟ هل هناك فتنة أعظم وأعم من أن يرتكب أعظم الفواحش ، ويفشى أعظم الآثام من يكون ولياً لله تعالى عارفاً به ، يفعل ذلك كله من أجل أن لا يعرف أنه ولى الله عارف به حتى لا يتعلق به ويتطلب صحبته بحجة أن نظام الوجود قد فسد - وما فسد وانما هم الذين فسدوا - وأن العوام لا يطلبون صحبة العالم العارف الا للحصول على الدنيا ؟؟

آه ثم آه لقد عجزت عن ادراك هذه التخبطات او المخططات ، وما يراى منها ، وانى لفى حيرة من معرفة السبب الحامل لرجال من أهل العلم ينصبون أنفسهم دعاة لهذا الظلام ليلقوا بالأبرياء المساكين من عامة هذه الأمة المسلمة فى مثل هذا الباطل وينشروا الفساد .

الأصل الثالث

العهد أو البيعة والمصافحة والتلقين

ان من اصول طرق المتصوفة على اختلافهم وتباين أوراذهم وأهدافهم : أن يعاهد المرید شيخ الطريقة أو خليفته فيها أو نائبه عنها ، يعاهده على الالتزام بالورد والطاعة والمحبة ، وملازمة الطريقة وعدم استبدال طريقة أخرى بها حتى الموت ، وذلك بأن يضع يده في يد الشيخ ، ويشبك أصابعه في أصابع الشيخ ويغمض عينيه ويقول له الشيخ : عاهدني على التزام الورد بشروطه ويلقنه الورد ، ومن هذه العملية التقليدية وضعوا كلمات العهد والبيعة والتشبيك والتلقين .

ويستدلون على هذه العملية المصطنعة بما يتناقلونه حكاية عن علي رضي الله عنه اذ قالوا : ان عليا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على أقرب الطرق الى الله تعالى وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا علي عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوات ، فقال علي رضي الله عنه : أهكذا فضيلة الذكر وكل الناس يذكرون ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ، الله ، فقال علي : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك ، واسمع مني ثلاث مرات ثم قل انت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته ، وعلى يسمعه ، ثم قال علي رضي الله عنه : لا اله الا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع .

ذكر هذه الحكاية وهي لاشك كذب بحث على رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعلى بن أبي طالب رضى الله عنه وعلى سائر المؤمنين .
 ذكرها صاحب الرماح بلفظ : روى الشيخ يوسف الكوراني المشهور
 بالعجمي في رسالة أن عليا رضى الله عنه الخ .
 وعلى أساس هذه الفرية وضع القوم هذا الأصل من أصول الطريقة وهو
 العهد أو البيعة ، والمصافحة والتشبيك والتلقين .

فانظر أخى القارئ وقانى الله وإياك شر الكذب والابتداع كيف وضع
 الطريقون أصولا بنوا عليها طرائقهم وهى أوهى من بيت العنكبوت ، إذ
 مثل هذه الحكاية السخيفة ينزه العاقل لسانه عن ذكرها فضلا عن نسبتها
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى على بن أبي طالب رضى الله
 عنه ، لكن القوم لا يتورعون عن ذكر أفظع الكذب وأفحشه .

وقد يستدلون على أصل البيعة وأخذ العهد ببيعة الرسول صلى الله عليه
 وسلم لأصحابه وأخذ العهد على بعضهم فى الجهاد والنصح لكل مسلم ،
 ولكن شتان ما بين ذا وذاك .

والسلفيون لا ينكرون أن يطلب المربى من يريه أن يعاهده على فعل
 الطاعات وترك المنكرات والالتزام بأداب الطلب والطالب ، رجاء أن
 يواصل الطالب العمل بطاعة الله ورسوله فعلا وتركاً حتى يكمل ويسعد ،
 ولكن ننكر أن يكون العهد أصلاً وطريقة متبعة فى دين الله تعالى .

أذ بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بيعة المسلمين لمن يلون أمرهم
 من الخلفاء والأمراء والأئمة المسلمين ، هذه هى البيعة الشرعية لا المبايعه
 والمعاهده على طاعة الله ورسوله ، أن هذه فى عنق كل مسلم يشهد أن لا
 إله الا الله وأن محمد رسول الله فبمجرد أن يشهد العبد لله بالوحدانية
 وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة فقد بايع والتزام .

غير أن للمتصوفة الطريقين غرضاً هاماً فى وضع هذا الأصل من أصول
 الطريقة هو الاستيلاء على أرواح المؤمنين والتأثير على نفوسهم ليقبوا سخرة

لهم يتحكمون فيهم كما شاءوا ولا حول لهم ولا قوة معهم ، بل لا ارادة ولا اختيار ، فقد رأيت من يخرج من نصف ماله لشيخ الطريقة ، ورأيت من يحلف بالله كاذبا ولا يحلف بالشيخ صادقا ، ورأيت من يخاف الشيخ ويرهبه أكثر مما يخاف الله تعالى ويرهبه . وانا لله وانا اليه راجعون .

وخلاصة القول أن أخذ العهد وإن كان له أصل في الشرع وهو بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبيعة المسلمين للإمام فإنه بدعة محدثة وأحدثت لاستغلال العوام والبسطاء من المسلمين للتأثير على نفوسهم بقصد تسخيرهم والتحكم فيهم لصالح شيخ الطريقة وأتباعه المقربين منه .

هذه حقيقة البيعة عند الطريقين والمتصوفة .

أما التلقين وتغميض العين والتشبيك فهي بدعة أيضا ، الغرض منها إيجاد ناموس وطقوس خاصة يتم بها التأثير على نفسية العوام ، لايقاعهم في شبكة الصيد وهي الطريقة لتسخيرهم والتسلط عليهم باسم الشيخ والعهد والطريقة كما أن الورد الذي اشترطت له هذه الشروط من الشيخ المأذون له العارف بالله والعهد والتلقين وتغميض العين والتشبيك ماهو الا بدعة في شكله لم يرد عن الشارع أكثر أوراد المتصوفة ، وما ورد لم يشترط له أى شرط ، وانما يأتي به المؤمن عملا بهدى الرسول صلى الله عليه وسلم اتباعا له في أى وقت أمكنه ذلك .

ومما يدل على أن الأوراد ماهى الا حباثل صيد صيد بها العوام نسبة الورد الى الشيخ فيقال ورد فلان وورد فلان فنسب الأوراد الى المشايخ بقصد الحصول على الرئاسة والرفعة على العوام وبينهم اذ لو أرادوا وجه الله تعالى لعلموا المسلمين الأذكار والأدعية الزائدة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذوا عليهم عهدا فيها ولا ميثاقا ، اذ هى من نوافل العبادات فلا يصح أن ترفع الى مستوى الفرائض والواجبات ، وباليات القوم اكتفوا

بتلقين وتعليم ما ورد عن الشارع ، بل انهم يحدثون أورادا من الأذكار والأدعية لا تخلو من ألفاظ الشرك ومقاصده .

وحسبك بورد (الياقوتة) عند الطائفة التجانية ، اذ هذا الورد عندهم من أفضل الأوراد وأقدسها حتى انهم يمنعون قراءته على غير المتطهر ، ويشترطون أن تكون الطهارة مائة بمعنى يكون التالى للورد متوضئا لا متيما . فانظر كيف أجاز الشارع قراءة كتاب الله بغير وضوء وهم لا يميزون قراءة ورد الياقوتة بدون وضوء ؟ أليس هذا تفضيلا لكلام المخلوق على كلام الخالق ؟ ألم يكن تفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفرا ؟ بلى انه لكفر لو كانوا يعقلون .

وكورد الياقوتة ورد الجزولى وهو ما يعرف بدلائل الخيرات فهذا الورد قدم له بأحاديث موضوعة ترغيبا للعامة فى قراءته ، حتى أصبح يناهض القرآن الكريم فتدخل المسجد فى بعض البلاد فتجد قراء دلائل الخيرات أكثر من قراء القرآن الكريم .

وما أكثر الأوراد البدعية والشركية عند القوم اذ هى بضاعتهم وسلم وصولهم الى أغراضهم المادية . . . وسنعرض لها ببعض البيان فى الأصل الرابع الآتى بعد .

الأصل الرابع

الأوراد الصوفية وما فيها من حق وباطل

الأوراد : جمع ورد وهو فى اللغة : مكان الورد أو زمانه ، أو الماء المورود نفسه .

وفى عرف الشرع : ما يأتىه المسلم من نوافل العبادات ، ويتعاهده طوال حياته .

وفى اصطلاح الصوفية وأصحاب الطرق هو أحد أصول الطريقة المهمة ذات الخطر والشأن فى حياة المريد ، وهى عبارة عن أذكار وأدعية يعطيها الشيخ العارف المأذون له ، أو نائبه عند تعذر لقياه والاتصال به لموته أو بعد داره ، يعطيها للمريد ليصفو عليها باطنه ويصل بها الى مقام المكاشفة والمشاهدة والفناء فى ذات الله تعالى ، حتى لا يبقى واصل ولا موصول كما قال قائلهم :

فلم يبق الا الله فلا شىء غيره فما ثم موصول ولا ثم واصل
أما الادعية : فأكثرها ينظمونها فى شكل أحزاب فيقال حزب الشاذلى ، وحزب الحداد ، وحزب كذا وكذا .

ولا تخلو بحال من كلمات الشرك والكفر والابتداع كالتوسل بالأموات والاستغاثة بهم ودعاء غير الله تعالى .

وأما الأذكار : فمنها ما هو حق مشروع كالهيلة أى لا اله الا الله ويسمونه ذكر العامة ، ومنها ما هو غير مشروع كالذكر باللفظ المفرد نحو : الله ، الله أو حى ، حى ، يسمونه بذكر الخاصة ، ومنها ما هو باطل وضلال كالذكر بلفظ ضمير الغيبة نحو : هو ، هو ، هو ويسمونه بذكر خاصة الخاصة .

فانظر كيف يصنفون الذاكرين ثلاثة أصناف ، خيرهم يسمونهم العامة وشرهم يسمونهم خاصة الخاصة . نعوذ بالله من هذا الضلال المين ، ونبرأ الى الله تعالى من هذا الكذب المشين .

هذا ويأتى الخطأ فى الأذكار الصوفية فى صور هذه منها :

١ - تحديد الأوراد فى كمياتها وكيفياتها وأوقاتها ، وأعنى بكمياتها أعدادها ، فان كان الشارع قد أطلق لفظ الذكر ولم يحدده بكمية وعدد معين فلا يصح تحديده ولا تعيينه ، ومن حدد أو عين فقد ابتدع . والبدعة ضلالة ، وأعنى بالكيفية أن يؤتى بالذكر فى جماعة وبصوت واحد ، وهى كيفية مخالفة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حال الذكر ، كما أعنى بالأوقات تعيين وقت معين لا يؤتى به الا فيه .

٢ - وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم فى الشريعة بالضرورة أن أى ذكر لم يرد عن الشارع فهو باطل ، لأنه تشريع زائد .

٣ - الاجتماع عليه ورفع الأصوات به ، واحداث حركات منكرة كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق .

٤ - مصاحبة الذكر بالعزف والتصفيق ، وهو ما يسمى بالمدائح والقصائد فهذه لا تعذب لهم ولا تطيب الا على أنغام المرد ، وأصوات المعازف ، والدفوف .

٥ - وضع أجور معينة ومحددة على كل نوع من الذكر بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا ، من غير أن يرد عن الشارع ، وعلى سبيل المثال قول الشيخ التجانى فى صلاة الفاتح ، وأنها تعدل كذا ، ولقائلها من الأجر كذا

ولنستمع اليه فى كتاب الرماح ص ٦٩ من ج ٢ وهو يقول : وأما صلاة الفاتح لما أغلق فأنى سألته ^(١) صلى الله عليه وسلم عنها ، فأخبرنى أولاً أنها بستمائة ألف صلاة ، فقلت له : هل فى جميع تلك الصلوات أجر

(١) سؤاله الرسول صلى الله عليه وسلم : يدعى التجانى أنه سأله بقطعة لا نناما . وهو كذب محض .

من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم يحصل في كل منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة .

وسأله صلى الله عليه وسلم هل : يقوم منها طائر واحد الحد المذكور في الحديث لكل صلاة ؟ وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح الى آخر الحديث ، أم يقوم منها في كل صلاة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة ، وعدد السنة طائر واحد ، كما قال الشيخ رضى الله عنه ألف ألف ، ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد ثمانية مراتب . وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد سبع مراتب ، وسبعمائة ألف ألف ألف ألف لسان الى أن تعد خمس مراتب فهذا مجموع عدد الألسنة ، وكل لسان يسبح الله تعالى بسبعين لغة في كل لحظة ، وثوابها للمصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة .

هذا في غير الياقوتة الفريدة ، أما فيها فانه يخلق في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة ، ثم قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به ، فسأله صلى الله عليه وسلم عن حديث : ان الصلاة عليه تعدل ثواب أربعمائة غزوة ، وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة هل صحيح أم لا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : صحيح ، فسأله صلى الله عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات ، هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق مرة أربعمائة غزوة ، أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة ، وكل صلاة على انفرادها أربعمائة غزوة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : ان من صلى بها أى بالفاتح لما أغلق . . . الخ مرة واحدة حصل له ثواب ما اذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وانس وملك ستمائة ألف صلاة من أول الدهر الى وقت تلفظ المصلى بها .

والآن أخى القارئ المسلم البصير هل يسرك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل الذى يفترى الكذب على الله وعلى رسوله

والمؤمنين يعد من المؤمنين ؟

هل حقا أن الشيخ أحمد التجاني يخرج له الرسول صلى الله عليه وسلم
يقظة ويشافهه ويسأله كما سبق أن قرأت في هذا الفصل ؟
ان الله تعالى يقول : « انها يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ،
وأولئك هم الكاذبون » (١) .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ
مقعده من النار » (٢)

أرأيت أخى المسلم كيف يبنى الطرقيون طرقهم على الكذب تغريرا
بالمسلمين وتضليلا لهم ، ان الطريقة التجانية تعتبر من أكبر الطرق
الصوفية وأوسعها انتشارا ، فان أتباعها يوجدون من نيجيريا غربا الى تركيا
شرقا ، ومع هذا فقد رأيت كيف قامت هذه الطريقة على الكذب الذى
لا يصدق ؟ والباطل الذى لا يصح ولا يقبل ، وعلى مثلها فقس سائر
الطرق الصوفية ، ومشائخ التصوف ، وابرأ الى الله تعالى منهم وأسأله أن
يقيقك والمسلمين شرقتهم .

وخلاصة القول في هذا الأصل أن أوراد الصوفية من أذكار وصلوات
وأدعية ومدايح وقصائد شعرية لا تخلو أبدا من الكذب وألفاظ الشرك
ومعتقداته ، ولا يفارقها الابتداع في ألفاظها وأعدادها ، وأوقاتها ، وأكثرها
ما وضع الا لضرب أمة الاسلام بتمزيق شملها ، وتفتيت قوتها ، وادخال
الزيغ والضلال في معتقداتها والبدع في عباراتها ، حتى لا تقوم لها قائمة
ولا تزكولها نفس ولا يستجاب لها دعوة - والعياذ بالله تعالى .

(١) سورة النحل .

(٢) رواه الشيخان وغيرهما .

الأصل الخامس

الخلوة

من أصول طرق الصوفية « الخلوة » وهي لغة مصدر خلا يخلو خلاء وخلوة إذا انفرد بنفسه عن غيره من سائر الناس - وفي اصطلاح الصوفية : انفراد المريد باذن الشيخ وتحت رقابته ورعايته في سرداب أو دهليز من الأرض مدة لاتزيد على الأربعين ليلة ، ولا تقل على عشر ليال ، مستدلين على مشروعيتها بتحث النبي صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة بغار حراء ، حيث كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء الليالى ذوات العدد كما جاء ذلك فى الصحيح .

وعلى مدتها بمواعدة الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أربعين ليلة اذ قال تعالى : « واذا واعدنا موسى أربعين ليلة » (١) .
وبحديث « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى فى صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » (٢) .
وباعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم عشر ليال فى رمضان التماسا لليلة القدر .

ولللخلوة عندهم شروط بلغوا بها ستة وعشرين شرطا ذكرها صاحب الرماح (٣) التجانى نقلا عن الوصايا القدسية (٤) والخلاصة المرضية .

والمقصود من وراء تلك الشروط أنه اذا لم يف المريد بها أو لم يات بها

(١) سورة البقرة .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى بلفظ آخر .

(٣) ج ٢ ص ١٧٧ .

(٤) لعلها للسهروردى .

على الوجه الأكمل لا يتم له مراده من الوصول الى الله تعالى حتى يصبح من أهل الكشف والمعرفة اللدنية .

والشروط المذكورة أكثرها صالح معقول ، وذلك كأن يقوى المريد نفسه على السهر ، والذكر ، وقلة الأكل والشرب ، والعزلة ، وكملزمة الطهارة والصلاة والصيام .

ولكن هناك شروط فاسدة وباطلة وهي المقصودة بالذات من الخلوة عند واضعى هذا الأصل المحدث للاضلال والتغريب والتضليل ، ومن تلك الشروط الباطلة الفاسدة ما يلى :

١ - قولهم فى الشرط الرابع : أن يدخلها (الخلوة) كما يدخل المسجد مستعينا مستمدا من أرواح مشائخه بواسطة شيخه .

ووجه الباطل فى هذا الشرط : أن الاستعداد وسواء كان بركة أو عوناً أو فتحا لا يكون الا الله تعالى الذى بيده كل شىء ، وقدير على كل شىء ، أما ارواح المشائخ أو روح شيخه فلا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً ، فكيف يطلب منها مددا ليس فى حوزتها ولا فى استطاعتها ، ومن هنا كان هذا الشرط باطلاً لأنه دعوة الى الشرك بالله وتقرير له بأسلوب المكر والخداع .

٢ - قولهم فى الشرط السادس : وليشتغل بالذكر حتى يتجلى له مذكوره وهو الله تعالى فى زعمهم قطعاً ، فاذا أفناه عن الذكر به فتلك المشاهدة .

والضلال فى هذا الشرط الفاسد هو اعتقادهم أن الله تبارك وتعالى يتجلى بالذكر حتى يفنيه فيه ، وبذلك تحصل له المشاهدة لذات الرب أو أنواره جل وعلا ، وهذا كذب وباطل اذ الرب تعالى لم يتجل لأحد من خلقه فى الأرض . وقد تجلى تعالى للجبل فجعله دكا ، وخر موسى طالب الرؤية مغشياً عليه « فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين » فانظر الى الدجل والكذب الصوفى فى هذه وفى غيرها ، وما قام طريق القوم الا

على مثل هذا الكذب والافتراء على الله وعلى عباده ، والعياذ بالله تعالى .

٣ - قولهم في الشرط الثامن : « ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه فانه رفيقه في طريقه وهو معه بمعناه وبروحانيته ، فان من هو شيخ حقيقة تكون روحانيته رفيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه وان كانوا ألفا » .

فتأمل ايها القارئ البصير كيف يتلطف واضع هذا الضلال في التدرج بالعبء الى ساحة الكفر حيث يجعل من الشيخ الها روحه المعبر عنها بالروحانية مع كل روح من أرواح مريديه حتى لو كانوا ألفا ، أليس هذا معنى قوله تعالى في علمه واحاطته وقدرته : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا » الآية من سورة المجادلة .

هذا وان كانت الخلوة تحمل في بعض شروطها الكفر والضلال ، فان البعض الاخر يحمل البدع والإحداث الحرام وهذا بيان ذلك :

١ - أن تكون الخلوة مظلمة ، وهو شرط ما أنزل الله به من سلطان وكثيرا ما يتسبب ظلام الخلوة في اختلاط المرید فيخرج منها كالمجنون في نطقه وتفكيره وسائر عمله .

٢ - دوام السكوت طيلة ما هو في الخلوة ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في حديث أبي إسرائيل .

٣ - أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الناس وأصواتهم مما أدى بهم الى جعلها تحت الأرض كالدھاليز المظلمة وهذه الوضعيه بدعة منكرة .

٤ - أن لا يتفكر المرید أثناء خلوته في معنى آية قرآنية أو حديث نبوى بدعوى أن ذلك يشغله عن الواردات الحقيقية التي يطلبها بالذكر والخلوة ، وهذا الشرط فاسد وباطل لا يقر عليه الشرع أبدا لما فيه من النهى عن طلب العلم والمعرفة من الكتاب والسنة .

٥ - أن لا يدخل المريد الخلوة ولا يخرج منها الا بادن الشيخ المربي ، وأن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي غاسله لا يقترح ولا يعترض أبدا ، وفي هذا قتل لشخصية المسلم وهدر لكرامته وسلب لارادته ، وهذا لا يحل فعله بالمسلم أبدا .

٦ - دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستعداد ، اذ هو الذي عينه الحق سبحانه وتعالى للافاضة على المريد ، ولا يحصل له الفيض الا بواسطته دون غيره ، ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشايخ ، اذ متى يكون في باطن المريد تطلع الى غير شيخه لم يفتح باطنه الى الحضرة الوحدا نية .

فانظر أخى المسلم البصير كيف جعل الشيخ الها ثانيا حيث أمره أن يعلق قلبه دائما به بالاعتقاد والاستعداد ، وانظر كيف حجروا على المسلم أن يطلب العلم من غير شيخ الطريقة ولو كانت الدنيا كلها مشايخ .

وانظر كيف كذبوا على الله تعالى بقولهم : أن الشيخ عينه الحق سبحانه وتعالى للافاضة على المريد ، من أعلمهم أن الشيخ عينه الله للافاضة ، وبماذا يفيض الشيخ على المريد ؟
سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم .

هذه هي الخلوة التي لم تعد أن كانت شبكة لصيد الرجال لاستعبادهم واستغلالهم بقتل شخصيتهم وافساد عقولهم وقلوبهم والهبوط بهم الى مستوى الدراويش .

والسؤال الآن : هل الاسلام وهو دين التربية الكاملة للعقول والأرواح والأخلاق جاء بالخلوة ، وربى بها ، من يثبت ذلك بسند صحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى أحد أصحابه أو التابعين لهم باحسان .

ان الاسلام برىء من هذه الخزعبلات والترهات والأباطيل لأنه دين

حياة وسعادة وكمال .

نعم في الاسلام سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان طلبا لليلة القدر ، وفي الاسلام الاعتزال اذا ساءت أحوال الناس وخاف المسلم الفتنة في دينه ، أبيح له أن يعتزل الناس فيبقى في منزله أو مزرعته أو في باديته يرعى غنمه كما جاء ذلك في حديث البخاري « سيكون في آخر الزمان خير مال الرجل المسلم شويها يتبع بهن شعاف الجبال ومواقع القطر فرارا بدينه » .

أما السرايب المظلمة والدهاليز الموحشة فانها لقتل الأرواح وافساد العقول والقلوب وهذا من كيد أعداء الاسلام لأهل الاسلام ، والعياذ بالله تعالى .



الأصل السادس

الكشف

ان الكشف وان كان أحد أصول الطرق الصوفية فهو في الواقع غاية لما يصبو اليه المريد من أجله قبل الخلوة وحشر نفسه فيها ، واطرح بين يدي الشيخ متخليا عن كل شيء حتى عن ارادته وعقله في سبيل الحصول على أن يصبح من أهل الكشف .

وحقيقة الكشف عند المتصوفة : هي أن ينكشف للقلب من أنوار الغيوب ما ينال به الصوفي من المعارف مالا يناله العقل منها ، ووراء مرتبة الكشف مرتبة أخرى أسمى هي مرتبة التجلي ، وهي أن تظهر الذات الالهية في عين المظاهر الوجودية .

ومن عجيب المغالطات الصوفية أن يقول الشيخ للمريد اذا أدخله الخلوة لا يكن همك الكشف والتجليات ، اصرف قلبك عن ذلك بالمره ، ان القصد هو صفاء روحك فقط ، وان انكشف لك شيء فلا تكتمه عن الشيخ فتكون قد خنته وهو مريبك .

ولنتساءل هنا : ما الذي ينكشف لصاحب الخلوة ؟ اللهم لا شيء البتة ولم اذا هذه الطقوس والأوضاع والتراتب الخلوية المبتدعة ؟ والملاحظ هنا في تعريف القوم للكشف والتجلي أمران :

الأول : أن ادراك ما وراء العقل بواسطة الكشف محال وهم يرونه من باب الجائز الممكن وهي مكابرة خادعة ، اذ كل ماكان من وراء العقل ادراكه محال ، اذ المدركات من سائر الكائنات لا يتم ادراكها فتصورها الا بالعقل ، واذا فقد الانسان العقل انعدم ادراكه لأي شيء على حقيقته ، وصار يهذى في كلامه ويقول مالا يعقل .

والثاني : أن ظهور الذات الالهية (١) في عين المظاهر الوجودية عندما يتم للمريد التجلي كما يزعمون كذبا وباطلا ، هو ما يعرف عند أهل العلم بوحدة الوجود ، وهو من أكفر الكفر وأبطل الباطل وأحمل المحال عند علماء الاسلام .

اذ وحدة الوجود منشؤها التخييلات الباطلة والتصورات الكاذبة التي يلقيها الشيطان في قلوب طالبي الأسرار وكشف الحجب عن القلوب والنفوس لأجل رؤية الحق تبارك وتعالى والتلقى عنه بدون واسطة ، كما يشير الى ذلك قول رابعة العدوية فتأمله :

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فتشغلي بذاتك عما سواكا
وأما الذي أنت أهله فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فقوها : فكشفك لي الحجب حتى أراك صريح في طلب القوم لرؤية
الرب تبارك وتعالى ، وهو من طلب الممنوع قضاء وقدرًا وشرعًا ، فلما عنى
القوم بذلك وطلبوه بالخلوات والأذكار ، أتاهم الشيطان بتخييلات
وتصورات فبدت لهم الكائنات ، وأن الله تعالى قد ظهر فيها فلا يرون الا
الله تعالى في زعمهم حتى قال أحد أئمتهم من غلاة التصوف وهو الخلاج
الذي اذا ذكره ترضوا عنه وترحموا عليه قال (٢) :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فنحن روحان حلتنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا

هذا وان القوم لم يقفوا عند الحلول والاحاد ، فان بعضهم قد بلغ بهم الضلال حتى ادعى من ادعى منهم أنه هو الله الرب تعالى ، وأنه يقول
للشيء كن فيكون ولنسمع الى ما ذكر صاحب جواهر المعاني للتجاني عن
الشيخ عبد القادر الجيلاني اذ قال : وأمر لي بأمر الله أن قلت كن
فيكون .

(١) طالع الرماح ج ١ ص ١٥١ .

(٢) الخلاج هو أبو الحسن بن منصور ولد عام ٢٢٤ هـ مات مصلوباً عام ٣٠٩ هـ على أيدي أحد الحكام المسلمين ، وفي أيامه انتقل التصوف من جانب العمل إلى جانبه النظري . كذا قيل .

وهذا الجليل وهو من كبار الصوفية يقول :
لى الملك فى الدارين لم أر فىهما

سواى فارجو فضله أو فأخشاه

وقد حزت أنواع الكمال واننى

جمال جلال الكل ما أنا الا هو

وانى رب للأنام وسيد

جميع الورى اسم وذاتى مسماه
قوله أقمأه الله - انى رب للأنام وسيد جميع الورى ادعاء للربوبية
صريح يكفر صاحبه ولا يصح تأويله بغير الكفر أبدا .
كما أن قوله : لى الملك فى الدارين ظاهر بل هو نص صريح فى ادعاء
الربوبية أيضا . والعجيب ممن يدعون التصوف اليوم أنهم اذا ذكروا هؤلاء
الزنادقة الحلوليين يترضون عنهم ويترحمون عليهم ، كأنهم لم يعلموا أن
الرضا بالكفر كفر ، وأن من يترحم على كافر فضلا عن أن يترضى عنه فقد
ارتكب الجرائم ، وجنى على نفسه أعظم جناية .
والمقصود - أخى المسلم - مما ذكرنا أن دعوى الكشف والتجلى هى
التي جرت القوم الى القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، ثم الى ادعاء
الربوبية المطلقة والعياذ بالله تعالى من الحور بعد الكور ، ومن الغواية بعد
الهداية .

الأصل السابع

الفناء

من أصول المتصوفة الفناء . وحقيقته : أن المريد اذا داوم على الاكثار من الذكر تحصل له بذلك طمأنينة القلب (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ثم يعتريه الذهول ثم السكر بحب المذكور ، ثم الفناء عن الأكوان بمعنى أنه لا يصبح يرى شيئاً ثم يفنى عن الفناء حتى اذا وصل الى هذا الحد انمحق الغير والغيرية بهدم جميع الرسوم والأطلال ، وانمحاق جميع الآثار . فلم يبق الا معانية الحق في الحق للحق وبالحق ، ويعرفون الفناء بأنه عبارة عن اضمحلال الكائنات - في نظرهم - مع وجودها ، وأنه الغيبة عن نسبة أفعالهم اليهم أو هو بأن يكون الولي بحال لا يشاهد فيها شيئاً غير الله تعالى ، كما لا يشاهد في النهار الكوكب اذا طلعت الشمس .

هذا وعند ما توزن أقوالهم هذه في الفناء في ميزان الشرع وينظر اليها بمنظار الوحي : الكتاب والسنة لم يبق منها الا ما يحصل للقلب المؤمن من الطمأنينة والهداية بذكر الله تعالى - وعلى شرط أن يكون الذكر بالمشروع من الأذكار وعلى النحو الذي جاء الشارع به وبينه من الكمية والكيفية وذلك لقول الله تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

أما تلك الشطحات والترهات من السكر والذهول والفناء وفناء الفناء والانمحاق ، فانها لا تعدو كونها مقدمات كاذبة باطلة فاسدة وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها وهي الحلول والاتحاد ووحدانية الوجود . على هذا قولهم اذا وصل المريد هذا الحد انمحق الغير والغيرية ، ولم يبق يشاهد الا الله تعالى ، فتصبح الكائنات كلها الله في زعمهم أقماهم الله ولعنهم ، فما لهم عموا عن قول الله تعالى :

« ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

وقوله « قل هو الله أحد » .

وقوله « ولم يكن له كفوا أحد » .

كما عموا عن قول الله تعالى : « قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

هذا وكى تعلم أيها المسلم انا لا نكذب على القوم ولا نشنع عليهم بغير باطلهم ، وما هم عليه من الكفر والزيغ والاحاد فلنسمع الى امامهم محي الدين بن عربي وهو يقول : سبحان من خلق الأشياء وهو

عينها .

أليس قوله هذا هو عين وحدة الوجود ؟

ولنسمع الى قول آخر أو لآخوانه من أئمة الصوفية :

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

ان معنى هذا القول في هذا البيت من الناظم الفاجر ، أن الرب تعالى قد حل في الشيخ فأصبحا واحدا يحمد بعضهما بعضا ، ويعبد بعضهما بعضا أى كفر أعظم من هذا وأى افتراء ودجل أقبح من هذا .

ولنسمع الى الجليلي أحد أئمة المتصوفة يقول مقررا للحلول والاتحاد .

وانى رب للأنام وسيد جميع الورى اسم وذاتى مسماه

فقد بالغ الشيخ في ضلاله حتى أصبح يخبر بأنه هو الله لا غيره . كل هذا ناتج عن سكرة الحب الكاذب ، وضلال الفناء ، وباطل الانمحاق وانهدام الغيرية كما يزعمون ويفترون .

وبالجملة ان الفناء لم يرد به كتاب ولا سنة ولا عرفه سلف هذه الأمة ، وانما هو خدعة صوفية وخلصة شيطانية من وضع اليهودية العالمية والمجوسية الفارسية توصل بها الى تكفير الكثير من المسلمين بادخال عقائد المجوس والنصارى فى عقائدهم الاسلاميية .

وهكذا يفعل الأعداء ، والويل لمن لم يعرف عدوه .

الأصل الثامن

الظاهر والباطن ، والشرعة والحقيقة

ان من أصول المتصوفة ، وقواعد طرقهم البدعية تقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى الى شريعة وحقيقة ، وأضافوا الى الدين الاسلامى (الطريقة) ، وقالوا : الطريقة هى الوسيلة ، والثمره هى الحقيقة ، وهذا التقسيم للعلم والشرعة ، وتلك الاضافة للدين لاشك أنه من أكبر الاحداث فى دين الله تعالى ، وسبحان الله كيف يتصرفون فى دين الله وكأنهم مأذون لهم بالزيادة والنقصان ؟ وكأنهم عموا عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » .

وسبحان الله كيف لا يتورعون عن الكذب على أئمة الاسلام فينسبون اليهم شر البدع وأسوأها ، ولنسمع ما يقولون عن مالك امام دار الهجرة رحمه الله تعالى القائل من ابتدع فى الاسلام بدعة فآها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة وذلك لأن الله تعالى يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

انهم قالوا ان مالكا رحمه الله تعالى قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، فانظر كيف يفترون على مالك الكذب وهو السيف المصلت على رؤوس المبتدعة وهم يعلمون ليبرروا بكذبهم ما وضعوا من أصول وقواعد لم ينزل الله بها من سلطان وكأنهم على وفاق مع واضعى قاعدة : (الغاية تبرر الوسطة) وهم اليهود ، والا فقل لى بربك كيف يكذبون على امام جليل من أئمة الاسلام مثل هذا الكذب الفاضح الممقوت .

فهل من المعقول أن يقول عالم بشريعة الله قائم بنشرها وتعليمها والذب عنها كمالك رحمه الله تعالى : ان من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق أى صار طالبا للفسق قائما به والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (١).

وهل التصوف عرف على عهد مالك ، وأصبح ذا شأن حتى يقول مالك ما قالوا من الكذب والباطل ؟ اللهم لا ، لا ، إن التصوف لم يظهر ولم يعرف بين المسلمين الا بعد انقراض أهل القرون المفضلة ، وأخذ الشر والفساد ينتشران في بلاد المسلمين .

والذى لا يشك فيه أن للقوم من وراء هذا الأصل أهدافا يهدفون اليها ويريدون تحقيقها والوصول اليها وهى تتلخص في النقاط التالية :

* تحويل أمة الاسلام الى أمة سلبية ، لا تبدى ولا تعيد ، تعيش على الفقر والتزهد والاتكال حتى تبيد وتفنى ، وهذا هو الهدف الرئيسى الذى من أجله وضع التصوف ، وشارك فى وضعه ونشره والدعوة اليه أكبر خصوم الاسلام وأعدائه من زنادقة اليهود والنصارى والمجوس ، وساعدهم على ذلك أغرار المسلمين وجهالهم مع شديد الأسف .

استباحة المحرمات وغشيان كبائر الاثم والفواحش وبخاصة المشائخ المربين من رؤساء الطرق تسترا تحت شعار قولهم : الحقيقة غير الشريعة ، فكم ارتكبت من فواحش ، واستبيحت من حرمان بدعوى أن الحقيقة غير الشريعة ، اذ يجوز لصاحب الحقيقة مالا يجوز لصاحب الشريعة فى حكمهم وما تقتضيه أصولهم .

ومحتجون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله للغلام الزكى ، وإقامته لجدار اليتيمين ، وانكار موسى عليه ذلك بدعوى أن موسى كان من أهل الظاهر فأنكر ، والخضر من أهل الباطن فأقر ، وما دروا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحى اليه حسب شريعته التى تعبد به

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم .

الله تعالى بها ، ولهذا لما قال له الخضر : انى على علم مما علمنى الله ، وأنت على علم مما علمك الله ، سكنت نفس موسى واطمأن ، اذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل ، ولم تجتمع الشرائع الا فى شريعة الاسلام حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع التى جاءت بها الرسل قبل النبى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك بطل العمل بغير شريعة الاسلام التى ظاهرها هو باطنها ، وباطنها هو ظاهرها شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة .

ويناء على هذافانه لا حجة لهم على تقسيم العلم الى ظاهر وباطن ، والدين الاسلامى الى شريعة وحقيقة .

* صرف المسلمين عن العلوم الشرعية ، وتزهيدهم فيها ، وشغلهم بما يسمونه بالعلوم الباطنية الخيالية ، ويدل على صحة هذا قول الجنيد - وهو امام المتصوفة فى زمانه : أحب للمبتدى - المريد - أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : الكسب ، وطلب الحديث ، وأحب ان لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه ، فمعنى لا يقرأ ولا يكتب ؟ انه لا يتعلم ، واذا لم يتعلم فكيف يعبد الله تعالى عبادة تزكى نفسه وتؤهله لولاية الله تعالى ، كأنهم يقولون : ان المريد ليس فى حاجة الى العلم ولا الى العبادة اذ يكفيه الذكر والأوراد . يلزمها حتى يصبح من أهل الكشف والعلم اللدنى ، وبذلك يستغنى بعلم الباطن عن العلم الظاهر ويعلم الحقيقة عن الشريعة .

هذا هو النهاية التى وضعوا لها هذا الأصل وهو تقسيم العلم الى باطن وظاهر ، والدين الى شريعة وحقيقة ، وهو نهاية ينسلخ فيها العبد من المعرفة والايمان والتقوى ، ويعيش على الجهل والاحاد والفجور ، والعباد بالله تعالى .

أقطاب الصوفية وأولياؤهم

الأقطاب :

الأقطاب : جمع قطب ، والقطب لغة : ما عليه مدار الشئ ومنه قطب الرحى ، وفي اصطلاح المتصوفة : القطب هو سيد الوجود في كل عصر (١).

وهو للوجود بمنزلة الروح للجسد فكما أن الجسد لا قيام له الا بالروح فكذلك الوجود كله قائم بالقطب ، فاذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدم الوجود كله ، وهذه القوة للقطب يقولون انها من تحمله لسر الاسم الأعظم .

ويقولون في كيفية وصول القطب الى مرتبته القطبانية أن القطب يترقى في مراتب كمال المعرفة والمشاهدة والمراقبة حتى يصل له التحقق بالله في كل مرتبة وبذلك يكون سيدا للوجود .

هذا وما نقرره هنا أمور منها :

١ - أن القوم يكذبون وأمرهم مبنى على الكذب ، ثم هم في نفس الوقت يدعون أنهم لا يمجيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة ، ويتبجحون بذلك بلا حياء ولا خجل . أرايت لو قيل لهم : في أى آية أو في أى سنة جاء ذكر القطب وصفاته وخصائصه ، ومراتب ترقياته ، حتى وصل الى مرتبة القطبانية فأصبحت له السيادة على الوجود كله ؟

قطعاً انهم لا ينطقون ونحن نقول : اللهم انه لا يوجد للقطب ذكر في كتاب ولا سنة ، وانما يوجد ذكره وصفاته ومراتب ترقياته في كتب الزنادقة من غلاة الباطنية الناقمين على الاسلام والمسلمين .

٢ - اذا كان الكون والوجود كله قائماً بروحانية القطب فماذا بقى لله تعالى ؟ وما معنى قول الله تعالى : « الله لا اله الا هو الحى القيوم » ، اذا

(١) طالع في هذا المعنى كتابه : الجواهر / الرماح للتجانية .

كانت القيومية للأقطاب في كل شيء وعلى كل شيء؟؟
 ٣ - لو سألناهم عن كيفية تحمل القطب لسر الاسم الأعظم فهل
 يقدرّون على الاجابة اللهم لا ، انهم يفترون الكذب ، والله لا يهدى القوم
 الكاذبين .

وسؤال آخر : كيف عرف أقطابهم بسر الاسم الأعظم دون سائر عباد
 الله ؟

ان الأحاديث النبوية الصحيحة تكاد تجمع على ان اسم الله الأعظم
 لا يخرج عن كونه الله أو الحى ، أو القيوم وأن ليست خاصيته في ادارة الملك
 والملكوت والتصرف في الكائنات ، وانما هي في أن العبد اذا سأل به ربه
 أعطاه من الممكنات ما كتبه له وقضى به له أزلا وقدره . وعلى شرط أن
 لا يتعدى في الدعاء فان الله تعالى حرم ذلك بقوله : « ادعوا ربكم
 تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين » ومن الاعتداء أن يسأل ما لم تجر به
 سنن الله تعالى بين الخلق في هذا الوجود . ومن ذلك أن يسأل الله أن يجعله
 متصرفا في الكون .

هذا ومن أغرب ما يسمع عن القطب والقطبية ادعاء الشيخ أحمد بن
 محمد التجانى (٢)

انه خاتم الاولياء والاقطاب فلا ولى بعده ولا قطب أبدا ، كما أن
 الرسول صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده ولا رسول أبدا .
 ما أبعد هذه المقارنة ، وما أغربها ؟ !!

الأولياء :

الأولياء جمع ولى وهو لغة من يتولى الأمر قياما به ، ومحافظة عليه ولذا
 يطلق على الحاكم ، والوصى ، والقريب . وفي عرف الشرع : الولى هو
 المؤمن التقى ، وذلك لقول الله تعالى : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم

(١) راجع الرماح والجواهر للتجانية .

ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم » (١) .

وظهور الكرامات على يديه ليست شرطا في اثبات الولاية ، وإن كانت من لوازم الولاية ، والاستقامة على الشرع قياما بالأمر ، واجتنابا للنهي من أظهر الكرامات وأجلها — .

وأما الولي عند المتصوفة ، فقد عرفه صاحب الطريقة التجانية بعد أن سئل عنه فقال : « الولي من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة الأفعال والصفات » !! وهو كما ترى تعريف غامض لا شرطه الخصوصية مع قيد المشاهدة ، مع العلم أن الله تعالى لا يتولى إلا المؤمن التقى ، ولا تتم التقوى إلا بالعلم وهو معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، ومعرفة محابه ومكارهه ليفعل المحاب ، ويتجنب المكاره .

والسر في غموض تعريف القوم للولي هو احتكارهم للفضائل كي لا تكون لغيرهم من سائر المؤمنين والمسلمين ، وبذلك تختص الولاية بمشائخ الطرق المأذون لهم في اعطاء الورد والتربية الخلوية ، ومن هنا كان الولي عند الصوفية لا يعرفه إلا الخواص ، أما عامة المسلمين فلا سبيل لهم إلى معرفة الولي ، يشهد لهذه الحقيقة ويقررها مايلي :

سئل الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التجاني عن الله تعالى وعن الولي أيها معرفته أصعب ؟ (٢) .

فقال : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى ، وعلل ذلك بقوله : تمييز صفات الله تعالى لمبايئتها لصفات الخلق ، أما الولي فإن صفاته كصفات سائر الناس من الأكل والشرب والنكاح . . . الخ .
فلذا هو لا يميز ولا يعرفه إلا الخواص . وأبعد المرسى وهو من أئمة

(١) سورة يونس .
(٢) طالع الرماح والجواهر .

الصوفية في تعريف الولى حتى قال : ان الولى لو كشف للناس لعبدوه لأن حقيقة الولى أنه يسلب من جميع البشرية ، ويتحلّى بالأخلاق الإلهية ظاهراً وباطناً ، ولذا لو كشف الولى للعبد لعبده .

وقالوا ان دائرة الولى أوسع من دائرة النبى . وهذا تفضيل منهم للولى على النبى بأسلوب خفى (١) . وعللوا ذلك بأن دعوة الأنبياء خاصة بأمتهم ، ودعوة الولى عامة ، فلذا هو أوسع دائرة ، ولازم هنا أن الولى أفضل من النبى ، وهو كما ترى ضلال مبين .

واشترطوا للولى الأوسع دائرة أن يكون مأذوناً له فى الدعوة بالأذن الخاص لا بالأذن العام ، الذى هو مثل قوله صلى الله عليه وسلم « بلغوا عنى ولو آية » (٢) .

والأذن الخاص يحصل عليه اما باذن الشيخ المأذون له ، واما بالكلام اللدنى الذى اقام جل أصحاب الطرق طرائقهم عليه ، وهو ضلال وكذب ، وكفر والعياذ بالله تعالى .

وقالوا : (٣) ان من نهض الى دعوة الخلق الى الله تعالى بالأذن العام وليس له شيء من الأذن الخاص لم يشفع بكلامه ، ولم يقع عليه اقبال ، فان لسان الحق يقول له بلسان الحال فى بساط الحقائق ، ما أمرناك بهذا ، ولا أنت له بأهل ، انما أنت فضولى .

ويعظمون من شأن الولاية حتى قالوا : من ادعى أنه ولى يموت كافراً والعياذ بالله ، والحكاية التالية تكشف لنا عن مدى بعد الولاية فى اعتقاد القوم واحتكارهم لمنصبها ومقامها .

ليبقى كل المؤمنين أعداء لله تعالى غير أولياء له الا ما كان من مشائخ

(١) يشهد لهذا قول بعضهم مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) الرماح والجواهر .

التصوف وأئمتهم فانهم الأولياء .

قال الشيخ أحمد التجاني في كتابه الجواهر في رجل لا يمشى الا ساترا وجهه قال : ولعله بلغ مرتبة الولاية ، فان من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقتها طرفة عين ، وان فارقه وانحجب عنه مات لحينه ، وحسبك أخى المسلم بهذا التعريف للولى من تعريف ، انه سخريه وهزه بعقول المؤمنين .

هذا والذي يستتج من صنع القوم في تعريف الولى ، انهم يحتكرون هذه الألقاب لاستغلال العامة بها ، والتحكم فيهم بواسطتها .

فدل هذا على أن التصوف قد استغل استغلالا فاحشا في ضرب أمة الاسلام وتحطيمها والقضاء عليها ، فكم عانت أمة الاسلام من اتعاب ، وكم ذاقت من ويلات ، وكم تعرضت لفتن أثارها استعمار الغرب لجل بلادها ، وذلك منذ أن ظهر التصوف النظرى الفلسفى في حدود القرن الثالث الهجرى . ومع ظهور اليوم دعاة للتصوف ، اذ عز عليهم أن تحررت أمة الاسلام من الاستعمار الغربى ، فجاءوا يركضون يؤلفون الكتب وينشرون الرسائل يدعون الى التصوف من جديد وما علموا أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .

لمحات من الوجه المظلم للتصوف

تبياناً للحق ، ومبالغة في التحذير من الوقوع في حبال صيد المتصوفة
ننشر بعض كلمات الكفر التي أثرت عن أئمة الصوفية .
١ - (ليس على المخلوق أضر من الخالق)

أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب
٢ - (أنا أعشق الله والله يعشقني)

أبو الحسن النووي
٣ - علماء الرسوم (الشريعة) يأخذون خلفاً عن سلف .
والأولياء يأخذون عن الله مما ألقاه في صدورهم .

ابن عربي
ومعنى هذا القول ان الأولياء في غنى عن الشريعة الاسلامية حيث هم
يتلقون عن الله تعالى مباشرة .

وهذا والله الكفر . وهو مذهب كثير من الروافض فلي تأمل .
٤ - أنا المحق وصاحبى وأستاذى ابليس وفرعون .

الحلاج لعنه الله
٥ - ان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء وهذا
هو معنى وحدة الوجود والحلول والاتحاد .

صاحب هذا الكفر محي الدين بن عربي
٦ - قيل للتمسانى هذا ، اشارة الى جثة كلب أجرب ميت - أيضاً
هو ذات الله ؟ فقال وهل ثم شيء خارج عنها ؟
فلنتظر كيف جعل التلمسانى وهو أحد أئمة الصوفية كل شيء في ذات
الله حتى "الكلب الأجرب الميت" .

أعوذ بالله من هذا الكفر العفن .

٧ - اللهم انشطني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أجد ولا أمس إلا بها .

من أوراد الشاذلية

ان معنى هذه الجملة من الكفر ان صاحبها لا يرضى بلا اله الا الله ويرضى بأن يكون جزءا من الله ، تعالى الله - أن يحل في مخلوقه ، أو يتحد به ، أو يتوحد - معه علوا كبيرا .

٨ - القرآن شرك كله ، وانما التوحيد في كلامنا .

التلمساني

٩ - وأما واضع هذا العلم « التصوف » فهو النبي صلى الله عليه وسلم ، علمه الله بالوحي والالهام ، فنزل جبريل أولا بالشرعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه .

ابن عجيبة

انظر كيف يبرر دجله بالكذب على الله ورسوله وجبريل وصالح المؤمنين . وبذلك قرر فرية أن الحقيقة تقابل الشريعة ، وأن كلا منهما مما شرع الله تعالى سبحانهك اللهم هذا بهتان عظيم .

١٠ - خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله

التجاني

ولازم قول التجاني هذا أن أقطاب الصوفية وهو على رأسهم أعلم بالله وأعرف بشرائعه المتضمنة محابه ومساخطه من الأنبياء .

أليس هذا هو الكفر يا عباد الله ؟

١١ - مقام النبوة في برزخ فوق الرسول ودون الولي

معنى هذا البيت الصوفي - خربه الله - أن الولي أفضل من النبي

ومن يعتقد هذا كيف لا يكفر ؟

١٢ - أنا سيد الأولياء كما أن النبي سيد الأنبياء ، ولا يشرب ولى ولا يسقى الا من بحرنا من نشأة العالم الى النفخ فى الصور ، واذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف يا أهل المحشر هذا امامكم الذى كان مددكم منه .

أحمد التجانى

أناشدك الله تعالى أيها القارىء أن تقول ما اذا كان هذا الكلام كذبا على الله ورسوله وعلى المؤمنين . ولا أخالك الا قائلا :

اللهم ان هذا كذب بحت عليك وعلى رسولك وعلى المؤمنين ، ان هذه الدعوى أخى المسلم لم يدعها نبي ولا رسول ، فكيف يدعيها أحمد التجانى وتقبل منه يا للعجب ؟ !

١٣ - قد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأننى أنا القطب المكتوم منه الى مشافهة يقظة لا مناماً .

التجانى

وقد سئل عن معنى المكتوم فقال : هو الذى كتبه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فانه علم به وبحالته ، وهو الذى حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الالهية واحتوى على جميعها .

فانظر كيف ادعى التجانى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبره يقظة لا مناماً ، ومشافهة لا بواسطة ، بأنه القطب المكتوم ، اللهم ان هذا كذب على رسول الله وعلى عبادك ، فالعن اللهم من كذب عليك وعلى رسولك وعلى عبادك المؤمنين .

١٤ - ان الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة .

وقوله - لا رضى الله عنه - وهو يشير بأصبعه السبابة والوسطى روحى وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا ، روحه تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والأولياء من الأزل الى الأبد .

التجسانى

انظر أخى المسلم كيف عد التجانى نفسه ربا أزليا روحه تمد أرواح الأقطاب والأولياء من الأزل الى الأبد .

١٥ - لا يبلغ الرجل منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوى الى منازل الكلاب .

الشعرانى

والسؤال هل فعل هذا أبو بكر الصديق حتى أصبح صديقا ؟ هل فعل هذا عمر بن الخطاب ، هل فعل هذا مالك بن أنس ؟

اللهم لا لا كيف اذا يدعى الشعرانى هذه الحقيقة ؟

اعلم أخى أن عامة أئمة التصوف فى ضلال وسعر ، انه لا يستغرب من الشعرانى هذا الادعاء الباطل والضلال المحموم . وهو صاحب طبقات الأولياء .

واليك طائفة من أولياء الشعرانى فى طبقات أوليائه :

- ١ - محمد الحضرى : الذى صعد المنبر يوم الجمعة فخطب فقال : أشهد أن لا اله الا ابليس عليه الصلاة والسلام ثم نزل فسل السيف فهرب جميع المسلمين من المسجد ، وزعم الشعرانى أن هذا الولي قد خطب الجمعة يومئذ فى ثلاثين مسجدا من مساجد القطر المصرى (١) .
- ٢ - الرجل الذى يسكن فى ماخور المومسات (بيت الدعارة) يشفع لكل من يأتينهن - عند الله - ويمسكه الى أن يكشف بقبول شفاعته فيه ومغفرة الله له .

٣ - أبو خوزة : كان رضى الله عنه كما يقول الشعرانى اذا رأى امرأة

(١) هذا بناء على أن الولي عند القوم يتمثل بالصور الكثيرة والامكنة المختلفة كالشياطين والملائكة .

أو شاباً أمرد راوده عن نفسه وحسن على مقعدته وسواء كان أميراً أو وزيراً ولو كان بحضرة والده .

٤ - على وحيش : كان كما يقول الشعراني إذا رأى شيخ بلداً أو غيره زله من على الحماره ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها فان أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشى خطوة .

أخى المسلم وقانى الله وإياك شر هذه الفتن أرأيت كيف يفقد الهوى أصحاب العقول ويذهب بأبصارهم وبصائرهم ؟ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ روى عنه : « حبك الشيء يعنى ويصم » (١) .

فانظر كيف تجرد هؤلاء بأهدافهم من عقولهم ، وغضوا عن رؤية الحق أبصارهم ، فعميت بصائرهم فأصبحوا يرون أفسق الخلق ، وأكفرهم ، وشرهم وأفسدهم أولياء الله تعالى إذا ذكروهم ترضوا عنهم أو ترحموا عليهم كأنهم أصحاب الرسول أو تابعوهم .

هذا ولنختم هذه العجائب بأعجب منها وهى لامام التجانية ومددهم كما يدعون ويزعمون .

الأولى : أن القطب المكتوم « التجانى » هو الوسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولى الله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضاً من حضرة نبي الا بواسطته رضى الله عنه من حيث لا يشعر به

انظر كيف ادعى التجانى أنه هو القطب المكتوم أو ادعى له بذلك وأنه الوسطة بين سائر الأنبياء ، فكل الأولياء من آدم الى قيام الساعة يتلقون من فيضه ، ولازم هذا أنه أزلى أبدى وهذا من أقطع الكذب ، وأسوأ الافتراء ، هذه الأولى والثانية أقطع .

الثانية : أن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود رضى الله عنه تتلقاها ذات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الى النسخ فى الصور ،

(١) رواه أحمد وأبو داود .

وخصصت بعلوم بينى وبينه (١) منه مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة وأنا سيد الأولياء كما أنه سيد الأنبياء .

ليست هذه أفتع ؟ ! و الثالثة أشد فظاعة .

الثالثة : قال وهو يشير بأصبعيه السبابة والوسطى : روحى وروحه صلى الله عليه وسلم ، هكذا ، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والأولياء من الازل الى الأبد .
انظر أيها المسلم البصير كيف جعل الرجل نفسه ربا أزليا ، روحه تمد الأقطاب والأولياء من الازل ، اذ هو قديم الوجود ، الى الأبد اذ هو دائم الوجود ، أليس هذا هو الكفر والكذب معا ؟؟

الرابعة : من ترك وردا من أوراد المشائخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية التى شرفها الله تعالى على جميع الطرق آمنه الله فى الدنيا والآخرة فلا يخاف من شىء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخ أيا كان من الأحياء أو الأموات ، وأما من دخل زمرتنا « طريقتنا » وتأخر عنها ودخل غيرها تحمل به المصائب دنيا وأخرى ولا يفلح أبدا . فانظر أخى المسلم كيف كذب الشيخ واحتكر وادعى ما ليس له ، ولا ندرى ما السبب الحامل له على هذه الدعاوى والأكاذيب ، ان أمره والله لعجيب .
والخامسة : قال أخيرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما ، قال لى أنت من الآمنين ، وكل من رآك من الآمنين ان مات على الايمان ، وكل من أحسن اليك بخدمة أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب (٢) .

ان هذه الدعوى أخى المسلم لم يدعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها : اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا . وقال للرجل الذى قال : ادع الله تعالى أن يجعلنى منهم « سبقك بها عكاشة » وهو طلب أن يكون ممن يدخلون الجنة بغير حساب ، والتجاني

(١) يريد بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) كل هذه البوائق التجانية جاءت فى كتاب الجواهر الجزء الأول من ٩٧ وما بعدها .

يقول له كل من خدمك أو أطعمك يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب .
 أليس هذا هو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرسول يقول
 « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (١)

والأخيرة : قال : ان صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكرى (٢)
 ولكنه توجه الى الله تعالى مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ، صلى
 الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات ؟ وسر جميع الصلوات ، وطال
 طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأثابه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة
 من النور . ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة
 جميع الجن والانس والملائكة .

وقال : وقد كان أخبرني صلى الله عليه وسلم عن ثواب الاسم
 الأعظم - فقلت : انها أكثر منها ، فقال صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم
 منها ، ولا تقوم له عبادة . . . الخ .
 فانظر كذبه واقتراءه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أمته .
 اللهم العن من كذب على رسولك والمؤمنين تغريرا بهم وتضليلا .

(١) رواه البخاري وغيره .

(٢) الحواشي .

الاسلام نعم البديل

إذا كنا قد هدمنا أركان التصوف ونقضنا أحواله وقطعنا فروعه لأنه نحلة مفتراة . وبضاعة مزجاة بلى بها المسلمين مروجوها وخدع بها المؤمنين واضعوها فانا نضع بين يدي طلاب السعادة والكمال في الحال والمآل خير بديل يحقق لهم صفاء الروح وسلامة القلب وتهذيب الأخلاق وتنطيب المشاعر وارهاف الاحساس ، ألا وهو الاسلام طريق السعادة وسلم الكمال .

الاسلام الذى أمر الله تعالى نبيه نوحا عيه السلام أن يكون من أهله اذ قال : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (١) .

والذى دعا ابراهيم ربه أن يجعله وولده اسماعيل يدينان الله به ومن ذريتهما أمة تدين لله به كذلك فقالا في دعائهما : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (٢) .

الاسلام الذى وصى به ابراهيم بنيه ويعقوب فقال « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (٣) .

الاسلام الذى سأل يوسف الصديق والكريم ابن الكريم ربه أن يتوفاه عليه اذ قال في ابتهاله ودعائه : « فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وأحقنى بالصالحين » (٤) .

الاسلام الذى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه أنه أول أهله وأنه أمر أن يكون منه فى قوله : « وأنا أول المسلمين » ، « وأمرت أن أكون من المسلمين » .

الاسلام الذى أخبر الرب تعالى أنه هو الدين الحق عنده ، وأنه لا يقبل دينا سواه وذلك فى قوله تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام » وقوله « ومن

(١) سورة يونس .

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة البقرة .

(٤) سورة فاطر .

يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين .»

الاسلام الذي رضيه تعالى لأمة نبيه ديناً في قوله تعالى : « ورضيت لكم
الاسلام ديناً » .

حقيقة الاسلام

ذلك هو الاسلام البديل عن التصوف المبتدع المضلل به وهذه
حقيقته ، ان للاسلام حقيقة واحدة لا تتعدد ، وهى ايمان العبد بالله تعالى
ربا والها واسلام قلبه وجوارحه له مع مجاهدة وصبر في مراقبة وافتقار .
تلك حقيقة الاسلام ، وهذا بيانها :

(أ) الايمان بالله رباً :

ان الايمان بالله رباً معناه : تصديق العبد بوجود الرب تعالى وتصديقه
تعالى في كل ما أخبر به عن نفسه ، وخلقه وقضائه وشرعه ، وأنه خالق كل
شئ ومالكه ، قدير على كل شئ ، عليم بكل شئ ، ذو الأسماء
الحسنى ، والصفات العلا

(ب) الايمان بالله الها :

ان الايمان بالله الها ، معناه : أن الله تعالى هو المعبود الحق ، وأنه اله
الأولين والآخرين فلا معبود لهم سواه ، خلق الانس والجن لعبادته ، من
أطاعه منهم أكرمه في دار كرامته ^(١) ومن عصاه أهانه وأشقاه في دار
المهانة .

(ج) اسلام القلب للرب :

ان اسلام القلب للرب تبارك وتعالى معناه أن القلب المسلم لله عز وجل
لا يتقلب الا في طلب مرضاة الله سبحانه وتعالى ، فلا يخشى ولا يهرب

(١) دار الكرامة الجنة ودار المهانة النار .

غير الله ، ولا يطمع ولا يرغب في غير الله ، يحب بحبه ، ويبغض ببغضه
يوالى فيه ويعادى فيه ، ولا يرى منة لأحد غيره .

(د) اسلام الجوارح للرب عز وجل (١) :

ان اسلام الجوارح للرب تعالى معناه : اخضاع الجوارح السبعة التى
هى السمع ، والبصر ، واللسان ، واليدان ، والرجلان ، والبطن ،
والفرج .

فالسمع لا يسمع الا ما أذن الله تعالى فى سماعه ، وكان فى مرضاته ،
واللسان لا ينطق به الا ذاكرا لآلائه شاكرا لنعيماته أو داعيا اليه تعالى أو معرفا
به ، أو محدثا بجلاله مخبرا بكماله ، وأمرًا بمعروف أمر به ، أو ناهيا عن
منكر نهى عنه .

واليدان لا يبطن بهما أحدا ، ولا يبسطهما معطيا الا بعد الأمر والاذن ،
والا فهما مقبوضتان مسلمتان لله .

والرجلان لا تمشيان خطوة فما فوقها الا باذن أو فى مراد الله مشى ولا
سعى الا فى الله وبإذن الله .

والبطن شهوته مقصورة على المباح من الطعام والشراب . فيأكل المسلم
ويشرب مما أذن فيه الله وفى غير ترف ولا غيلة ولا سرف (٢) .

والفرج وهو أخطر الجوارح وشرها محفوظ بحفظ الله ومقصود على ما أذن
فيه الله من زوجة ابتغاء الانجاب والاحصان ، أو سرية رحمة بها أو دعت
الضرورة اليها (٣) .

(١) سميت الجوارح جوارح لأن الإنسان يخرج بها أى يكسب الخير ويكتسب الشر .

(٢) الخلاء والفخر .

(٣) السرية : الأمة يظفرها سيدها .

(هـ) المجاهدة :

ان الجهاد من الاسلام ذروة سنامه ، اذ به تحمى بيضة الاسلام ، وتنشر راية عدله ورحمته بين الأنام ، والمجاهدة من الجهاد وهى قوام اسلام المرء وعماده بها يحسن اسلام العبد ويبلغ كماله .
وحقيقة المجاهدة أنها مقاومة ملل النفس وميلها بما يجعلها دائماً تعمل فى نشاط مع استقامتها على المنهج الاسلامى الدائر بين الأفعال والتروك الظاهرة والباطنة ، والقائم على التجرد لله تعالى فيه والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم عليه .

(و) الصبر :

ان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لا حياة لجسد بلا رأس فانه لا اسلام بلا صبر ، ان الصبر ضد الضجر ، وما بعد الضجر الا الترك ، فاذا ضجر العبد من تحمل أعباء الاسلام ترك ، واذا ترك هلك .
ان العدو غادر وماكر والحمل ثقيل ، والعقبة كؤود والشقة بعيدة ، فكان لابد للسائر من صبر وللسالك من تحمل ، من البداية حتى النهاية ، والا كان الانقطاع وعقبه الخسران ، والعياذ بالرحمن منهما معا .

(ز) المراقبة :

ان المراقبة معناها مراقبة العبد ربه تعالى حال سيره اليه ، على درب الاسلام حتى الوصول الى دار السلام حيث الجوار الكريم ، والنعيم المقيم .

وللمراقبة مرتبتان : عليا ، ودنيا ، فالعليا أن يكون العبد أثناء سيره الى الله تعالى بالذكر والشكر على حال كأنه يرى الله تعالى ويشهده ، وبذلك

يعظم خوفه منه ، ويقوى رجاؤه فيه ، ويكبر أنسه به . والمرتبة الدنيا أن يكون السائر أثناء سيره الى الله عز وجل بالفعل والترك على حال هو موقن فيها بأن الله تعالى مراقب سيره ، شاهد عمله فيه ، لا يخفى عليه شيء من ظاهر أمره ولا باطنه ، وثمرة المراقبة احسان السير واستمراره على درب الاسلام في أمن وسلام حتى دخول دار السلام .

والمراقبة بمرتبتها عليها ودنياها اذا قومت تقويم عدل وانصاف ، وجدت أنها ملاك الأمر كله وعليها مدار الفلاح كله ، اذ قبول العمل متوقف على حسنه وجودته وكماله ، وما سيرنا الى الله تعالى الا أعمالنا الظاهرة والباطنة التي كلفنا بها وانتدبنا لها فان أديناها محسنين فيها قبلها منا وأثابنا عليها فأنزلنا دار كرامته ، وأنعم علينا برضوانه والنظر الى وجهه الكريم وذاك غاية الفوز العظيم ، وان أسأنا فيها ردت علينا فحرمتنا ثوابها وانقلبنا خاسرين . ومن هنا كان الاحسان ثلث الاسلام كما جاء في حديث جبريل الأمين (١) « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .

وما الاحسان الا المراقبة بمرتبتها فليأخذ المسلم نفسه بها ، ويجاهدها فيها حتى تكون حاله الغالبة وبذلك يأمن العثار في سيره ، والانقطاع في طريقه

(ح) الافتقار :

الافتقار لازم العبد ، اذ لا غنى له عن الله بحال وانما المطلوب من الافتقار اقرار العبد به واعترافه بواقعه واطراحه بين يدي الله تعالى لا يملك لنفسه حولا ولا طولا ، فينشأ عنه التوكل الكامل والتفويض التام لله تعالى ، وفي كل شأن من شئون العبد وأحواله وأموره ، فيصدق بذلك اللجأ الى الله تعالى والفرار اليه دون سائر خلقه ، وبذلك تكمل انابة العبد الى ربه ، وتعظم رغبته فيه ، ورهبته منه ، وينجم للعبد عن هذه الحال حال أكمل وهي حال الاضطراز الدائم الى الله تعالى في

(١) اذ فيه سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيثار والإسلام والإحسان فكان الإحسان ثلث الدين الإسلامي .

اصلاح شأنه وتزكية نفسه ، ووقايته من الآفات ، وحفظه من المعوقات حتى يبلغ الكمال فى اسلامه الظاهر والباطن لله تعالى ، وبذلك يتأهل للفيوضات الالهية فيحبه الله ويحببه الى صالحى عباده ، أو يخلع حلة رضاه ويكون بمنزلة القرب التى هى أسمى المنازل وأشرفها اذا سأل صاحبها أعطى ، واذا دعا أجيب ، واذا استعاذ أعيد ، واذا استنصر نصر ، واذا قبضه مولاه أدناه وأنزله منازل الابرار وخلع عليه حلة رضاه ورضوانه وتلك الحسنى وهذه الزيادة .

وبعد : فاعلم أخى المسلم أن الاسلام البديل عن بدعة التصوف وضلال المتصوفين لا يتم للعبد الا بالعلم والمعرفة ، العلم بالله والمعرفة بمحابه ومساخطه ومصدر هذا العلم وهذه المعرفة هو الحجاب والسنة ، وهما لا ينالان الا بالدرس والطلب الجاد ، والحفظ والفهم ، ولا بد لذلك من مشائخ علم متضلعين فى علم الكتاب والسنة ، عليهم أنوار العلم وعليهم سيماء الايمان وفيهم بركة التقوى ، فاطلبهم وارسل اليهم ولازمهم حتى تتعلم ما لا بد منه لسيرك الى ربك ، ولا تطمعن فى الوصول بدون أن تبذل هذا النول (١) ، والا فأنت مفتون مغرور ، وأعيذك ونفسى من الافتتان والمغرور ، وأحذرك أن تصدق أن ولاية الله يحظى بها من لا يعرف الله تعالى ، ولا يعرف محابه ومكارهه من الاعتقادات والأقوال والأعمال ، فهيهات هيهات أن يطأ عبد بساط القدس وسواء كان من الجن أو الإنس ما لم تزك نفسه وتطهر روحه ، وتفضل أخلاقه ، وذلك بواسطة الايمان والعمل الصالح وفق ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد اجتناب الشرك ومعصية الله ورسول الله .

(١) النول : ما يقطر من أجر السفينة للراكب .

الأوراد النبوية

البديل عن

الأوراد الصوفية

ماهى الأوراد ؟

الأوراد جمع ورد ، وقد تقدم بيان ذلك لغة واصطلاحاً أثناء الكلام على أصول التصوف عند الصوفية ، والذي يهمنا هنا أن نرشد المسلم الى بعض الأوراد النبوية لتكون بديلاً له عن الأوراد الصوفية المحدثّة والتي لا تخلو غالباً مما لا يجوز التقرب به الى الله تعالى ، مما لا يزكى النفس ، ولا يهذب الروح والمشاعر ولا يطيبهما .

(أ) مشروعية الأوراد :

ان الأوراد التعبدية مشروعة بالكتاب والسنة ، أما الكتاب فقد قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً » (١) .

وأما السنة فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » (٣)

(١) سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(ب) تفاضل الأذكار :

لا شك أن بعض الأذكار أفضل من بعض بمعنى أنه أكثر أجرا وأعظم مثوبة عند الله تعالى ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » ^(١) .
وكون بعض الأذكار أعظم أجرا دال على أنها أكبر تزكية للنفس وتطهيرا للروح وتطيبا للمشاعر ، اذ قرب العبد من الرب تعالى هو بحسب زكاة نفس العبد وطيب روحه .

(ج) من أفضل أنواع الذكر سبعة وهى :

١ - لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لحديث البخارى : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر منه » .

٢ - سبحان الله وبحمده : لحديث صحيح : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

٣ - سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . لحديث الصحيحين « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » .

٤ - سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر . لحديث مسلم : والترمذى : « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

(١) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وصححه

(٢) هذا ولا يغوتنا أن ننسب إلى أن قراءة القرآن من أعظم أنواع الذكر وأن الحرف الواحد يعطى عليه ثلثة عشر حسنة ، وأن المسلم لابد له من ورد يومين يتلو فيه على الأقل مائة آية للأحاديث الواردة فى ذلك ومن أورد الصالحين فى قراءة القرآن أنهم يجتنبونه فى كل أسبوع مرة .

والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس » وقوله في رواية احمد وهي صحيحة : « أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » ، وقوله في رواية مسلم وغيره : « أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت ، وهن من القرآن » .

٥ - سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر الصلوات الخمس . لحديث صحيح ، وتقال مجتمعة هكذا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة ، ويختتم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، أو يقوّلها مفردة : سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ويختتم المائة بقوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وكذا تقال عند النوم من كل ليلة لحديث على وفاطمة في السنن ، غير أن التكبير يكون أربعاً وثلاثين فتتم المائة تسبيحة بدون ذكر لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

٦ - سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا أو أكثر في الركوع من كل صلاة فريضة أو نافلة لحديث السنن لما نزلت ، « فسبح باسم ربك العظيم » قال صلى الله عليه وسلم « اجعلوها في ركوعكم » .

٧ - سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثا أو أكثر في السجود من كل صلاة لحديث السنن لما نزلت « سبح اسم ربك الأعلى » .. قال « اجعلوها في سجودكم » .

(د) من أفضل أنواع المحامد :

من أفضل أنواع المحامد الخمسة التالية :

١ - يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .
لحديث أحمد وابن ماجه ، وفيه أنها عضلت على الملكين فلم يدريا كيف

يكتبانها لقائلها . . . الحديث (١) .

٢ - الحمد لله ، لحديث ابن ماجه في سننه ، عن أنس بن مالك :
« ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله الا كان الذي أعطى أفضل
مما أخذ » .

٣ - الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، لحديث الطبراني واسناده
حسن : « أن رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله حمدا
كثيرا طيبا مباركا فيه . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يتدرون كلمتك - أيهم يرفعها الى الله
تبارك وتعالى » .

٤ - الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور ، عند القيام من
النوم ، لحديث صحيح : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ
من نومه قال : الحمد لله . . الخ » .

٥ - اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك . لك
الحمد ولك الشكر . لحديث أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من قال حين يصبح اللهم . . الخ فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك
حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » .

(هـ) من أفضل أنواع الاستغفار خمسة وهي :

١ - سيد الاستغفار لحديث الصحيحين عن شداد بن أوس رضى الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول :
اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك
ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء
بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب الا انت ، قال ومن قالها من النهار

(١) عضلت : اشتدت وعظمت واستغلق عنها معناها .

موقنا فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

٢ - استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه لحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو داود والترمذى والنسائى عن البراء بن عازب عنه صلى الله عليه وسلم « من قال دبر كل صلاة أستغفر الله وأتوب اليه غفر له وإن كان فر من الزحف » (١) .

٣ - أستغفر الله ثلاثا دبر كل صلاة لحديث صحيح « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من صلاته قال ثلاثا استغفر الله أستغفر الله أستغفر الله » .

٤ - رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم ، لحديث ابن عمر رضى الله عنه فى السنن انه قال : « كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة فى المجلس الواحد » .

٥ - سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك لحديث الترمذى الحسن الصحيح « من جلس فى مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم . . الخ الا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك ، واذا كان المجلس مجلس خير كان ذلك الذكر كالطابع له » .

(و) ومن أفضل أنواع الاستعاذات ثمانية وهى :

١ - أعيذك بكلمة الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

ويقول اذا عوذ نفسه أعيذ نفسى بكلمة الله التامة . . . الخ .
واذا عوذ غيره قال أعيذك . . . الخ .

(١) فى بعض الفاظ الحديث زيادة وقد ذكرتها فى أول الحديث

لما جاء في الصحيح « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بها الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول كان أبوكما يعوذ بها اسماعيل واسحق عليهما السلام » (١) .

٢ - بسم الله ، ثلاثا وأعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر ، سبعا لحديث مسلم : « ان عثمان بن العاص شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضع يدك على الذى يآلم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا وقل : سبع مرات أعوذ بقوة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

٣ - اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (٢)

٤ - أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، لحديث أبى داود والترمذى والحاكم وصححه (تقول عند الفزع من النوم وعند بداية النوم وفي كل وقت) .

٥ - أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ، وشر ما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ فى الأرض وشر ما يخرج منها ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن .

(رواه مالك فى الموطأ)

٦ - أعوذ بوجه الله العظيم الذى ليس شىء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وذراً وبرأ .

(رواه مالك فى الموطأ)

٧ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، تقول عند القراءة وعند

(١) المراد من ايها إبراهيم عليه السلام .

(٢) رواه أبو داود .

الغضب ، وعند الوسواس - لحديث مسلم وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده » (١)

لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٨ - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه يقال : عند افتتاح صلاة الليل (لما فى السنن والمسند لأحمد) .

(ز) من افضل انواع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ما يلى :

١ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد - رواه البخارى .

٢ - اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

(متفق عليه)

٣ - اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .

(رواه مسلم)

٤ - اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

(رواه البخارى ومسلم)

٥ - اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول

(١) الضمير فى لو قالها عائد إلى الرجل الغضبان المذكور فى الفصحة .

الرحمة ، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

(رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والسنن)

(ط) من أفضل الأدعية :

ان من أفضل الدعاء ما كان جامعا للخيرات مفيضا باذن الله بالبركات . ومن الأدعية الجامعة ما يأتي :

١ - اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (يقال بعد الصلوات) رواه النسائي وأبو دواد .

٢ - اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى .
اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى .

اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى ^(١) يقال فى الصباح والمساء .

٣ - اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى لها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر .

٤ - اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك .
(يدعى به لقضاء الدين - رواه الترمذى وحسنه)

٥ - اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، تباركت

(١) الترمذى وحسنه .

ربنا وتعاليت .

وصلّى الله على النّبي (رواه النسائي عن الحسن بن علي رضي الله
عنها) .

(يقال في القنوت)

٦ - اللهم بك نصبح وبك نمسي ، وبك نحيا ، وبك نموت ،
واليك النشور . وفي المساء يقول واليك المصير . . .
اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك حظا ونصيبا في كل خير قسمته
في هذا اليوم أو في هذه الليلة وفيما بعده من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو
رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره ، أو شدة تدفعها ، أو فتنة
تصرفها ، أو معافاة تمن بها برحمتك ، انك على كل شيء قدير .



وبعد فتلك ست مجموعات من أفضل أنواع الأذكار ، والمحامد
والاستغفار والاستعاذات ، والصلاة على النّبي صلى الله عليه وسلم ،
والأدعية النبوية .

فاتخذ - أخى المسلم - منها وردك اليومي ، والزمه ولا تتركه تكن أن
شاء الله تعالى من الذاكرين .. وراع فيه عند أدائه حضور القلب ،
والخشوع للرب تعالى تكن - ان شاء الله تعالى - من الصالحين .
وذلك أمل الآملين وغاية العاملين الصابرين .

اللهم حقق فيك رجاءنا وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، وصل
اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين .
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة

في جمادى الآخرة من عام ١٤٠٤ هـ .
كان الفراغ من تصحيحها في المدينة النبوية .
في شهر رجب الفرد من عام ١٤٠٤ هـ .

فهرست

٧	● التصوف وأصوله
١١	● الأصل الأول : « الطريقة »
١٣	● الأصل الثاني : « الشيخ المأذون له »
	● الأصل الثالث : العهد أو البيعة
١٩	والمصافحة والتلقين
	● الأصل الرابع : الاوراد الصوفية
٢٣	وما فيها من حق وباطل
٢٧	● الأصل الخامس : الخلوة
٣٢	● الأصل السادس : الكشف
٣٥	● الأصل السابع : الفناء
٤٠	● أقطاب الصوفية وأوليائهم
٤٥	● لمحات من الوجه المظلم للتصوف
٥٢	● الاسلام نعم البديل
	● الاوراد النبوية البديلة عن
٥٨ -	الاوراد الصوفية

●● الرسالة السابعة

فصل الخطاب في المرأة والحجاب

المحتوى :

- ١ - بين يدى الرسالة .
 - ٢ - المرأة .
 - ٣ - حقوق المرأة .
 - ٤ - الحجاب .
 - ٥ - مشروعية الحجاب .
 - ٦ - وجوب الحجاب على المرأة المسلمة .
- الخاتمة .

« بين يدي الرسالة »

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :
 أفتتح حديثي في هذه الرسالة بالسؤالين التاليين :
 لماذا أكتب ؟ ولن أكتب ؟ وأجيب فأقول :
 أما لماذا أكتب - فان واجب البيان الذي أخذ الله تعالى على العلماء هو
 الذي جعلني أكتب ، قال تعالى : « واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
 الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » ^(١) وقال عز وجل « ان الذين
 يكتسبون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب
 أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا
 فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » ^(٢) وقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار) ^(٣)

واما لمن اكتب - فاني اكتب للذين يؤمنون بالله تعالى ربا ، وبمحمد
 رسولا وبالاسلام ديننا ، سواء من كان منهم مؤمنا حقا وصدقا ، او ادعاء
 ونطقا

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة البقرة .

(٣) رواه أحمد وأحمد والحاكم وأصحاب السنن الأربعة وهو صحيح الاستناد .

فلولا واجب البيان ووجود مؤمنين ولو حكما ينبغى ان يبين لهم لما كتبت ، وذلك لعدم غناء الكتابة في موضعي هذا الذي أردت أن أكتب فيه .

ولم يكن هذا عن يأس ، ولا ملال نفس ، وانما عن تجربة قاسية سبقت ، وحال مشابهة مضت ، ولو سئل الاعلام ^(١) وحقوق المرأة في الاسلام لأجاب كل منها وقال : ان قوما سحرتهم الحياة أو أسرتهم الشهوات لن تنفعهم المواعظ وان عظمت ، ولن تهديهم الدلائل وان ظهرت ، فهم الى قضاء الله سائرون ، والى منتهى أمرهم منتهون ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

١ - الاعلام وحقوق المرأة في الاسلام للمؤلف مطبوعتان

« حقائق لابد من بيانها »

الحقيقة الأولى : (سعادة الانسان فى هذه الحياة رهن عمله بمنهج الله تعالى فيها)

ان سعادة الانسان فى هذه الحياة الدنيا ، وهى أمنه وكرامته ، وتوفير غذائه وكسائه وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهاره روحه ، هذه السعادة المنشودة لكل العقلاء من بنى الناس لا يمكن أن تتم للانسان بحال إلا على طريق الاسلام الصحيح عقيدة وعبادة ، ايرانا وعملا صالحا ، كما ان سعادته فى الحياة الثانية وهى نجاته من النار ودخوله الجنة مع الأبرار ، لا يمكن أن تتم إلا على الإسلام الصحيح أيضا عقيدة وقولا وعملا .

ان كون سعادة الانسان متوفرة على إسلامه لربه الاسلام الصحيح الذى يمثله الوحي الالهى فى كتاب الله وهدى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، حقيقة ثابتة ثبوت العقلية التى يستحيل دفعها أو رفضها ، واليقينيات التى يدعن العقل لها ويسلم الوجدان بها ، ولذا فإننا لا نطلب البرهنة عليها بأكثر من ايراد شاهد أو شاهدين من وحى الله تعالى عليها ، وذلك بناء على ان حديثنا هذا هو مع المؤمنين دون غيرهم فلذا يكفى صحة هذه الحقيقة واثباتها ايراد الشاهد والشاهدين فقط من الوحي الالهى كتابا كان أو سنة ، وهذا شاهد من وحى الله تعالى فى الكتاب ، قال تعالى :

« فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى (١) »

فاتباع الهدى هو الاسلام الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، ونفى الضلال والشقاء مستلزم لاثبات ضدهما ، وهما الهداية فى الدنيا لكل ما يكمل المرء ويسعده والسعادة فى الآخرة .

هذا ولو أحوج الأمر فى اثبات هذه الحقيقة الى دليل عقلى لكان ايراد الدليل الآتى كافيا فى ذلك :

(١) من سورة طه . آية (١٢٣) .

وهو - أى الدليل - ان السنن الكونية مسلم بها بين كافة العقلاء ، وانها لا تتخلف ولا تتبدل مالم يشأ الله تعالى تخلفها او تبدلها ، لأنه واضعها ، وواضع الشيء قادر على تغييره بلا منازع ، فالنار تحرق ، والماء يغرق ، والحديد يقطع سنن لا تتبدل ، ويوم شاء الله تعالى تخلف نتائجها تخلفت ، إذ النار القى فيها ابراهيم ولم تحرقه ، والماء دخله موسى مع بنى اسرائيل ولم يغرقوا فيه ، وأغرق به فرعون وجنوده أجمعون ، والمدية ^(١) التى وضع ابراهيم على رقبة اسماعيل الذبيح وامرّها لم تقطع لأن الله تعالى لم يشأ ذلك .

من هذه السنن أن الاسلام الصحيح وضعه الله تعالى للاسعاد البشرى فى كلتا الحياتين ، فلا سعادة للانسان الا به و عليه فى الدنيا والآخرة على حد سواء وهذا دليل عقلى تدعن له العقول السليمة وتسلمه ، قال تعالى فى مثل هذه السنن « فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » ^(٢)

وأخيرا ، هذا واقع الأمم اليوم والشعوب ، وقد بلغت فى الكمال المادى مبلغا لم تحلم به الانسانية قبل ، ولم يخطر على بال احد أن مثله يكون ، فأرونى أمة أو شعبا تحققت له السعادة المنشودة للانسان فى هذه الحياة والتى هى أمنه وكرامته وتوفر غذائه وكسائه ، وطيب مسكنه وسلامة عقله وبدنه ، وكمال خلقه وطهارة روحه وزكاة نفسه .

وما وجد لفرد أو جماعة أو شعب من شيء من هذه السعادة ، إنما كان له ذلك بقدر أخذه من الاسلام عقيدة وقولا وعملا .

الحقيقة الثانية : (عدو المسلمين من أنفسهم) :

ان هذه الحقيقة الثانية قد تبدو غريبة غير أنه بالنظر والتأمل فى قول

١ - المدية : السكينة ، هكذا روى الذى عليه المحققون أنه لم يكن امرازا للسكين ، وانما كان تسمى ، فقط وفداء الله تعالى قبل وضع

المدية على عنقه فكان من النسخ قبل الفعل .

٣ - الآية ٤٣ من سورة فاطر .

الرسول صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من كتاب الفتن (إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها ، وإن أمتى سيبغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال : يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، وإنى اعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ليستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، أو قال : من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبى بعضهم بعضا » .

انه بالنظر الصحيح فى هذا الحديث الشريف وبالتأمل البصير فيه نزول الغرابة عن هذه الحقيقة ، وهى أن عدو المسلمين من أنفسهم لا من غيرهم ، وليس معنى هذا أنه لا يكون للمسلمين عدو من غير أنفسهم يريد استذلالهم واستغلالهم والتسلط عليهم والتحكم فيهم أو يريد افناءهم والقضاء عليهم ، اذ الحديث الشريف يشبهه ، وانما لا يكون الا بعد ان تنحرف أمة الاسلام عن جادة الحق ، وتعيش فى أودية الباطل والضلال فتفسق عن أمر الله وتخرج عن طاعته ، فتختلف وتتقاتل حتى يقتل بعضها بعضا . ويومئذ يسلط الله تعالى عليها عدوا من سوى نفسها فيستبيح بيضتها كالذى تم لها بالفعل فيما مضى وكالذى ينتظرها فيما يستقبل إن لم تعد الى الجادة وتستقم على منهج الله ، كما يريد الله .

ان التدليل على اثبات هذه الحقيقة لفى الواقع الذى عاشته أمة الاسلام ولا يستطيع أحد انكاره ، انه من يوم أن ذبحت خليفتها ، وقاتلت امامها ، وفرت كلمتها ومزقت دولتها ، وهى تعاني الآلام ، وتتجرع الفصص حتى سلط الله عليها عدوا من سوى نفسها وهو الاستعمار الغربى ، فاستباح بيضتها واستحل حرمايتها ، وملك عليها أمرها وبلادها وسامها الخسف .

فقضت فترة طويلة وهى مغلوبة على أمرها مشخنة بجراحاتها تعسة بوجودها ، محكومة بسلطان عدوها ، وما كان ذلك ليكون لولا الانحراف والفسق . الانحراف فى العقائد والفسق عن الشرائع ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الظالمين .

الحقيقة الثالثة : (لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى عاد الله اليها) :
انه بعد مضى فترة من الزمن طويلة عاشتها أمة الاسلام مستذلة مستغلة يتحكم فيها الكفر والكافرون عرفت أن محتتها أتنها من نفسها ، وأن طريق خلاصها من محتتها فى العودة الى ربها ، فصاح العلماء مطالبين بالعودة الى الاسلام الصحيح . واستجابت امة الاسلام فى شتى بلادها وأقبلت على ربها فجاهدت واستشهدت وأخذت تتحرر وتستقل فتكونت مجموع من الدول الاسلامية وظهرت على سطح المعمورة كيانات اسلامية . من بينها دولة الملك عبد العزيز - غفر الله له ورحمه آمين - واخذت تظهر لأمة الاسلام دول هنا وهناك حتى تم تحرير كل بلادها من سلطان عدوها - باستثناء فلسطين لما لها من واقع خاص وهو وضع استثنائى لا يشبه به ويقاس عليه ^(١) ، وكان تحرير أمة الاسلام واستقلالها ثمرة طيبة لعودتها الى ربها ، اذ تلك العودة الصادقة هى التى نفخت روح الكفاح وسهلت البذل والعطاء ، والجهاد والاستشهاد ، فبذلت الأمة وأعطت وجاهدت واستشهدت حتى استقلت وتحررت .

وهكذا لما عادت أمة الاسلام الى الله تعالى بالايان وصالح الأعمال عاد اليها فخلصها وحررها ، وصدق الله العظيم القائل : « عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا » ^(٢) .

١ - الذى أراه فى قضية فلسطين : أنها فتنة امتحن الله تعالى بها العرب ليتوبوا اليه ويعودوا الى كتابه وشرعه بعد فسقهم وانحرافهم .
٢ - الآية وان كانت فى بنى اسرائيل فانها صالحة للاستشهاد بها ، ان أمة الاسلام أولى بالرحمة ، ومن عاد الى الله بالتوبة عاد إليه بالقبول ، ونهضاد الى المعصية عاد الله اليه بالعفوة ان شاء وهو على كل شىء قدير .

الحقيقة الرابعة : (كفر النعم مؤذن بزوالها) :

ان تخلص المسلمين من سلطان المستعمر الكافر ، وتحررهم من حكمه الجائر يعتبر نعمة من أجل النعم وأتمها ، امتن الله بها على الأمة الاسلامية اذ نجاهم من حكم الغرب المستعمر الذى كان يسومهم سوء العذاب ، كما من ذلك على بنى اسرائيل إذ قال : « وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب » وكان المفروض فى المسلمين أن كل دولة تتحرر ، وقد تحرروا تباعا ، واحدة بعد أخرى - أن ينشئوا الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة (المملكة العربية السعودية بحكم مركزها الدينى) وذلك لأمرين :

الأول : تقوية لجانب الدولة الاسلامية الوحيدة الموجودة يومئذ .

الثانى : لتحتفى بها وتطبق شريعة الله معها ، ويكون هذا شكرا لله تعالى على نعمة الانعتاق والتحرر من سلطان الكفر .
غير أن الواقع المر والمؤسف والمؤلم ايضا أن كل دولة تتحرر أخذت تتقوقع على نفسها وتكون لها ذاتا مستقلة عن الدولة الاسلامية الموحدة ، فنجم عن ذلك ضعف هذه الدويلات المستقلة ، وبعدها عن شرع الله تعالى ومع ذلك لم يعاجلهم بالعقوبة بل أمهلهم ، وهذا عائد الى حلمه تعالى وحكمته ، ولكن الاهمال أو الانتظار ليس معناه الترك .

ولذا فان ساعة قريبة تنتظرهم ، فيحيل نعماءهم بأساء وسعادتهم شقاء ، فيسلبهم ما أعطاهم ، لأنهم ما شكروا ، فيوقعهم عز وجل فى أحد الدركين ، درك المسخ أو النسخ ، فانه ان سلط عليهم المعسكر الصليبي المتهود مسخهم فلم يبق لهم ذاتا يتميزون بها ، ولا كرامة من خلق أو دين يعتزون بها فيفقدون لغتهم ودينهم بعد أن يفقدوا استقلالهم وحكمهم وهذا هو المسخ المبين ، وأن سلط عليهم المعسكر الشيوعى مسخهم مسخا كاملا فحوّلهم الى مقاطعات تابعة للجمهوريات السوفياتية

فلم يبق لهم ذاتا ولا صورة ولا تاريخا ولا لغة ولا وجودا كما فعل بالجمهوريات الاسلامية السابقة حيث يعيث بها السوفييت ويسخرها كما يشاء .

هذه حقيقة يجب أن تعلم ، وعلى المسلمين إن أرادوا نجاتهم اذا لم يصروا على الانقسام والفرقة والكفر بنعمة الله عليهم أن يعترفوا بها وان يعملوا على تفضي هذا الخطر باجتماعهم على الحق وسيرهم في منهاجه بتكوين الدولة الاسلامية الواحدة التي يحكمها الشرع ويسوسها نظام الاسلام الحكيم .

الحقيقة الخامسة : (عداا ظالم للدولة الأم) :

ان من المسلم به لدى المراقبين لأحوال الأمة والدول الاسلامية أن الدولة الاسلامية التي أنشئت على أسس اسلامية بحتة وتحكيم نظام الاسلام في مجالات الحكم والادارة وتنفيذ أحكام الله تعالى في عبادته على الوجه الذي يرضيه ، هي الدولة السعودية التي كونها الملك عبد العزيز آل سعود كما أن من المسلم به أيضا أن هذه الدولة تحقق لها من الأمن والطمأنينة ما لم يتحقق لغيرها من الدول المعاصرة ، فكان الواجب والحال ما ذكر أن تتحد هذه الكيانات الاسلامية مع الدولة الأم فتطبق شريعة الله وتحكم بينهم كتاب الله في شئون الحياة السياسية أو على أضعف الوجوه اعتبارها قدوة وأسوة والعمل على تنسيق السياسات الداخلية والخارجية مع الدولة الاسلامية الواحدة كما حدث أخيرا في مجلس التعاون الخليجي .

غير أن الواقع المؤسف أن هذه الشعوب التي تحررت بالايان والجهاد لتصبح عضوا في جسم دولة الاسلام يمدّها بالقوة والحوية . رأيناها كلما تحرر منها شعب ولى وجهه شطر الشرق أو الغرب معرضا عن الاسلام ودولته وحكمه ونظامه .

وياليت الأمر وقف عند عدم الاتحاد مع الدولة الاسلامية الموحدة بل

تعداه الى ما هو أسوء وهو انتقاد أسلوبها في حياتها الاسلامية وتأليب الأعداء عليها كأنهم يريدون منها أن تسقط تحكيم الشريعة المحمدية في سياستها الداخلية والخارجية لتسقط كما سقطوا وتهبط الى حضيض الشر والفساد كما هبطوا ، ويومئذ تفرح روما وتزغرد موسكو ، وأن بكى مكة وتوجعت المدينة ، إذ لم يكن للإسلام في دنيا الناس الا هذه الدولة التي أوجدها الله تعالى ليقيم بها الحجة على خلقه في أن القرآن مازال كما نزل صالحا ، تطبيق مافيه من أحكام وسياسات شرعية تكسب الخير وتورث العزة والكرامة ، والسؤال المحير في هذا الباب . هو هل هذه الإرادة الشريرة نابعة من نفوس أصحابها ؟ أو هي عمالة عليهم من قبل معسكرات أعداء الاسلام .

وقد لا نجانب الصواب ان قلنا : انها مزدوجة نابعة من نفوس البعض وعمالة على البعض الآخر ، ولذلك علتان :

الأولى : الحسد - وكل ذى نعمة محسود .

الثانية : الخوف على المصالح .

فالحسد يحمل البعض على كراهية الدولة الاسلامية ، وعلى انتقاصها لأجل ما تتمتع به من أمن وطمأنينة ومكانة مرموقة بين الأمم ، والخوف على المصالح من قبل أعداء الاسلام الشيوعية والصهيونية والصليبية الحاقدة عليهم على الكيد والمكر والدس والخداع من أجل الإبقاء على مصالحهم في بلاد المسلمين ، اذ قوة الشر الكافرة ما برحت تتوجس خيفة من عاقبة الدولة الاسلامية التي دستورها القرآن وعقيدتها التوحيد أن تقتدى بها الشعوب الاسلامية في تحكيم الشريعة ، وفي الانضمام الى الدولة الأم لاحياء الخلافة الاسلامية قوية في القرن العشرين .

وحسبنا دليلا على هذه الحقيقة وثبوتها ما سمعناه ونسمعه من أفواه الكثيرين وما قرأناه ونقرأه من كتب وصحف كثيرة .

وما العداء للاسلام لصرف الانظار عن دولة الاسلام وإبعاد المسلمين

عن الاقتداء بها إلا محاولة الحفاظ على مصالحهم المادية ، وهو عداء ظالم لدولة الاسلام التي ما قصرت يوما ما في نصره المسلمين ولا تعرضت يوما بسوء للاسلام او المسلمين .

الحقيقة السادسة : (وجوب نصره الدولة الأم على كل مسلم ومسلمة اليوم) :

هذه آخر الحقائق الست التي لا بد من معرفتها وهي أنه يجب على كل مسلم ومسلمة في دنيا الناس اليوم نصره قيام الدولة الاسلامية الموحدة بقيادة المملكة السعودية والوقوف الى جنبها ، لأنها دولة الاسلام ، وما للاسلام والمسلمين غيرها ، إذ هي الدولة التي تحكم الشرع الاسلامي ، وتدعو الى تحكيمه وتمثل الاسلام وتدعو اليه عقيدة وعبادة وتحكيمها ، فنصرتها لذلك واجبة .

إن من الواجب موالاته دولة تحمي الحرمين ، وتنصر المسلمين وتحكم الاسلام وتدعو إلى تحكيمه ، دولة معاداتها ، والعمل على إفسادها أو اسقاطها ، وانتقاصها والطعن فيها جناية على أمة الاسلام لأنها تمثل قبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

ان واجب كل مسلم داخل هذه المملكة الاسلامية أو خارجها أن ينصر هذه الدولة ولا يتخذها ، فان لم يجد ما ينصرها به ، وهو داخلها ، فليکف عن معصية الله تعالى ورسوله فيها فيكون ذلك من نصرته لها وان كان خارجها ولم يجد ما ينصرها به كف لسانه عنها فلم يذكرها بسوء ، فذلك من نصرته لها كل هذا لأنها المملكة الاسلامية المتبقية للاسلام والمسلمين في عالم تسوده الفتن ، اللهم انصرها بالاسلام ، واجعل لها من لدنك وليا ونصيرا .

المــــرأة

من هى المرأة ؟

انها أخت الرجل وأمه وبنته وجدته وخالته وعمته .
 انها لو لم تكن لما كان (١) الرجل ، فها أحوج الرجل اليها ، وما أفقره الى
 مثلها انها أم الأنبياء والمرسلين ، ووالدة العلماء والصالحين انه ما من عظيم
 من عظماء الرجال الا والمرأة أمه ووالدته وفوق هذا إنها أمة الله تعالى
 وعابده ، من أذاها آذانه بالحرب فليحمل سلاحه .
 هذه هى المرأة فى علياء كرامتها ، وسما مجدها وفلك شرفها فمن يقدر
 على أن ينزلها منها و يجردها من ثوب مجدها ودرع شرفها ؟ .
حقوق المرأة المسلمة :

* أن حقوق المرأة ثابتة لها ثبوت رواسى الجبال فمن يقوى على
 انتزاعها منها أو اهدارها لها ؟
 * ان الحياة حق من حقوقها من أراد سلبها حياتها سلبت حياته
 قبلها .
 * ان الطهارة بنوعيتها الحسية والعضوية حق من حقوق المرأة
 المسلمة ، فمن أراد تلويثها بدنس الجريمة أو تحبيثها بقذر الائم فقد
 ظلمها .
 ان الحياء والاحتشام زينة المرأة المسلمة وحق من حقوقها ، فمن أراد
 سلبها ذلك لتعرو من جمالها وتعطل من زينتها فتصبح صفقة شواء ، فقد
 اعتدى عليها وظلمها .

١ - اعنى بالرجل ماعدا ادم عليه السلام من سائر الرجال .

* ان صنع البنين والبنات انهاء للحياة وطرد لبقائها الى أجلها المحدود لها حق من حقوق المرأة الخاصة بها ، فمن أراد تعويقها عن صناعتها أو اضعاف انتاجها منها بسفاح أو اجهاض أو جب (١) فقد ظلمها .

* ان تقرب المرأة المسلمة الى ربها وتزلفها الى مالکها بفعل الصالحات وترك المنكرات طلبا لنجاتها ، والفوز بجوار ربها في دار الكرامة حق من حقوق المرأة ، فمن أراد صرفها عن ذلك أو منعها منه فقد ظلمها .

* ان تملك المرأة للمال صامته (٢) وناطقه ، وتصرفها فيه أو انفاقه في غير اسراف ولا معصية لله حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمها .

* ان انفاق الوالد على ابنته ، والزوج على زوجته ، والولد الراشد على أمه وجدته حق ثابت شرعا وعرفا للأبى وهى بنت وزوجة وأم وجدة ، فلا تحتاج معه وهى تملكه الى التصعلك ومزاحمة الرجال طلبا للقوت ، فمن أنكر هذا الحق عليها أو نقصها اياه فقد ظلمها .

* ان تحلى المرأة لزوجها بشتى انواع الحلى ، وتجميلها له بأنواع من التجميل حق من حقوقها الثابتة شرعا لها ، فمن أراد منعها من ذلك في غير أيام حدادها على زوجها فقد ظلمها .

* ان تعلم المرأة المسلمة لكتاب ربها وسنة نبيها والتفقه في مسائل دينها ومعرفة أحكام شرع ربها وتعلم ما يساعد على تحقيق ذلك طلبا للنجاة والكمال والسعادة في الحال والمآل حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه أو أراد منعها منه فقد ظلمها .

١ - الجب القطع ،

والمراد منع المجهل باستعمال الحبوب الخاصة لذلك أو يقطع الرحم واستئصاله منعا للحمل والولادة .

٢ - المراد بالمال الصامت

ما كان ذهباً أو فضة أو عقارا والمراد بالمال الناطق ما كان حيوانا كالغنم والأبل والبقر .

* ان خروج المرأة باذن زوجها أو وليها لزيارة أقاربها ، أو للصلاة في بيت ربها حق من حقوقها المقررة شرعا لها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمها .

* ان طلب المرأة المسلمة العلاج في مرضها ولو أدى الى عرض نفسها على طبيب رجل في صحبة زوجها أو وليها حق من حقوقها الشخصية المعترف بها شرعا فمن منعها منه فقد ظلمها .

* ان طلب المرأة المسلمة الطلاق وتمكينها منه عند اساءة الزوج بتعذيبها أو حرمانها من حقوقها الزوجية حق من حقوق المرأة المسلمة ، فمن أنكره عليها أو حاول حرمانها منه فقد ظلمها .

* ان عمل المرأة الفقيرة بترميل أو بيتم أطفالها ولا غنى لها من مال أو أب أو أخ ، عملها بعيدة عن الرجال لتكتسب لنفسها ویتاماها حق من حقوقها ، فمن نازعها فيه فقد ظلمها .

وبعد : فهذه حقوق المرأة المسلمة ، وتلك كرامتها ، فهل ترى الاسلام منعها شيئا من حقوقها ، أو أهدر لها جانبا من كرامتها .. اللهم .. لا .. لا ..

إذا فما هذه الدعوى الماسونية اليهودية القائمة في بلاد المسلمين والمطالبة بحقوق المرأة ؟ أم هناك حقوق غير ما ذكرنا ؟ نعم .. أنهم يعنون بحقوق المرأة .

المساواة- أى مساواتها للرجل ، وفيما ذا ؟ في الارث وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام ، والوظيفة الخاصة والعامة معا ، ومعنى هذا أنه الكفر بالله ورسوله وشرعه وهذا الذى تسعى إليه الماسونية اليهودية وهو هدفها الأكبر الذى لم تبرح على تحقيقه مهما طال العمل وشق ، غير أنه كفر لا شرف فيه ولا كرامة ، إذ من الكفر ما فيه شرف وكرامة ، وهذا الكفر لا يريدونه للمسلمين ، اذ غرضهم في اقامة مملكة إسرائيل في العالم لايتحقق مع وجود كرامة آدمية وشرف انسانى من عزة وصدق ووفاء ورجولة وعزة

نفس ، وانما يتحقق مع الديانة والتخنت والاباحية وحكم المرأة وتحكمها في الرجل ، وما الى ذلك مما يقضى على الشهامة في الرجل والغيرة والمروءة عنده .

وقولنا فيما يريدون المساواة فيه مع الرجل : انه كفر بالله ورسوله وشرعه هو كما قلنا لان المساواة في الارث ، وعصمة الزواج والاختلاط والعمل العام والولاية الخاصة لاتتم الا بمحو آيات الارث والنكاح والحجاب من الكتاب الكريم ومحو آيات قرآنية تمثل حظا كبيرا من القرآن كفر باجماع المسلمين .

انهم لا يقولون : اكفروا أيها المسلمون ، لانهم يخافون من غضبة المسلمين لو واجهوهم بالأمر بالكفر صراحة ، لأن في المسلمين بقية خير ، ويوم تهلك هذه البقية لا قدر الله سوف ينفذون مخططهم بالحديد والبنار كما فعل عملاؤهم (١) الشيوعيون في روسيا والصين ، وما ينبغي أن يلفت النظر إليه هو أن دولة الاسلام الأم كما سمينها وهي هذه المملكة الاسلامية حماها الله من لوث اليهودية ووقاها شر الماسونية ، هي الربوة الطاهرة والجبل الأشم التي بقيت صامدة صابرة في وجه الأطماع الماسونية وعملائها لم ينالوا منها منالا ، ولم يحققوا فيها آمالا على كثرة الجهود المبذولة منذ نشأة هذه الدولة لتوهينها وكسر قرونها وسحبها الى مطرحة الجيف في العالم ، وهي الدول التي كفرت بالله ، وأعرضت عن ذكره وتنكرت لشرعه وهداه .

والسؤال المطروح الآن هي : هل أيست قوى الشر التي سخرتها الماسونية اليهودية من النيل من دولة الاسلام ، فتركها ولم تصبح تغرى بها سفهاءها ولا تشلى عليها كلابها ؟

١ - اقول عملاؤهم لان الشيوعية فكرة يهودية ماسونية او جدها علماء اليهود وغلوهم في العالم للتعجيل بمسخ الانسانية والقضاء على قيمها من الكرامة والرجولة والخلق والتدين حتى يسهل عليهم امر إعادة مملكة اسرائيل ، وقد نجحوا في هذا المضمار نجاحا كبيرا ، اذ أوروبا المعدومة لليهود أصبحت بقره حلوبا فهم الا فليعلم هذا .

والجواب الصحيح : انها ما أيست من النيل منها ، ولا من دول العالم الاسلامى التى انسلخت من الاسلام ودارت فى فلك الكفر والكافرين .
وللتدليل على صحة عدم يأس الماسونية من النيل من دولة الاسلام ،
وأنها تبذل جهودا كبيرة فى سبيل هدم هذا العقل الاسلامى المتبقى
للالسلام والمسلمين فى دنيا الناس أجمعين - أذكر أن الحملة الصحفية
المركزة التى تقوم بها الصحف والمستهدفة المرأة السعودية وحجائها وطهارتها
لأثر ظاهر من آثار العمل الماسونى الجاد للنيل من دولة القرآن حماها الله .
وان المطالبة بفتح مجالات مشبوهة لنشاطات المرأة . وأن فكرة البنك
النسائى ، والنادى الرياضى النسائى ، والصحافة النسائية يتلاقى مع
الاستراتيجية الماسونية للهدم والتخريب وان لم يقصد كتابنا - هداهم
الله - ذلك ولم يخطر لهم على بال ، غير أنه من الجائز أن يؤثر السحر
الماسونى فى الفرد فيعمل فى الخط الماسونى وهو لا يشعر وعلى سبيل المثال :
أذكر أن احدى صحفنا انتزعت فتيا من جهة مسئولة بجواز نظر الخطيب
الى خطيبته ، فصاغت الصحيفة الفتيا فى قوالب كلامية مثيرة ومهيجة
ووالله ما أن قرأت تلك العناوين حتى علمت أن الماسونية ستستفيد منها
لأنها تسير فى الخط الماسونى بلا التواء ولا تعريج ، وما راعنى الا وكتاب
من بلد عربى يرد على يحمل العبارات التالية : أحق ما نشرت جريدة
كذا . . من أن العدل السعودى والافتاء يميزان لقاء الخطيب بخطيبته ،
فأجبت السائل بأن المسألة من باب « حق أريد به باطل » فجواز نظر
الخطيب الى من يخاطب ليكون أدعى للمودة وأدوم لها أمر مجمع عليه بين
المسلمين ، وذلك لأذن الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك غير أن الكاتب
ما أراد ما أراده من أفتاه ، الكاتب يريد مطلق لقاء بلا قيد ولا شرط فقد
يلقاها منفردة فينظر اليها وقد يصحبها لذلك ويخلو بها أياما أو شهورا ،
وهذا لم يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما المراد الله ورسوله والمؤمنين
ان يجلس الخاطب مع ولى المخطوبة وتمر الفتاة المخطوبة بين أيديهما فيرى

منها الخاطب ما هو في حاجة الى معرفته من قصر وطول ، بياض أو سواد ، سمن أو هزال ، جمال أو دمامة ثم لا يراها بعد الا أن يقدر بينهما زواج فيراها عندما يعقد عليها عقدة النكاح .

ولما كان هذا الأمر معلوما بالضرورة جوازه ، علمنا أن السؤال عنه وانتزاع فتيا به لم يكن عن حسن قصد ولا عن صلاح نية ، وانما لغير ذلك وهو البحث عن سبيل تمكن القوم من الاختلاط المريب بحجة « جواز لقاء الخطيب بخطيبته » .

ولذا ، ما أن نشر المقال حتى تجاوب معه هوة السفور ودعاة الاختلاط وفرحوا به ، بل واحتجوا على المسلمين به ، وقالوا : هذه السعودية دولة الاسلام عدلها وافتاؤها ، الكل يجيزون لقاء الخطيب بخطيبته ، فلم تمنعونه أنتم أيها المتزمتون .

وفذلكة هذا الحديث أن الماسونية عدوة الاسلام والانسانية لم تكن لتيأس من النيل من دولتنا ولم تكن لتهاذننا مهما كان الثمن غاليا ، فلذا فان الواجب على حماة هذه الدولة ورجالها الصادقين أن يفتحوا أعينهم وأن يضاعفوا جهودهم ويواصلوا سهرهم حتى لا يمكنوا دعاة الاختلاط والسفور من النيل من دولة القرآن أى نيل ، والله معهم وناصرهم ، وليعلموا أن المسلمين قد صحوا بعد نومتهم ، وأن الحجاب قد أخذ يعود من جديد لديار الاسلام . فان الطالبات كغيرهن في بلاد كثيرة كالمغرب والجزائر وتونس ومصر قد أصبحن يرتدين الزى الاسلامى ويظهرن ذلك بفخر واعتزاز ، وعليه فلنصبر على حجاب نسائنا حتى يعود الركب الينا وتسير قافلة الاسلام الى المجد والخلود . . والخيبة والويل للماسونية وعملائها في ديار الإسلام وفي غيرها الى اليوم الوعود

« الحجاب »

بعد تعريفنا بالمرأة وحقوقها ، وما قدمنا من حقائق هامة وما استطردها من مسائل ذات بال نعود الى القول في الحجاب فنعرفه أولا ، ثم نذكر مشروعيته ثانيا فنقول :

إن الحجاب معناه حجب المرأة المسلمة من غير القواعد من النساء عن أنظار الرجال غير المحارم لها ومدلول لفظ الحجاب أوسع من هذا المعنى ، إذ يطلق لفظ الحجاب ويراد به الساتر والمانع ، ومنه سمي حاجب العين حاجبا لأنه يمنع العين من أغلب الاصابات ، وسمى حارس السلطان حاجبا لأنه يمنع من الدخول عليه الا باذنه خشية الأذية تصيبه ، وحاجب الشمس هو ما يبدو عند طلوعها أو غروبها من قوس منحني كأنه حاجب عين الانسان وبعض العوام يطلقون لفظ الحجاب على الحرز يكتب للمنع من العين أو الجان وهو ادعاء باطل وعمل لا يجوز .

مشروعية الحجاب :

انه لما كانت فاحشة الزنى من أخطر الفواحش وأكثرها ضررا بالهيئة الاجتماعية وأكبرها تلويثا للروح الانسانية وأعظمها افسادا للأعراض والأموال والابدان حرمة الشارع تحريما قاطعا، لا مجال للشك فيه أو الارتياب ، إذ نصوص تحريمها صريحة واضحة لا تحتمل غير التحريم التام ، قال تعالى : « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم » (١) ، ولما كانت العقوبة بالموت خطيرة

١ - هذا بعض حديث رواه مسلم وغيره ونصه

(خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلا ، البكر بالبكر ... الخ) .

اذ هي من أقسى العقوبات شرع الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين عدة وسائل وقائية من شأنها أن تحول دون وصول العبد الى فاحشة الزنى ذات الخطر الكبير والعقوبة الاكبر .

ولنذكر هذه الوسائل هنا مجملة ليقف القارئ عليها ، ومنها يعرف الحكمة في مشروعية الحجاب فلا ينكره بعد ولا يستهجنه بل يحبذه ويعترف بصلاحيه مشروعيته ، فيؤمن به ويسلم للشارع فيه ، وهذا هو القصد المتوخى لنا من هذه الرسالة .

ومن تلك الوسائل التي تضمنها سورة واحدة من كتاب الله تعالى وهي سورة النور ، وذكرت فيها متسلسلة الواحدة تلو الواحدة دلالة على خطورها وكبير تأثيرها في مقاومة فاحشة الزنى والحيلولة دون وقوعها في المجتمع الاسلامي مجتمع الطهر والصفاء .

١ - الحكم بجلد الزانى البكر والزانية مائة جلدة مع تغريب^(١) عام قال تعالى « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » - النور .

٢ - المنع من نكاح الزانية قبل توبتها ، وكذا انكاح الزانى قبل توبته اخذا بالحيلة اذ من اعتاد الفاحشة لا يأمن ان يعاودها ، قال تعالى « الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين » - النور .

٣ - مشروعية حد القذف وهو رمى الفرد المسلم بكلمة الفاحشة واتهامه بها قال تعالى « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » وعليه فمن قذف امرأة مؤمنة عفيفة أو مؤمنا عفيفا بكلمة

١ - التغريب مشروع بالوحي الثانى وهو السنة .

الفاحشة وجب عليه أن يحضر أربعة شهود على صحة ما قاله أو يجلد حداً على ظهره ثمانين جلدة مع اسقاط عدالته حتى يتوب توبة نصوحاً .

٤ - مشروعية اللعان - وهو أن يرمى الرجل امراته بالفاحشة ولم يكن له شهود يشهدون على صحة دعواه فإن عليه أن يلاعنها أمام القضاء ابراءً لساحته من التلوث وعليها أن ترد لعانه تطهيراً مما لاثها من الرمي بالفاحشة ، قال تعالى « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ، ويدرونها عذاباً إن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين » النور ٦ - ٧ - ٨ - ٩ .

٥ - وجوب حسن الظن بالمؤمن فمن حدثه أن فلاناً أو فلانة فعل كذا وجب عليه أن يرد عليه قائلاً هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء ؟ إذا فهذا إفك مبين ، قال تعالى : « لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا : هذا إفك مبين ، لو لا جاءوا عليه بأربعة شهداء (١) » .

وعلة هذا وما سبقه هو مطاردة الفاحشة من الألسنة حتى لا تسرب الى القلوب فتعمل فيها حتى تسيطر عليها وعندئذ تمثلها الجوارح في حيز الوجود والعياذ بالله تعالى .

٦ - تحريم مجرد الرغبة في ظهور الفاحشة بين المؤمنين ، وهذا مطاردة للفاحشة من القلوب حتى لا تنتقل الى الجوارح قولاً أو عملاً - والعياذ بالله تعالى - قال تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » .

(١) هذا وأن نزل في براءة أم المؤمنين من الإفك فإنه أدب عام لسائر المسلمين وشرع لا يختص بواحد دون آخر ، إذ العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب .

٧ - تحريم اتباع خطوات الشيطان في طريق الفاحشة ، وذلك بعدم الاصفاء الى ما يلقي الشيطان في النفس من تزيين الفاحشة والتفكير فيها ، والسير في سبيل الوصول اليها بالقول أو الفعل ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر » .

٨ - وجوب الاستئذان عند ارادة دخول بيوت المؤمنين كيلا تقع عين المؤمن على امرأة غافلة في البيت فيسبب ذلك فتنة قد تؤدي الى الهلاك التام ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا (١) وتسلموا على أهلها ، ذلك خير لكم لعلكم تذكرون » .

٩ - وجوب غض بصر الرجل عن النظر الى المرأة الأجنبية عنه ، وغض بصر المرأة عن النظر الى الرجل الأجنبي عنها ، لأن النظر بريد الزنى - والعياذ بالله تعالى - قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ، وقال : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن . . . » الآيات .

١٠ - تحريم ابداء المرأة زينتها لغير محارمها من زوج أو أب وولد ومن اليهم من المحارم ، قال تعالى : « ولا يبدین زینتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن . . . » الآيات .

١١ - منع المؤمنة من احداث صوت بحليها يسمعه الرجل خشية أن يسبب لهم « حديث نفس فينتقل إلى فكرة قد يطلب تحقيقها في الواقع والعياذ بالله » ، قال عز وجل : « ولا يضرین بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زینتهن » .

١٢ - وجوب تعاون المسلمين على تزويج عزابهم من نساء ورجال حتى

(١) الاستئناس : هو الاستئذان .

لا يبقى في القرية أو الحى عازب تخشى فتنته ، قال تعالى : « **وانكحوا الأيامى منكم** » والأيامى : جمع أيم ، وهو من ليس متزوجا من ذكر أو أنثى فالرجل أيم والمرأة أيم اذا لم يكن لهما زوج .

وبعد : فهذه اثنتا عشرة وسيلة شرعها الله تعالى وأمر عباده المؤمنين باستعمالها طاعة له عز وجل والمراد منها : منع وقوع فاحشة الزنا بين المؤمنين والمؤمنات ابقاء على طهر مجتمعاتهم وصفاء أرواحهم ، وما الحجاب الا وسيلة اخرى من جملة الوسائل المتعددة شرعه الله تعالى للوقاية من وقوع الفاحشة ، ولما شرعه تعالى أصبح حكما شرعيا يجب على المؤمن والمؤمنة معا احترامه وتنفيذه طاعة لله تعالى .

غير أن وسيلة الحجاب تعتبر من أنفع الوسائل وأقواها في منع الفاحشة بحيث لو لم يأمر الله تعالى بها لكان العقل يأمر بها ويوجبها ، وذلك لأن غض البصر واجب والزنى حرام والمؤمن مأمور بأداء الواجب وهو غض بصره والامتناع عن الحرام وهو حفظ فرجه عن الزنى ، فعلى المؤمن إذا أن يبحث عن وسيلة تمكنه من طاعة ربه تعالى في امتثال امره واجتناب نهيه .

وما هو بواجب وسيلة اجدى ولا أنفع من الحجاب بعد العمل على ابعاد المرأة من ساحة الرجال ، والرجل من ساحة النساء ، وان اضطرت المرأة لان تمر بساحة الرجال مرة في اليوم أو الاسبوع أو الشهر خمرت وجهها . ومرت في طريقها آمنة من الفتنة مأمونا منها ، وذلك بفضل الحجاب أما أن يؤذن بالاختلاط وكشف وجوه النساء ومحاسنهن ، ثم يؤمر العبد بغض بصره وحفظ فرجه فهذا تكليف بما لا يطاق ، وهو ما خلت منه شرائع الله تعالى . ولذا فالاختلاط بوجود النساء مع الرجال في الأماكن العامة والخاصة وبدون ستر الوجوه والمحاسن من النساء لم يكن من شرع الله تعالى أبدا وانما هو من شرع الشيطان عليه لعائن الرحمن نعم قد يقع الاختلاط بقلة في أحوال خاصة فيمكن معه غض البصر من المؤمن والمؤمنة اذ

الاختلاط النادر يسهل على المرأة معه أن تخمر وجهها وتغض بصرها بخلاف الاختلاط الدائم أو المتكاثر ، فإن التستر معه كغض البصر مما يتعذر ، ولا يمكن وقوعه ، عرف هذه الحقيقة سلف هذه الأمة وصدرها الصالح ، فحالوا دون اختلاط النساء بالرجال ففي المساجد خص النساء بأواخرها وفي البيوت جعل للرجال مجالس وللنساء مجالس أخرى ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذنون لنسائهم بالخروج الى المساجد بالليل فيشهدن صلاتي العشاء والصبح دون صلوات النهار كالظهر والعصر والمغرب غالبا ، ففي الموطأ عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن ما يعرفن من الغلس » وكل هذا منهم تطبيقا لحكم الحجاب وطلبيا لغض أبصارهم وحفظ فروجهم حيث أمروا بذلك وشدد عليهم فيه .

وجوب الحجاب

على

المرأة المسلمة

مما سبق عرفنا مشروعية الحجاب وأنه وسيلة من أنفع الوسائل في غض البصر وحفظ الفرج ، وآلآن نريد أن نقول ان الحجاب وان كان مشروعا في جملة وسائل من جملتها الحيلولة دون تلوث المجتمع الاسلامى بالفواحش فانه واجب على المرأة المسلمة وجوبا عينيا لا يسعها تركها بحال مادامت لم تقعد عن الحيض والحمل والنكاح ، وهذه أدلة هذا الوجوب صريحة واضحة لا تقبل الرد والتأويل :

قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَّهُ ، وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا ، فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ ، إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيَ مِنْكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيَ مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » من سورة الأحزاب .

فهذه الآية الكريمة تعرف بآية الحجاب اذ هي أول آية نزلت في شأنه وعلى أثرها حجب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وحجب المؤمنون نساءهم وهي نص في فرض الحجاب اذ قوله تعالى « وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ » قطعى الدلالة في ذلك ، ومن عجيب القول أن يقال ان هذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم فهي خاصة بهن دون باقى نساء المؤمنين ، اذ لو كان الأمر كما قيل لما حجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءهم ولما كان لاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمخاطب أن ينظر لمن يخطبها معنى أبدا .

وفوق ذلك أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم جعلهن الله تعالى أمهات المؤمنين ، اذ قال الله تعالى : « وأزواجه أمهاتهم » ^(١) فنكاحهن محرم على التأبيد كنكاح الأمهات ، فأى معنى اذا لحجهن وحجابهن اذا كان الحكم مقصورا عليهن ، ومن هنا كان الحكم عاما يشمل كل مؤمنة الى يوم القيامة ، وكان من باب قياس الأولى ، فتحريم الله تعالى التأفيف للوالدين يدل على تحريم ضربهما من باب أولى ، وهذا الذى دلت عليه نصوص الشريعة وعمل به المسلمون .

ب - قوله تعالى : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » من سورة الأحزاب .

فى هذه الآية الكريمة دلالات كبرى كلها تؤكد حكم الحجاب وتقرره وهى كالتالى :

١ - منع المؤمنة من ترقيق قولها وتليينه اذا تكلمت مع أجنبى عنها ليس محرما لها .

٢ - تقدير وجود مرض الشهوة فى قلوب بعض المؤمنین وهو علة نهى المرأة عن ترقيق قولها اذا قالت .

٣ - وجوب تحديد العبارة والتكلم على قدر الحاجة بحيث لا تزيد المرأة اذا تكلمت مع أجنبى فى كلامها مالىس بضرورى للافهام ، فلا يجوز منها اطناب ولا استطراد بل يجب أن تكون كلماتها على قدر حاجتها فى خطابها .

٤ - لزوم المرأة المسلمة بيتها وهو مقر عملها الطبيعى فلا تخرج الا الحاجة ماسة اذ البيت هو محل تربية أولادها وخدمة زوجها وعبادة ربها بالصلاة والزكاة وذكر الله وما والاها .

٥ - تحريم التبرج وهو خروج المرأة المسلمة من بيتها كاشفة من وجهها

١ - من سورة الأحزاب وأولها « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه »

مظهرة لمحاسنها غير خجلة ولا محتشمة حيية .

ان هذه الدلالات الخمس من هذه الآية في خطاب أمهات المؤمنين رضى الله عنهن كل واحدة منها دالة بفحواها على فرضية الحجاب وتحتمة على المرأة المسلمة ، غير أن المبطلين لم يروا ذلك فقالوا في هذه الآية والتي قبلها : انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهى خاصة بهن ولا تعلق لها بغيرهن من نساء المؤمنين وبناتهم ، وهو قول مضحك عجيب ، وذلك لأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين اللائى لا يتوقع منهن ارتكاب الفاحشة .

وهاتان الآيتان مثلهما مثل إقسام الله تعالى لرسوله بأنه لو أشرك لحبط عمله وكان من الخاسرين فى آية الزمر مع العلم أن رسول الله معصوم لا يتأتى منه الشرك ولا غيره من الذنوب ، ولكن الكلام (من باب اياك أعنى واسمعى يا جارة) وعليه فاذا كان الرسول على جلالته لو أشرك لحبط عمله وخسر فغيره من باب أولى ، كما أن الحجاب لما فرض على نساء النبي وهن أمهاته المؤمنين كان على غيرهن من باب أولى ويبدو أنه لما كان الحجاب مخالفا لما كان عليه العرب فى جاهليتهم ولم يشرع تدريجا وشيئا فشيئا حتى بالقوة اذ لا يمكن فيه التدرج ، فلما شرع دفعة واحدة كان أمرا عظيما ، فبدأ الله تعالى فيه بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يقال وما أكثر من يقول يومئذ ، والمدينة مليئة بالنفاق والمنافقين : انظروا كيف ألزم نساء الناس البيوت والحجاب وترك نساءه وبناته غاديات رائحات ينعمن بالحياة ، الى آخر ما يقول ذوو القلوب المرضى فى كل زمان ومكان ، فلما فرضه على نساء رسوله صلى الله عليه وسلم لم يبق مجال لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ترغب بنفسها عن نساء الرسول صلى الله عليه وسلم فترى السفور لها ولا تراه لأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته ، وهذا يعرف عند علماء الأصول بالقياس الجلى ، ومن باب أولى كتحریم ضرب الأبوين قياسا على تحريم التأفيف فى قوله تعالى : « ولا تقل لهما أف ولا

تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً .

جـ - قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً » . هذه الآية من سورة الأحزاب وهي متأخرة في التلاوة عن الآيتين قبلها أبطلت دعوى الخصوصية في الحجاب حيث أشركت في الخطاب نساء المؤمنين باللفظ الصريح وهي تطالب المؤمنات إذا خرجن من بيوتهن لحاجة استدعت ذلك أن يغطين وجوههن ويسترن محاسنهن ، أما التعليل في الآية فهو يشير إلى المجتمع الإسلامي في تلك الأيام وأنه كان مخلخلاً مهزوزاً لوجود أغلبية فيه من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات وحكم الرسول ﷺ لم يستقر بعد والأمن لم يستتب بدليل أن المنافقين كان منهم من يتعرض للجوارى في الشوارع ويغازهن لإيقاعهن في الرية ، فمن باب الوقاية العاجلة أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول آمراً أزواجه وبناته ونساء المؤمنين به إذا خرجت إحداهن لحاجتها أن تغطي رأسها ووجهها لتعرف أنها حرة وليست جارية تخدم البيوت فلا يتعرض لها أولئك المنافقون بالكلام المريب والمغازلة الفاتنة ، والمقصود من الكلام أن هذه الآية مؤكدة لفرضية الحجاب ومقررة له ودعاة السفور يقولون إن هذه الآية لم تأمر بتغطية الوجوه وإنما أمرت بتغطية الرأس فقط وهو فهم باطل إذ الجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها ، فكيف يقال لها أدنى الجلباب من رأسك تغطية ؟ .

وإنما تدنيه من رأسها لتغطي به وجهها هذا هو المعقول والمفهوم من كلام العرب ثم مجرد تغطية الرأس لا تمنع من المغازلة المخوفة وإنما يمنع منها تغطية الوجه بالمرّة ، أما كاشفة الوجه فإن النظر إليها ومنها يسهل المكالمة فالمغازلة كما قال الشاعر الحكيم :

فكلام فموعد فلقـاء

نظرة فابتسامة فسلام

د - قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا قلوبهم

ذلك أزكى لهم إن الله خير بما يصنعون» - النور .

ان في تقديم الأمر بغض البصر عن النظر الى غير المحارم على الأمر بحفظ الفروج من الفاحشة اشارة واضحة الى أن النظر بريد الزنى فقد لا تقع فاحشة الزنى الا بعد النظر فمن أباح لنفسه أن ينظر الى امرأة لا تحل له بشهوة كان قد مهد الطريق للوصول الى الفاحشة معها ، ومن غرض بصره خوفا من ربه جعل بينه وبين الزنى خندقا لا يمكنه ان يصل معه الى الفاحشة الا بعسر وتكلف شقــة .

ومن هنا أمر الله تعالى بغض البصر وحرم النظر لغير ضرورة كما هو صريح لفظ يغضوا من أبصارهم .

هـ - قوله تعالى : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . . . » الآية .

ان دلالة هذه الآية على الحجاب قوية اذ تضمنت الأمر بغض البصر وحفظ الفرج فحفظ الفرج لا يتم الا بغض البصر ، وغض البصر لا يتم الا بالحجاب التام ، وتقدم لنا في هذا الباب أن غرض البصر يتأتى لأحد الجنسين وكلاهما مأمور به إذا لم يكن هناك اختلاط ، اما مع الاختلاط فلا يتأتى وليس في امكان أى مؤمن أو مؤمنة أن يطيع ربه في هذا الأمر بحال ، ومن هنا كان مدلول كلمة الحجاب ليس هو أن تغطي المرأة محاسنها فحسب بل مدلوله الحق هو أن يكون هناك حاجب وحاجز يحول دون اختلاط النساء بالرجال والرجال بالنساء وعندئذ يمكن غرض البصر وحفظ الفرج ، ولما كان خروج المرأة ضروريا لما يطرأ لها من أمور تستدعى خروجها ، اذن لها في الخروج ولكن غير مبدية لزينتها بل ساترة لها الا ما لا يمكن ستره كعين تبصر بها أو كف تتناول به أو ثياب عليها ، وهذا معنى الاستثناء في الآية : « الا ما ظهر منها » وبه فسر غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وأما قوله تعالى في الآية : « ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن وهن الأزواج وأباؤهم والأبناء وأبناء الأزواج والاخوان وأبنائهم وأبناء الأخوات مضافا اليهم النساء المؤمنات وما ملكت أيانهم من عبد رقيق ، والتابع لأهل البيت من غير ذوى الاربة ^(١) من الرجال والاطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء ، فذكر هؤلاء واحدا بعد واحد دال على أهمية الحجاب ووجوب احترامه والعمل به بين المسلمين ، وإى تساهل فيه يدل على ضعف إيمان العبد ورقة دينه بعد عناية القرآن به هذه العناية التى ما حظى بها كثير من الأحكام الشرعية .

و- قوله تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » .

ان دلالة هذه الآية على الحجاب الكامل أظهر وأقوى من الآيات السابقة وذلك لأن إثارة الفتنة بسماع صوت الخلخال فى الرجل اذا ضربت المرأة برجلها وهى تمشى أقل بكثير من فتنة النظر الى وجهها وسماع حديثها ، فاذا حرم الله تعالى بهذه الآية على المرأة أن تضرب الأرض برجلها خشية ان يسمع صوت حليها فيفتن به سامعه كان تحريم النظر إلى وجهها وهو محط محاسنها أولى واشد حرمة .

ز- قوله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم » أن دلالة هذه الآية الكريمة على وجوب الحجاب على النساء المسلمات دلالة قطعية لا تقبل التأويل ولا الجدال بحال وهذا بيان ذلك :

١- المراد من القواعد النساء اللاتى تقدمت بهن السن فقعدن عن

(١) ذوى الحاجة . المراد أنهم كبار السن من الشيوخ الهرمين والمعاتية الذين لا حاجة بهم إلى النساء .

الحيض والحمل وهن العجائز ومن في حكمهن ممن أيست من الحيض والحمل وان لم تصل الى سن العجز الكامل .

٢ - الرخصة التي أعطيها هي ان تخرج احداهن بدون ملاءة ولا عجار كاشفة عن وجهها ورأسها وعنقها لكن بشرط ان لا تتحل بشيء من الحلى كالحاتم فى الاصبع والحضاب فى الكف والسوار فى المعصم والكحل فى العين والخلخال فى الرجل ، وهذا معنى قوله فى الآية : « غير متبرجات بزينة » .

٣ - ترغيب الله تعالى هن فى البقاء على الحجاب بقوله « وان يستعففن خير لهن » يا سبحان الله إن فى قوله تعالى « وان يستعففن » إشارة ربانية إلى أن طلب العفاف يكون بالابقاء على الحجاب وان طلب الفاحشة يكون بترك الحجاب !!

٤ - ختم الآية بصفتى السمع والعلم لله تعالى إشارة الى أنه على المرأة المرخص لها فى الخروج بترك الحجاب لكبر سنها أن تحذر التعسف فى استعمال الرخصة كأن تندعى القعود وليست هى بقاعدة أو تترين بشيء من انواع الزينة وتخرج باسم الرخصة متبرجة بزيتها فتنة للناظرين من المؤمنين .

٥ - انه لو لم يكن الحجاب واجبا على المرأة المسلمة وهو عدم الخروج من البيت الا لحاجة ماسة ، وعندما تخرج ، تخرج ساترة لوجهها وكل محاسنها الا مالا يمكن ستره كاللباس الظاهر أو العين تبصر بها طريقها ، وتعرف بها حاجتها ، أو الكف تتناول به أو تعطى لما كان لهذه الآية الكريمة من معنى أبدا ، لانها رفعت الجناح الذى هو الاثم والحرَج على القواعد اذا تركن الحجاب غير متبرجات بزينة ، فلو كان لكل امرأة قاعد أو شابة أن تضع ثيابها وتخرج بلا حجاب ولا ساتر لترى الرجال ويرونها لما كان لهذه الرخصة معنى ولا حكم ، وهذا مفهوم من الآية بالبداهة ، ولذا كانت هذه الآية نصا صريحا فى الحجاب ويتوب الله على من تاب .

« الخاتمة »

وختاما ، فهذه رسالة « فصل الخطاب في المرأة والحجاب » قد أوحاها الواجب وأملأها الضمير ونشرتها الرغبة الصادقة في تجنب هذه البلاد شر الغير وإبعادها من ساحة الخطر ، إذ هي بلاد أنعم الله تعالى عليها بعظيم النعم نعم الدين والدنيا ، والأولى والأخرى ، وكل ذى نعمة محسود ، وذو الحسد لا يقف في الاضرار عند حد ، فلذا وجب تنبيه أبنائنا وإخواننا في هذه الديار ديار الله الى ما يكيده المحسدة لهم وما يمكرونه بهم انهم يريدون أن يهدموا البناء من أساسه ويقوضوا البيت من أركبانه .

يريدون أن ترمى فتاة الايمان وغادة الاسلام النقاب والحجاب وتخرج عارية كاليهودية أو النصرانية وقد فارقها الحياء والايمان ، اذ هما صنوان اذا ذهب أحدهما ذهب الثاني وبذلك ينطفئ النور ويعتم ظلام الفسق والفجور ، ويتخلى الله عمن تخلى عن الايمان به والاسلام له ، والاحسان فيه والحياء منه ، ومن تخلى الله عنه لا يدري في أى واد يرمى به فيهلك مع الهالكين .

فيا معشر الأبناء والاخوان اقبلوا نصيحة مجرب طال ركوبه على متن الحياة فعرف حلوها ومرها وصالحها وفاسدها وطيبها وخبيثها . وعرف سنن الله تعالى فيها ، تلك السنن التى لا تحابى أحدا من خلق الله بل تجرى وفق ماسنها الله تعالى له فالطعام يشبع ، والماء يروى ، والنار تحرق ، والحديد يقطع ، والسفور يقود الى الفجور ، والفجور خروج عن نظام الحياة ، والحياة من خرج عن نظامها فارقت وفارقها ومن فارق الحياة مات ، ومن مات فات ، والفات لا يطلب لاستحالة ادراكه ، واستواء حياته بمماته .

فأبقوا يا أبنائى على حجاب نسائكم فجنسوهن الاختلاط ، وأبعدوهن من أى ارتباط لم يكن ارتباط زوج بزوجة أو أم بأولاد ، فذلك خير ، والخير

مرغوب ومطلوب ، فاطلبوه بصيانة الأعراض ، وطهارة الأعراق
والأنساب ، وإياكم ورغبات الشباب الجامحة ، وتطلعات الفتيان والفتيات
الطامحة ، فإن الانسياق وراءها والجري في مجراها يؤدي بكم الى هدر
ثراستكم وسلب عزكم وضياح مجدكم ، ويومئذ تندمون وتبكون وهل ينفع
الندم أو يجدي البكاء ؟ لقد ذهب الفسق عن أمر الله ورسول الله بجنة
العرب - الاندلس الخضراء - وذهب الكفور والفجور بالجمهوريات
الاسلامية وحولها الى اقاليم سوفياتية .

فالله الله يا أبنائي ، واني لكم ناصح أمين ، في دولتكم . فشدوا من
أزرها وقبوا من دعائمها وأركانها باقامة الصلوات وترك الشهوات ، فإن
أقواما أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات قد خسروا في الحياة والممات ،
فاربأوا بأنفسكم أن تكونوا مثلهم والله معكم ولن يتركم
أعمالكم .

المدينة المنورة في ١٤٠١/٩/٢ هـ .

●● الرسالة الثامنة

الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو
والإجحاف

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الانصاف فيما قيل في المولد من الغلو والاحفاف

تصدير :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
وبعد فقد ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع - المولد النبوى -
احتراما للجناب المحمدى الشريف وتقديراً له ، ولكن بعد أن أصبح بين
المسلمين من يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا في شأن المولد
وجدتني مضطرا إلى كتابة هذه الرسالة راجيا أن تضع حداً لهذه الفتنة التى
تثار كل عام ، ويهلك فيها ناسٌ من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله
لقد سمعت قبيل شهر - ربيع الأول - إذاعة لندن البريطانية تقول إن
مفتى الديار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز يكفر من يحتفل بالمولد
النبوى مما أثار سخط العالم الاسلامى ، فاندحشت للخبر وما فيه ، من
باطل وتهويل ، إذ المعروف عن سماحة المفتى القول ببذعية المولد ، والنهى
عنها لا تكفير من يقيم^(١) ذكرى المولد ولا من يحتفل فيها . ولعل هذا من
كيد الرافضة الناقمين على السعودية التى لا مجال عندها للبدع والخرافات
والشرك والضلالات .

ومهما يكن فإن الامر قد اصبح ذا خطورة ، ووجب على أهل العلم أن
يُبينوا الحق في هذه المسألة الخطيرة التى أدت إلى أن أبغض المسلمون

(١) وقد كتب سماحة المفتى الشيخ عبد العزيز بن باز في رد بدعة المولد وإنكارها ردوداً كثيرة فلم يقل بكفر أحد من يحيون ذكرى
المولد أبداً ، وإنما قول إذاعة لندن هذا هو من باب الكجاف والكذب المختلق للإثارة والفتنة ، وإلا فما كتبه مفتى المملكة
موجود فليرجم إليه .

بعضهم بعضاً ، ولعن بعضهم بعضاً . فكم من أحد يقول لى مشفقاً على : إن فلانا يقول إننى ابغض فلانا لأنه ينكر الاحتفال بالمولد ، فأعجب من ذلك ، وأقول : فهل الذى ينكر البدعة ويدعو إلى تركها يبغضه المسلمون ؟ إن المفروض فيهم أن يحبوه لا أن يبغضوه وأدهي من ذلك وأمر أن يشاع بين المسلمين أن الذين ينكرون بدعة المولد هم أناس يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه ، وهذه جريمة قبيحة كيف تصدر من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر ؟ إذ بغض الرسول صلى الله عليه وسلم أو عدم حبه كفر بواح^(١) لا يبقى لصاحبه أية نسبة إلى الاسلام والعياذ بالله تعالى .

وأخيراً فمن أجل هذا وذاك كتبت هذه الرسالة أداءً لواجب البيان من جهة ، ورغبة في وضع حد لهذه الفتنة التى تتجدد كل عام ، وتزيد في محنة الاسلام من جهة أخرى . والله المستعان وعليه وحده التكلان .

(مقدمة علمية هامة)

إننى أنصح في صدق لمن أراد قراءة هذه الرسالة ليعلم حكم الشرع الاسلامي في ما يسمى بالمولد النبوي الشريف أن يقرأ هذه المقدمة باعتناء عدة مرات حتى يطمئن إلى فهمها ، ولو أدى ذلك به إلى تكرار قراءتها عشر مرات ، وإن تعذر عليه فهمها فليقرأها على طالب علم حتى يساعده على فهمها فهماً جيداً وصحيحاً لا خطأ فيه .

فإن فهم هذه المقدمة لا يُفقد في فهم قضية المولد المختلف فيها فحسب بل يُفيدة في كثير من القضايا الدينية التى يتنازع فيها الناس عادة : هل هى بدعة أو سنة وإن كانت بدعة هل هى بدعة ضلالة ، أو بدعة حسنة ؟

وسأبسط للقارئ المسلم العبارة ، وأقرب إليه الإشارة ، وأضرب له المثل وأوضحه ، وأدنى منه المعنى وأقرئه ، رجاء أن يفهم هذه المقدمة الهامة ، والتى هى كالفتاح ، لفهم المغلق من مسائل الخلاف فيها هودين وسنة يعمل به ، أو هو ضلال وبدعة يجب تركه والبعد عنه .

(١) البواح : الظاهر المكشوف يقال فعل الشيء بواحا بفتح الباء أى جهاراً في غير سر ولا إخفاء

وبسم الله أقول : اعلم أخى المسلم أن الله تبارك اسمه وتعالى جدّه قد بعث رسوله نبينا محمداً ﷺ وأنزل عليه كتابه القرآن الكريم من أجل هداية الناس وإصلاحهم فيكملوا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم قال تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسندخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما (١) ﴾

وبهذا عرفنا أن هداية الناس وإصلاحهم ليكملوا في أرواحهم ، ويفضلوا في أخلاقهم لا تتم إلا على الوحي الالهى المتمثل في كتاب الله وسنه رسوله ﷺ . فإن الله عز وجل يوحى بالأمر والرسول يبلغه ويبين كيفية العمل به ، والمؤمنون (٢) يعملون به ، فيكملون عليه ويسعدون به ، ولنا أن نحلف بالله العظيم أيها القارئ الكريم : أنه لا سبيل الى إكمال الناس وإسعادهم بعد هدايتهم وإصلاحهم إلا هذا السبيل وهو العمل بالوحي الالهى الذى تضمنته السنة والكتاب .

وسر هذا أيها القارئ الفطن : أن الله تعالى هورب العالمين أى خالقهم ومربيهم ومدبر أمورهم ومالكها عليهم فالناس كلهم مفتقرون إليه فى خلقهم وإيجادهم ، ورزقهم وإمدادهم وتربيتهم وهدايتهم وإصلاحهم ليكملوا ويسعدوا فى كلتا حياتهم . وقد جعل تعالى سننا للخلق عليها يتم خلقهم وهى التلاقح (٣) بين الذكر والأنثى ، وجعل كذلك سننا عليها تتم هدايتهم وإصلاحهم ، وكما لا يتم الخلق إلا على سنته فى الناس لا تتم كذلك الهداية والإصلاح إلا على سنته تعالى فى ذلك وهى العمل بما شرع الله فى كتابه وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق ذلك على الوجه الذى بينه رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا كان لا مطمع فى هداية أو سعادة أو كمال يأتى من غير طريق شرع الله بحال من الأحوال .

(١) هذه الآية من خاتمة سورة النساء . وقد اشتملت على ذكر ما قلنا من ان الله تعالى قد أرسل رسوله وأنزل كتابه هداية الناس وإصلاحهم . فالبرهان فى الآية هو النبى محمد ﷺ عند كثير من أهل التفسير ، والنور فى الآية هو القرآن الكريم . فافهم .

(٢) هذا معنى قول أهل العلم : على الله الوحي وعلى الرسول البلاغ ، وعلى المؤمنين الطاعة .

(٣) سواء فى ذلك الإنسان والحيوان برأى أو بحرياً ، والنبات هل اختلافه وكثرة أنواعه ، ولا يستثنى من هذه السنة الا آدم وحواء وعيسى ابن مريم عليهم السلام .

وها أنت تشاهد أهل الأديان الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وغيرها فهل اهتمدوا بها أو كملوا أو سعدوا عليها ؟ وذلك لأنها ليست من شرع الله ، كما أننا نشاهد القوانين التي وضعها الناس لتحقيق العدالة بين الناس وحفظ أرواحهم وأموالهم وصيانة أعراضهم وتكميل أخلاقهم فهل حققت ما أريد منها ؟ والجواب لا إذ الأرض قد خمت من الجرائم والموبقات كما نشاهد أهل البدع في أمة الاسلام وأنهم أفسد الناس عقولا ، وأرذلهم أخلاقا ، وأحطهم نفوسا كما نشاهد أيضا أكثر المسلمين لما عدلوا عن شرع الله إلى ما شرع الناس من تلك القوانين التي هي من وضع غير الله تعالى كيف تفرقت كلمتهم ، وحقر شأنهم وذلوا وهانوا ، وماذا لك إلا لأنهم يعملون بغير الوحي الإلهي . واسمع القرآن الكريم كيف يندد بكل شرع غير شرع الله تعالى ﴿ شرعوا ^(١) لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم ﴾ واستمع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « من أحدث ^(٢) في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » « ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ومعنى رد مردود ^(٣) على صاحبه يقبل منه ولا يثاب عليه ، وعلة ذلك : أن العمل الذي لم يشرعه الله تعالى لا يؤثر في النفس بالتزكية والتطهير لخلوه من مادة التطهير والتزكية التي يوجدها الله تعالى في الأعمال التي يشرعها ويأذن بفعالها . وانظر إلى مادة التغذية كيف اوجدها الله تعالى في الحبوب والثمار واللحوم فكان في أكل هذه الأنواع غذاء للجسم ينمو عليها ويحتفظ بقواه ، وانظر إلى التراب والخشب والعظام لما أخلاها من مادة التغذية كانت غير مغذية . وبهذا يظهر لك أن العمل بالبدعة كالتغذية بالتراب والحطب والخشب فإذا كان أكل هذه لا يتغذى فكذلك العامل بالبدعة لا تطهر روحه ولا تزكو نفسه .

وبناء على هذا فكل عمل يُراد به التقرب إلى الله تعالى للحصول على الكمال والسعادة بعد النجاة من الشقاء والخسران ينبغي أن يكون أولا هما

(١) الآية في سورة الشورى .

(٢) الحديث رواه مسلم .

(٣) إرد مصدر أريد اسم المفعول فرد بمعنى مردود ، وما لم يقبل كيف يثاب عليه ؟ وسر ذلك أنه لم يحدث . حسب سنة الله في الخلق - زكاة للنفس ولا طهارة .

شرع الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأن يكون ثانيا مؤدّى على نحو ما أداه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مراعى فيه كميته أى عدده بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وكيفيته بحيث لا يقدم فيه بعض أجزائه ولا يؤخر . وزمانه بحيث لا يفعله في غير الوقت المحدد له . ومكانه فلا يؤدّيه في غير المكان الذى عينه الشارع له . وإن يريد به فاعله طاعة الله تعالى بامثال امره . أو التقرب اليه طلباً لمرضاته والقرب منه ، فإن فقد العمل واحدة من هذه الاعتبارات : أن يكون مشروعاً ، وأن يؤدّيه على النحو الذى أداه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن يريد به وجه الله خاصة بحيث لا يلتفت فيه الى غير الله سبحانه وتعالى . فانه يبطل ، ومتى بطل العمل فإنه لا يؤثر في النفس بالتزكية والتطهير بل قد يؤثر فيها بالتدسية والتنجيس واصبر على أوضح لك هذه الحقيقة بالأمثلة التالية :

١ - الصلاة فإنها مشروعة بالكتاب قال تعالى ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ إن الصلاة كانت على المؤمنين^(١) كتاباً موقّاتاً ﴿ (وبالسنة) قال رسول الله ﷺ خمس^(٢) صلوات كتبهن الله الحديث . فهل يكفي العبد أن يصليها كيف شاء ومتى شاء ، وفي أى زمان أو مكان شاء ؟ والجواب لا ، بل لا بد من مراعاة باقى الحثيات من عددها وكيفيتها ، وزمانها ومكانها فلو صلى المغرب أربع ركعات بأن زاد فيها ركعة عمداً بطلت ، ولو صلى الصبح ركعة واحدة بأن نقص منها ركعة لما صحت . وكذلك لو لم يراع فيها الكيفية بأن قدّم بعض الأركان على بعض لم تصح ، وكذا الحال في الزمان والمكان فلو صلى المغرب قبل الغروب ، أو الظهر قبل الزوال لما صحت ، كما لو صلى في مجزرة أو مزبلة لما صحت لعدم مراعاة المكان المشروط لها .

٢ - الحج فإنه مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه

(١) الآية من سورة النساء .

(٢) رواه مالك وغيره ونصه كاملاً : خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة .

(٣) الآية من سورة آل عمران .

وسلم يأبى الناس^(١) قد فرض الله عنيكم الحج فحجوا . فهل للعبد أن يحج كيف شاء ومتى شاء ؟ والجواب لا بل عليه أن يراعى الحيثيات الأربع وإلا لما صح حجه وهى الكمية فيراعى عدد الأشواط فى كل من الطواف والسعى فلو زاد فيها أو نقص منها عمداً فسدت ، والكيفية فلو قدم الطواف على الاحرام ، أو السعى على الطواف^(٢) لما صح حجه ، والزمان فلو وقف بعرفة فى غير تاسع شهر الحجة لما صح حجه ، والمكان فلو طاف بغير البيت الحرام أو سعى بين غير الصفا والمروة أو وقف بغير عرفة لما صح حجه .

٣ - الصيام فإنه عبادة مشروعة عليها أمر الله وأمر رسوله قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ الآية وقال رسول الله ﷺ : « صوموا^(٣) لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فاكلوا شعبان ثلاثين » . فهل للعبد أن يصوم كيف شاء ومتى شاء ؟ والجواب لا بل عليه مراعاة الحيثيات الأربع وهى الكمية فلو صام أقل من تسعة وعشرين أو ثلاثين يوماً لما صح صومه كما لو زاد يوماً أو أياماً لما صح ذلك منه لاخلاله بالكمية وهى العدد ، والله تعالى يقول ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ﴾ والكيفية فلو قدم أو أخر بأن صام الليل وأفطر النهار لما صح منه ، والزمان فلو صام شعبان أو شوالاً بدل رمضان لما صح منه ، والمكان وهو المحل القابل للصيام فلو صامت حائض أو نفساء لما صح منها .

وهكذا سائر العبادات لا تصح ولا تقبل من فاعلها إلا اذا راعى فيها كل شروطها وهى :

١ - أن تكون مشروعة بالوحي الالهى لقول الرسول ﷺ « من^(٥) عمل

عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »

٢ - أن يؤديها أداء صحيحاً ملاحظاً فيه الحيثيات الأربع : الكمية بمعنى العدد والكيفية وهى الصفة التى عليها العبادة ، والزمان الذى حدّد

(١) رواه مسلم وغيره فى خطبة خطبها رسول الله ﷺ يأبى الناس الخ . . .

(٢) تقديم السعى على الطواف إذا كان لضرورة لا يضر ولا يبطل الحج به ، لإذن الرسول ﷺ فى ذلك بقوله : افعل ولا حرج لمن سأل عن تقديم بعض أفعال الحج عن بعض .

(٥) رواه مسلم .

(٤) اتفق عليه البخارى ومسلم .

(٣) الآية من سورة البقرة .

لها ، والمكان الذى عين لها .

٣ - أن يخلص فيه لله تعالى بحيث لا يشرك فيها أحداً كائناً من كان .
ومن هنا كانت أيها الأخ المسلم البدعة باطلة وكانت ضلالة ، كانت باطلة لأنها لا تزكى الروح إذ هى من غير شرع الله أى ليس عليها أمره ولا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت ضلالة لأنها أضلت فاعلها عن الحق فأبعدته عن عمل مشروع يزكى نفسه ويجزيه به ربه ويشبهه عليه .

[تنبيه]

اعلم أخى المسلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن العبادة المشروعة بالكتاب والسنة أى عليها أمر الله ورسوله قد بطراً عليها الابتداع ويدخلها الإحداث فى كميتها أو كيفيتها أو زمانها أو مكانها ففسد على فاعلها ولا يثاب عليها ولنضرب لك مثلاً بالذكر فإن الذكر مشروع بالكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴾ وقال رسوله ﷺ : « مثل الذى (١) يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت » . ومع مشروعيته فقد داخله الابتداع عند كثير من الناس فأفسده عليهم ، وحرّمهم ثمرته من تزكية النفس وصفاء الروح ، وما يترتب على ذلك من مثوبة ورضوان . إذ بعضهم يذكر بالفاظ غير مشروعة مثل الذكر بالاسم المفرد : الله ، الله ، الله أو بضمير الغيبة المذكر : هو ، هو ، هو ، وبعضهم يذكر ببدء الله تعالى عشرات المرات ولا يسأل شيئاً فيقول : يا لطيف ، يا لطيف ، يا لطيف . وبعضهم يذكر الله مع آلات الطرب ، وبعضهم يذكر بلفظ مشروع بنحو الهيلة (٢) ولكن فى جماعة بصوت واحد مما لم يفعله الشارع ولم يأمر به أو يأذن فيه ، فالذكر عبادة شريفة فاضلة ولكن نظراً إلى ما داخله من الابتداع فى كمية أو كيفية وهيئة بطل مفعوله وحرّم أهله مثوبته وأجره .

وأخيراً ألخص للقارئ الكريم هذه المقدمة النافعة فاقول : إن ما

(١) الآية من سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخارى ، ومسلم بلفظ : مثل البهت الذى يذكر الله فيه ، والبهت الذى لا يذكر فيه مثل الحى والميت .

(٣) الهيلة : هى لا اله الا الله .

يتعبد به العبد ويتقرب به إلى الله . لينجو من عذابه ويفوز بالنعيم المقيم في جواره بعد أن يكون قد استكمل به فضائل نفسه في الدنيا وصلاح عليه أمره فيها لا يكون ولن يكون إلا عبادة مشروعة أمر الله تعالى بها في كتابه ، أو استحبابها أو رغب فيها على لسان رسوله . وأن يؤديها المؤمن أداءً صحيحاً مراعى فيها الحيثيات الأربع : الكمية . والكيفية ، والزمان والمكان مع الاخلاص فيها لله تعالى وحده .

فإن كانت العبادة غير مشروعة بالوحي الإلهي فهي بدعة ضلالة ، وإن كانت مشروعة واختل أداؤها بعدم مراعاة حيثياتها الأربع أو داخلها الابتداع في ذلك فهي قرينة فاسدة ، وإن خالطها شرك فهي عبادة حابطة باطلة لا تجلب رخاء ، ولا تدفع بلاء ، والعياذ بالله تعالى .

تمة نافعة في بيان السنة والبدعة

إنه قبل تعريف البدعة ينبغي تعريف السنة ، إذ السنة من باب الأفعال والبدعة من باب التروك ، وما يفعل مقدم على ما يترك ، كما أنه بتعريف السنن تعرف البدع ضرورة .
فما هي السنة إذن ؟

السنة لغة هي الطريقة المتبعة ، والجمع سنن . وشرعاً هي ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى لأمة من طرق البر وسبل الخير ، وما انتدبها إليه من الآداب والفضائل ، لتكمل وتسعد .
فإن كان ما سنه قد أمر بالقيام به والتزامه فذلك السنن الواجبة التي لا يسع المسلم تركها ، وإلا فهي السنن المستحبة التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها .

واعلم أيها القارئ أن النبي ﷺ كما يسن بقوله يسُنُّ بفعله وتقريره إنه صلى الله عليه وسلم إذا عمل شيئاً وتكرر منه بالتزامه له يصبح سنة للأمة إلا أن يدل الدليل على أنه من خصوصياته ﷺ كموالة الصيام

مثلاً ، وإن سمع بشيء أوره بين أصحابه ، وتكرر ذلك الشيء مرات ولم ينكره ﷺ كان سنة بتقرير الرسول صلى الله عليه وسلم له . أما ما لم يتكرر فعله أو رؤيته أو سماعه فإنه لا يكون سنة ، إذ لفظ السنة مشتق من التكرار ولعله مأخوذ من سنّ السكين إذا حكها على المسن المرة بعد المرة حتى أحدثت أى صارت حادة بمعنى أنها تنفذ في الأجسام وتقطعها .

فمثال ما فعله ﷺ مرة واحدة ولم يكرره فلم يصبح سنة جمعه^(١) بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء في غير عذر سفر ولا مرض ولا مطر فلذا لم يكن سنة متبعة لدى سائر المسلمين .

ومثال ما سكت عنه وأقره مرة واحدة فلم يكن لذلك سنة يعمل بها المسلمون ما روى من أن امرأة نذرت^(٢) إن رد الله رسوله سالماً من سفر كان قد سافره ﷺ مع أصحابه تضرب بالدف على رأسه فرحاً بعودته سالماً عليه الصلاة والسلام ففعل هذه المرأة وإقرار الرسول لها بعدم نهيها عنه مرة واحدة لم يجعل هذا العمل سنة وذلك لعدم تكراره مرات .

ومثال ما تكرر من فعله ﷺ فأصبح سنة يعمل بها المسلمون بلا تكبير : استقباله ﷺ الناس بوجهه وجلوسه بين يدي الصف بعد انتهائه من الصلاة المكتوبة فهذه الهيئة من الجلوس لم يأمر بها صلى الله عليه وسلم ولكن فعلها وتكررت منه مئات المرات فكانت بذلك سنة كل إمام يصلى بالناس .

ومثال ما تكرر مما رآه أو سمعه فآخذه سنة المشى أمام الجنائزة ووراءها إذ كان يرى أصحابه منهم من يمشى وراء الجنائزة ومنهم من يمشى أمامها مراراً عديدة فأقرهم على ذلك بسكوته عنهم ، فكان المشى وراء الجنائزة وأمامها سنة لا خلاف فيها . هذه هي السنة كما عرفت أيها الأخ المسلم فاذكرها دائماً واضف إليها سنة أحد الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين لقوله ﷺ فعليكم بستي^(٣)

(١) حديث الجمع بين الصلاتين في الحضر رواه مسلم عن ابن عباس وهذا نصه : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء بالمدينة المنورة في غير خوف ولا مطر .

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال فيه حسن صحيح غريب . وهو حديث طويل ذكره في مناقب عمر رضي الله عنه ، والمذكور هنا طرف منه حيث الشاهد فقط .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وصححه .

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ . (١)
أما البدعة فإنها نقيض السنة مشتقة من ابتدع الشيء إذا أوجده على
غير مثال سابق . وهى فى عرف الشرع : كل مالم يشرعه الله تعالى فى
كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ من معتقد أو قول أو فعل ، وبعبارة
أسهل : البدعة هى كل مالم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعهد أصحابه دينا يعبد الله به ، أو يتقرب به إليه من اعتقاد أو قول أو
عمل مهما أضفى عليه من قداسة وأحيط به من شارات الدين وسمات
القربة الطاعة .

وهذه أمثلة للبدعة فى كل من الاعتقاد والقول والعمل نوضح بها
حقيقة البدعة تعليما وتحذيرا ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .
مثال البدعة الاعتقادية : اعتقاد كثير من المسلمين أن للصالحين ديوانا
أشبه بحكومة سرية فى العالم عنه يصدر التولية والعزل ، والاعطاء والمنع ،
والضر والنفع وأهله هم الأقطاب ، والأبدال . وكمن سمعنا من يستغيث
بهم قائلا يارجال الديوان وبأهل التصريف من حر ووصيف (٢) .

واعتقاد أن ارواح الأولياء على أفنية قبورهم تشفع لمن زارهم وتقضى
حاجاته ، ولذا نقلوا إليهم مرضاهم للاستشفاع بهم . وقالوا : من أعيته
الأمر فعليه بأصحاب القبور واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب وينظرون
فى اللوح المحفوظ ، ويتصرفون بنوع من التصرف وسواء كانوا أحياء أو
أمواتا ولذا أقاموا لهم الحفلات واتخذوا لهم القرايين وجعلوا لهم مواسم
واعيادا ذات مراسم خاصة (٣) .

فهذه وغيرها كثير من البدع الاعتقادية التى لم تعرف على عهد رسول
الله ﷺ ، ولا على عهد أصحابه ولا عهد أهل القرون الثلاثة المشهود لها
بالصلاح فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى (٤) ثم الذين
يلونهم ، ثم الذين يلونهم .

(١) النواجذ الأنياب وقيل الأضراس .

(٢) الوصيف : الخادم المملوك ضد الحر .

(٣) اعتقاد أن هناك ديوانا والاستغاثة برجاله ودعاؤهم هذا كله من الشرك الأكبر .

(٤) متفق عليه ، وقوله : ثم يكون بعدهم قوم يحزنون ولا يؤمنون ، ويشهدون ولا يشهدون ، وينذرون ولا يوقون ، ويظهر
فيهم السمن

مثال البدعة القولية : سؤال الله تعالى بجاه فلان - وبحق فلان عما جرى عليه الناس وقلد فيه صغيرهم كبيرهم وآخرهم أولهم ، وجاهلهم عالمهم حتى عدوا هذا من أشرف الوسائل وأعظمها يعطى الله تعالى عليها ما لم يعط على غيرها ويا ويل من يجزؤ على إنكار هذه الوسيلة فإنه يُعدّ مارقاً من الدين مبغضاً للأولياء والصالحين . في حين أن هذه البدعة القولية التي أطلقوا عليها اسم الوسيلة لم تكن معروفة على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد السلف الصالح ، ولم يرد بها كتاب ولا سنة وأقرب القول فيها أنها من وضع الزنادقة من غلاة الباطنية كتعويق المسلمين عن وسائل نافعة تفرج بها كرباتهم ، وتقضى بها حاجاتهم كوسائل الصلاة والصدقات والصيام ، والدعوات والاذكار المأثورة .

ومن هذا الابتداع في القول : ما تعارف عليه أغلب المتصوفة من إقامة حضرات الذكر أحياناً بلفظ هو هو حى ، والله ، بأعلى أصواتهم وهم قيام ويقضون في ذلك الساعة والساعتين حتى يغمى على بعضهم ، وحتى يقول أحدهم الهجر وقد ينطق بالكفر وقد قتل أحدهم أخاه وهو لا يشعر حيث طعنه بسكين .

ومثله الاجتماع على المدائح والقصائد الشعرية بأصوات المرد وحالقي اللحن والضرب على الكطار والعود ، أو الدف والمزمار ، فهذه البدع القولية وغيرها كثير ، والله قسمًا به تعالى ما كانت على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد أصحابه وإنها هي من وضع الزنادقة والمخربين لدين الاسلام المفسدين لأمتهم لصرفهم عن النافع الى الضار ، وعن الجدد الى اللهو والهزل .

مثال البدع الفعلية : البناء على القبور وخاصة قبور من يعتقدون صلاحهم ، وضرب القباب على قبورهم ، وشد الرحال إلى زيارتها والعكوف عليها ، وذبح الغنم والبقر عندها وإطعام الطعام حولها كل هذا لم يعرفه رسول الله ﷺ ولا أصحابه ، ومثله خروج بعض الناس من المسجد الحرام القهقري ، وكذا من المسجد النبوي حتى لا يستدبر البيت العتيق أو القير النبوي عند خروجه فهذه بدعة فعلية أيضا لم يعرفها صدر هذه

الامة الصالح ولكن أحدثها المتنطعون من الناس .
ومن ذلك وضع توابيت خشبية على أضرحة الاولياء وكسوتها بأفخر
الكتان وتجمير الضريح بالبخور وإيقاد الشموع عليه .
هذه أيها القارئ الكريم أمثلة لبعض البدع في الاعتقاد والقول
والعمل والتي اكتسبت طابع البدعة في العبادات ومثلها البدع في
المعاملات كسجن الزاني بدل إقامة حد الزنى عليه ، وكذا سجن السارق
وضربه بدل إقامة حد السرقة عليه وهو قطع يده ، وكإشاعة الأغاني
وتعميمها في البيوت والشوارع والأسواق إذ مثل هذا الطرب العاتى والمدح
الماجن لم يعرفه صدر هذه الأمة الصالح رضوان الله عليهم . ومن هذه
البدع العملية ترسيم الربا والاعلان عنه ، وعدم إنكاره ، ومثله سفور
النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال في الأماكن العامة والخاصة كل هذا
من الاحداث المشين والمعرض لأمة الاسلام للمحو والزوال ، وآثار ذلك
ظاهرة في أمة الاسلام لا تحتاج إلى تدليل ولا تبين ، ولا حول ^(١) ولا قوة إلا
بالله العلى العظيم .

(١) إن قيل : لم تذكر لا حول ولا قوة في مثل هذا الموضع ؟ قلت لتفريح الهم ؟ لحديث أبي هريرة : لا حول ولا قوة إلا بالله
دواء من تسع وتسعين داء أيسرها الهم رواه ابن أبي الدنيا وحسنه السيوطي .

فرع مهم في بيان الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة

اعلم أخى المسلم فقهنى الله وإياك فى دينه أنه قد تسَلَّلَ إلى حق الله تعالى وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فى التشريع النافع المزمى للنفس المطهر للروح المهيم للمسلم للسعادة والكمال فى الدنيا والآخرة ، وتسَلَّلَ إليه أناس تحت شعار ما يسمونه بالبدعة الحسنة ، فوضعوا للمسلمين من البدع ما أमतوا به السنن ، وأغرقوا أمة القرآن والسنة فى بحور من البدعة الأمر الذى انحرف به أكثر أمة الاسلام عن طريق الحق وسنن الرشاد وما هذه المذاهب المتطاحنة المتناحرة ، والطرق المختلفة المتباينة إلا مظهر من مظاهر الانحراف فى الأمة نتيجة استحسان البدع ، وإطلاق وصف الحسن على البدعة فيبتدع الرجل بدعا يضاد بها سنن الهدى ويصفها بالحسن فيقول عند ترويج بدعته هذه بدعة حسنة لتؤخذ عنه وتقبل منه ، فى حين أنه من المضادة للشارع صلى الله عليه وسلم أن يقال بدعة حسنة بعد أن قال رسول الله ﷺ « كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » ومع الأسف فقد انخدع بعض أهل العلم لهذا التضليل المتحايل على حق الله تعالى وحق رسول الله ﷺ . فى التشريع فقال : إن البدعة تجرى عليها الأحكام الشرعية الخمسة من الوجوب والندب والاباحة والكرهية والحرام ، وقد تفتن لهذا الامام الشاطبى رحمه الله ، واليك رده على هذا التقسيم ، وإنكاره وجود بدعة حسنة فى دين الله تعالى قال (١) رحمه الله تعالى :

« ان تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة واجراء الاحكام الخمسة عليها هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعى بل هو فى نفسه متدافع ، لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعى ، لامن نصوص

(١) كتاب الموافقات الجزء الأول صفحة ١٩١

الشرع ، ولا من قواعده ، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ، ولكن العمل داخل في عموم الأعمال المأمور بها ، أو المخير فيها . فالجمع بين عد تلك الأشياء بدعاً . وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متناقضين .

أخى القارىء رأيت كيف أنكر الامام الشاطبي رحمه الله تعالى أن تكون البدعة حسنة والرسول يقول فيها : ضلالة . وكيف أنكر على من زعم أن البدعة تجرى ^(١) عليها الأحكام الخمسة بمعنى أنها تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة أو مكروهة أو محرمة ، إذ لو دل عليها دليل الشرع لما كانت بدعة ، إذ البدعة هي ما لم يدل عليه دليل الشرع من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس ، فإن دل عليها الدليل الشرعي أصبحت ديناً وسنة لا بدعة « فافهم » وإن قلت : كيف تطرق هذا الخطأ إلى علماء أجلة أفاضل كالقرافي مثلاً فقالوا بإجراء الأحكام الخمسة على البدعة ؟ قلت لك إن سبب ذلك الغفلة ، واشتباه المصالح المرسل بالبدع المحدث ، وهذا بيان ذلك :

إن المصالح المرسل جمع مصلحة ، وهي ما جلبت خيراً أو دفعت ضيراً ولم يوجد في الشريعة ما يدل على ثبوتها أو نفيها ، وهذا معنى « مرسل » أى لم تقيد في الشريعة باعتبار أو إلغاء ولذا عرّفها بعضهم بقوله : المصالح المرسل كل منفعة داخلية في مقاصد الشرع دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء ومعنى قوله : داخلية في مقاصد الشرع . يريد أن يقول إن الشريعة قائمة على أساس : جلب المنافع ودرء المفاسد . فما حقق للمسلم خيراً أو دفع عنه شراً جاز للمسلم استعماله بشرط أن لا يكون قد ألغاه الشارع لما فيه من مفسدة جليلة أو خفية ، فليس من حق امرأة أن تزني لما يحصل لها من المنفعة المادية ، لأن هذه الوسيلة كالمنفعة المتوصل إليها قد ألغاه الشارع وأبطلها . كما ليس من حق المرء أن يتوصل الى جلب ثروة أو تحقيق مطلب من مطالبه الشخصية بالكذب أو الخيانة أو الربا ؟ لأن هذه المصالح قد ألغاه الشارع ولم يعتبرها لمنافاتها لمقاصده الكبرى في

(١) نقل هذا القرافي في فروقه وانخدع له مع الأسف

الجمع بين سعادة الروح والجسد معاً .

ومن أمثله ما اعتبره الشارع : تحريم الحشيشة فإنها وإن لم ينص على تحريمها داخله في تحريم الخمر ، فلا يقال تحريم الحشيشة من المصالح المرسلة ؟ لأن الشارع حرم الخمر لما فيها من ضرر والحشيشة كذلك فهي محرمة بالاعتبار الشرعى لا بوصفها مصلحة تحقق بها دفع شر عن المسلم . ومن ذلك الزام المفتى الغنى بالصيام في الكفارة لكون العتق أو الاطعام أهون عليه ، فنظراً الى مصلحة الشريعة حتى لا يتجراً على انتهاكها الموسرون من أهل الثروة والمال ألزم الغنى بالصيام ، فهذه المصلحة باطلة لأن الشارع قد اعتبر الغاءها ، والمصالح المرسلة ما لم يشهد لها الشارع باعتبار أو إلغاء ، وهنا الشارع قد شهد لهذه بالالغاء حيث لم يأذن بالصيام إلا عند العجز عن العتق أو الاطعام ، قال تعالى : ﴿ فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴾ و مثل كفارة اليمين هذه كفارة الجماع في نهار رمضان فليس من حق المفتى أن يفتى الغنى بالصيام دون العتق أو الاطعام واعلم أيها القارئ أن المصالح المرسلة والتي يسميها مروجو البدع بالبدعة الحسنة . تكون في الضروريات والحاجيات والتحسينات أى فيما هو ضرورى لحياة الفرد والجماعة ، أو فيما هو حاجة من حاجات الفرد أو الجماعة وإن لم يكن ضروريا لهما ، أو فيما هو من باب الكماليات والتحسينات فقط . . فليس هو بضرورى ولا حاجى .

وعلى سبيل المثال لا الحصر كتابة المصحف الكريم وجمع القران العظيم على عهد كل من أبى بكر (١) وعثمان رضى الله عنهما فليس هذا العمل من باب البدعة ، وإنما هو من باب المصالح المرسلة ، إذ حفظ القرآن من الزيادة والنقصان والمحافظة عليه حتى يرد الله اليه فى آخر الحياة واجب على المسلمين فلما خافوا عليه الضياع بحثوا عن وسيلة تحقق لهم ذلك

(١) مع أن هذا يعد من سنة الخلفاء الراشدين التى أمرنا باتباعها .

فهذا هم الله تعالى الى جمعه وكتابته فكان عملهم هذا مصلحة مرسله إذ لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا إلغاء ، وإنما هو من مقاصده العامة فهل لأحد أن يقول إن هذا العمل بدعة حسنة أو سيئة ؟ لا ، بل هو من المصالح المرسله الضرورية .

ومثال المصالح المرسله الحاجة إلى اتخاذ المحاريب في قبلة المسجد ، إذ لم يكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم محاريب في المساجد ، وإنما لما انتشر الاسلام وكثر المسلمون وأصبح الرجل يدخل المسجد فيسأل عن القبلة وقد لا يجد من يسأل فيحترق في شأن القبلة فدعت الحاجة الى وضع طاق في قبلة المسجد يهتدى به الغريب الى القبلة ، ومثل هذا زيادة عثمان الأذان الأول لصلاة الجمعة فإنه لما عظمت المدينة وأصبحت عاصمة الاسلام واتسعت دورها وأسواقها رأى عثمان رضى الله عنه أن يؤذن للناس قبيل الوقت لينبهم وهم في غفلة البيع والشراء فإذا جاءوا ودخل الوقت أذن المؤذن وقام فخطب الناس وصلى .

فهذا ليس من الابتداء إذ الأذان مشروع للصلاة ، وقد يؤذن لصلاة الصبح بأذنين أيضا ، وإنما هو من المصالح المرسله التي فيها نفع المسلمين وإن لم تكن من ضرورياتهم ، ولكنها تحقق لهم نفعاً ما تنبيههم إلى قرب دخول وقت الصلاة الواجب عليهم حضورها ولما كان الشارع لم يشهد لمسألة المحراب أو الأذان باعتبار ولا إلغاء ، وكانت المسألتان تدخلان في مقاصد الشرع صبح أن يقال إنهما من المصالح المرسله ، فالأولى من الحاجيات والثانية من التحسينات والكماليات .

ومن هذه المصالح المرسله التي غالط فيها بعض أهل العلم أو غلطوا فيها وادعوا انها بدعة حسنة . وقاسوا عليها كثيرا من البدع المنهى عنها : بناء المنارات والمآذن في المساجد لابلغ صوت المؤذن إلى اطراف المدن والقرى إعلاما لهم بدخول الوقت أو قربيه . وكل المآذن اتخاذ مكبرات الصوت لسماع خطبة الامام وقراءته وتكبيراته في الصلاة ، وكذا قراءة القرآن قراءة جماعية (١) في الكتاتيب من أجل حفظ القرآن . فهذه من المصالح المرسله

(١) هذه المسألة كثر فيها القيل والقال في بلاد المغرب إذ أهل المغرب الأدنى والأوسط والأقصى أى تونس والجزائر والمغرب « مراکش » يقرأون ما يسمونه بالحزب ، دبر بعض الصلوات الخمس وهم قراءة جماعية بصوت واحد وهي هيئة قراءة محدثة فنظر فيها بعض أهل العلم فقال بمنعها لأن الهيئة محدثة لم تكن معروفة على عهد السلف . ونظر إليها بعضهم فأجازها لأنها

التي لم يشهد الشارع لها باعتبار ولا الغاء ولكنها داخلية في مقاصده العامة فليس من حق أحد أن يقول فيها إنها بدع حسنة ويقيس عليها ما حرم رسول الله ﷺ من الابتداع في الدين بقوله : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وخلاصة القول أيها القارئ أن المصالح المرسلة غير البدع المحدثه فالمصالح المرسلة لا ترد ولا تنقص لذاتها ، وإنما تراد وسيلة لحفظ واجب أو أدائه ، أو درء مفسدة ، أو تجنبها أما البدع فإنها تشريع يُضاهى به شرع الله مقصود لذاته ، لا وسيلة لغيره من جلب نفع أو دفع ضرر ، والتشريع المقصود بذاته من حق الله تعالى وحده ، إذ غير الله عز وجل لا يقدر على وضع عبادة تؤثر في النفس البشرية ، بالتطهير والتزكية وما الإنسان بأهل لذلك أبداً . وعليه فليلزم المرء حذره وليطلب ما هو له ، وليترك ما ليس له فإن ذلك خير له وأسلم .

= وسيلة لحفظ القرآن . وما قلته أنا لأهل تلك البلاد كان جيما بين النظرين : وهو إن كان المراد من هذه القراءة الجماعية التعبد فلا تصح لأنها محدثة ، وإن كان المراد منه المحافظة على القرآن حتى لا يضعف بينهم فهم من المصالح المرسلة التي يميزها أكثر أهل العلم ، والله أعلم .

الموالد عامة وحكم الاسلام عليها

إن كلمة الموالد جمع مولد مدلولها لا يختلف بين إقليم إسلامي وآخر إلا أن كلمة مولد لا تطرد في كل البلاد الإسلامية إذ أهل بلاد المغرب الأقصى (مراكش) يسمونها بالمواسم فيقال : موسم مولاي إدريس مثلاً ، وأهل المغرب الأوسط « الجزائر » يسمونها بالزرد جمع زردة فيقال زردة سيدي أبي الحسن الشاذلي مثلاً ، وأهل مصر والشرق الأوسط عامة يسمونها الموالد فيقولون مولد السد زينب ، أو مولد السيد البدوي مثلاً وسماها أهل المغرب بالمواسم لأنهم يفعلونها موسميًا أي في العام مرة . وسماها أهل الجزائر بالزردة باعتبار ما يقع فيها من ازدياد الأطعمة التي تطبخ على الذبائح التي تذبح للولي ، أو عليه بحسب نيات المتقربين ، وسماها من سماها بالحضرة إما لحضور روح الولي فيها ولو بالعناية والبركة ، أو لحضور المحتفلين لها وقيامهم عليها .

هذا بالنسبة إلى مجرد التسمية أما بالنسبة إلى ما يجري فيها من أعمال فإنها تختلف كيفاً وكماً بحسب وعى أهل الاقليم ، وفقرهم وغناهم والقاسم المشترك بينهم فيما ما يلي :

- ١ - ذبح النذور والقرايين للسيد أو الولي المقام له الموسم أو الزردة أو المولد أو الحضرة .

- ٢ - اختلاط الرجال الأجانب والنساء الأجنيات .

- ٣ - الشطح ^(١) والرقص وضرب الدفوف والتزمير بالمزامير المختلفة .

- ٤ - إقامة الأسواق للبيع والشراء وهذا غير مقصود غير أن التجار يستغلون التجمعات الكبرى ويجلبون اليها بضائعهم لعرضها وبيعها وعندما

(١) الشطح كالرقص مولعة الانخفاض والارتفاع ، والرقص محرك الزاء والقاف مصدر رقص غير أن الشطح لم يذكر له في اللغة فعل فيها علمت من بحنى ، وإنما الشطح بكسر الشين والطاء المشددة لفظ يزج به العريض من أولاد المعز . وهو من أتى عليه سنة .

يوجد الطلب والعرض تقوم السوق على ساقها ، وناهيك بأسواق منى وعرفات .

٥ - دعاء الولي أو السيد والاستغاثة به والاستشفاع وطلب المدد وكل ما

تعذر الحصول عليه من رغائب وحاجات وهو شرك أكبر والعياذ بالله .

٦ - قد يحصل شيء من الفجور وشرب الخمر ، ولكن لا يطرد هذا لا في كل البلاد ولا في كل الموالد .

٧ - مساعدة الحكومات على إقامة هذه المواسم بنوع من التسهيلات وقد

تسهم بشيء من المال أو اللحم أو الطعام . فقد كانت فرنسا في بلاد

المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الراكب في

القطار ، وكذلك بلغني أن الحكومات المصرية تفعل ومن أغرب ما

نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبي وهي بلشفية خالصة

تشجع ^(١) هذه الموالد ولو بعدم إنكارها التي أنكرت الاسلام عقائد

وعبادات وأحكاماً . ولهذا دلالة كبرى وهي ان هذه الموالد ما ابتدعت

إلا لضرب الاسلام ، وتخطيطه والقضاء عليه .

ومن هنا كان حكم الاسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد

والحضرات المنع والحرمة فلا يبيع منها مولداً ولا موسماً ولا زردة ولا حضرة ،

وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الاسلامية ، وإفساد

حال المسلمين ، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى

جنبها ومعها ، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الاسلامي ، أو يحرك ضمائر

المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشركاء محاربتها والقضاء

عليها .

هذا وهل دعاء غير الله والذبح والنذر لغير الله ، غير شرك حرام ؟

وهذه الموالد ما قام سوقها إلا على ذلك . وهل الرقص والمزامير واختلاط

النساء بالرجال إلا فسق وحرام ؟ وما خلعت تلك الموالد والمواسم من شيء

من هذا فكيف إذا لا تكون حراماً ، وهل هذه الموالد عرفها رسول الله

وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ؟ والجواب : لا ، لا وما لم يكن على عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ديناً فهل يكون اليوم ديناً ؟ وما لم

(١) حدثني بهذا أبناء الجنوب أنفسهم .

يكن ديناً فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . سئل مالك رحمه الله تعالى عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال للسائل : هل الغناء حق ؟ قال : لا ، قال إذا فماذا بعد الحق الا الضلال . فهذه الموالد على اختلافها ما فيها من حق ألبتة ، ومالم يكن حقاً فهو باطل ، إذ ما بعد الحق الا الضلال . ومن ثم أصبح المولد النبوي الشريف عبارة عن اجتماعات في المساجد أو في بيوت الموسرين من المسلمين يتبدى غالباً من هلال ربيع الأول إلى الثاني عشر منه ، يتلى فيها جانب من السيرة النبوية كالنسب الشريف وقصة المولد ، وبعض الشرائع المحمدية الطاهرة الخلقية منها والخلقية مع جعل اليوم الثاني عشر من شهر ربيع يوم عيد يوسع فيه على العيال ، وتعطل فيه المدارس والكتاتيب ، ويلعب فيه الأطفال أنواعاً من اللعب ، ويلهون ألواناً من اللهو هكذا كنا نعرف المولد ببلاد المغرب ، حتى إذا جئنا بلاد المشرق وجدنا المولد فيها عبارة عن اجتماعات في بيوت الأغنياء والموسرين يعقد تحت شعار ذكرى المولد النبوي الشريف وليس خاصاً عندهم بشهر ربيع الأول ولا باليوم الثاني عشر منه ، بل يقيمونه عند وجود أية مناسبة من موت أو حياة ، أو تجديد حال ، وكيفيته : أن تذبح الذبائح وتعد الأطعمة ويدعى الأقارب والأصدقاء وقليل من الفقراء ، ثم يجلس الكل للاستماع فيتقدم شاب حسن الصوت فينشد الأشعار ويترنم بالمدائح وهم يرددون معه بعض الصلوات ^(١) ثم يقرأ قصة المولد حتى إذا بلغ : وولده أمانة محتوناً . قام الجميع إجلالاً وتعظيماً ووقفوا دقائق في إجلال وإكبار تخيلاً منهم وضع أمانة لرسول الله ﷺ ، ثم يؤتى بالمجامر وطيب البخور فيتطيب الكل ، ثم تدار أكؤس المشروبات الحلال فيشربون ثم تقدم قصاص الطعام فيأكلون وينصرفون ، وهم معتقدون أنهم قد تقربوا إلى الله تعالى بأعظم قربة .

وما يحذر التنبيه إليه هنا أن جلّ القصائد والمدائح التي يتغنّى بها في المولد لا تخلو من ألفاظ الشرك وعبارات الغلو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله : لا تطروني ^(٢) كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، وإنما أنا عبد الله ورسوله ، فقولوا عبد الله ورسوله » كما يختم الحفل بدعوات

(١) نحو صلى عليك الله يا علم الهدى ما حن مشتاق إلى لقاءك . بإشباع الكاف من لقاءك .

(٢) رواه البخاري ومسلم

تحمل الفاظ التوسلات المنكرة ، والكلمات الشركية المحرمة لأن جل الحاضرين عوام أو غلاة في حب التوسلات الباطلة التي نهى عنها العلماء كالسؤال بجاء فلان وحق فلان والعياذ بالله تعالى ، واللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

هذا هو المولد في عرف الناس اليوم ومنذ ابتدأه على عهد الملك المظفر سنة ستمائة وخمس وعشرين من الهجرة النبوية .

أما حكمه في الشريعة الإسلامية فإننا نترك للقارئ الكريم الإفصاح عنه إذ قد عرف من خلال هذا البحث أن المولد أحدث في القرن السابع فقط ، وأن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ديناً لم يكن لمن بعدهم ديناً . والمولد في عرف الناس اليوم لم يكن موجوداً على عهد الرسول وأصحابه ولا على عهد أهل القرون المفضلة وإلى مطلع القرن السابع قرن الفتن والمحن ، فكيف يكون إذا ديناً ؟ وإنما هو بدعة ضلالة بقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات (١) الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »

وزيادة في إيضاح الحكم نقول : إذا كان الرسول ﷺ قد حذرنا من محدثات الأمور وأخبرنا أن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة وأن مالكا رحمه الله تعالى قال : لتلميذه الامام الشافعي (٢) رحمه الله تعالى : إن كل مالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ديناً لم يكن اليوم ديناً . وقال : من ابتدع في الاسلام بدعة فراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ اليوم (٣) أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ وأن الامام الشافعي رحمه الله تعالى قال : كل ما أحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً فهو بدعة .

فهو يكون المولد النبوي بالمعنى العرفي غير بدعة ، وهو لم يكن سنة من سنن الرسول ولا من سنن الخلفاء الراشدين ، ولا من عمل السلف الصالح ، وإنما أحدث في القرون المظلمة من تاريخ الاسلام حيث

(١) رواه أصحاب السنن وهو صحيح السند . (٢) ويرى أيضاً أنه قاله لابن الماجشون . (٣) الآية من سورة المائدة .

نجمت الفتن وافترق المسلمون ، واضطربت أحوالهم وساء أمرهم ثم إننا لو سلمنا جدلاً أن المولد قربة من القرب بمعنى أنه عبادة شرعية يتقرب بها فاعلها إلى الله تعالى لينجيه من عذابه ، ويدخله جنته فإننا نقول : من شرع هذه العبادة الله أم الرسول ﷺ ؟ والجواب لا ، وإذا فكيف توجد عبادة لم يشرعها الله ورسوله وهذا مستحيل . وشيء آخر أن العبادة لها حيثيات أربع ، كميتها وكيفيةها وزمانها ومكانها فمن يقدر على إيجاد هذه الحثيات وتحديدها وتعيينها ؟ لا أحد . وعليه فلم يكن المولد قربة ولا عبادة بحال من الأحوال ، وإذا لم يكن قربة ولا عبادة فهذا عساه أن يكون سوى بدعة ؟؟

المولد النبوى الشريف وحكم الاسلام فيه

تعريف المولد

ما هو المولد النبوى الشريف ؟

إن المولد النبوى الشريف فى عرف اللغة العربية هو المكان أو الزمان الذى ولد فيه خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فمولده المكانى - فداه نفسى وأبى وأمى - هو دار أبى يوسف المقام عليها اليوم مكتبة عامة بمكة المكرمة . ومولده الزمانى هو يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول من عام سبعين وخمسة من تاريخ ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

هذا هو المراد من كلمة المولد النبوى الشريف فى العرف اللغوى ، والذى لم يعرف المسلمون غيره طيلة ستة قرون وربيع قرن أى من يوم نزول الوحي إلى مطلع القرن السابع الهجرى ، ثم بعد سقوط الخلافة الاسلامية الراشدة وانقسام بلاد المسلمين وتمزقها وما تبع ذلك من ضعف وانحراف فى العقائد ، والسلوك ، وفساد فى الحكم والادارة ظهرت بدعة المولد النبوى الشريف كمظهر من مظاهر الضعف والانحراف فكان أول من أحدث هذه البدعة الملك المظفر صاحب إربل من بلاد الشام^(١) غفر الله لنا وله ، وأول من ألف فيها مولدا أبو الخطاب بن دحية سباه : التنوير فى مولد البشير النذير قدمه للملك المظفر الأنف الذكر فأجازه بألف دينار ذهباً .

ومن طريف ما يعلم فى هذا الشأن أن السيوطى ذكر فى كتابه الحاوى أن الملك المظفر مبتدع بدعة المولد قد أعد سباطاً فى أحد الموالد التى يقيمها وضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوى ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة

(١) الصواب أنها من أعمال الموصل لا الشام .

فرس ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى . وانه أقام سماعا للصوفية من الظهر إلى الفجر ، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين . فكيف تحيا أمة ملوكها دراويش يرقصون في حفلات الباطل ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . وإن قيل : وإذا كان المولد بدعة أفلا يثاب فاعله على أفعال البر التي فيه من ذكر ودعاء واطعام طعام ؟ نقول : هل يثاب على صلاة في غير وقتها ؟ هل يثاب على صدقة لم تقع في موقعها ؟ هل يثاب على حج في غير وقته ؟ هل يثاب على طواف حول غير الكعبة أو على سعي بين غير الصفا والمروة ؟ فإن قيل في كل هذه لا ، لا ، قيل كذلك في أفعال البر المصاحبة للمولد لا ، لا ، لعللة الاحداث فيها والابتداع الذي صاحبها ، وإذا لو صح ذلك وقبل من فاعله لأمكن الاحداث في الدين ، وهذا مردود بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : من أحدث (١) في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد .

علل غير كافية

في إقامة المولد

- إن مما يدل على أن مسألة المولد النبوي الشريف قد اتبع فيها الهوى ولم يتبع فيها الشرع تبرير أهلها لها بالعلل الخمس الآتية وهي :
- ١ - كونها سنوية يتذكر فيها المسلمون نبيهم ﷺ ، فيزداد حبهم وتعظيمهم له .
- ٢ - سماع الشائيل المحمدية ، ومعرفة النسب النبوي الشريف .
- ٣ - إظهار الفرح بولادة الرسول صلى الله عليه وسلم لما يدل ذلك على حب الرسول وكمال الايمان به .
- ٤ - إطعام الطعام وهو مأمور به ، فيه أجر كبير لا سيما بنية الشكر لله تعالى .
- ٥ - الاجتماع على ذكر الله تعالى من قراءة القرآن والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

(١) تقدم وأنه رواه مسلم في صحيحة .

هذه خمس علل تعلل بها بعض مجيزي المولد وهي علل كما ستري غير كافية وباطلة أيضا لما فيها من معنى الاستدراك على الشارع ، بتشريع مالم يشرعه مع الحاجة إليه . وإليك أيها القارئ بيان بطلان هذه العلل واحدة بعد أخرى .

١ - كون المولد ذكرى الخ هذه تصلح أن تكون علة لو كان المسلم لا يذكر النبي ﷺ في كل يوم عشرات المرات فتقام له ذكرى سنوية أو شهرية يتذكر فيها ليزداد بذلك إيمانه به ووجه له ، أما والمسلم لا يصلى صلاة من ليل أو نهار الا ذكر فيها رسوله وصلى عليه فيها وسلم . ولا يدخل وقت صلاة ولا يقام لها إلا ويذكر الرسول ، ﷺ ويصلى عليه . إن الذى تقام له ذكرى خشية النسيان هو من لا يذكر . أما من يذكر ولا ينسى فكيف تقام له ذكرى حتى لا ينسى ، أليس هذه من تحصيل ما هو حاصل ، وتحصيل الحاصل عبث ينزه عنه العقلاء .

٢ - سماع بعض الشوائل المحمدية الطاهرة والنسب الشريف هذه علة غير كافية فى إقامة المولد ، لأن معرفة الشوائل المحمدية والنسب الشريف لا يكفى فيها أن تسمع مرة فى العام ، وماذا يغنى سماعها ، مرة وهى جزء من العقيدة الاسلامية ؟ إن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يعرف نسب نبيه صلى الله عليه وسلم وصفاته كما يعرف الله تعالى : بأسمائه وصفاته . وهذا لا بد له من التعليم . ولا يكفى فيه مجرد سماع تلاوة قصة المولد مرة فى العام .

٣ - إعلان الفرح الخ هذه علة واهية ، إذ الفرح إما أن يكون بالرسول ﷺ أو بيوم ولد فيه ، فإن كان بالرسول ﷺ فليكن دائما كلما ذكر الرسول ولا يختص بوقت دون وقت ، وإن كان باليوم الذى ولد فيه ، فإنه أيضا اليوم الذى مات فيه ، ولا أحسب عاقلا يقيم احتفال فرح وسرور باليوم الذى مات فيه حبيبه وموت الرسول ﷺ أعظم مصيبة أصابت المسلمين حتى إن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يقولون : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبتة برسول الله ﷺ . أضف إلى ذلك أن الفطرة البشرية قاضية : أن الانسان يفرح بالمولود يوم ولادته ، ويحزن

عليه يوم موته ، فسبحان الله ، كيف يحاول الانسان غرورا تغيير الطبيعة ؟

٤ - إطعام الطعام الخ هذه العلة أضعف من سابقاتها ؟ إذ إطعام الطعام مندوب إليه مرغّب فيه كلما دعت الحاجة اليه فالمسلم يقرى الضيف ويطعم الجائع ويتصدق طوال العام ، ولم يكن في حاجة إلى يوم خاص من السنة يطعم فيه الطعام ، وعليه فهذه ليست بعله تستلزم إحداث بدعة بحال من الأحوال .

٥ - الاجتماع على الذكر الخ هذه العلة فاسدة وباطلة لأن الاجتماع على الذكر بصوت واحد لم يكن معروفا عند السلف فهو في حد ذاته بدعة منكورة . وأما المدائح والقصائد بالأصوات المطربة الشجية فهذه بدعة أقبح ولا يفعلها إلا المتهوكون (١) في دينهم والعياذ بالله تعالى .

مع أن المسلمين العالمين يجتمعون كل يوم وليلة طوال العام في الصلوات الخمس في المساجد وفي حلق العلم لطلب العلم والمعرفة ، وما هم في حاجة الى جلسة سنوية الدافع عليها في الغالب الحظوظ النفسية من سماع الطرب والأكل والشرب .

شبهة ضعيفة

احتج بها المرخصون

في الاحتفال بالمولد

اعلم أخى المسلم فتح الله تعالى علىّ وعليك في العلم والعمل أنه عند ما أحدثت بدعة المولد في مطلع القرن السابع وفشت وانتشرت بين الناس لوجود فراغ روحى وبدنى معا ، لترك المسلمين الجهاد وانشغالهم بإطفاء نيران الفتن التى أشعل نارها أعداء الاسلام وخصومه من اليهود والنصارى والمجوس ، وتأصلت هذه البدعة في النفوس وأصبحت جزءا من عقيدة

(١) التهوك : التحير والتهور والاضطراب في القول . فالتهوكون : المتحيرون المتهورون المضطربون في الدين

كثير من أهل الجهل لم يجد بداً بعض أهل العلم كالسيوطي رحمه الله تعالى من محاولة تبريرها بالبحث عن شبه يمكن أن يشهد بها على جواز بدعة المولد هذه وذلك إرضاء للعامة والخاصة أيضاً من جهة ، وتبريراً لرضى العلماء بها وسكوتهم عنها لخوفهم من الحاكم والعوام من جهة أخرى . وهاك بيان هذه الشبه مع إظهار ضعفها وبطلانها لتزداد بصيرة في هذه القضية التي اضطررنا لبحثها وبيان الحق فيها .

والشبه المذكورة تدور على أثر تاريخي ، وثلاثة أحاديث نبوية ، ومثير هذه الشبه وبطلانها هو السيوطي غفر الله تعالى لنا وله ، وما كان أغناه عن مثل هذا وهو أحد علماء القرن العاشر قرن الفتن والاحن والمحن ، والعجيب أنه فرح بهذه الشبه وفاخر بها وقال : إني وجدت (١) للمولد أصلاً في الشرع ، وخرجته عليه ، ولا يستغرب هذا من السيوطي وهو كما قيل فيه حاطب ليل يجمع بين الشيء وضده .

الشبهة الاولى في الاثر التاريخ وهو ما روى من أن أباهب (٢) الخاسر رؤى في المنام ، فسئل فقال : إنه يعذب في النار ، إلا أنه يخفف عنه كل ليله اثنين ، ويمص من بين أصبعيه ماء بقدر هذا وأشار إلى رأس أصبعه وأن ذلك كان له بسبب إعتاقه جاريته ثوبية لما بشرته بولادة محمد ﷺ لأخيه عبد الله بن عبد المطلب ، وبإرضاعها له ﷺ ورد هذه الشبهة وإبطالها من أوجه :

- ١ - أن أهل الاسلام مجمعون أن الشرع لا يثبت برؤى الناس المنامية مهما كان ذو الرؤيا في إيمانه وعلمه وتقواه ، إلا أن يكون نبي الله فإن رؤيا الأنبياء وحى والوحى حق .
- ٢ - أن صاحب هذه الرؤيا هو العباس بن عبد المطلب والذي رواها عنه رواها بالواسطة فالحديث إذا مرسل ، والمرسل لا يحتج به ولا تثبت به عقيدة ولا عبادة ، مع احتمال أن الرؤيا رآها العباس قبل إسلامه ورؤيا الكافر حال كفره لا يحتج بها إجماعاً .
- ٣ - أكثر أهل العلم من السلف والخلف على أن الكافر لا يثاب على صالح عمله إذا مات على كفره ، وهو الحق ، لقول الله تعالى ﴿ وقدمنا

(١) الحاوى في الفتاوى للسيوطي .

(٢) انظر فتح الباري في هذه المسألة فقد أفاد فيها وأجاد

إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴿ وقوله عز وجل : . . . ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ وقول رسول الله ﷺ ، وقد سأله عائشة رضى الله عنها عن عبد الله بن جدعان الذى كان يذبح كل موسم حج ألف بعير ويكسو ألف حلة ، ودعا إلى حلف الفضول في بيته هل ينفعه ذلك يارسول الله ؟ فقال : لا ، لا لأنه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين « وهذا يتأكد عدم صحة هذه الرؤيا ، ولم تصبح شاهدا ولا شبهة أبدا .

٤ - ان الفرح الذى فرحه أبو لهب بمولود لآخيه فرح طبعي لا تعبدى ، إذ كل إنسان يفرح بالمولود يولد له ، أو لأحد إخوانه أو أقاربه ، والفرح إن لم يكن لله لا يثاب عليه فاعله ، وهذا يضعف هذه الرواية ويبطلها . مع أن فرح المؤمن بنبيه معنى قائم بنفسه لا يفارقه أبدا لأنه لازم حبه ، فكيف نحدث له ذكرى سنوية نستجلبه بها ، اللهم إن هذا معنى باطل ، وشبهة ساقطة باطلة لا قيمة لها ولا وزن فكيف يثبت بها إذا شرع لم يشرعه الله لا عن عجز ولا عن نسيان ولكن رحمة بعباده المؤمنين فله الحمد وله المنة .

الشبهة الثانية فيما روى من أن النبى ﷺ قد عق (١) عن نفسه ، بعد شرعه العقيقة لأمته ، وبما أن جده عبد المطلب قد عق عنه ، والعقيقة لاتعاد ، دل هذا على أنه فعل ذلك شكرا لله تعالى على نعمة ولادته أو يمكن حينئذ أن يتخذ هذا أصلا تخرج عليه بدعة المولد

هذه الشبهة أضعف من سابقتها ، ولا قيمة لها ولا وزن ، إذ هي قائمة على مجرد احتمال ان النبى ﷺ قد عق شكرا على نعمة إيجاده والاحتمال أضعف من الظن ، والظن لا تثبت به الشرائع ، والله يقول ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ والرسول ﷺ يقول : « إياكم والظن (٢) فإن الظن أكذب الحديث » .

وشىء آخر هو هل ثبت أن العقيقة كانت مشروعة لأهل الجاهلية وهم

(١) لم أعرف هذه الرواية من خرجها ولا من أسندها ، والسيوطى ذكرها بصيغة التمریض ، ولا أخالها تصح .

(٢) حديث صحيح رواه مالك والشيخان .

يعملون بها حتى نقول إن عبد المطلب قد عرق عن ابن ولده ، وهل أعمال أهل الجاهلية يعتد بها في الاسلام ، حتى نقول : اذا عرق النبي ﷺ عن نفسه شكرا لقيامه بسنة العقيقة ، إذ قد عرق عنه ؟؟ سبحانه الله ما أعجب هذا الاستدلال وما أغربه وهل إذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح شاة شكرا لله تعالى على نعمة إيجاده وامداده يلزم من ذلك اتخاذ يوم ولادته ﷺ عيداً للناس ؟ ولم لم يدع إلى ذلك رسول الله ﷺ ويبين للناس ماذا يجب عليهم فيه من أقوال وأعمال ؟ كما بين ذلك في عيدي الفطر والأضحى . أنسى ذلك أم كتبه وهو المأمور بالبلاغ ؟ سبحانهك اللهم إن رسولك مانسى ولا كنتم ولكن الانسان كان أكثر شيء جدلاً .

الشبهة الثالثة فيما صح من أن النبي ﷺ صام (١) يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ولما سئل عن ذلك قال إنه يوم صالح أنجى الله تعالى فيه موسى وبنى إسرائيل الحديث ووجه الشبهة فيه : انه لما صام النبي ﷺ وأمر المؤمنين بالصيام في هذا اليوم شكرا لله تعالى على نجاة موسى وبنى إسرائيل ، لنا أن نتخذ نحن يوم ولادة النبي صلى الله عليه وسلم لا يوم صيام ولكن يوم أكل وشرب وفرح ، فما أعجب هذا الفهم المعكوس ، والعياذ بالله تعالى ، إذ المفروض أننا نصوم كما صام النبي صلى الله عليه وسلم لأننا نقيم المآدب والافراح بالطبول والمزامير ، فهل الله تعالى يشكر بالطرب والاكل والشرب ؟ اللهم لا ، لا . ثم هل لنا من حق في أن نشرع لانفسنا صياما أو غيره ، وإنما واجبنا الاتباع فقط . وقد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء فكان صيامه سنة وسكت عن يوم ولادته فلم يشرع فيه شيئا فوجب أن نسكت كذلك ، ولا نحاول أن نشرع فيه صياما ولا قياما فضلا عن اللهو واللعب .

الشبهة الرابعة فيما صح عنه ﷺ من أنه كان يصوم (٢) يوم الاثنين والخميس ، وتعليله بقوله : أما يوم الاثنين فإنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه وأما يوم الخميس فإنه يوم تعرض فيه الأعمال على الله تعالى فأنا أحب أن أن يعرض عملي على ربي وأنا صائم ،

(١) صيام يوم عاشوراء ثابت في الصحيح والسنن

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وهو صحيح .

ووجه الشبهة عندهم والتي خرجوا عليها بدعة المولد هي كونه ﷺ صام يوم الاثنين وعلله بقوله « إنه يوم ولدت فيه وبعثت فيه » ورد هذه الشبهة وإبطالها وإن كانت أضعف من سابقاتها من أوجه : الأول : أنه إذا كان المراد من إقامة المولد هو شكر الله تعالى على نعمة ولادة الرسول ﷺ فيه فإن المعقول والمنقول يحتم أن يكون الشكر من نوع ما شكر الرسول ربه وهو الصوم ، وعليه فلنصم كما صام ، وإذا سئلنا قلنا إنه يوم ولد فيه نبينا فتحسن نصومه شكرا لله تعالى ، غير أن أرباب الموالد لا يصومونه ، لأن الصيام فيه مقاومة للنفس بحرمانها من لذة الطعام والشراب ، وهم لا يريدون ذلك ، فتعارض الغرضان فأثروا ما يحبون على ما يجب الله وهي زلة عند ذوى البصائر والنهى ، والثانى أن الرسول ﷺ لم يصم يوم ولادته وهو اليوم الثانى عشر من ربيع الأول إن صح أنه كذلك ، وإنما صام يوم الاثنين الذى يتكرر مجيئه فى كل شهر أربع مرات أو أكثر ، وبناء على هذه فتخصيص يوم الثانى عشر من ربيع الأول بعمل ما دون يوم الاثنين من كل أسبوع يعتبر استدراكا على الشارع وتصحيحا لعمله وما أقبح هذا إن كان والعياذ بالله تعالى . والثالث هل النبى ﷺ لما صام يوم الاثنين شكرا على نعمة الایجاد والامداد وهو تكريمه ببعثه الى الناس كافة بشيرا ونذيرا أضاف إلى الصيام احتفالا كاحتفال أرباب الموالد من تجمعات ومدائح وأنغام ، وطعام وشراب ؟ والجواب لا ، وإنما اكتفى بالصيام فقط إذا ألا يكفى الأمة ما كفى نبيها ، ويسعها ما وسعه ؟؟ وهل يقدر عاقل أن يقول لا . وإذا فلم الافتيات على الشارع والتقدم بالزيادة عليه ، والله

يقول ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾ ورسوله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » ويقول : « إن الله حدّ حدودا فلا تغدوها ، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وترك أشياء

(١) أخرجه ابن جرير ورواه الحاكم وصححه عن ابن ثعلبة الحنثلى رضى الله عنه

في غير نسيان ، ولكن رحمة لكم فاقبلوها ولا تبحثوا عنها » (١)

(البديل الخير)

وإن قيل لك أيها القارئ الكريم : إنكم قد أبطلتم بدعة المولد بما أجلبتم عليها من خيل الحجج ورجل البراهين ، فما هو البديل عن هذه البدعة التي ما كانت تخلو في الجملة من بعض الخير ؟ قل لهم إليكم البديل الخير :

أما عن قراءة قصة المولد وما تضمنته من استعراض للنسب الشريف والشائيل المحمدية الطاهرة فإن البديل عن ذلك أن يأخذ المسلمون أنفسهم بالجد ، فيجتمعوا في مساجدهم كل يوم من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء على عالم بالكتاب والسنة يعلمهم أمور دينهم ، ويفقههم فيه ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ويومئذ سيتعلمون النسب الشريف ويدرسون الشائيل المحمدية ويتصفون بما فيه الأسوة منها وبذلك يصبحون حقا من أتباع رسول الله ﷺ وأحبابه المحتفين به صدقا وحقا لا ادعاء ونطقا .

وأما عن الذكر وقراءة القرآن فإن البديل أن يكون لأحدهم ورد في الصباح وورد في المساء ، وورد في آخر الليل . أما ورد الصباح : فسبحان الله (١) وبحمده سبحانه الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ، و - لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة . وورد في المساء : استغفر الله لي ولوالدي وللمؤمنين مائة مرة ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة ، وأما ورد آخر الليل فصلاة ثمان ركعات يقرأ في كل ركعة ربع جزء ، ويختم صلاته بثلاث ركعات يصلي اثنتين ويوتر بواحدة . مع المحافظة على صلاة الجماعة في بيوت الله خاصة البردين لحديث « من صلى البردين (٢) يدخل الجنة » والبرذان العصر والصبح .

وأما عن السماع فالبديل الخير أن يقتنى عددا من تسجيلات عظماء المجودين أمثال كامل يوسف البهيمى ، والمنشاوى ، والصيفى ، والدروى والطبلاوى ، وكلما جفت نفسه وشعر باليبوسة فليفتح مسجله وليصغ

(١) هذه الأذكار بأعدادها ثابتة في الصباح والسنن ، وكذا ورد الصلاة آخر الليل .

(٢) رواه الشيخان .

يستمتع فإنه يطرب الطرب الحق المثير الشوق إلى الله تعالى ، والرغبة في جواره الكريم .

وأما عن إطعام الطعام وازدراده مع الاخوان فبابه مفتوح وطريقه معروف والعامّة يقولون : (من بيد^(١) ، كل يوم عيد) فلا يتوقف على احتفال ولا طاعة ولا امتثال فليطبخ طعامه وليدع الفقراء وحتى الاغنياء وليأكل وليحمد الله تعالى ، وليشكره ، ومن يشكر الله يزدده ، والله خير الشاكرين .

غلو في المولد شائن

إن مما يدعو إلى الأسى والأسف معا وجود كثير من أصحاب الموالد والمحبذين لها ومن بينهم طلبة علم قد غلوا في تمجيد هذه البدعة ، وأكبروا من شأنها وتعظيمها إلى حدّ أن بعضهم لا يتورع أن ينسب من ينكرها بوصفها بدعة محدثة ضلالة أن ينسبه إلى الكفر والمروق من الدين بقوله : فلان يبغض الرسول ﷺ أو يكرهه ، لأنه لا يحب المولد أو يكره الاحتفال بالمولد ، وهو يعلم أن من يكره الرسول ﷺ أو لا يحبه يكفر بذلك بإجماع المسلمين ، ومن هنا كان قوله فلان يكره الرسول ﷺ تكفير له ، وتكفير المسلم لا يحل أبدا . ومع العلم أنه لا ينكر البدعة ولا ينهى عنها ويحذر منها إلا مؤمن وصالح أيضا ، فكيف يكفر أو يتهم بالكفر والعياذ بالله ، وكان هؤلاء الغلاة في شأن هذه البدعة عمّوا عن قول الرسول ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنهما المتفق على صحته البخاري ومسلم : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » وصموا عن قوله ﷺ في حديث أبي ذر المتفق عليه أيضا : « من دعا رجلا بالكفر ، أو قال : عدو الله ، وليس كذلك إلا حار عليه » أي رجع عليه ما قاله من الكفر أو اللعن . إن هذا السلوك لشيء يدعو إلى العجب والاستغراب حقا إن من حق المسلم على المسلم أن يأمره بالمعروف إذا تركه وينهاه عن المنكر إذا ارتكبه ، فإذا قام المسلم بحق أخيه فأمره أو نهاه

(١) (إشباع ضمة الدالين ، وهذا الإشباع عوض عن الضميرين المحذوفين ، إذا الأصل من بيده المال فكل يوم عيده .

يجازيه أخوه المأمور أو المنهى بأسوأ جزاء وأقبحه بنسبته إلى الكفر والعياذ بالله تعالى وهذا في الحقيقة عائد إلى سوء أحوال المسلمين ، وفساد قلوبهم وأخلاقهم بسبب بعدهم عن التربية الإسلامية ، التي هي قوام حياة المسلمين ، وسبب سعادتهم وكمالهم . إذ قد انعدمت هذه التربية منذ قرون عدة وانعدم بينهم من يقوم بها فيهم مع شديد الأسف ، وهذه الأمة المحمدية حاجتها إلى التربية الروحية والخلقية أمس حاجاتها إليها ، إذ ما كملت في الصدر الأول ولا سعدت إلا عليها قال تعالى : ﴿ هو ﴾ (١) الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴿ فتزكية الرسول ﷺ لأصحابه هي تربية نفوسهم على الكمالات ، وأخلاقهم على الفضائل بما يغذوهم به يوميا من أنواع المعارف ويروضهم عليه من أنواع السنن والآداب حتى كملوا وطهروا . وقام بعده حواريوه وأصحابه بتربية المسلمين في كل الامصار والبلاد التي انتشروا فيها ، وخلفهم بعد وفاتهم تلامذتهم من التابعين ، وتابعى التابعين مع من بعدهم ، وسارت أمة الاسلام كاملة طاهرة خيرة إلى أن انعدمت فيها هذه التربية وانعدم رجالها . فسادت الفوضى والانقسام ، وتقاسمتها الأهواء والشهوات ، وتولى في يوم من الأيام تربيتها رجال ليسوا أهلا لذلك فزادوا في سوء حالها واضطراب امرها فكانوا كما قيل : (ضغنا على إبالة) وأخيرا ما على إلا أن أنصح لأخى المسلم الذى أصر على هذه البدعة وعز عليه أن يتركها لاقتناعه بجوازها أو فائدتها ونفعها ، أو لطول ما اعتاد فعلها وألف إقامتها أنصح له أن يعذر أخاه المسلم اذا نهاه عنها أو انكرها عليه ؟ لأنه مأمور بذلك من قبل المحتفل به صلى الله عليه وسلم ، إذ قال « من (٢) رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ويقول : « لتأمرن بالمعروف (٣) ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » إن المفروض في المسلم اذا أمره أخوه بمعروف أو نهاه عن منكر أو

(١) الآية من سورة الجمعة . ونظيرها من آل عمران : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم ﴾ الآية .

(٢) رواه أحمد والترمذي وحسنه أوله : والذي نفسى بيده لتأمرن الخ .

(٣) رواه مسلم .

نصح له بفعل خير وترك شر أن يستجيب له ، أو يرد عليه ردا جميلا كأن يقول جزاك الله خيرا لقد أديت واجبك معي . وأنا مبتلى عسى الله أن يعفو عني . أو يقول هذه بدعة غير أنى رأيت بعض أهل العلم أقرها أو عمل بها أو أجازها ، فاتبعتهم وإنى أرجو أن لا يؤاخذنا الله هكذا ينبغي أن يكون المسلمون ، لا أن يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا اتباعا للهوى وتعصبا للآراء ، وغلوا في الدين غير الحق والعياذ بالله تعالى من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق .

إجحاف غير لائق

إن مما ينبغي أن يعلم ويقال أيضا تمثيلاً مع مبدأ الانصاف من (١) النفس أن أكثر الذين يقيمون حفلات المولد النبوى الشريف من المسلمين إنما يقيمونها حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب الرسول دين وإيمان ، وحب من يحب الرسول واجب ، فلذا لا يصح من المسلم ولا ينبغي له أن يبغض أخاه المسلم لفعله بدعة كهذه قد وجد أكثر الناس في بلاده وفي العالم الاسلامي يفعلونها ، ولم يحمله عليها ، ولا دفعه إليها غالبا الا عاطفة الحب لنبىه صلى الله عليه وسلم والرغبة في التقرب الى الله تعالى بذلك . وإلا كان ذلك إجحافاً غير لائق بمثله .

وكما لا يصح أن يبغضه لا يصح أيضا أن يصفه بالشرك والكفر لمجرد احتفاله بالمولد أو إتيانه الحفل إن دعى اليه فإن مثل هذه البدعة لا تكفر فاعلمها ولا من يحضرها ووصم المسلم بالكفر والشرك أمر غير هين وقد تقدمت (٢) الاحاديث في ذلك فلا غلو أيها المسلم ولا إجحاف ولكن العدل والانصاف ، والا لعن بعضنا بعضا وخسرنا وجودنا كأمة تهدى بالحق وبه تعدل .

(١) جاء هذا في حديث عمار بن ياسر في كتاب الايمان من صحيح البخارى ، نفسه : قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والاتفاق من الاقارب . ظاهر هذا الحديث الوقف غير أنه روى مرفوعا .

(٢) تحت عنوان غلو شائن قبل صفحتين .

إن ما يجب على المسلم حيال أخيه المسلم المرتكب لهذه البدعة « بدعة المولد » أن يعلمه حكمها الشرعى ، ثم يأمره برفق أن يتركها مبينا له أنه لا فائدة يجنيها منها لأنها بدعة وكل بدعة ضلالة ، والضلالة غير الهداية . وأن أبى نهاه برفق كذلك ولا يكتر عليه من التشنيع والتقييح لفعله كيلا يحمله على العناد والمكابرة ، فيهلك ، ويهلك معه لتسببه في إهلاكه . ويؤمئذ يخسران معا ، إن المواجهة بالمكروه كان النبى ﷺ يتحاشاها ، ويقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ويريدون أن يفعلوا كذا وكذا

لأن الطبع البشرى هكذا لا يتحمل المواجهة بالمكروه ، حتى ولو كان أتى المكروه وفعله ، ورحم الله تعالى الامام الشافعى إذ أثر عنه قوله : « من نصح أخاه سرا فقد نصحه ، ومن نصحه علنا فقد فضحه » :

هذا كله فيما إذا كانت البدعة المنهى عنها ليس فيها من اعمال الشرك وأقواله شيء ، وذلك كدعاء غير الله تعالى أو الاستغاثة به وكذب غيره عز وجل أو قيام فى خشوع من مظاهر العبادة لغير الله تعالى . وانما هى إظهار الفرح بمولد الرسول ﷺ وإطعام الطعام شكرا لله تعالى على نعمة الاسلام الذى بعث الله به نبيه محمدا ﷺ . أو قراءة شيء من السيرة النبوية أو سماع بعض المدائح الخالية الفاظها من الشرك والغلو فى المدح ولا اختلاط فيها بين النساء والرجال ولا وجود منكر ، ولا ترك معروف كترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها .

أما إذا صاحب هذه البدعة شيء من الشرك فى الأقوال أو الأفعال أو داخلها باطل أو فساد فإن على المسلم المنكر لها أن يشدد فى الإنكار ، ولا بأس أن يغلظ فى القول بحسب المنكر الموجود قوة وضعفا وعليه أن يطالب فى إصرار بترك المنكر من شرك وغيره من المعاصى المحرمة ، ولو أدى ذلك إلى مقاطعة فاعله وهجرانه فقد كان السلف الصالح إذا رأى أحدهم أخاه يأتى منكرا أنكره عليه فان أصر عليه هجره حتى يتركه . وإن كان هناك فارق بيننا وبينهم ، وهو أن المقاطعة اليوم لا تنفع لأنها لا تكون كاملة بحيث تؤثر على الأخ المقاطع . هذا فترك الهجران مع بقاء دعوة الأخ ومراوضته على فعل ما ترك من الواجب ، أو ترك ما ارتكب من الحرام

أجدى وأنفع .

وخلاصة القول في هذا أن بدعة المولد كثيرا ما تكون خالية من أفعال الشرك وأقواله . ومن فعل المحرمات ففي هذه الحال ينكرها المسلم على إخوانه برفق ولين بعد تعليمهم حكمها الشرعى وترغيبهم في ترك البدع مطلقا . لأنهم ما فعلوها إلا بدافع الايمان والرغبة في الأجر فيراعى مقاصد الناس وبواعث أعمالهم وهذا من الحكمة المأمور بها المسلم في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

أما في حال وجود شرك أو باطل أو فساد أو شر مصاحب لهذه البدعة فإن الانكار يكون بحسبه شدة ويسرا قوة وضعفا . وليكن الرائد في ذلك والحامل عليه أداء حق الله تعالى وواجب نصح المسلمين ومساعدتهم على الاستقامة على دينهم ليكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة . والله من وراء القصد وهو المستعان وعليه وحده التكلان .

الخاتمة

لعل بعضنا ممن يقرءون هذه الرسالة قد يتساءلون قائلين : إذا كان المولد النبوى الشريف بدعة محرمة كسائر البدع لم سكت عنها العلماء وتركوها حتى ذاعت وشاعت وأصبحت كجزء من عقائد المسلمين ، أليس من الواجب عليهم أن ينكروها قبل استفحال أمرها وتأصلها ولم لم يفعلوا؟؟

ونجيب الاخوة المتسائلين فنقول : لقد أنكر هذه البدعة العلماء من يوم ظهورها وكتبوا في ردها الرسائل ، ومن قدر له الاطلاع على كتاب المدخل لابن الحاج عرف ذلك وتحقق . ومن بين الردود القيمة رسالة الفاكهاني تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري الفقيه المالكي صاحب شرح الفاكهاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والتي سماها « المورد في الكلام على المولد » وسنتبت نصها في هذه الخاتمة غير أن الأمم في عصور انحطاطها تضعف عن الاستجابة لداعى الخير والاصلاح بقدر قوتها على الاستجابة لداعى الشر والفساد . لأن الجسم المريض يؤثر فيه أدنى أذى يصيبه ، والجسم الصحيح لا يؤثر فيه إلا أكبر أذى وأقواه ، ومن الامثلة المحسوسة ، أن الجدار المتداعى للسقوط يسقط بهبة ريح أو ركلة رجل . ولذا فلا يدل بقاء هذه البدعة وتأصلها في المجتمع الاسلامى على عدم إنكار العلماء لها ، وهاهى ذى رسالة تاج الدين الفاكهاني نقدمها شاهدا على ذلك .

قال رحمه الله تعالى بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : [أما بعد : فإنه قد تكرر سؤال جماعة من المباركين ^(١) عن الاجتماع الذى يعمل به بعض الناس فى شهر ربيع الاول ويسمونه المولد : هل له أصل فى الشرع أو هو بدعة وحدث فى الدين ؟ ؟ وقصدوا الجواب عن ذلك مبينا ، والايضاح عنه معينا ، فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلا فى كتاب ولا سنة ، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة فى الدين المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها المبطلون ،

(١) يعنى به من بارك الله فيهم من المسلمين الذين يريدون أن يجيدوا الله بما شرع ، لا بما ابتدع أهل الامواء .

وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون بدليل انا إذا أدركنا عليها الأحكام الخمسة قلنا إما أن يكون واجبا أو مندوبا ، أو مباحا أو مكروها أو محرما . وليس هو بواجب اجماعا ، ولا مندوبا ، لأن حقيقة المندوب : ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشارع ، ولا فعله الصحابة ، ولا التابعون ، ولا العلماء المتدينون فيما علمت ، وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت ولا جائزا أن يكون مباحا ، لأن الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين فلم يبق الا أن يكون مكروها أو محرما ، وحينئذ يكون الكلام في فصلين ، والتفرقة بين حالين :

أحدهما : أن يعمل رجل من عين ماله لأهله وأصحابه في عياله لا يجاوزون في ذلك الاجتماع أكل الطعام ، ولا يقتربون شيئا من الآثام . هذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من مقتدى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الاسلام ، وعلماء الأنام ، سرج الأزمنة ، وزين الأمكنة .

والثاني : أن تدخله الجنائية ، وتقوى به العناية حتى يعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه ، وقلبه ^(١) يؤله ، ويوجعه لما يجد من ألم الحيف وقد قال العلماء : أخذ المال بالحياة كأخذه بالسيف ^(٢) ، ولا سيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى ، وآلات الباطل من الدفوف والشبابات ، واجتماع الرجال مع الشباب المرد ، والنساء الفاتيات ، إما مختلطات بهم ، أو مشرفات ، والرقص بالثنى والانعطاف ، والاستغراق في اللهو ، ونسيان يوم المخاف ، وكذلك إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهتيك ^(٣) والتطريب في الانشاد ، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع ، والأمر المعتاد ، غافلات عن قوله تعالى : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان ، وإنما يحلوا ذلك لنفوس موتى القلوب ، وغير المستقلين من الآثام والذنوب . أنهم يرونه من العبادات لامن الأمور المنكرات

(١) يدل هذا التعبير أنهم كانوا يجمعون المال من الناس باسم المولد ، وهو كذلك إذ مازال الموالد التي تقام على الأولياء إلى اليوم يجمعون المال من عموم الناس للحصول على بركة الولي وشفاعته .

(٢) بالقوة والكراهة . وقالوا ما أخذ بوجه الحياة فهو حرام .

(٣) طلبت معنى هذا اللفظ في المعاجم فاعيانى ولعله من الفاظ المجون

المحرمات فإننا لله ، وإنا اليه راجعون . بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ
ولله در شيخنا القشيري حيث يقول فيما أجزناه :

قد عرف المنكر واستنكر ال	معروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدة	وصار أهل الجهل في رتبة
حادوا عن الحق فما للذي	ساروا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	توبتكم في زمن الغربة

ولقد أحسن الامام أبو عمرو بن العلاء حيث يقول : لا يزال الناس
بخير ما تعجب من العجب . هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه الرسول ﷺ
- هو ربيع الأول هو بعينه الذي توفي فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن
فيه ، وهذا ما علينا أن نقول ، ومن الله نرجو حسن القبول .

إلى هنا انتهت رسالة تاج الدين الفاكهاني المسمى : « المورد في الكلام على المولد » ومن عجائب الحياة أن السيوطي وقد ذكرها في حاويه ومنه نقلناها حرفيا قد حاول الرد عليها فلم يفلح فكان رده ساقطا باردا لأنه يجادل بالباطل ليدحض به الحق ، والعياذ بالله تعالى . وقد عرفت أيها القارئ شبهات السيوطي التي فرح بها ظاننا أنه قد استخرج لبدعة المولد أصلا من الشرع وعرفت ردنا عليه بما ينير الطريق لطالبي الحق والراغبين في العيش عليه ، فلذا لا يضرك عدم اطلاعك على رد السيوطي المومي اليه ، فإن نظرك في شبهاته يغنيك عن النظر فيه . هذا وإن قرأت رسالتي هذه ولم يفتح لك فيها ، ومازلت حيران شاكا في بدعة المولد أنها بدعة ضلالة . فأكثر من الدعاء التالى فإن الله تعالى يقطع حيرتك ويلهمك الصواب ويهديك إلى الرشd ، وهو على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير . وهذا هو الدعاء :

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل
 فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب
 والشهادة أنت تحكم بين عبادك
 فيما كانوا فيه يختلفون
 اهدنى لما اختلف فيه من
 الحق بإذنك ، إنك
 تهدي من تشاء
 إلى صراط
 مستقيم
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *
 * * * * *

●● الرسالة التاسعة

كمال الأمة في صلاح عقيدتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى هدى بعد الضلالة ، وأصلح بعد الفساد . والصلاة والسلام على النبى محمد الشافع المشفع يوم المعاد . وعلى آله الأجداد ، وصحابته الأنجاد .

وبعد فإن الفساد فى الأرض منكر وقبيح وأشد قبحا منه ونكارة ما كان بعد الإصلاح

إن الذى يفسد فى الأرض بعد إصلاحها تكون حاله كمن أتى إلى قصر قد تمّ بناؤه ، وارتفع مناره ، وأضاءت أنواره ، وعمره سكانه فهدمه عليهم فأهلكهم . أو كالذى يأتى إلى حديقة غناء قد التفت أشجارها ، وطاب ثمارها ، وفاح أريج أزهارها ، وسعد بها أهلها وروادها ، فيشعل فيها نارا ، فتحور رمادا ، أو يغور ماء سقياها فتذوى أزهارها وتيبس أشجارها ، وتتقلص ظلالها ، وتعود قفراً موحشا أو بيداء مشمساً ، لا ظل بها ولا ماء ، ولا شجر ولا زهر ولا ثمر .

إن هادم القصر بعد بنائه ، وعمرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها وإن

كانا أقبح جرماً ممن يهدم خربة من الخرائب ، أو يشعل النار في زريبة من الزرائب ، فإن من يأتى بلاداً قد طهرت عقائد أهلها من الشرك والضلالات ، وسلمت عباداتهم من البدع والمنكرات فينشر بينهم الاعتقادات الفاسدة الباطلة ويورث فيهم البدع المفسدة والمكفرة هو - والله - أقبح جرماً وأكبر إفساداً من هادم القصر بعد إشادة بنائه ، ومحرق الحديقة بعد إزهارها وإثمارها .

وذلك لأن الأولين أفسدوا مالاً وهو أفسد قلوباً وعقولا ورجالا .
 وشتان ما بين من يفسد المال وبين من يفسد القلوب والعقول والرجال هذا وقد شاء الله تعالى أن يناولنى أحد تلامذتى كتاباً (١) رآه عجباً فيما قد حوى من الأباطيل ، وما اشتمل عليه من التضليل ، ومن المؤسف جداً أن يكون الكتاب لأحد علماء هذه الديار التى قد نعمت زمناً غير قصير بطهارة العقيدة ، وسلامة العبادة ، وصلاح الحال والشأن .

فرايت أن من واجب النصيحة أن أكتب كلمة موجزة قصيرة في بيان عظم جرم من يفسد في هذه البلاد السعودية بعد أن أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ، ودولة ابن السعود رحمهما الله تعالى وجزاهما عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . وليكن موضوعها : شرح آية : ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها . حيث يمكن التنبيه إلى ما جاء في الكتاب المذكور آنفاً من عظام الأمور الباطلة والمعتقدات الفاسدة ، وإنى وإن كنت لم استوف التنبيه عليها كلها فقد نبهت إلى أخطرها وشرها . والله أسأل أن يتوب على صاحبها ، وأن يجنب المسلمين شرها وخطرها فيحفظ لهم عقائدهم من الزيغ والضلال ، وعباداتهم من الفساد والبطلان ؛ إذ في ذلك عصمة أمرهم ، وبه نجاتهم وفوزهم . . .
 اللهم آمين .

(١) اسم الكتاب : الذخائر .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . . ﴾

الشرح :
موقع الآية من القرآن الكريم :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ هو بعض آية من سورة الأعراف ، ونصها الكامل هكذا : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ الآية : ٥٦ .

من المخاطب بهذه الآية ؟

لا شك أن المخاطب بهذه الآية الكريمة : أمة نبينا محمد ﷺ بقسميها : أمة الإجابة ، وأمة الدعوة .

ما المراد بالفساد المنهى عنه في الآية ؟

إن الفساد ضد الإصلاح ، ويكون في العقائد والعبادات ، والأحكام ، والأخلاق ، والآداب ، كما يكون في الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن أيضاً . وهذا بيان ذلك :

الفساد في العقائد : يكون بتوريث العقائد الشركية في النفوس ، ودعوة الناس إليها ، ونشرها بينهم ، وتزيينها لهم ، وتحبيبها إليهم .
وفي العبادات : يكون بالدعوة إلى تركها ، وإهمالها ، والتزهيد فيها ، وشغل الناس عنها . كما يكون بإفسادها بالإحداث فيها ، وإدخال أنواع من الشرك والبدع عليها .

وفي الأحكام : يكون بتعطيلها ، والاستعاضة عنها بغيرها مما هو ليس

من شرع الله تعالى . كما يكون بتحريفها وإخراجها عن مدلولها بالتفسيرات الباطلة ، والتأولات البعيدة عن مدلولها ، ومراد الله تعالى ورسوله منها .

وفي الأخلاق : يكون بالتنفير من الفاضلة الحسنة منها ، وتبغيضها إلى النفوس بضروب من المكر والحيل ، وإحلال العادات السيئة ، والأخلاق الرذيلة محلها ، وذلك مثل الكذب المنافق للصدق ، والخيانة المنافية للأمانة ، والوقاحة المنافية للحياء والحشمة ، واللؤم المنافق للكرم ، والعجلة المنافية للأناة ، والضجر المنافق للصبر .

وفي الآداب : يكون بالعريضة والقحة ، والتفحش والبذاء المنافية للنعمة والحياء والتجمل والاحتشام .

ويكون الفساد : في الإنسان بامتهانه ، والغضب من شرفه ، والإمساس بكرامته . كما يكون بضربه أو كسر عضو من أعضائه أو فساد جارحة من جوارحه أو تعطيل وظيفتها ، أو قتله وإزهاق روحه ، كما يكون بإفساد عقله ، وذلك بإسكاره أو تخديره ، أو سحره ، وما إلى ذلك مما يعطل إدراك الإنسان ، وفهمه . وقوة تميزه بأى ضرب من ضروب الإفساد العقلي .

ويكون الإفساد : في الحيوان بتعطيل منافعه كقطع نسله ، أو قتله وإزهاق روحه .

ويكون في النبات : بقطع أشجاره ، أو إحراق محاصيله ، أو بمنع الماء عنه ليدوى ويهلك ، كما يكون بترك العناية به في غرسه ، وسقيه ، وجنيه ، وجداده ، وحصاده ، إذ كل ذلك من إفساده وإهلاكه .

ويكون الإفساد : في المعادن بعدم استخراجها ، وتعطيل منافعها ، وبالحيلولة دون حفرها والتنقيب عنها . كما يكون بمنع تصديرها ، وبيعها إلى من يُصنعها ، أو يسوقها ؛ ليتنفع بها ، وينفع غيره بها ، كما يكون أيضاً باستخدامها فيما يضر الإنسان ولا ينفع بأى نفع من أنواع النفع

الخاص أو العام .

هذا . . . وما المراد بالأرض المنهى عن الإفساد فيها في الآية ؟

والجواب : أنها كل أرض دخلها الإسلام فآمن أهلها بعد كفر ، ووجدوا بعد شرك ، وعزوا بعد ذل وشرفوا بعد مهانة ، وأمنوا بعد خوف ، واتحدوا وتنظموا بعد فوضى واختلاف ، وطهروا وكملوا بعد خبث ونقصان .

وما معنى قوله في الآية ﴿ بعد إصلاحها ﴾ ؟

معناه أن البلاد الإسلامية كانت قبل دخول الإسلام إليها واعتناق أهلها له ، كانت فاسدة في عقائدها ، وعباداتها وأحكامها وأخلاقها وآدابها فأصلحها الله تعالى بالإسلام أى بعقائده ، وشرائعه ، وقوانينه وآدابه وأخلاقه ؛ ولذا فكل من عمل في ديار الإسلام بغير ما جاء به الإسلام فهو مفسد في الأرض بعد إصلاحها يشهد لصحة هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير هذه الآية إذ قال : « إن الله تعالى بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله به فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض »

هل استمرار الإصلاح شرط في عدم الفساد ؟

... نعم ، إذ إفساد الصالح أقبح شرعا وعقلا من إفساد الفاسد ، وسواء بإطالة مدة فساد ، أو بالزيادة فيه . وبالأمثلة التالية تتضح هذه الحقيقة وتتأكد إن شاء الله :

١ - دار كفر لم يدخلها الإسلام ولم تعمل به كفرنسا أو ألمانيا يفتح فيها إنسان مصنعا لصنع التماثيل ، أو بنكاً للربا ، أو مرقصاً للنساء ، أو حانوتاً لبيع الخمر والمخدرات . إن هذا العمل قطعاً فاسد غير صالح ، ولكن كونه في دار فساد لم يصلحها الله تعالى بالإسلام لا يستنكر كثيراً ، ولا يستقبح ، كما يستنكر ويستقبح لو قام به إنسان في بلد إسلامي كتركيا أو باكستان ، أو مصر أو السودان ، وذلك لأن هذه الديار قد سبق أن أصلحها الله تعالى بالإسلام ، وطهرها من مثل هذه المفاصد والرذائل ، وذلك بشرائعه وقوانينه وأحكامه ، فمن أحدث فيها شراً أو فساداً فقد أفسد فيها بعد إصلاحها .

٢ - لو أن العمل الفاسد المذكور في المثال السابق قد قام به إنسان في البلاد السعودية ففتح مصنعا أو معرضاً لصنع الصور والتماثيل وبيعها والاتجار فيها ، أو فتح بنكاً للربا ، أو داراً للهو والغناء فإن عمله يستنكر أكثر ، ويستقبح أشد ، ويستوجب فاعله لعنة الله ومقته وغضبه ، وذلك لأن البلاد السعودية قد أصلحها الله تعالى بحكم آل سعود بتطبيقهم فيها شرع الله . وإنفاذ أحكامه في أهلها فصلحت بعد فساد ، فمن جاء يعمل فيها بما يخالف شرع الله تعالى ودين الإسلام ، فقد جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها ، وهذا عين ما نهى الله تعالى عنه في هذه الآية التي نشرحها ونبين معناها . ومراد الله تعالى منها وهي قوله **جَلَّ ذِكْرُهُ** : ﴿ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ .

هل العمل بالفساد إفساد ؟

... نعم ، إن العامل بالفساد كمروجه والداعى إليه كلاهما مفسد فى الأرض بعد إصلاحها ؛ إن آخذ الربا فى الائتم كمعطيه ، ومقتنى الصور والتماثيل كصانعها وبائعها ، وشارب الخمر كبائعها ، والراضى بتعطيل أحكام الشرع كمعطلها ، الجميع مذنبون آثمون وإن تفاوتوا فى عظم الجرم ، وأثره فى النفوس والجزاء عليه يوم الجزاء .

هل الإفساد المباشر كغير المباشر ؟

والجواب عن هذا السؤال لا يختلف عن السابق وهو أنه لا فرق بين من يباشر الإفساد وبين من لا يباشره إذا كان راضياً به ساكتاً عنه وهو قادر على تغييره وإنكاره بقول أو عمل ، ثم لا يغير ولا ينكر ، والفساد يستشري أمامه وينتشر .

إن سنة الله تعالى وحكمه فى مثل هذا أن يؤاخذ فاعل الفساد والراضى به الساكت عنه معاً . قال تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن (١) الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ . وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ماذكروا به أنجيناهم الذين يهتدون عن سوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون ﴾ .

وتعليل هذه السنة أو تحليلها هو أن السكوت عن الفساد والإفساد بعدم مقاومتهما من شأنه أن يشجع العاملين بالفساد على مواصلة كما يفرى غير العاملين به أن يعملوا به ، وبذلك يكثر ويعم جميع الأمة ومرافق الحياة فيها فإذا عمّ وشمل كل الأمة أهلك العامة والخاصة معاً .

ومثال هذا الجسم البشرى إذا مرض فإنه إذا عولج بعناية وخبرة حصل له البرء والشفاء بإذن الله تعالى ، وإذا أهمل وترك للمرض ينخر فى جسمه ويستشري فيه فإنه لا يلبث أن يهلك لا محالة حسب سنة الله تعالى .

ومن هنا وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعين على كل فرد

(١) الآية من سورة الأنفال .

صالح لذلك أن يقوم به استجابة لقول الرسول ﷺ : « من رأى منك منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيذان » .

لقد دل هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيذان . وأن التغيير لازم بحسب حال الفرد المسلم قوة وضعفًا ، وإن آخر مواقف الإنسان المؤمن أن ينكر المنكر بقلبه . والإنكار بالقلب هو كراهية المنكر وعدم الرضا به ، لأن الإنسان حسب طبعه إذا لم يكره الشيء أحبه . وإذا أحبه رضى بوجوده ، ودافع عنه وحماه ، وبذلك يصبح الراضى بالمنكر الساكت عنه كفاعله سواء بسواء ، يستوجبان العقوبة معاً .

ولهذا - ويعلم الله - إنى لخائف من ظاهرة سيكوت مواطنينا في هذه الديار السعودية التى أصلحها الله تعالى بالحكم الإسلامى على يد عبده « عبد العزيز » وأولاده حفظهم الله تعالى وحفظ بهم دينه وحرمة وكتابه وأوليائه آمين .

إن ظاهرة ترك الصلاة بين مواطنى هذه الأمة أصبحت معروفة كغيرها من ظواهر بدو الشر والفساد كتخلى بعض النساء عن الحجاب وكالتعامل بالربا ، والإسراف فى سماع الأغاني والمزامير ، والسهر الطويل على الأفلام المحرمة بواسطة آلة « الفيديو » ، وأخطر من ذلك وجود دعوة إلى الشرك والخرافة والضلالة فى أرض التوحيد التى طالما عاشت دون سائر بلاد المسلمين نقية طاهرة من كل مظاهر الشرك والبدع والخرافات بفضل الله تعالى ، ثم بفضل إقامة « عبد العزيز » دولته على مبدء التوحيد الخالص ، والمتابعة لرسول الله ﷺ دون من سواه ، فكان علمها يحمل كلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . إعلاماً منه أنه لا يعبد فى أرض يظللها هذا العلم إلا الله ، ولا يتبع فيها إلا رسول الله ﷺ .

وإن قيل ماهو مظهر هذه الدعوة إلى الشرك والبدع والضلال ؟ قلنا على

سبيل المثال : كتاب الذخائر . فقد حمل هذا الكتاب المطبوع المنشور راية الدعوة إلى الشرك والضلال . وهذه خمس عشرة مسألة شركية محضة أو داعية إلى الشرك محرضة عليه نذكرها تعليماً وتحذيراً نقلناها من الكتاب المذكور والله من وراء القصد :

الأولى : ما جاء تحت عنوان : أحسن الصيغ للسلام على رسول الله ﷺ . إذ جاء فيه قوله : واشفع لى يا رسول الله . وقوله : نحن وفدك يا رسول الله جئناك . . . فاستغفر لنا ، واشفع لنا عند ربك ، واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا . . .

فقوله فاستغفر لنا ، واشفع لنا ، واسأله أن يمن علينا هو طلب دعاء وطلب مسألة من رسول الله ﷺ ، ورسول الله غير الله قطعاً ، فكيف تحمل مسألة ودعاء غير الله تعالى ؟ ألم يكن هذا شركاً صراحاً يا عباد الله ؟ ! إنه دعا غير الله ، والله يقول : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوه مع الله أحداً ﴾ . إن دعاء غير الله بإجماع المسلمين شرك في عبادة الله ، والدعاء هو العبادة ونحوها .

فكيف يحل لأحد أن يقف على قبر رسول الله ﷺ ويدعوه ويطلب منه لو كان هذا جائزاً لم مافعله أحد من أصحابه أو آل بيته ، لم مافعله التابعون أو تابعوهم من أهل القرون المفضلة ؟ نعم لم يفعلوه لأنه الشرك بالله عز وجل في أعظم عبادة وهي الدعاء . . .

لقد أصابت أصحاب رسول الله ﷺ رزايا كثيرة ، ونزلت بهم محن وشدائد صعبة وكذا التابعين من بعدهم ، ولم يؤثر عن أحدهم أنه وقف على قبر رسول الله ﷺ وسأله حاجته ، أو شكا إليه ما يجده من هم أو كرب ، أو استغاث به على عدو ، أو طلب منه أن يسأل الله تعالى له نصراً أو تأييداً ، أو مغفرة لذنوب ، أو شفاعة يوم القيامة ، كل ذلك لأنهم يعلمون أن سؤال غير الله تعالى شرك وكفر .

نعم ، إن رسول الله ﷺ كان يسأل ويعطى ويستغفر للمؤمنين أيام حياته في دار التكليف والعمل .

أما بعد التحاقه بالرفيق الأعلى فإن سؤاله ظلم له وأذية ، وهدم لأصل التوحيد الذي جاهد في سبيل إقراره ثلاثا وعشرين سنة . فكيف يجوز لنفسه من يدعى العلم أن ينصب نفسه داعية لهدم ما بناه رسول الله ﷺ ياعباد الله

وخلاصة القول في هذه المسألة أن صاحب الذخائر بدعائه رسول الله ﷺ وسؤاله إياه قد ظلم وأشرك وفي نفس الوقت قد فتح للناس بابا للشرك والعياذ بالله تعالى ؛ إذ ما استغاث الناس بالأولياء ولا نذروا لهم النذور ولا ذبحوا لهم ولا على قبورهم إلا على مثل قول صاحب الذخائر وتجويزه الاستغاثة والدعاء وطلب الحاجة من غير الله تعالى ، وهو الشرك الذي ما بعث الله تعالى رسوله محمداً وإخوانه من الأنبياء والمرسلين إلا لمحاربته ، وصرف الناس عنه ، إذ قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة (١) رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

والطاغوت : كل ما صرف وجه المرء وقلبه ولسانه عن الله تعالى ، بالتوجه إليه ، وتعليق القلب به ، وذكره وسؤاله رغبةً إليه أو رهبةً منه .

الثانية : عنايته بصلاة الفاتح وشرحه لألفاظها .

إن عناية صاحب الذخائر بشرح ألفاظ صلاة الفاتح إقرار واضح منه بها ، وتحبيذ لها ، ودعوة إليها وإلى طريقة صاحبها ، فهو إذاً بهذا أصبح داعية كفر وضلال في ديار التوحيد والإيمان .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن الطائفة التجانية تفضل صلاة الفاتح المبتدعة للتضليل وصرف الناس عن مصدر كما لهم وهدايتهم القرآن الكريم ، إذ فضلوا الصلاة الواحدة منها على ستين ألف ختمة من القرآن ، وتفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفر بإجماع المسلمين .

(١) الآية من سورة النحل .

إن صاحب الذخائر يعرف كما نعرف نحن أن صلاة الفاتح يقول واضعوها ومروجوها للتضليل والفتنة : إن الرسول ﷺ قد شافه بها الشيخ يقظة لا مناماً وعلمه إياها لتكون صلاة خاصة بالطائفة التجانية . وصاحب الذخائر يعتقد كما نعتقد نحن وسائر علماء الإسلام أن الرسول ﷺ ما خرج لأحد بعد موته ، ولا علم أحداً من أمته بعد موته شيئاً لم يعلمه أمته في حياته ، وأن دعوى مشافهة التجاني أو البكري للنبي ﷺ يقظة دعوى باطلة وكذب محض ، واقتراء محقوت . وإن لازم اعتقاد صحة صلاة الفاتح كفر بواح عليه ألف برهان وبرهان وبيان ذلك :

١ - الكذب على رسول الله ﷺ بأنه خرج إلى الدنيا بعد موته وشافه الشيخ وأعطاه صلاة الفاتح والكذب على رسول الله ﷺ كتكذيبه كلاهما كفر بالعبد والعياذ بالله تعالى .

٢ - أن الرسول ﷺ كتم هذه الصلاة ولم يبلغها الأمة عدة قرون ، ثم بلغها بعد ذلك ، ونسبة الكتمان إلى الرسول ﷺ كفر بإجماع المسلمين .

٣ - تفضيل الفاتح على القرآن وهو تفضيل لكلام المخلوق على كلام الخالق عز وجل وهو كفر بالإجماع .

وأخيراً فمن هو الشيخ التجاني صاحب الفاتح الذي يتشرف صاحب الذخائر بسيادته عليه ؛ إذ يقول قال سيدي في أمثاله كالبكري والهيتمي والنبهاني ؟ إنه - التجاني - أكفر رجل ظهر في عصره ، وأكبر دجال مبطل عرفته الدنيا في أيامه وهذا بيان ذلك :

جاء في كتاب الطائفة التجانية « جواهر المعاني » على لسان الشيخ وبالحرف الواحد ما يلي :

● إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور

فأى كذب ياعباد الله وأى تدجيل وتضليل أعظم من هذا الكذب

والتدجيل والتضليل ؟

إنه كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ وعلى أمة الإسلام والبشرية جمعاء .

إنه قول على الله بدون علم ومن أعظم المفاصد القول على الله تعالى بدون علم . فقد ذكر تعالى أصول المفاصد في آية الأعراف وختمها بأعظمها : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وآخر

● إذا جمع الله يوم القيامة الخلق ينادى في الموقف مناد بأعلى صوته بحيث يسمعه كل من في الموقف :
يا أهل المحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه . فأى كذب وتضليل أعظم من هذا ؟

فمتى كان التجانى يمد الخلائق ، وبماذا كان يمدّها ؟ إن هذا الذى يقوله دعوى ربوبية واضحة صريحة وأى كفر أعظم من ادعاء الربوبية للخلق ؟
وثالث

● روح النبى ﷺ وروحى هكذا مشيراً بأصبعيه السبابة والوسطى ،
روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد
أى كذب وكفر ودجل أعظم من هذا يا عباد الله إنه لم يسزد صاحب
هذا القول على أن ادعى الربوبية والقيومية والحياة الأزلية الأبدية . أعوذ
بالله من هذا الكفر القدر الوسخ .
واقضح مما سبق قوله :

● قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله من لدن آدم إلى النفخ فى الصور ۞
ومن المعلوم بالضرورة أن عامة الأنبياء والرسل وسائر الحواريين
والأصحاب من أشرف الأولياء وخيارهم ، ومعنى هذا أن التجانى رجلاه -

قطعهما الله - فوق كل رقاب الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ . اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الكفر والدجل ومن كل من يقره ويدعو إليه كصاحب الذخائر .
وأخيراً قوله :

● أعمار الناس كلها ذهبت مجانا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق ، فقد فازوا بالربح دنیا وأخرى ولا يشغل بها عمره إلا السعيد .
وبعد : فهل بعد معرفة لازم صلاة الفاتح ، ومعرفة من هو صاحبها يجوز لمسلم يحترم عقله ودينه أن يدعو إلى هذه الصلاة بتحبيذها وشرح ألفاظها والعناية بها ؟
اللهم لا ، لا ، إلا أن يكون داعية فتنة وضلال بين المسلمين . والعياذ بالله تعالى .

والثالثة : فانت باب الله

هذا عنوان في كتاب صاحب الذخائر وضعه ليذكر تحته قصيدة شركية للبكرى المصرى ليتخذ من ألفاظ الشرك والكفر الواردة فيها دليلاً على جواز دعاء النبى ﷺ وسؤاله عند قبره ، وفي كل مكان ، والعياذ بالله من الضلال وأهله .

وقبل أن نورد بعض أبيات القصيدة الحاملة للشرك الداعية إليه ، نسأل : هل يجوز إطلاق لفظ باب الله على الرسول ﷺ ؟ إن إضافة أى شيء لله تعالى لا يجوز إلا بتجويز الوحي الإلهى له ، إذ ليس من حق أى أحد أن يضيف لله تعالى أو ينسب إليه شيئاً لم يصفه أو ينسبه هو تعالى إلى نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ . وعليه فهل ورد في الكتاب أو السنة أن الرسول باب الله ؟

والجواب لم يرد هذا للفظ قط في كتاب (١) ولا سنة ، ولم يعرفه سلف هذه الأمة . فكيف إذا يقرره صاحب الذخائر ويجعله عنواناً في كتابه لينشر

(١) نعم ورد لفظ باب الله على لسان غلاة الشيعة وكبار الزنادقة الباطنيين حيث أطلقوا على أحد رؤسائهم من غلاة الكفر باب الله ، وهو البهاء لعنه الله تعالى .

تحت الكفر الصراح ؟

إن صاحب الذخائر بالتأمل الدقيق في كتابه « الذخائر » يظهر للمتأمل البصير أن الرجل يحمل روح النعمة والتحدى للسلفين والإمعان في إغاثتهم ، وإلا فقل لى بربك ما حمله على نشر الكفر والضلالة بهذه الصورة الشوهاء إلى حد أنه يعتمد اختيار هذه اللفظة [أنت باب الله] فيجعلها عنواناً بارزاً وينشر تحتها الشرك الصراح . والعياذ بالله تعالى . وهذه بعض أبيات قصيدة البكرى التى قال فيها صاحب الذخائر :
إنها مجرّبة لقضاء الحوائج ، وحدد لها وقتا تقال فيه وهو آخر الليل ،
وطلب من قائلها أن يكرر منها البيت الشركى التالى :
فعجل بإذهاب الذى أشتكى
فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

وهو يعنى بذلك قطعاً غير الله تعالى . وقرأ الأبيات يا عبد الله لتأكد من صحة ذلك :

فأنت باب الله أى امرئ	أتاه من غيرك لا يدخل
فلذ به من كل ما تشتكى	فهو شفيع وأيناه يقبل ؟
وحط أحوال الرجا عنده	فإنه المرجع والمؤمل
وناده إذ أزمة أنشبت	أظفارها واستحكم العضل
فعجل بإذهاب الذى أشتكى	فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

بأدنى تأمل لمحتوى هذه الأبيات الشركية يرى أن المقرّر لهذه القصيدة ، إنما يقرر بصراحة اللياذ بغير الله تعالى ، ودعاء ، ووضع الرجاء بساحته ، ونداء وطلب تفريج الكرب منه ، ومثل هذا لا يكون من عارف بالله عز وجل ، ولا يصدر عن مؤمن يعتقد عقيدة التوحيد ، وإلا كيف ينادى من لا يسمعه ولا يراه ولا يقدر على إعطائه أو إنجائه ، ويقول له عجل بإذهاب الذى أشتكى ، فإن توقفت فمن ذا أسأل ؟

أعمى عن الله تعالى فلم يره ، أم كفره فلم يذكره ؟

وأخيراً إن قصيدة البكرى هذه بما حملت من ألفاظ الشرك والكفر لا يقرها ويدعو إلى قراءتها لقضاء الحوائج في الأسحار الوقت الذي ينزل فيه رب العزة والجلال إلى سماء الدنيا ويقول : هل من سائل فأعطيه سؤاله ؟ هل من داع فأسجيب له ؟ ويقول في قائلها : القطب الكبير سيدى محمد ابن الحسن البكرى المصرى إلا عبد يمعن في التضليل ونشر الشرك بأى ثمن ولو كان بحشر نفسه في زمرة المشركين وهو يعلم ذلك ويوقن به .

الرابعة : جواز طلب الشفاعة منه ﷺ

هكذا جاء هذا العنوان في كتاب الذخائر يحمل طابع التضليل ؛ إذ لم يبين وقت طلب الشفاعة منه ﷺ واكتفى بذكر حديث أنس رضى الله عنه عند الترمذى وهو حديث أعله الترمذى بالغرابة مع معارضته لحديث عائشة في الصحيح . ونص حديث الترمذى : « سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال أنا فاعل . وسأله قائلاً : أين أجذك ؟ فقال عند الصراط » . . . الخ . . . وهذه المواطن الثلاثة التى جاءت فى حديث عائشة رضى الله عنها حيث قالت : فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة يارسول الله ؟ فقال فى ثلاثة مواطن فلا .

المواطن الثلاثة هى عند الصراط ، والميزان ، وعند تطاير الصحف التى فيها أعمال العباد . فدل ذلك أن صاحب الذخائر يضلل ويغالط ليجيز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ عند قبره ، وهو أمر مجمع على تحريمه وبطلانه ؛ إذ الشفاعة لا تطلب إلا من الله تعالى ؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه ، ثم طلب الشفاعة من الرسول ﷺ كطلب الاستغفار منه كطلب أى شىء هو دعاء وسؤال لغير الله تعالى فلا يجوز أبداً لأنه من الشرك .

والسلفيون الذين هم محل نقمة صاحب الذخائر لا ينكرون شفاعة النبى ﷺ يوم القيامة ؛ إذ هى ثابتة بالكتاب والسنة ، وإنما ينكرون أن تطلب فى الدنيا من غير الله تعالى . ومن هنا جاء صاحب الذخائر يغالط ، فوضع العنوان المذكور مبهما ليس فيه متى نطلب الشفاعة ، وذلك مر

أجل أن يقول : إن ما ينكره السلفيون من طلب الشفاعة من النبي ﷺ هو ثابت ، وطلب الشفاعة من النبي ﷺ جائز فيحمل الناس على الشرك ، بتضليله والعياذ بالله تعالى .

الخامسة : جواز التوسل بغير النبي ﷺ

إن من له أدنى إلمام بنفسية القوم يفهم من هذا العنوان : المعنى التالى : إذا كان التوسل جائزا بغير النبي ﷺ فكيف ينكر السلفيون « الوهابيون » جوازه بالنبي ﷺ ويمنعونه ، وينسبون فاعله إلى الشرك ؟

والسلفيون أو الوهابيون كما يعبرون فى خلواتهم ومجالسهم الخاصة لا ينكرون التوسل المشروع لا بالنبي ولا بغيره ، بل هم يقولون بمشروعية التوسل ، وكيف لا ، والله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ الآية . . وإنما ينكرون الشرك وينددون به وبفاعله ومعقده والداعى إليه ، وهو دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة والحاجة منهم ، والإقسام بهم ، والذبح والنذر لهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم ، والتمسح بقبورهم وجدرا ن وأبواب أضرحتهم إلى غير ذلك من أفعال الشرك التى يسميها القبوريون وسيلة واستشفاعا وتبركا .

وجاء كتاب الذخائر يدعو إليه بمثل هذه العناوين المضللة . والعجيب أن استدلال الذخائر على جواز التوسل بغير النبي ﷺ كان بمسألة توسل عمر بالعباس رضى الله عنهما . وهى مسألة معروفة بين أهل العلم أخرجها أصحاب الصحاح والسنن . وخلاصتها : أن جفاقا أصاب المدينة لانقطاع المطر وأضر بها حتى أصبح ذلك العام يسمى بعام الرمادة ، فخرج عمر رضى الله عنه يستقى بالمسلمين ، فلما وصل إلى المصلى بدل أن يصلى هو بالناس أمر العباس أن يصلى بهم وذلك لكبر سنه وقرايته من رسول الله ﷺ وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقيننا والآن نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا فاستجاب الله لهم فسقاهم والحمد لله .

والحادثة دليل واضح على عدم جواز التوسل بالأموات حتى ولو كان الميت رسول الله ﷺ إذ عمر لم يتوسل برسول الله ﷺ لما كان ميتاً وتوسل بالعباس لأنه حي يصلى ويدعو وهم يؤمنون كما كان رسول الله ﷺ يدعو وهم يؤمنون ويستجيب الله تعالى لهم ويسقيهم بفضله ورحمته وكرامة لنبيه ﷺ .

والآن فهل السلفيون ينكرون التوسل بدعاء الرجل الصالح وصلاته ؟
الجواب لا .

إذاً فما مقصود صاحب الذخائر عند ما كتب : جواز التوسل بغير النبي ﷺ مستدلاً بتوسل عمر بالعباس رضى الله عنها ؟

إن مقصوده : ماسبق أن بيناه : الدعوة إلى التوسل بالأموات ، وذلك بدعائهم والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم بحجة أنهم أحياء في قبورهم ؛ إن التوسل بالأحياء لا خلاف في جوازه بين المسلمين .
وبهذا كان كتاب الذخائر داعية شرك وضلالة . وتمويه العناوين وتضليلها لا يخفى الحقيقة بحال .

السادسة : ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا !
هذه الجملة جعلها صاحب الذخائر عنواناً في كتابه وكتب تحتها مالد له وطاب من التمويه والتلبيس .

والجملة في الأصل هي شطر بيت لأحد الأعراب امتدح فيه الأعرابي رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو الله تعالى لهم بالمطر لما أصاب أرضهم من المحل والقحط ودعا لهم رسول الله ﷺ واستجاب الله تعالى له وسقى أرض الأعرابي وبلاده .

فبدل أن يستدل صاحب الذخائر بهذه الحادثة على نبوة رسول الله ﷺ وكرامته على ربه تعالى ، ورحمة الله وقرها من عباده جاء يستدل بها على جواز الشرك والعياذ بالله تعالى إذ لو قال هذه الجملة أحد بعد وفاة رسول الله ﷺ [ليس لنا إلا إليك يا رسول الله فرارنا] لكان كاذباً أولاً ، وكان

قوله شركا وكفراً ثانياً . أما كونه كاذباً ؛ فإن الخائف أو العطشان أو الجوعان في غياب رسول الله ﷺ لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفر إلى أحد يسمع شكواه ، ويرى اضطرابه ويعلم شدة حاجته فيطلب منه أن يؤمنه أو يسقيه أو يطعمه أو يقضى حاجته .

وصاحب الذخائر نفسه لو جاع اليوم أو عطش أو خاف لا يفر إلى رسول الله ﷺ وإنما يفر إلى غنى أو قوى من الناس !!
وأما كونه شركا وكفراً فإن الفرار لا يكون إلا إلى الله في كل أمر لا يقدر عليه إلا الله عز وجل قال تعالى ﴿ ففروا إلى الله ﴾ ! ولما كان نزول المطر أمراً لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، وكان الرسول ﷺ مستجاب الدعوة لكرامته على ربه تعالى أتاه الأعرابي وطلب منه أن يستقي لهم ، وقال قصيدته التي من ضمن أبياتها ذلك السطر الذي جعله صاحب الذخائر عنواناً للتضليل .

ومعنى كلام الأعرابي : أنهم لم يجدوا من يفرعون إليه ليدعو الله تعالى لهم ليسقيهم إلا رسول الله إذ هو المرجو أن يستجاب له فقال ما قال . هذا كله إن صحت الرواية والله أعلم بصحتها وما أظنها تصح بالصورة التي عرضها عليها صاحب الذخائر .

والآن فهل يجوز لمؤمن أن يقول اليوم ليس لنا من نفر إليه إلا رسول الله ؟ والجواب لا ، لا ، لأن رسول الله ﷺ التحق بربه فلا يسمعنا ولا يرانا ولا يعرف عنا ولا يدعو الله تعالى لنا كما كان حياً بيننا يدعو الله لنا فيستجيب له ويسقينا .

وإنما فرارنا إلى الله تعالى وحده ندعوه ونتوسل إليه بصيامنا وصدقاتنا وصلاتنا فيسقينا ، ومن أبى أن يفر إلى الله وفر إلى غيره فقد كفر بالله تعالى وأشرك به .

وأخيراً فلم ذكر صاحب الذخائر هذه الرواية والغالب على الظن أنها

باطلة لاتصح لا سيما بالعرض الذى عرضها عليه . وعنون لها بعنوان
يحمل طابع الدعوة إلى الشرك ؟

والجواب : لأن القبورين هذا دأبهم كلما سنحت الفرصة لهم دعوا إلى
الشرك الذى يسمونه توحيداً وإيماناً تحت شعار التوسل والوسيلة والتبرك
والاستشفاع بحب النبى ﷺ وحب الأولياء والصالحين من أقطابهم
وأبداهم وسلاطين البر والبحر عندهم !!

السابعة : كرامات لزائر قبر النبى ﷺ .

ذكر صاحب الذخائر تحت هذا العنوان قول بعضهم : لزائر قبر النبى
ﷺ عشر كرامات وسردها واحدة بعد واحدة هكذا : يُعطى رفع
الدرجات ، يبلغ أسنى المطالب ، قضاء المآرب ، بذل المواهب ، الأمن
من المعاطب . . . الخ .

والسؤال الآن هو من هذا البعض القائل ؟

والجواب : إن كان رسول الله ﷺ فنعم وهو كما قال وأخبر والله ذو فضل
عظيم ، وإن كان غير رسول الله ﷺ فهو كاذب مفتر على الله ورسوله
والمؤمنين . ومادام الرسول ﷺ لم يقل ولم يخبر به ، ولم يرد به خبر ولم تصح
به رواية . فلم إذا هذا الكذب والدجل ، وما المقصود منه ؟ ؟

والجواب : إن المقصود من هذا الكذب هو الرد على السلفيين المنكرين
فى زعم القوم لزيارة قبر النبى ﷺ هذا من جهة ، ومن أخرى التهيج
والإثارة على السلفيين الذين ينكرون شد الرحال لزيارة القبور والعكوف
عندها والتمسح بجدرانها وتبريغ الوجه واللحية على ترابها - كما هو نصرة
القبوريين وتأبيدهم لمدهم فى ضلالهم وظلمة جهلهم والعياذ بالله تعالى .
فى حين أن السلفيين لا يحجزون ولا يمنعون عن رأى لهم أو هوى عندهم
وإنما هم مع الشرع الحنيف فما أجازة الشرع أجازوه ، وما منعه منعه .
إن السلفيين أو الوهابيين كما يقولون لا ينكرون زيارة قبر الرسول ﷺ ولا

قبر أى مؤمن أو مؤمنة بل يرون ذلك من فضائل الأعمال ومستحباتها وذلك لقول الرسول ﷺ : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » . كما زار ﷺ قبر أمه وزار قبور الشهداء بأحد ، وكان يزور مقبرة البقيع ويسلم على أهلها ويستغفر لهم ويترحم عليهم .

واتباعا لسنة أبى القاسم ﷺ السلفيون يزورون قبور المؤمنين على وجه الندب والاستحباب ، ولا ينكرون على من يزور قبور المؤمنين زيارة شرعية ، وإنما ينكرون شد الرحال والسفر البعيد لزيارة أى قبر من قبور المسلمين ، وذلك لأن نبيهم ﷺ لم يأذن فيه بقوله : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام : ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » ولذا هم يعدون من المخالفة للنبي ﷺ أن يسافر المسلم من بلد إلى بلد من أجل زيارة قبر أحد نبيا كان أوليا أو غيرهما ، وينصحون المسلمين ويعلمونهم أن لا يسافروا إلى المدينة النبوية بقصد زيارة قبر النبي ﷺ خاصة ، وإنما ينوون بسفرهم زيارة المسجد النبوي الشريف للصلاة فيه أولاً ، ثم إذا زاروا المسجد نووا زيارة قبر نبيهم وزاروه فسلموا عليه وعلى صاحبيه وانصرفوا . وهذا هو الحق في هذه المسألة ، وعلى هذا كان سلف هذه الأمة . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثامنة : استحباب زيارة قبر النبي ﷺ عند الحنابلة :

والسؤال الذى يثيره هذا العنوان من كتاب الذخائر هو لم خص الحنابلة بالذات دون المالكية والشافعية والأحناف باستحباب زيارة قبر النبي ﷺ فى حين أن الإجماع منعقد على استحباب زيارة قبر النبي ﷺ لمن كان بالمدينة النبوية ؟

والجواب أنه لما كان الحنابلة قديما وحديثا هم حاملو راية السلفية ذكر قول أحد فقهاءهم وهو ابن قدامة رحمه الله تعالى ؛ ليبالغ فى التشنيع على منكرى زيارة القبر النبوى البدعية من السلفيين ؛ إذ الزيارة السنية مستحبة ولا ينكرها أحد . هذا هو السبب الحامل لصاحب الذخائر على كتابة

العنوان المذكور وما ذكر تحته من استحباب ابن قدامة لزيارة القبر النبوي الشريف .

التاسعة : التمسح بشباك الحجر النبوية .

ذكر تحت هذا العنوان المثير من كتابه الذخائر كراهة السلف الصالح للتمسح بشباك الحجر النبوية ، ومنعهم له لما في ذلك من الغلو المؤدى إلى الشرك . ثم عاد فوراً فذكر استحباب التمسح بالشباك وذلك للخواص من الناس فقال : إن للخواص أن يتمسحوا بالشباك ويمرغوا وجوههم ولحاهم في تراب الحجر والقبر ، والسؤال الآن : ما سر هذا التناقض عند هذا الرجل ، يمنع الشيء ويبينه كأن القضية تابعة لهوى الرجال متى شاء الرجل أجاز ومتى شاء منع . إن سر هذا التناقض هو التضييل المتعمد المقصود إنه نظر إلى كثرة المنكرين للتمسح بالشباك إذ السلفية اليوم قد طبقت أقطار العالم الإسلامي وأصبحت هي مذهب المسلمين ، فهابهم وخاف من إنكارهم فقال بكراهة التمسح ، ثم ذكر الغرض الأصلي لكتابه وهو نصرة خصوم السلفيين من القبوريين فعاد فدلّس ظاناً أن هذا التدليس ينفعه في تغطية الحق وتعميته فقال باستحباب التمسح وحتى التمرغ وتعفير اللحية والوجه ولكن للخواص . ومن هم الخواص الذين يجوز لهم من الشرك والضلال مالا يجوز لغيرهم ياترى ؟ وأعمل الجواب الصحيح أنهم أصحاب الأحوال الذين يدعون علم الباطن من غلاة المتصوفة الذين يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم من الكفر والشرك والفسق : إذ هم الذين في حال خمرتهم يشربون الخمر ويفعلون الفجور ، ويقولون الهجر وينطقون بالكفر ، وذلك في حال سكرة الحب كما يقولون ويؤثر عنهم .

وبعد : مسكين هو صاحب الذخائر ! كيف يعرض نفسه لهذه المهازل والتناقضات بلا أجر ولا مثوبة اللهم إلا ما كان من إرضاء طائفة مريضة القلوب ضعيفة النفوس لاقيمة لها ولا وزن بين باقى هذه الأمة وصلحائها .

وخلاصة القول أن صاحب الذخائر بأساليبه هذه وعناوينه يدعو إلى الشرك والضلال من حيث يقصد أو لا يقصد ، لأن تعليم الناس جواز التمسح بالشبابيك والأعتاب وجدران الأضرحة وتقبيلها وتبريغ الوجوه واللحى عليها معناه افعلوا كل شيء من الشرك ولكن لا بنية الشرك ولكن بنية التبرك والتوسل والاستشفاع . وهذا شأن المفتونين والعياذ بالله تعالى .
 العاشرة : زيارة القبر الشريف والتبرك به ، وأنها من أفضل الأعمال .
 اشتمل هذا العنوان الموضوع للإثارة والفتنة والتضليل اشتمل على ثلاث قضايا هذا بيانها :

الأولى زيارة القبر الشريف وهذه المسألة لا خلاف فيها بين المسلمين إذ زيارة القبور سنة مستحبة للرجال المؤمنين دون النساء ، وذلك لقول الرسول ﷺ وفعله فقد قال : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » وزار قبر أمه بعد أن استأذن ربه في ذلك فأذن له كما وزار قبور الشهداء والبقيع .

ونهى عن زيارة النساء للمقابر بقوله : « لعن الله زوارات القبور » الحديث . والسلفيون لا ي نهون عن زيارة القبور مطلقا وإنما ي نهون عما كان منها بدعيا كشد الرجال وإقامة الحفلات وذبح الذبائح ونداء أصحابه والاستعانة بهم ، وما إلى ذلك من إيقاد الشموع عليها وتجميرها وتعطيرها أو وضع باقات الزهور عليها .

والثانية : التبرك ومعناه التماس البركة وطلبها بزيارة القبر والشارع الحكيم لم يرد عنه أن زيارة القبور تكون لطلب البركة سواء كان صاحب القبر نبيا أو وليا أو كان غيرهما ، وإنما تكون لأغراض لم تكن البركة منها ؛ إذ هي التذكير بالآخرة طلبا لركة قلب المؤمن وخشوعه حتى يقبل على الآخرة فيتزود لها بالأعمال الصالحة ، كما يحصل له العزوف عن الدنيا فتقل رغبته فيها وبذلك يكثر خيره ، ويقل شره ، وهذا ظاهر من قوله ﷺ « فإنها تذكركم الآخرة » .

كما أن زيارة القبور تفيد المزار وينتفع بها ، وذلك من السلام عليه والاستغفار له والترحم عليه .

كما أن الزائر نفسه ينتفع بسلامه على إخوانه الموتى واستغفاره لهم وترحمه عليهم ؛ إذ في ذلك أجر ومثوبة لمن قام به محسناً محتسباً .

أما موضوع البركة في زيارة القبور فإنه لم يجر له ذكر على لسان الشارع قط ، وإنما ذكره من ذكره من أهل الأهواء والبدع فقط ؛ إذ لم يؤثر هذه المعنى عن السلف ولم يذكره كتاب ولا سنة ، ولم يكن من أغراض الزيارة في شيء ، وإنما قال به القبوريون الذين يجيزون تمرغ الوجوه واللحى على تراب القبور طلباً للبركة التي لم يشبعوا منها حتى ولو أكلوا تراب القبر كله وزادوا والعياذ بالله .

والحقيقة التي يجب أن لا تخفى عن العارفين هي أنها دعوة إلى الشرك تحت عنوان التماس البركة !!

والقضية الثالثة : كون زيارة القبر الشريف من أفضل الأعمال هذه القضية لا نسلم لقائلها حيث لم يورد عليها نصاً صريحاً من كتاب ولا سنة ، ولا قولاً صحيحاً من سلف هذه الأمة وأئني له ذلك . وعليه فهي قضية باطلة ، ولم تكن زيارة القبر الشريف المستحبة في درجة الصلاة ولا الجهاد ولا الحج ، ولا بر الوالدين ، وإنما هي من فضائل الأعمال كسائر النوافل وحسبها ذلك .

إنه ليس من حق أى إنسان غير رسول الله ﷺ أن يقول في قول أو عمل هو من أفضل الأعمال ، ومن قال فهو قائل على الله تعالى بدون علم وقد حرم الله تعالى القول عليه بدون علم ؛ لأنه الكذب على الله ؛ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ؟

هذا ولو كان فضل الأعمال يعرف بالرأى لما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عنها فيجيبهم مبيناً لهم ، وحديث ابن مسعود في الصحيح شاهد على ذلك .

وأخيراً ما الذى حمل صاحب الذخائر على وضع هذا العنوان ، وما دليله على كون الزيارة من أفضل الأعمال ؟؟ الجواب عن الأول : إنه إغاطة السلفيين ، وعن الثانى مانسبه إلى ابن القيم كذبا وميناً ، إذ لم يصح عنه أنه قال : زيارة القبر الشريف من أفضل الأعمال ، وما ذكره صاحب الذخائر من أبيات من نونية ابن القيم ليس فيها ما يدل على ذلك أو يشهد له ثم ابن القيم ليس ممن يحتج بقولهم فى إثبات الحقائق الشرعية ، لأنه خلفى ، ليس بسلفى من أهل القرون المفضلة ، وإنما هو عالم مصلح سلفى العقيدة والسلوك فإن قال الحق قبل منه وأثنى به عليه ، وإن قال خلافه رد عليه .

الحادية عشرة : عمر رضى الله عنه لم يقطع شجرة بيعة الرضوان . . . هذا العنوان صريح فى نفى صاحب الذخائر قطع عمر رضى الله عنه شجرة بيعة الرضوان .

والسؤال الآن هو لم ينفى صاحب الذخائر قطع عمر للشجرة ، حيث يقول : إن عمر رضى الله عنه ما قطعها إلا لأنها لم تكن هى شجرة بيعة الرضوان ، أما لو كانت هى ما قطعها أبداً ؛ لأن عمر رضى الله عنه يحيز التبرك بآثار الصالحين ويزيد هذا المعنى تقريراً فيقول : إن عمر لم يقطعها ليمنع التبرك بالآثار ، أو أنه لا يرى ذلك ، بل لم يقع ذلك المعنى فى قلبه أصلاً ، ولم يخطر على باله أبداً !!!

إن هذه الجملة من قول صاحب الذخائر صريحة فيما قلنا من أنه يعتقد أن عمر رضى الله عنه لو علم أن الشجرة التى قطعها هى الشجرة التى تمت تحتها البيعة لما قطعها مهما فعل الناس تحتها ، ومهما اعتقدوا فيها ، ولو كان الشرك بعينه ، هذا ولنستمع إلى قول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى هذا المعنى ونقارن بينه وبين قول صاحب الذخائر فإن النتيجة ستظهر لنا واضحة جلية ، وهى أن صاحب الذخائر ناقم على الذين يزيلون الآثار ويذهبونها مخافة ما وقع ويقع حولها من الشرك ، وما حصل

ويحصل بسببها من الشر والفساد حيث عبدت آلاف الأشجار وألهمت مع الله آلاف الآثار .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ، في تعليقه كون شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت (١) عن الناس : وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضرر كما نراه الآن مشاهدا دونها !!!
فلننظر كيف أفصح الحافظ عن سبب إخفاء الشجرة أو قطعها وهي مخافة أن يعظمها بعض الجهال فيفرض ذلك بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضرر .

أما صاحب الذخائر فإنه يقرر أن عمر ما قطع الشجرة التي روى وصح أنه قطعها إلا لأنها ليست الشجرة التي تمت تحتها بيعة الرضوان ، لأن تلك قد أخفيت على الناس . أما لو علم عمر أنها هي التي تمت تحتها البيعة لما قطعها وترك الناس يتبركون بها ، لأن عمر يحيز ذلك ومهما أفضى ذلك بالناس إلى اعتقاد مالا يجوز اعتقاده وفعل مالا ينبغي فعله .

وهذا تبين بوضوح أن صاحب الذخائر داعية شرك وضلالة والعياذ بالله تعالى ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

كما أن لازم دفاعه عن عدم قطع عمر للشجرة أنه ناظم على السلفيين الذين يقطعون الأشجار ويزيلون الآثار إذا خيف وقوع الشرك واعتقاد الباطل بسببها . وهذا هو الجواب لسؤالنا الأول وهو : لم ينبغي صاحب الذخائر قطع عمر لشجرة بيعة الرضوان . والله المستعان !

الثانية عشرة : تفضيله البقعة التي ضمت جسد رسول الله ﷺ عن الكعبة والعرش .

(١) ذكر الحافظ في الفتح أن هناك خلافا في هل شجرة بيعة الرضوان قد أخفيت ، أو أنها هي التي قطعها عمر رضي الله عنه ، وقد علل رحمه الله تعالى لحفظها أن حقا أخفيت عن ... أو قطعها إن هي قطعت ، وهو مخافة أن يعتقد بعض الجهال أن لها قوة نفع أو ضرر فيفرض بهم ذلك إلى مثل ما هو مشاهد نيرم من الشرك والباطل فيها هو دون الشجرة التي وقع تحتها خير كثير .

وهنا - أخى القارىء - تساؤلات عدة هى : لم يثير صاحب الذخائر هذه المسألة بالذات ؟

هل هى من عقائد المسلمين ؟ هل الناس مكلفون بفهم واعتقاد هذه المسألة ؟ هل هناك من جدل قد أثير حول هذه المسألة فجاء صاحب الذخائر لينهيه ويريح المسلمين منه ببيان الحق الذى اختلفوا فيه ؟ إن الجواب عن كل هذه التساؤلات أن شيئاً من ذلك لم يكن . وإذا فأى داع للخوض فى مثل هذه المسألة حتى يصبح المرء يقول بغير علم ويحكم بدون دليل ؟ إنه لو كان فى اعتقاد هذه المسألة والعلم بها خير للأمة عاجلاً أو آجلاً لبينه رسول الله ﷺ . إذ ما ترك ﷺ خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرهما منه .

ومادام ﷺ قد سكت عن هذه المسألة ألا نسكت عنها نحن ، ويسعنا ماوسع صدر هذه الأمة وسلفها الصالح ؟

والجواب نعم قد سكتنا والحمد لله واسترحنا وأرحنا ، غير أن صاحب الذخائر لم يسكت وأثار هذا الموضوع الميت المهدوم ؛ لتصوره الباطل وهو أن السلفيين لا يحبون النبى ﷺ ولا يعظمونه ، ولا يفضلونه ولا يتبركون بآثاره ولذا هم لا يحتفلون بليلة المولد . وهو تصور كاذب خاطىء لا صحة له البتة ومن أجل هذا جاء يدعوهم إلى الاحتفال بالمولد والتبرك بالآثار من طريق أن مجرد البقعة التى لامست جسد رسول الله ﷺ أصبحت به أفضل من الكعبة بيت الله ، ومن العرش عرش الرحمن عز وجل .

هذا هو الباعث لصاحب الذخائر والحامل له على إثارة هذه المسألة التى ليست من عقائد المسلمين فى شىء ، والتى لم يجر لها ذكر فى كتاب ولا سنة ، ولم يخض فيها أبداً سلف هذه الأمة ، وإنما قال فيها من قال من سادات صاحب الذخائر وأقطابه من أمثال النبهانى والبكرى والقسطلانى والتجاني !!

ولما كان قصد مثير هذه المسألة هو التشهير بالسلفيين لأنهم لا يحتفلون

بالمولد النبوى الشريف وهو مولد من تربة قبره أفضل من الكعبة والعرش إن صحت الدعوى فإننا نهمس فى أذنه وأذن أوليائه والعالم أجمع أن السلفيين أو الوهابيين كما يسميهم لو شرع الله تعالى لهم فى كتابه أو على لسان نبيه ﷺ الاحتفال بالمولد ، لما سبقهم لذلك صاحب الذخائر ، ولا من وراء صاحب الذخائر من كل القبوريين والخرافيين .

الثالثة عشرة : مقارنته بين ليلة المولد وليلة القدر ، وتفضيل إحداها على الأخرى بدون علم ولا هدى ، ولا كتاب منير .

اعلم - أخى القارى - أن هذه المسألة هى نظير سابقتها وهى تفضيل البقعة التى ضمت الجسد النبوى الطاهر على الكعبة والعرش ، وكلتاها لا داعى لذكرهما وإثارتها ، وذلك لسكوت الشارع الحكيم عنهما ، وعدم تعرضه لشيء منهما ولو بإشارة فضلا عن عبارة . ولكن صاحب الذخائر يأبى إلا ذكرهما وإثارة موضوعهما لغرض فى نفسه قد أفصحت عنه عناوين كتابه غير مأمرة . وهو دفاعه عن بدعة المولد ودعوته المسلمين إلى إحيائها والقيام بها كما هو التشهير بمن ينكرها ولا يقرها وهم السلفيون عامة والسعوديون خاصة .

وليبيان الحق فى هذا المسألة نقول . إن صاحب الذخائر بإثارتها لهذه المسائل يضلل المسلمين عن قصد أو عن غير قصد . وبيان ذلك من وجهين :

الأول فى الباعث له على تفضيل إحدى الليلتين على الأخرى . فهل ياترى بحث هذا الموضوع سلف الأمة وقارنوا فيه بين الليلتين ورجحوا فضل إحداها على الأخرى ؟ والجواب : لا ، لا . إن سلف الأمة لم يبحثوا هذا الموضوع ولا قالوا فيه بشيء قط . فلم إذا يثار اليوم هذا البحث ، وما الفائدة منه . وما هو المقصود به ؟

والجواب : قد أثير هذا الموضوع وفى هذه الديار بالذات للفتنة والتضليل والعياذ بالله تعالى وأما الفائدة منه فإنها - والله - لا فائدة ألبتة ؛

إذ ليلة القدر قد فضلها الشارع على ألف شهر ، وحث على قيامها ، ودعا إليه ورغب فيه . وأما ليلة المولد فلم يجز لها ذكر على لسان الشارع ، ولم يخصها بشيء ، ولم يعرف لها سلف الأمة الصالح أى فضل أو مزية بالمرة ، وما هى إلا ليلة كسائر الليالي وظرف لما يقع فيها من خير أو غيره .
وأما المقصود من إثارة هذا البحث فإنه هدم التوحيد وأركانها في شخصية المنكرين لبدعة المولد والمنددين بها من السلفين .

والثانى : أن المضللين من المسلمين بالعلماء أمثال صاحب الذخائر يعتقدون أن السلفين بإنكارهم لبدعة المولد ، وعدم احتفالهم بها يبغضون الرسول ﷺ ولا يحبونه فجاء صاحب الذخائر يصحح لهم اعتقادهم هذا ويؤكد لهم وهو اعتقاد باطل فيقول كيف لا يحتفل السلفيون بالمولد وليلة المولد أفضل من ليلة القدر التى يحتفى بها ويحتفل أهل السماء وأهل الأرض ؟ !

وأخيراً إنه لو لم يكن لصاحب الذخائر هدف معين يهدف إليه وهو إرضاء أصحاب الشعور المعادى للسلفين لينال الحظوة لديهم داخل المملكة وخارجها لما أثار مثل هذه المواضيع ، ولم كتب رسائله فيها ، ولكان نجا من محذور قوله تعالى : ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ ؛ إذ هذه المملكة كما قلنا وقررنا غير مأمرة قد أصلحها الله تعالى بدعوة ابن عبد الوهاب ودولة ابن السعود ، فمن جاء يدعوا فيها إلى البدع والشركيات إنما جاء ليفسد فيها بعد إصلاحها . والله تعالى هو الذى الذى يتولى جزاءه على إفساده فى أرض قد أصلحها .

الرابعة عشرة : حياة النبى ﷺ

إن صاحب الذخائر يعلم كغيره من علماء المسلمين وعامتهم أن النبى ﷺ قد مات الموتة التى كتبها الله عز وجل على كل نفس وأخبر عنها بقوله : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ .

وعليه فمن أنكر موت الرسول ﷺ - إن لم يكن فى ذهول الحيرة . وفى

عنف صدمة الفاجعة كما حصل لعمر رضى الله عنه - فقد كفر لتكذيبه الله تعالى ورسوله ﷺ ، إذ قد أخبر تعالى عند موت رسوله ﷺ بقوله : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ . وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ الآية .

وأخبر هو ﷺ عن موته في أحاديث صحاح كثيرة ، وقد مات فعلاً وُغُسل وكفن وصلى عليه ودفن في بيته ﷺ ، وبكاه النساء والرجال والأطفال من مؤمنى الإنس والجان ، وها نحن الآن نبكيه واحمداه ، واحزاناه ، واأسفاه ، على موت وفراق رسول الله !! وكان بعض أصحابه يقول : من أصابته مصيبة فليذكر مصيبتة في رسول الله ليتعزى بذلك ويصبر !

كما يعلم صاحب الذخائر وغيره من علماء المسلمين وأكثر عامتهم أيضاً أن روح النبي ﷺ وهو أشرف الأرواح وأطهرها وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها عنده كغيره من سائر الأرواح حتى لا يموت مرة أخرى بعد الموتة الأولى ، وإن أرواح المنعمة تتفاوت في النعيم ، والمعذبة تتفاوت أيضاً في العذاب المهين ؛ إذ بهذا نطقت الآيات وصرحت الأحاديث ، وهو معتقد أهل السنة والجماعة من هذه الأمة المسلمة .

وإذاً ، فلم جاء صاحب الذخائر يركض فيجمع من الأخبار والآثار الغث والسمين ؛ ليثبت حياة النبي ﷺ بعد موته ؟ أكان في الأمة من أنكر حياة النبي ﷺ البرزخية فجاء صاحب الذخائر يقيم الدليل على من أنكرها ؟ وما دام لا يوجد بين المسلمين من يقول بعدم حياة رسول الله ﷺ وحياة كل الأموات من مؤمنين وكافرين في البرزخ ، فلم هذا الركض الفارغ والحماس الكاذب من صاحب الذخائر ياترى ؟ ؟

والجواب إنه إرضاء القبوريين وهم الذين جهلوا ربهم فلم يعرفوه فقادهم جهلهم برهم تعالى إلى قبور الأنبياء والأولياء والصالحين فجعلوهم

محط آمالهم . ومفزعهم عند تغير أحوالهم ونزول الشدائد بهم فترى أحدهم إذا مسه ضرر أو نزل به بلاء فزع إلى تلك القبور يدعو أصحابها ويستغيث بهم ويستشفع بحرمتهم ويسأل الله بحقوقهم وجاههم والعياذ بالله تعالى من الشرك وأهله .

ولما حكمت دولة التوحيد الحجاز وهدمت القباب وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نداء الرسول ﷺ والاستغاثة به والعكوف على قبره والتمسح به وتعفير الوجه وتبريغه على تربته وحتى الكذب عليه بأنه رد السلام على فلان ومد يده إلى فلان ، وقد رآه فلان وسمعه فلان إلى غير ذلك من الكذب والباطل ثارت ثائرتهم ونطقت أبواقهم فأخذوا يكفرون السعوديين ويقولون فيهم أقبح الأقوال وأفضحها .

ونصر الله دعوة الحق على يد ابن السعود ورجاله ، وأخذت أركان الباطل تتزلزل ، وصحون الشرك والخرافة تتداعى وتسقط في كل بلاد المسلمين حيث وجد - والحمد لله - في كل إقليم من بلاد المسلمين علماء عارفون يدعون إلى التوحيد والعمل بالسنة وترك الشرك والبدعة . وأخذ فعلاً القبوريون والمفتونون بالخرافات والبدع يخفون حنقهم ويسرون دعوتهم إلى الباطل بعد أن بهرهم نور الحق ، وغمرتهم كثرة الموحدين ، غير أنهم - مع الأسف - لم ييأسوا .

ويبدو أنهم اليوم لما رأوا فتوراً في دعوة التوحيد بين رجال حكومة التوحيد لانشغالهم بمهام حكمهم ، وتغير الظروف والأحوال عليهم تحركوا محاولين الظهور من جديد ، وما كتاب الذخائر إلا جس نبض ، لأنه كتاب يحمل الدعوة الواضحة إلى الشرك والخرافة والابتداع ، فلو قدر له أن ينتشر وسلم من الرد عليه وبيان زيفه وباطله وسوء قصد صاحبه لتبعه كتب وكتب تدعو إلى الشرك والخرافة في وضوح وصراحة . وأين ؟ في أرض أصلحها الله بعد فساد ، وطهرها بعد خبث إنها ديار الحرمين الشريفين ، قبله المسلمين وقوتهم في أمور دينهم . . . والعياذ بالله تعالى .

الخامسة عشرة : دفاعه عن إسلام أبوى الرسول ﷺ ، ونجاتهما من النار وأنها في الجنة وترضيه عنهما . وحكمه بنجاة أهل الفترة من لدن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إلى عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، وتقريره كذبة إحياء الله تعالى أبوى الرسول حتى آمانا به ﷺ ثم ماتا . . إلى غير ذلك من الأكاذيب التي فاضت بها قواميس الشيعة الروافض .

وقبل بيان زيف هذه الدعاوى وإبطائها إحقاقاً للحق وبياناً للهدى ، والرشد نتساءل فنقول :

هل دفاع صاحب الذخائر عن هذه المجموعة من الأكاذيب كان لغرض سليم ؟

هل أمة الإسلام اليوم في حاجة ماسة إلى معرفة هذه الترهات والأباطيل ؟

هل من ضرورى العقيدة الإسلامية الإيمان بهذه الأكاذيب والترهات ؟
والجواب : لا ، لا ، وألف لا أيضا .

إذاً فما هو الدافع لنشر هذه الأباطيل ؟

والجواب : ماسبق أن قلنا وبيناه إنه محاولة إحياء دعوة الشرك والخرافة بعد موتها في هذه الديار الإسلامية الطاهرة ديار التوحيد والإسلام الصحيح . وقاها الله شر هذا الكيد والدس الرخيصين . اللهم امين .

هذا وعن كشف زيف تلك الترهات والأكاذيب فإننا نقول :

١ - عن فرية إحياء الله تعالى للرسول ﷺ أبويه حتى آمانا به وماتا على ذلك وهما في الجنة

فإننا نقول : إن هذا لعمر الله فرية من أعظم الفرى على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين والمسلمين ؛ إذ لو كان هذا الإحياء حقاً ثابتاً ، وتمّ فعلاً لأخبر به الرسول ﷺ وأعلنه لأصحابه ، وعرفه أهل بيته وعامة المؤمنين ، ولعرفه بعدهم التابعون وتابعوهم ولانتهى إلى الأئمة الأربعة

وقرّروه ضمن عقائد المسلمين وعدوه من جملة المعجزات المحمدية ،
والآيات النبوية . أما وإنه لم يرد به خبر صحيح ولم يقل به صحابي ولا
تابعي ولا إمام من أئمة الإسلام والمسلمين . وقد صح خلافه تماماً ونقيضه
قطعا وذلك كقوله ﷺ لما زار قبر أمه وبكى عنده ، وقيل له في ذلك فقال :
« استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في أن أستغفر لها
فلم يأذن لي » وقال للرجل الذي سأله عن أبيه وقد مات مشركاً فقال : أين
أبي يا رسول الله ؟ فأجابه قائلاً في النار ، فلما ولي وكأنه غير راض بالخبر
ومادل عليه من كون أبيه في النار ناداه الرسول ﷺ فلما أقبل قال له : أبي
وأبوك في النار !

مع مخالفة هذا الإحياء المزعوم لسنن الله تعالى وشرائعه وهداية كتابه
وهدى نبيه ﷺ . والحال ما بينا يعد باطلاً ومنكراً ، واعتقاده ضلال
وحرام . وحسب مفتريه أنه كذب على الله ورسوله والمؤمنين !

٢ - عن فرية كون أبوى رسول الله ﷺ في الجنة نقول إن إبطال هذا
الباطل وردّ هذا الكذب قد جاء من رسول الله ﷺ نفسه فكفانا المؤونة إذ
جاء في صحيح مسلم ما ذكرناه آنفاً من قوله ﷺ للرجل « أبي وأبوك في
النار » . كما جاء في السنن ماسبق أن ذكرناه وأيضاً من أنه ﷺ استأذن ربه
في الاستغفار لأمه فلم يأذن له ، وهذه مصداق قوله تعالى من سورة
التوبة : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ .

فهل بعد هذا يا عباد الله يجوز لمؤمن أن يكذب الله ورسوله ويرد قولهما ،
ويقرر الكذب والباطل المأثور عن مثل السيوطي فيقول : إن أبوى الرسول
في الجنة ؟ ؟

اللهم إن هذا مركب لا يركبه إلا مغامر بدينه وعقيدته وصلته بالإسلام
والمسلمين .

٣ - عن فرية أن أبوى الرسول ﷺ ماتا على الفطرة فنقول إن هذا

تحريف لكلمة « الفَترَة » إلى « الفطرة » وذلك أن المسلمين مجمعون ؛ لنصوص الكتاب والسنة على أن مشركى العرب كانوا من أهل الفَترَة ، وأنهم فى النار بأخبار الله تعالى ، وأخبار رسوله ﷺ .

أما الفطرة فهى التوحيد ، وليست الزمن الذى انقطع فيه من يعرف الله تعالى ويعرف محابّه ومساخطه وهو الفَترَة الزمانية ، وإنما الفطرة التوحيد كما قال تعالى : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها ﴾ ، وقال رسوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فأهل الفطرة هم الموحدون وأولادهم والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا الحلم وسنّ التكليف من أهل الشرك والكفر .

وكون أهل الفَترَة الخاصة فى النار اليوم غير مانع أن يدخل منهم الجنة من شاء الله تعالى أن يدخلها غداً يوم القيامة ، ونعنى أصحاب الفَترَة الخاصة أولئك الذين وجدوا فى وقت انقطع فيه تماماً الوحي الإلهى فلم يبق بين الناس أحد يعرف عن الله تعالى وشرائعه شيئاً ، فهؤلاء ورد أنهم يمتحنون يوم القيامة مع أطفال المشركين ، والمجانين ومن ولدوا صبيّاً لا يسمعون ، وعمياً لا يبصرون بأن يؤمروا بدخول النار فمن كان مستعداً للإيمان والطاعة فى دار الدنيا لو كلف بهما فإنه يطيع الأمر ويذهب إلى النار ليدخلها طاعة لله عز وجل وعندئذ يُصرف عنها ويدخل الجنة . ومن كان غير مستعد للإيمان والطاعة فيما لو كلف فى الدنيا فإنه يعصى أمر الله فى عرصات القيامة وحينئذ يُضطر إلى دخول النار . وهنا نعلن رجاءنا أن يكون أبوا رسول الله ﷺ ممن يمتحنون فيطيعون ويدخلون الجنة مع من دخلها من المؤمنين والمسلمين . والأمر لله فإنه أعلم وأعز وأحكم .

وننبه هنا إلى أن قوله تعالى من سورة الإسراء : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ، المراد من نفى العذاب فيها عذاب الدنيا بالإبادة والاستئصال الذى نزل الله تعالى بالأمم والشعوب التى يبعث إليها رسله فتتحداهم وتكذبهم ، وتطالبهم بالآيات على الإيمان ، ثم لما تعطى الآيات

تتنكر لها وتستمر على تكذيبها وكفرها وجحودها . لا عذاب الآخرة كما قد يفهم من لا علم عنده بأحكام الله وقضايا شرعه .

إن الله تعالى لم يكن شأنه أن يعذب أمة من الأمم بعذاب الإبادة والاستئصال بدون أن يعذر إليها بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى من سورة القصص : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ .

٤ - عن فرية أن مشركى العرب من لدن إسماعيل إلى عبد الله والد الرسول ﷺ ناجون من النار بدعوى أنهم من أهل الفترة ، نقول هذه كذبة ما أقبحها وفرية ما أعظمها ، إنها ردّ صريح لأخبار الله تعالى وأخبار رسوله ﷺ ، وتكذيب لله ورسوله والعياذ بالله . إنها لخروج عن إجماع المسلمين وتحريف لشرع رب العالمين . ولا ندري ما حمل صاحب الذخائر على هذه الورطة ، وما أوقعه في هذه التهلكة ؟ ؟

إن الأمر لو كان كما قرر صاحب الذخائر من نجاة العرب المشركين من لدن إسماعيل عليه السلام إلى عبد الله والد رسول الله ﷺ لكان الجهل خيراً من العلم . والكفر خيراً من الإيمان ، ولكانت بعثة الرسول ﷺ شوّماً على العرب والبشرية ونحساً ، وهل من قائل بهذا يا عباد الله ؟ ؟

وخلاصة القول إن صاحب الذخائر قد تورط بجهله وهلك بسوء قصده . ودعوتنا له أن يتوب إلى ربه قبل موته فإن من تاب تاب الله عليه ، ومن توبته أن يرد باطل كتابه « الذخائر » بحق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيكتب رسالة يعلن فيها للمسلمين أن معظم ما جاء في « ذخائره » هو كذب وباطل فلا يغتر به مسلم ولا يجوز أن يعتقد به أو يقول به مؤمن . ثم يعمل على جمع ما يمكن جمعه من كتابه الذخائر ويتلفه بإحراقه أو دفنه . وبذلك تبرأ - إن شاء الله - ذمته وتصح توبته ، ويعود إليه اعتباره في جماعة المسلمين . والرجوع إلى الحق خير من التهادي على الباطل .

والله وحده المسئول أن يتوب علينا وعليه ، وأن يرينا جميعاً الحق حقاً
ويرزقنا اتباعه ، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . إنه ولي ذلك والقادر
عليه .

سبحانك ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾	٥ شرح آية
كتاب الذخائر وما فيه من المسائل الشريكة :	٧
تجويزه طلب الشفاعة والاستغفار من النبي ﷺ بعد وفاته ، وبيان كون ذلك من الشرك	٧ المسألة (١)
في عنايته بصلاة الفاتح وشرحه لألفاظها	١٢ المسألة (٢)
وهو إقرار منه بلام تلك الصلاة من الكفر .	
وفي بيان ضلال التجاني وكفره .	
قوله : أنت باب الله ، وإقراره مافي	١٥ المسألة (٣)
قصيدة البكرى . من الشرك ، ورد . ذلك	
تجويزه طلب الشفاعة ، وبيان	١٧ المسألة (٤)
تضليله في ذلك وضلاله .	
تجويزه التوسل بغير النبي ﷺ ، ودعوته	١٨ المسألة (٥)
إلى الشرك بذلك .	
إقراره قول : ليس لنا إلا إليك يا رسول الله	١٩ المسألة (٦)
فرارنا ، وبيان أن ذلك من الشرك .	
قوله : كرامات لزائر القبر النبوي ،	٢١ المسألة (٧)
وبيان مافي ذلك من الكذب والتضليل .	
نقله استحباب زيارة القبر النبوي عند	٢٢ المسألة (٨)
الحنابلة ، وبيان أن قصده	
من ذلك التضليل .	

- ٢٣ المسألة (٩) تجويزه التمسح بشباك الحجرة النبوية للخواص
وهي دعوة إلى الشرك ظاهرة .
- ٢٤ المسألة (١٠) زيارة القبر الشريف ، وأنها من أفضل الأعمال ،
وبيان تضليله وباطله في ذلك .
- ٢٦ المسألة (١١) نفيه لقطع عُمر شجرة بيعة الرضوان ، ودعوته
إلى التبرك بالأشجار والأحجار بطريق التضليل .
- ٢٧ المسألة (١٢) تفضيله موضع جسد رسول الله ﷺ من قبره
على الكعبة والعرش ، وبيان خطئه
وضلاله في ذلك .
- ٢٩ المسألة (١٣) مقارنته بين ليلة المولد وليلة القدر ،
وبيان كذبه وضلاله في ذلك .
- ٣٠ المسألة (١٤) إقراره حياة النبي ﷺ غير البرزخية ، وبيان
خطئه وسوء قصده في ذلك .
- ٣٣ المسألة (١٥) دفاعه عن إسلام أبوي الرسول ﷺ ونجاتهما
من النار وترضيه عنهما ، وحكمه بنجاة أهل
الفترة كافة ، وتقريره فرية إحياء أبوي
الرسول ﷺ وإيمانها به ﷺ وموتها على الإيمان ،
وبيان كذبه وتضليله وسوء قصده في كل ذلك .

●● الرسالة العاشرة

النصائح الأزواج
قدمت لبيت الله الحجاج

فاتحة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه
ومن أتبع هداه .
وبعد - أخى الحاج - إنه أداء لواجب نصحك الذى أوجبه أخوتك
رأيت أن أتقدم إليك بهذه العرائس من النصائح ؛ لتستمتع بها روحيا
وعقليا ، وأنت فى رحلتك المباركة الخالدة تنتقل فى رياض العبادة ، وتنسم
فى رحاب الله نسيم الرحمة والغفران . فخذها أزواجا خمسة بلا مهر
تقدمه ، ولا وليمة تقيمها سوى أن تقول لربى تعالى وربك الذى لا إله
غيره ولا رب سواه : رَبِّ إِنِّ عَبْدَكَ قد نصحنى لك يرجو بذلك أن
تُعافيه ، وتعفو عنه ، وتغفر له وترحمه ، وتتولاه ولا تتركه ، فأعطه اللهم
ذلك ، وأعطنى مثله إني أخوه وهو أخى ، وأنت ربنا البر الرحيم على كل
شئ قدير .

الزوج الأول
من
النصائح الأزواج
الإيمان ، والتقوى

١ - الإيمان

هل تدري - أخى الحاج - ما الإيمان الذى أنصح لك به ؟
إنه شاطئ النجاة ! وبر السلامة ! وساحة الأمان ! ودار الاطمئنان .

إنه حمى الله الذى لا يأمن إلا من نزل به ، ولا تنتهى حيرة ولا يذهب خوف ولا قلق ولا فزع من لم يحل به ، وينزل بساحته .
إن الإيمان مشتق من الأمان ولذا فإن العبد لا يزال خائفاً فى الحياة حتى يؤمن بالله ، فإذا آمن آمن ، وإذا أسلم سلم .
وهل تدري - أخى الحاج - ما حقيقة الإيمان الذى تُنصح به ، وتُدعى إليه ؟ إنه تصديقك الجازم الخالى من أى شك أو ريب أو تردد : إيمانك بالله رباً وإلهاً ، وبكل ما أمرك الله تعالى بالإيمان به من الملائكة ، والكتب ، والرسل ، والبعث الآخر ، والقضاء والقدر . هذه حقيقة الإيمان المنصوح لك به . واسمح لى أن أحدثك عنه حديثاً مختصراً تزداد به معرفة و يقينا فأقول : إنك بالإيمان بالله تعالى رباً وإلهاً تكون قد عرفت سر حياتك ، وعلة وجودك ، وسر وعلة الحياة والكون كله من حولك ، وبذلك تأخذ مدارك حول حقائق العبادة التى خلقت لها فلا تبحر تسير فى فلكها ، شأنك فى ذلك شأن الكواكب فى مساراتها ، والأفلاك فى مداراتها فلا تكل من طاعة ، ولا تمل من قرب أوجب . وبه تكون أمنت من الخسران ، وفزت بالجنان ، وألبست حُلل الرضوان . إنك بإيمانك بالملائكة تكون قد اكتشفت عالم الطهر والصفاء ، وتعرفت إلى إخوان روحك ، ورفقاء رحلتك فى عبادتك لربك فيعظم بهم أنسك ، ويكمل بهم قربك ، وتعرف بهم سر وصول خبر السماء إلى الأرض فى أقل من لحظة عين ، أو ثانيتها ، وسر الموت والحياة وطبيعتها . وبطهر أولئك الأطهار وصفائهم وخيريتهم تطلع على العالم الآخر ذى الطبيعة الشريرة والخبث

والظلمة ، وهو عالم الشياطين ، إذ بضدها تتميز الأشياء .

إن ما يرى من طهر وصفاء وخير إنما هو قد فاض^(١) من عالم الطهر والخير والصفاء . كما أن ما يرى من ظلمة وخبث وشر إنما قد فاض من عالم الظلمة والخبث والشر .

وإنك بمعرفتك هذه التي أثمرها لك إيمانك بالملائكة الأطهار قد تعظم رغبتك في الطهر والصفاء وتحن إلى مواكبة أهلها فلا تلبث أن تطهر وتصفو وتواكب ، وبذلك تكمل وتسعد .

وإنك بإيمانك بكتب الله عامة والفرقان خاصة تكون قد أكدت إيمانك بالله . . . وملائكته وقررت في نفسك ، وبلغت به اليقين المطلوب للمؤمنين ، إذ كتب الله فيها كلامه ، والملائكة قد تنزلت به ، فالإيمان بالكتب يثبت الوجودين وجود الله تعالى ووجود الملائكة بطريق برهانية تدعن لها العقول ، إن الإيمان بالكتب يزيد في طاقة الإيمان بالله وملائكته مع ضميمته ما يكسبه الإيمان بالكتب من علم الغيوب والشرائع والأحكام الأمر الذي يجعل المؤمن الموقن في موكب قول الله تعالى : « وما يعقلها إلا العالمون »

وبإيمانك برسول الله كافة وبخاتمهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ خاصة تكون قد أوجدت لنفسك خير مثال تحتذى به في طلبك الكمال البشري ، ووفرت لك مربياً عليها حكيماً تربى بواسطته روحك وعقلك وخلقك فلا تزال تكمل في ذلك ما لازمت طاعته وواصلت السير معه وترسم خطاه ، وتقنفي آثاره ، مع ما تكتسبه من العلوم والمعارف ، وما تصل إليه من اليقينيات في حقائق علم الغيب والشرع .

وبإيمانك بالبعث الآخر وهو الإيمان باليوم الآخر تكون قد ولدت مرة أخرى ؛ إذا الأولى كانت من ضيق بطن أمك إلى سعة الدنيا ورحابتها ،

(١) يشهد لصحة هذا المعنى حديث الترمذي والنسائي وابن حبان : أن للشيطان لمسة باين آدم وللملك لمسة الحديث .

والثانية من نكد الدنيا وشقائها ، إلى نعيم الآخرة ، وسعادتها . وخير من ذلك أنك تخلصت من أسر هذه الحياة الدنيا ، ونجوت من غرورها وفتنتها وهى كما هى كاذبة خادعة لاتفى بوعد ، ولا تثبت على عهد . إنك بمعرفتك الخالدة الصادقة الوافية تكون قد استغنيت بجماها وكماها عن قبح الأولى ونقصانها

هذا بعض ما يكسبك إيمانك بالدار الآخرة ، وغيره كثير ، وحسبك أنك أصبحت ذا حيتين وذا زوجين تأخذ من الأولى ماينفعك للآخرة ، وتقسم بين الزوجين بحسب خيرية كل منهما وطول بقائهما .

وإنك بإيمانك بالقدر تكون قد أذهبت عن نفسك حزن ماتراه قد فاتها ، وأرحتها من عناء الفرح بعرض الدنيا ومتاعها ، إذ القدر معناه : أن كل شىء كان فى هذه الحياة الدنيا أو يكون قد سبق به علم الله تعالى ، وقضى بوجوده مقدراً له زمانه ومكانه وكميته وكيفيته فلا يتخلف فى شىء من ذلك ويختلف فيه .

ولذا كان القدر عبارةً عن نظام الكون والحياة يسير كل شىء وفقه بلا زيادة ولا نقصان . وهذا ما قرره الرسول ﷺ بقوله فى رواية مسلم « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » . وقوله : « واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

فمن آمن بنظام القدر ذهب حزنه وخوفه وقل حرصه وتعبه ، وفاز بتقوى الله تعالى والإجمال فى الطلب .

(ب) - التقوى

التقوى زوج الإيمان . وقبل أن تعرفها أخى الحاج وهى المنصوح لك بها ينبغى أن تعرف أن تلازماً تاماً بينها وبين الإيمان حتى لكأنهما زوجان لا لا ينتج الأول منها إلا بالثانى .

واعلم أخى الحاج - أن ما ينتجه الإيمان والتقوى إذا اجتماعاً للعبد هو خير ما فوقه خير ، وأمل دونه كل أمل ، إنه مجموع ثلاثة أشياء هى ولاية الله تعالى وهى غاية الغايات ، ومنتهى الإرادات ، وانتفاء الخوف والحزن عن العبد فى الدنيا والآخرة ، والبشرى العاجلة والأجلة . وهاك النص القرآنى المثبت لذلك قال تعالى من سورة يونس عليه السلام : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

واسمح لى بأن أنبهك إلى أن ماذكر لأهل التقوى من النتائج الطيبة ومما سيذكر إن شاء الله تعالى لم تكن فيه التقوى المنصوح لك بها مجردة عن الإيمان بحال من الأحوال ، بل الإيمان هو المحل الأول فيها والثانى ، وإنما لشدة افتقار التقوى للإيمان ، وعدم تصور وجودها بدونه يذكر القرآن الكريم ثمار التقوى لأهلها المؤمنين المتقين ، إما بصيغة وعود صادقة ، أو أخبار جازمة يذكرها مجردة عن ذكر الإيمان لعدم وجود تقوى مثمرة بدون إيمان صحيح . وذلك كقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ، فثمرة التقوى هنا شيان هما : الخلاص من كل ضيق ، والخروج من كل محنة أو فتنة ، والرزق الطيب الذى لآمنة فيه لأحد غير الله تعالى وهو أطيب الرزق وأهنأه وأمرأه . وكقوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ ، والثمرة هنا :

تيسير الأمور وتسهيلها لذى التقوى ، حتى لا يكرب ولا يشقى أو يتعب .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ . والثمره هنا شيئان هما : حصول الفرقان وهو نور البصيرة الباطنى ، وإدراك خاص توجده التقوى فى القلب أو العقل يميز به صاحبه بين كل المشتبهات كالحق والباطل والرايح والخاسر ، والضار والنافع . والشئ الثانى تكفير السيئات التى قد يجترحها العبد نتيجة ضعفه البشرى ، أو تلك التى اكتسبها قبل حصول الفرقان له .

وقوله تعالى : ﴿ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ . وقوله : ﴿ إِن لِّلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا وَكَأَسَا دِهَاقًا ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حَسَابًا ﴾ . فهذه أخبار إلهية بما أثمرته التقوى لأهلها من النجاة من النار ، وهى أكبر خوف مرهوب ، والفوز بالجنة وما فيها من النعيم المقيم وهو أعظم مرغوب محبوب .

والآن - أخى الحاج - بعد أن عرفت من خلال ما حدثتك به عن تلازم التقوى مع الإيمان ، وعن ثمار التقوى ونتائجها الطيبة مما جعلك حقيقة تتشوف إلى معرفة التقوى ؛ لتعمل على تحقيقها بعد تحصيلها فإننى أسألك لأثير رغبة المعرفة فى نفسك فأقول لك : ماهى التقوى المطلوبة منك والمنصوح لك بها ؟

وقبل أن أعرفك بها أكرر لك القول بأنك وإن عرفتها لم تكن لتظفر بها وتحصل عليها ما لم توجد لها شرطها الذى هيئات هيئات أن توجد بدونه ألا وهو الإيمان الصحيح ، وأعنى بالصحيح ما وافق مراد الله تعالى منه فى أمره لعباده به فى مثل قوله : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، وأخباره عن أهله فى قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ .

وعلامه صحة إيمان المؤمن بموافقة لمراد الله تعالى من أن يتحقق له خمس صفات وهى : الموالاة التامة للمؤمنين والمؤمنات بالنصرة والمحبة . الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وإقام الصلاة . إيتاء الزكاة . طاعة الله

ورسوله ﷺ .

فإن لم تحصل للعبد هذه الصفات دل ذلك على عدم صحة إيمانه فليراجع نفسه ، والله المستعان .

وقد وردت هذه الصفات المطلوبة لصحة الإيمان في قول الله تعالى من سورة التوبة حيث قال تعالى في ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ﴾ . فهذه الآية الكريمة نص في ذلك فلتقرأ ولتأمل

والآن وقد عرفت - أخى الحاج - شرط نفع التقوى أعرفك بالتقوى لتعرفها . . فتعمل على تحصيلها وتحقيقها فتفوز بولاية الله تعالى التى هى رأس الأمر وملاكه ، ومفتاح دار السلام . فأقول : التقوى اسم جامع لفعل ما يحب الله تعالى من الاعتقادات والأقوال والأفعال . ومن الأفعال أفعال القلوب كمحبة الله والخوف منه والرغبة إليه . والحب فيه والبغض لأجله . وترك ما يكره من ذلك .

وهى تستلزم العلم فلا تقوى بدون علم ، إن معرفة ما يحب الله عز وجل ومعرفة ما يكره من المعتقدات والأقوال والأفعال لا تحصل بدون العلم بحال من الأحوال . فلا يعرفن أمرؤ ربّه ما لم يكن ذا يقين برّبّه ، وعلم كامل بمعرفة محابه ومكارهه ، ومصدق هذا قول الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فقد قصر الخشية على العلماء دون غيرهم ممن لا يعلمون . فإذا عرف العبد المؤمن أن الله تعالى يحب الصلاة مثلاً وأراد أن يتقرب بها إليه تعالى وجب عليه أن يعرف كيف يصلى ، وإذا علم أن الله تعالى يأمر بالطهارة وجب عليه أن يتعلم كيف يتطهر ، وهكذا سائر القرب والعبادات التى هى محابّ الله تعالى . ومن هنا تتأكد الحقيقة وهى أنه لا تقوى بدون إيمان صحيح وعلم كامل بمعرفة ما يتقوى الله فيه من محاب ومساخط .

وأخيراً فلتعلم أخى الحاج أن الطريق إلى تحقيق الإيمان والتقوى هو ذكر الله تعالى وشكره ، إن الذكر يورث دوام المراقبة ، والمراقبة تحفظ الإيمان وتزيد فيه والشكر يورث دوام الطاعة ، والطاعة تقوى التقوى وتزيد فيها . فعليك إذن بالذكر والشكر لتحقيق الإيمان والتقوى والظفر بنتائجها الطيبة .

ولما كان الذكر والشكر من النصائح الأزواج فسوف نحدثك عنهما ونعرفك بهما فاطلب ذلك فيما يأتى من الكتاب . والسلام عليك ما انتظرت وقرأت وعرفت وعلمت .

الزوج الثانى من النصائح الأزواج الذكر والشكر

(أ) - الذكر

أخى الحاج هل تدرى ما هو الذكر الذى أنصح لك بملازمته ، وعدم تركه والتفريط فيه ؟ وهل تدرى ما قيمته ، وما ثماره ، وما هى نتائجه ؟ ؟ ؟

وبعد : فإن كنت تدرى فحسبى أن أذكرك وإن كنت لاتدرى فإنى أعلمك ، وعلى كلا الحالين أفيدك وتفيدنى ، وهذا شأن أخوة الإيمان والإسلام ينفع بعضهم بعضاً .

أما ما هو الذكر ؟ فإنى أؤخر الإجابة عنه ؛ ليكون آخر ما تقرأ فيستقر فى ذهنك فتحفظ وتعمل وبذلك تكمل وتسعد وهذا هو مطلوبنا لك .
وأما عن قيمة الذكر ، وثماره ونتائجه فأليك بيان ذلك من الروايات الحديثية الصحيحة التالية :

١ - رواية أبى هريرة المتفق عليها وفيها يقول الله تعالى : « أنا عند ظنّ عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه »

فقل لى بربك - أخى الحاج - هل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يكون الله جل جلاله معه ؟ إذا دعاه أجابه وإذا سأله أعطاه ، وإذا استنصره نصره .

وهل هناك ما هو خير وأشرف للعبد من أن يذكره الله تعالى فى نفسه ،

أو في ملأ من أهل السماء وهم خير من أهل الأرض وأشرف ، لأنهم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون

الله أكبر ، ماذا يثمر ذكر العبد ربّه من شرف وكمال وخير !!

وسبحان الله كيف ينسى العبد ربه !!

٢ - رواية أبى موسى الأشعري عند البخارى وفيها يقول الرسول
ﷺ : « مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحىّ والميت » . إن هذه
الرواية الصحيحة قاضية بأن الناس مابين حىّ وميت ، وأن الحىّ منهم من
يذكر الله تعالى ويعيش على ذكره ، وأن الميت من لا يذكر الله عز وجل ،
ولا يلزم ذكره .

وبناء على هذا فالذكر روح وحياة ، وتركه عدم وموت .

وحسب الذكر فضلاً أن تكون به الحياة ، ويكون بدونه الموت والوفاة .

تلك كانت رواية البخارى .

أما رواية مسلم فإنها تصنف البيوت إلى صنفين صنف يذكر فيه الله ،
وصنف لا يذكر فيه الله ، فتقول : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ،
والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحىّ والميت » .

وعليه فإن خلاصة مجموع رواية الشيخين : أن الذكر حياة ، وتركه
موت . وسر هذه الحقيقة أن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ورزقه ،
ليذكره ويشكره ، ووهبه الحياة لأجل ذلك . فإذا ترك الذكر والشكر

تعطل الغرض الذى لأجله خلق ، فكان كالعدم وهو الموت !

٣ - رواية أبى الدرداء عند الترمذى والحاكم وصححها الأخير ،
وفيها يقول الرسول ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند
مليكم وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ،
وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟
قالوا : بلى ، قال : ذكر الله تعالى !! »

فهل بعد هذا الخير من خير ؟ وهل بعد هذا الفضل من فضل ؟ وهل

بعد هذه الثمار الشهية والنتائج الطيبة المرضية من ثمار أو نتائج ؟ ؟ إن هذا الخبر النبوى الصحيح قد فضل الذكر المنصوح لك أيها الحاج به فضله على سائر الأعمال ، ورفعته إلى مستوى لا يصل إليه عمل من صالح الأعمال ، بحال من الأحوال ، حيث جعله خير الأعمال ، وأزكاها عند الله ، وأرفعها لدرجات العبد ، وأفضل من صدقة الذهب والفضة ، وخير من قتال الكفار والاستشهاد فى ذلك . وهل يستغرب فى ذكر الله تعالى هذا ؟

وقد علمنا أن الذكر هو علة الحياة كلها وسر وجودها ، وما الإنفاق والجهاد إلا ضرب من الذكر ، ونوع من أنواعه ، كما سيأتى بيانه . نكتفى أخى الحاج - بهذ الإشارة فى الإجابة عن سؤالنا لك : هل تدرى ما قيمة الذكر ، وما ثماره ، وما هى نتائجه .

ونجيب عن أول سؤال صدرنا به . . حديثنا إليك وهو هل تدرى ما هو الذكر الذى ننصح لك به وبملازمته ، وعدم التفريط فيه . فنقول : إن الذكر ضد الترك والنسيان ، وكما يكون باللسان ، يكون بالجنان . فآلته القلب واللسان ، وقد ينفرد اللسان بالذكر كما قد ينفرد القلب به ، وخيره ما تواطأ فيه القلب واللسان .

وانفراد اللسان بالذكر دون القلب لا خير فيه إن استمر القلب مشغولاً لاهياً عن المذكور سبحانه وتعالى .

وأما انفراد القلب بالذكر فقد يكون فى مواطن كثيرة خير من الذكر باللسان ، ومن تلك المواطن ما يلى :

١ - أن تعرض للنفس شهوة محرمة وتريد قضاءها فيذكر العبد بقلبه مقام ^{ربّه} ، فيخاف ويحجم عن قضائها ، ويقطع عنها ويبعد عن ساحتها بعد أن كاد يتردى فيها ، فهذا الموطن من ذكر القلب من أشرف المواطن .

٢ - أن يطيف بالقلب عدو الله إبليس للإغراء بالفتنة والإيقاع فى المعصية

فيذكر العبد ربّه بقلبه فيستعيز بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فيذهب عنه ما كان قد ألمّ بنفسه من فتنة إبليس . قال تعالى في هذا : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

٣ - أن يقصّر العبد المنيب في الطاعات فيذكر وعد الله لأوليائه من أهل طاعته فينطلق يعمل وينافس ويسابق المجدين والمشمّرين حتى ينفسهم ويسبقهم .

٤ - أن تلوح الحياة الدنيا بزينتها من مال أو شهوة أو شهرة أو شرف فيتذكر العبد المنيب وعيد الله لأهل معصيته ، وما أعد لأهل معصيته من النكال والعذاب فيكف ويعرض وينصرف .

هذا والذكر باللسان وقد عرفت فضله وشرفه وثنائه ونتائجه فاعلم أنه لا يثمر تلك الثمار ولا يحقق تلك النتائج إلا إذا استوفى شروطه التالية :

١ - أن يكون بالألفاظ التي شرعها الله تعالى ، واستحب أن يذكر بها ، وهي تتفاوت في الفضل فأعلاها : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير « لحديث « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله الخ . . » ثم « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » لحديث الصحيح : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ثم « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » لحديث الصحيح : « قلت بعدك أربع كلمات » الخ . . . ثم « سبحان الله والحمد لله والله أكبر » دُبّر كل صلاة وعند الإيواء إلى فراش النوم لحديث علي وفاطمة : « إذا أويتما إلى فراشكما » الخ ثم تلاوة القرآن الكريم ، والاستغفار والصلاة على النبي المختار .

٢ - أن يكون العبد الذاكر عالماً بمدلولات الألفاظ عارفاً بمعناها موقناً بها .

- ٣ - أن يكون قلبه متواطئاً مع لسانه فلا ينفرد أحدهما بالذكر دون الثاني .
- ٤ - أن يأتي الذاكر بالفاظ الذكر كما وردت عن الشارع فلا يزيد فيها ولا ينقص منها ولا يقدم مؤخراً منها ولا يؤخر مقدماً ، إذ مراعاة الكمية والكيفية ضرورية لإنتاج الذكر وإثماره .
- هذا هو الذكر المطلوب وتلك شرائطه فالزمه فإنك لم تخلق إلا له ، واذكر ما قد عرفت من فضائله يسهل عليك ملازمته ويظل لسانك رطباً به . وهنيئاً لك سلفاً .

(ب) - الشكر

اعلم أخى الحاج - أن الشكر الذى أنصح لك به وبملازمته وعدم التفريط فيه أنه صنو الذكر وقرينه الذى لا يكاد يفارقه ، بيد أنه أعم من الذكر إذ كل شاكر ذاك ، وما كل ذاك ، شاكر ، فمن قال الحمد لله على نعمه حصلت له ذكر وشكر .

ومن قال : لا إله إلا الله ذكر ولم يشكر حتى يعبد الله وحده لا شريك له .

ومن قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ذكر ولم يشكر ، ومن قام فصلى صلاة فقد ذكر وشكر . وما يدل على تلازم الذكر والشكر قول الله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ . فقد طلب الحق تبارك وتعالى فى هذا الخطاب من عباده المؤمنين كلاً من الذكر والشكر ، وواعد بالجزاء من ذكر وشكر . ثم إن الذكر ضده الترك والنسيان ، والشكر ضده الجحود والكفران . ومن جحد شيئاً لم يذكره ، ومن كفر شيئاً لم يظهره . فظهر بهذا أن الذكر والشكر زوجان لا فرق بينهما ، وهما مطلوبان من العباد معاً .

وقد عرفت الذكر في حديث سبق لنا معك أيها الحاج الكريم ، فما هو الشكر المنصوح لك به لفضله وأهميته ؟

إن الشكر المطلوب من العبد أن يعيش عليه ولا يفارقه طوال حياته هو عبادة الله تعالى التي هي طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع حبه غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم ، وخوف سببه الشعور بالتقصير ورجاء أوجده الطمع في الثواب على الطاعة .

إن نعمة الله على العبد بخلقه ورزقه استوجبت عبادته شكراً له على نعمة الإيجاد والإمداد أى الخلق والرزق .

روى أنه لما أتم الله نعمته على آل داود عليه السلام وذكرهم بها وهي نعم عظيمة أمرهم بشكرها ويقول ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ . قام داود عليه السلام خطيباً في آل داود الذين هم آله ، وقال اكفوني النهار أكفكم الليل ، فما شئت أن ترى في مسجدهم راکعاً أو ساجداً في آية ساعة من ليل أو نهار إلا وجدت حتى إن سليمان عليه السلام مات وهو قائم يصلي معتمداً على عصاه .

كما صح عن نبينا محمد ﷺ أنه لما أنزل الله تعالى عليه قوله ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ قام من الليل حتى تورمت قدماه ، فرقت له أم المؤمنين عائشة وقالت له في ذلك فأجابها بقوله : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ »

فدل هذا على أن الشكر هو العبادة ، وأن أعظم العبادة الصلاة ؛ لاشتغالها على الذكر والشكر معاً كما قدمنا .

هذا هو الشكر العام المطلوب من العبد لله تعالى . أما الشكر الخاص على نعمة من النعم تحصل للعبد فهو مجموع ثلاثة أمور وهي :

١ - الاعتراف بالنعمة للمنعمة عز وجل بذكرها منسوبة إليه .

٢ - حمده عليها باللسان ، والثناء عليه بها مادامت ثابتة له ينعم بها بين

الناس .

٣ - صرفها في مرضاته ، والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى .
فمجموع هذه الأمور الثلاثة هو شكر النعم الخاصة ، فمن أنعم الله عليه بنعمة علم أو مال ، أو جاه ، أو فراغ ، أو صحة وعافية لا يتم شكره لله تعالى عليها إلا بالاعتراف لله بها ، وحمده عليها ، وثنائه عليه بها مع صرفها في مرضاته ، فإن هو جحدها ولم يذكرها ، ولم يحمد الله تعالى عليها ، ولم يثن بها عليه ، ثم صرفها في غير مرضاته من سائر معاصيه فقد كفر هذه النعمة وما شكرها .

ولنعلم هنا أنه يترتب على شكر النعمة وعدمه أمران :
الأول : بقاء النعمة وزيادتها والانتفاع بها في الدين والدنيا لمن شكرها .
والثاني : عدم الانتفاع بها ، وسلبها ، والحساب عليها لمن كفرها ولم يشكرها . ودليل هذا قوله تعالى من سورة إبراهيم عليه السلام ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ .

بعض أسرار الشكر وفضائله :

إن من أسرار الشكر أنه مع الذكر يمثلان علة الحياة كلها ، فلو سأل سائل عن علة هذا الوجود بكل ما فيه ، وطلب الجواب على ذلك ، وأمكنه أن يتلقاه لكان الجواب : هى الذكر والشكر ، لأن الله تعالى أحب أن يذكر ويشكر فخلق الوجود بها فيه الإنسان والجان ليذكر بذلك ويشكر وهذا ظاهر في قوله تعالى من سورة الذاريات : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، وقوله في الحديث القدسى : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شئ لأجلك ، وخلقتك لأجلى » : أى لتذكرنى وتشكرنى .

ومن أسرار الشكر أن الله تعالى يعطى العبد الخير ويزيده منه من أجل أن يشكره عليه ، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿ ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ .

أما فضائل الشكر فإنها كثيرة وقد نكتفى منها بذكر ما يلى :

١ - أن الله تعالى يحبه ، وما أحب الله تعالى شيئاً إلا شرف بذلك وفضل ، وقد روى مسلم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » . فهذا دليل أن الله تعالى يحب الحمد والحمد هو رأس الشكر . ويدل لهذا رواية ابن ماجه وفيها أن النبي ﷺ قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ » وهذا دليل ظاهر أيضاً على أن الله تعالى يحب الحمد الذي هو الشكر ، إذ ورد أن الحمد رأس الشكر .

٢ - أن الشكر يحفظ النعمة من الزوال ، وسر ذلك أن العبد إذا اعترف بالنعمة وأخذ نفسه أن لا يصرفها إلا في مرضاة الله تعالى فإنه لا يسرف ولا يبذر بل يعتدل في تصرفه ويقتصد ، والاعتدال في الأمور والقصد فيها يسبب بقاء خيرها وسلامتها وصلاحها واستمرار ذلك لها حتى يخرج بها العبد عن حدود القصد والعدل فتسوء وتفسد وتضمحل وتذهب .

٣ - أن النعم تزيد بالشكر وتكثر عليه حسب وعد الله الصادق في قوله : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ وبيان ذلك : أن العلم نعمة فإذا شكرها العبد بتعليم ذلك العلم والعمل به فإن ذلك من شأنه أن يبقى على العلم ويزيد فيه ، كما أن المال نعمة فإذا شكرها العبد بالاعتقاد في إنفاقه ، وعدم إتلافه ، وعرف حق الله فيه فانفق منه مرضاة الله تعالى ومن ذلك أداء الحقوق المتعلقة به كالزكاة وغيرها فإن هذا المال يزكو بإذن الله وينمو ويبارك فيه .

وأخيراً - أخى الحاج - أكرر نصحي لك بعد أن عرفت الذكر والشكر وعرفت فضائلهما أنصح لك بملازمتها ملازمتك للإيمان والتقوى ، وقد كملت عليهما وسعدت بهما ، فإن الذكر والشكر علّة حياتك ، وسر وجودك ونجاتك فأت بهما حتى كريم ، وبدونهما عدم محض لا وجود لك ولا كرامة . فاذا ذكر هذا معي . والسلام .

الزوج الثالث من النصائح الأزواج الهجرة والجهاد

(أ) - الهجرة :

بسم الله وبعد : فالهجرة والجهاد زوجان قلما يفترقان . . حتى
لكأن أحدهما أصل للثاني . وفي القرآن الكريم : ﴿ إن الذين آمنوا
والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله . أولئك يرجون رحمة الله ،
والله غفور رحيم ﴾ .

ودعوات الحق في كل زمان ومكان لا تخلو غالباً منها ، بل وقد لا
تقوم إلاّ عليهما والنصح بهما لذي الإسلام والإيمان نصح بها لا بد له
منه ؛ لتحقيق الإسلام وتثبيت الإيمان ، وإفاضة الإحسان ، والإبقاء
على ذلك كله من أجل الإكمال والإسعاد في الحياتين ؛ ولذا فإنني
أنصح لك - أخى الحاج الكريم - بمعرفة الهجرة والجهاد ،
واستعمالهما وقاية لإيمانك وحصناً لإسلامك عند الشعور بتهديدك
فيهما من قبل أعداء الإيمان والإسلام من ذوى الكفر والخبث والفساد
والشر الذين لم يبرحوا حرباً على المؤمنين والمسلمين منذ زمن المهاجر
الأول إلى اليوم وإلى انتهاء حياة الإيمان والإسلام قرب انقراض
الكون عند ما لم يبق من يقول : الله ، الله . كما جاء ذلك في صحيح
الأخبار .

وإن سألت عن الهجرة أو تساءلت وأردت أن أعرفك بها فاصغ إلى
أحدثك بها يعرفك بها وبفضلها وحكمها وحكمتها .

أما الهجرة : فهي الاسم من هجر المكان يهجره هجراً وهجراناً إذا تركه لما لحقه به من أذى في دينه أو عرضه أو ماله أو بدنه ، أو مما يخاف أن يحصل له من مكروه فيه .

.. والهجرة الشرعية هي الانتقال من بلد يضطهد فيه المؤمن لإيمانه والمسلم لإسلامه وهو عاجز عن رفع الاضطهاد الذي ناله من أجل إيمانه وإسلامه إلى بلد آخر يأمن فيه على نفسه ودينه . وأول من سن الهجرة الشرعية إبراهيم الخليل عليه السلام فقد هاجر بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام من أرض العراق إلى أرض الشام كما قال تعالى عنه في سورة العنكبوت ، ﴿ فآمن له لوط وقال : إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾ .

وأعظم هجرة تمت في تاريخ الإنسان هي هجرة الرسول محمد ﷺ وأصحابه إلى الحبشة أولاً ثم إلى المدينة ، وأهلها أفضل المهاجرين باستثناء إبراهيم أول المهاجرين .
أنواع الهجرة :

والهجرة الشرعية لاتقيد دائماً بأنها الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإيمان فراراً بالدين ؛ إذ قد تكون هجرة وصاحبها مقيم ببلده لم يفارقه إلى غيره ، ولم يغادرها إلى سواه ، وذلك كأن يكون المسلم بدار فيؤذى من جيرانه في دينه ، أو يخاف أن يلحقه أذى فيه فيطلب داراً أخرى ينتقل إليها فراراً بدينه ، وكثيراً ما يقع هذه ، فهذه حقاً هجرة لله . وقد يكون المسلم في عمل يكتسب منه قوته الضروري فيدخل عليه فيه ما يمس بدينه فيتركه إلى عمل آخر يأمن فيه الغائلة في دينه فهذه هجرة حقاً . وقد يجلس المؤمن مجلساً لأبد له منه فيخاف إن جرى أهله في كلامهم أو عملهم مما يخوضون فيه من أنواع الباطل والحرام أن يؤذى في دينه فيهاجر بروحه فيشغل قلبه بالفكر ، ولسانه

عنهم بالذكر ، تاركاً أهل المجلس وما يخوضون فيه ، فيرى بينهم وهو بعيد
فهذه هجرة حقاً ، ويشهد لصحة كل هذه الهجر حديث الصحيح
«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى
الله عنه» .

ولذا كانت الهجرة أنواعاً عدة ، ولم تكن واحدة .
هذا وليست الأذية في الدين وحدها داعية الهجرة وموجبها بل
الأذى يلحق المؤمن في بدنه أو عرضه أو ماله كالأذى يلحقه في دينه
سواء بسواء يوجب الهجرة ويقتضيها وإن تفاوتت الهجر ، وتفاضل
المهاجرون في عظم الأجر وحسن المثوبة .
فضل الهجرة :

إن فضل الهجرة في سبيل الله لا يقل عن فضل الجهاد في سبيل
الله ، حتى قال أحدهم وقد رأى ازدحام الناس على نعش مجاهد ،
وقلة ذلك على نعش مهاجرة « والله لا أبالي في أي الحفرتين
وضعتوني ؛ لأن الله تعالى يقول . «والذين هاجروا في سبيل الله ، ثم
قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله هو خير الرازقين ليدخلنهم
مدخلا يرضونه ، وإن الله لعليم حلیم» .

وليس أدل على فضل الهجرة من قول الله تعالى : ﴿ ومن يهاجر في سبيل
الله يجد في الأرض مراغماً . كثيراً وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله
ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله شفوياً
رحيماً » . وقول الرسول ﷺ يوم وزع غنائم حنين ، وقد وجد الأنصار في
نفوسهم من عدم إعطائهم من الغنائم ما أعطى غيرهم : « لولا الهجرة
لكنت امراً من الأنصار » في حديث طويل مخرج في الصحيح .

حكم الهجرة :

والهجرة فريضة الله تعالى على عبده المؤمن إذا اضطهد في دينه

فمنع من عبادة ربه التي ما خلق إلا لها . وعليه فإنه لا يميل لمؤمن أن يعيش في بلد لا يتمكن فيه من عبادة الله تعالى بذكره وشكره ، ولا يسقط هذا الفرض اللازم إلا أعن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وهم ذوو الأعدار الشرعية المبيحة للعود عن الهجرة والجهاد .

وحديث « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا » في الصحيح إنما هو ناسخ لوجوب الهجرة من مكة إلى المدينة حيث كانت واجبة على المؤمنين ، لما كانوا يعانون من اضطهاد قريش وأذاها لهم ، ولما كان يفوتهم من الخير والبركة بسبب بُعدهم عن النبي ﷺ ، ولما يحرمونه من شرف حماية نبيهم والدفاع عنه ، ولما ينقصهم من العلم والعمل بما ينزل من التشريع وهو يستجد كل يوم وليلة مع ما يقصرون عنه من فضل تقوية عصبية الإيثار وشد أزرها وتقوية سوادها إلى غير ذلك من الحكم والفوائد .

حكمة الهجرة :

والحكمة من الهجرة متعددة الجوانب أعلاها أن يعبد الله تعالى بكل ما شرع فلا يتعطل الفرض الأساسي الذي من أجله خلق الإنسان في هذه الحياة ، وخلق الكون كله من أجله ، وأدناها أن يعلموا الإسلام ولا يُعلى عليه ، وما بين ذلك من الحكم والمصالح التي لا تتحقق إلا بالهجرة في سبيل الله كالعلم والعمل والعزة والكرامة والنصرة والجهاد الذي هو قوام الملة وحفاظ الأمة ، وذروة سنام الإسلام .

(ب) - الجهاد :

بسم الله وبعد : إن نصحي لك - أيها الحاج الكريم بالجهاد هو نصح لك بالحياة أكملها ، والسعادة أجمعها ، وبالبر كله . كما إنني لم

أنصح لك إلا بشيء قد كتبه الله عليك وعلى سائر إخوانك المؤمنين والمسلمين قال تعالى من سورة البقرة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وبأمر كنت قد أبرمت أنت بنفسك ، وبيع أجريت صفقته بيدك ؛ إذ أنك وسائر إخوانك المؤمنين قد بعتم أنفسكم وأموالكم لربكم عز وجل ، بأغلى الأثمان وأبهظها وهي الجنة دار الأبرار ، وصك بيعكم هذا مسجل في ثلاثة كتب فإنكاره صعب والتهرب منه مذموم ، واقرأ معي هذه الصورة لصك البيع : قال تعالى من سورة التوبة : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ !! فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » .

واعلم - أخى الحاج - أن الجهاد الذى انصح به وقد عرفت أنه أمر مفروغ منه ، وما نصحى لك به إلا من باب التذكير والتشجيع لتقتحم معاركه غير هيّاب ولا وجل هذا الجهاد هو عبارة عن بذل طاقتك وما فى وسعك فى صد هجمات أعداء لك شرسين لا يريدون إلا قتلك أو إذلالك وقهرك . واعلم أنهم يقاتلونك بأسلحة متطورة متنوعة فاعرف واقعك معهم ، وصحح موقفك منهم ، واستعن ربك وجاهدهم بمثل ما يجاهدونك به . واعلم أن النصر مع الصبر ، ومن يطلب الموت توهب له الحياة !!

وهذا بيان وافٍ بأسماء أعدائك المحاربين لك لتكون على علم بهم حتى لاتؤخذ على غرة فتندم وتنهزم .

١ - كل الكفار من الناس عربهم وعجمهم يهودهم ونصاراهم مجوسهم ومشركوهم .

وما من أحد منهم إلا وهو يريد قتلك أو إذلالك وقهرك فافهم هذا

ولا تغفل!!

واعلم أن خوض المعركة مع هذا العدو الكافر يتطلب منك أن تكون تحت راية إمام مسلم ، وفي جماعة مسلحة مسلمة تقاتل من كفر بالله ، لإعلاء كلمة الله ، فلا يحل أن تخوض معركة وحدك ، ولا مع جماعة لابيعة لإمام مسلم في أعناقهم ولا راية له تجمعهم يقاتلون تحت ظلها وهي ترفرف عليهم .

وهذا النوع من الجهاد عزيز في هذه الأيام ، وقلما يتيسر غير أنه يكفي منه بالأمور التالية وهي النية الصادقة ، والانخراط في سلك دفاع حكومتك لتتعلم فنون الحرب وأساليب القتال ولتكون ذا قدرة على استعمال كل أنواع السلاح ما وجد منها الآن وما يوجد غداً ، والمحافظة على المال الذي بيدك فلا تنفقه في غير مرضاة الله تعالى وذلك للإبقاء عليه وافرأ إلى ساعة يطلبه منك داعي الجهاد في سبيل الله ، وقال : المال ، المال يا أهل بيعة الله فهذا أوان دفعكم السلعة . فتقول حينئذ : لبيك وهذا المال بين يديك ، فإنني قد بايعت ربّي فلا أقبل ولا أقال !!

٢ - كل الفسّاق وسائر المنحرفين من المسلمين ممن فسقوا عن طاعة الله ، تعالى وطاعة رسوله ﷺ فتركوا كثيراً من الواجبات أو فعلوا كثيراً من المنهيات المحرمات .

وجهاد هؤلاء هو أمرهم بما تركوا من الواجبات حتى يؤدوها ، ونهيهما عما فعلوا من المحرمات حتى يتركوها . وهذه المعركة طويلة وشاقة ومريرة تحتاج إلى عزم ، وصبر ، وعلم ، وحكمة قال تعالى : ﴿ وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال رسوله ﷺ : « سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » !!

٣ - الدنيا بغرورها ومهرجها ومفاتها من زينة المال والولد فإنها عدو خادع

لا يرحم . وجهادها يكون بعدم الاغترار بها ، والكشف عن حقيقتها ، وإظهار ما تخفيه من مكروه وباطل وشر ، فإن حلوها مرّ ، وطولها قصر ، وراحتها عناء ، وسعادتها شقاء . ما أسرع زوالها ! وما أكثر تحولها وانتقالها ! وخير ما تقاتل به وتقتل عليه أن تُستخدم مطية لضرتها ، وجسراً للعبور إلى نعيمها وسعادتها ! .

٤ - الشيطان وهو عدوّ قديم كاشح مكر ذو حيل كثيرة ، ما يهزم في معركة إلا ويظهر في أخرى ، يستخدم أمضى سلاح وأقواه عنده وهو التزيين والتغفير ، وجهاده يكون بمعرفة الشبه التي يلقيها في النفس ، ويردّها فوراً فلا يُضغى إليها ، ولا يحتفل بها أو يفكر فيها ، وبلاستعاذه بالسميع العليم منه ، وهى أخوف ما يخافه من العبد . ألا فليحارب بهذا السلاح فإنه لا يقوى على الوقوف أمامه بحال قال تعالى : ﴿ وإما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ .

وأكثر ما يكرب هذا العدو ويحزنه الاستغفار وعدم الإصرار فليغظ بهما ، وليذلّ عليهما قال تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم يذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ .

٥ - النفس وهى أعدى الأعداء لاسيما قبل انهزامها وإذلالها وسلب وصف الأمانة منها

والمعركة معها تطول غير أن العاقبة هى النصر للمجاهدين الصابرين ، وما أجمل قول الرسول ﷺ وهو ينادى أحد أصحابه يداعبه « يا عدو نفسه » فقد أثبت ﷺ عداوة نفس الإنسان للإنسان ، ولذا قيل : أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه .

وجهاد النفس يكون بنهياها عن الهوى أى عما تهواه وتميل إليه بطبعها من

الخلود إلى الراحة والميل إلى الشهوات ، وحب العلو والظهور ، والفسق والفجور .

واعلم أنه لا يتم التغلب عليها فتستسلم وتسكن للمعروف وتطمئن إلى الحق والخير إلا إذا جوهدت في ثلاث جبهات وانتصر عليها في جميعها واحدة بعد واحدة ، وتلك الجبهات أو الواجهات هي :

١ - حملها على التعلم حتى تعرف الله تعالى بعد الإيذان معرفة صحيحة وتعرف محابه من المعتقدات والأقوال والأعمال ، ومساخطه من المعتقدات والأقوال والأفعال .

٢ - حملها على العمل بكل ما علمته من محاب الله تعالى ، وعلى ترك ما علمته من مكاره الله تعالى .

٣ - حملها - وإن كانت كارهة - على أن تُعلم غيرها كل ما علمته من محاب الله تعالى ومكارهه فتصبح تدعو إلى معرفة الله تعالى ومعرفة محابه ومساخطه بين عباده المؤمنين به وإلى العمل بالمحوبات لله وترك المكروهات له عز وجل ويومها يتم النصر عليها نهائياً ، لأنها إذا وصلت إلى مرحلة الاطمئنان وأصبحت تنادى بالنفس المطمئنة فقد أسلمت نهائياً ، وما أصبحت حرباً على صاحبها بل أصبحت سلمياً عليه .

هذا هو الجهاد - أخى الحاج - وهذه معاركه فهلا تخوضها عاملاً بنصيحتي فتجاهد بحزم وعزم كل من عرفت من هؤلاء الأعداء وفي كل الجبهات آخذاً بما أرشدك إليه ، لتنتصر على أعدائك وتخلص حراً لربك تعبده وتوكل عليه فتكمل وتسعد في الحياتين حقق الله لى ولك ذلك . . آمين .

الزوج الرابع من النصائح الأزواج العبادة والتوكل

(١) - العبادة

بسم الله ، وبعد : فهل تدرى - أخى الحاج - من المأمور بالعبادة والتوكل فى قول الله تعالى : ﴿ فاعبدوه وتوكل عليه ﴾ ؟ إنه رسول الله ﷺ وأنا وأنت وكل المؤمنين به تعالى . وهل تدرى ما سر الجمع بينهما ؟ إنه تعذر القيام بأحدهما دون الآخر . وهل تدرى لماذا أنصح لك بهما ؟ لأن أمراً أرشد الله تعالى إليه رسوله ، وطلب منه فعله والقيام به لمن يكون إلا مجدياً ونافعاً وخيراً لا خيراً منه .

وهل تدرى ما هى العبادة والتوكل الذين أنصح لك بهما ؟
أما العبادة فإنها فى الظاهر طاعة الله تعالى بجميع محابه فعلاً ومساخطه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه ، والذلة له ، وبلوغ الغاية فى ذلك كله . هذه هى العبادة فى الظاهر ، أما فى باطن الأمر فهى جنة الدنيا وسعادتها ، ونعيم هذه الحياة وطيبها ، الإنسان بدونها حيوان أعجم ، والحيوان منه أحسن ، والحياة بدونها عبث والوجود بغيرها عدم . وهل الناس يعرفون هذه الحقيقة عن العبادة ؟

إن أكثر الناس لا يعرفونها . ولو عرفوها لهاجروا كلهم إلى العبادة وجاهدوا دونها كما فعل الأولون من الأنصار والمهاجرين ، وأضرب لك مثلاً لذلك : ناصحك هذا وغيره من العالمين - والله - قسماً ، لو خير أحدهم بين أن يصبح ملكاً متوجاً يحكم ما بين المشرق والمغرب على أن يترك الصلاة

فقط فلا يصلي ، وبين أن يعيش ذليلاً فقيراً مريضاً وطوال الحياة ، لاختار الذل والفقر والمرض طول حياته على الملك والحكم مع ترك الصلاة حتى الموت . في حين أن هناك ملايين من الأفراد المسلمين لم يعطوا شيئاً ولوثافها وهم لا يصلون . وسر هذا الأمر : المعرفة وعدمها ، فاعرف هذه الحقيقة العلمية فإنها تفسر لك كثيراً من الظواهر الغريبة بين الناس .

والآن ، لعلك تريد أن تسألني قائلاً : هل الصلاة هي كل العبادة ؟ فأقول لك : إن الصلاة ليست هي كل العبادة ، ولكنها من أعظم مظاهرها حتى إن العبد لا يُعَدُّ المؤمنون مؤمناً عابداً ما لم يكن مقيماً للصلاة بينهم . وقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بلزوم طاعة الأئمة أى الحكام ولو كانوا جائرين ما أقاموا الصلاة فيهم أى صلّوها وأمروا بها بينهم . وإذا قلت : ماهى العبادة إذاً ؟ أحلتك على مراجعة أول الحديث معك ، فإنني قد قلت لك : إن العبادة هي طاعة الله بجميع محابه فعلاً ، ومكارهه تركاً مع حبه تعالى وتعظيمه والذلة له وبلوغ الغاية في ذلك كله .

وإن قلت : ما هو الطريق إلى معرفة محاب الله تعالى ومساخطه والقيام بذلك فعلاً وتركاً ؟ فالجواب : أنه التعلّم والتوكل ، فاسأل أهل القرآن والسنة فإن جميع محاب الله تعالى ومساخطه مذكورة في الكتاب والسنة ، وإذا علمت محبوباً لله تعالى فافعله له فوراً ، وإذا عرفت مكروهاً لله تعالى فاتركه لأجله فوراً متوكلاً على الله تعالى في ذلك فإنك تظفر ببغيتك ، وتصل إلى غايتك من العبادة والتوكل المنصوح لك بهما .

بقى على - أخى الحاج - أن أعرفك بأمرين خطيرين لا بد لك من معرفتهما ، والعمل بموجبهما وهما : أن العبادة هي عبارة عن خدمة الرب تعالى بقضاء ما يطلب منك فعله ، وهذه حال تقتضى منك أن تعرف كيف تخدمه حتى لا تُسَيء خدمته فيغضب عليك ويومها لا تفلح أبداً ، ولهذا أنصح لك أن تتعلم كيف تخدمه تعالى ، فإذا أمرَكَ بالطهارة مثلاً بقوله :

﴿ وإن كنتم جنبا فاطهروا ﴾ فتطهر كما يريد منك أن تتطهر ، وإذا أمرك بالصلاة فتعلم كيف تصلي ، وإذا أمرك بذكره أو شكره فتعلم كيف تذكره وكيف تشكره ، وإلا فسوف تنقلب الطاعة معصية ولا تثمر لك حبه ولا رضوانه وعندها فماذا استفدت ؟

ولتأكد من صحة ما قلت لك اذكر معي قول الفقيه لمن لم يحسن الوضوء : إن وضوءك باطل ، ولن لم يُحسن الصلاة : صلاتك باطلة ، ولن لم يحسن الحج حجك فاسد أو باطل . وما معنى باطل ؟ معناه أنه لم يرض عنه الرب ولم يثب عليه وهذه هي الغاية من العبادة فإذا لم يصل إليها العبد كان كأن لم يعبد ولم يتوكل ، وضاع جهده وخسر في دنياه وآخرته ، والعياذ بالله تعالى من الخسران .

هذا أمر

والثاني وهو أخطر من الأول وحقيقته : أن تؤمن بالله وحده رباً وإلهاً فلا تعتقدن أن لغير الله تعالى تأثيراً ما في الكون والحياة بخلق أو رزق ، أو تدبير بامانة أو إحياء ، أو بإعطاء أو منع ، أو بضر أو نفع ، فلذلك تؤله تعالى وحده ولا تؤله سواه ، فتخصه تعالى برغبتك ورهبتك ، وعبادتك وتوكلك ، وتوقف حياتك كلها عليه ، وحتى لا يكون لك هم في غيره تعالى . فاعلم هذا - أخى الحاج - وتأكد منه فإنه ذو خطورة على عبادتك ، وعلى إيمانك أيضاً ، إنه لافلاح لعبد في قلبه شيء من ربوبية غير الله تعالى وألوهيته ، انه تعالى لا يقبل من العباد إلا مَنْ كان منقطعاً إليه ، ولا من العبادات إلا ما كان خالصاً له ، واستمع إلى أقرأ عليك كلامه تعالى في هذا الأمر ، قال تعالى من سورة الزمر من كتابه العزيز وهو يخاطب رسوله محمداً ﷺ : ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ، ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ .

وأخيراً أنصح لك في معرفة هذه المسألة الخطرة بالذات أن تسأل عن

جزئياتها ممن يقال عنهم « الوهايون » وناصحك هذا منهم فإنهم أعرف المسلمين بحقائق التوحيد والشرك ، فإذا قال لك أحدهم : هذا الاعتقاد ، أو هذا القول أو هذا العمل شرك فاتركه فوراً فإنه كما قال ، ولا تسأل غيره فيصدق عنه فتهلك وأنت لا تشعر والعياذ بالله تعالى .

ب - التوكل

بسم الله وبعد : فاعلم أخى الحاج الكريم أن التوكل الذى أنصح لك به هو زوج العبادة وقرينها ، وقد بينت لك عند الكلام على العبادة سر اجتماعهما فى آية : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وهو أن أحدهما لا يتم للعبد إلا بالثانى فلا العبادة تحصل بدون توكل ، ولا توكل يُجْدَى بدون عبادة ، ولذا جعلناهما لك من النصائح الأزواج ونصحنا لك بهما معاً ، وقد عرفناك بالأول وهو العبادة ، وجئنا الآن لنعرفك بالثانى وهو التوكل .

فما هو التوكل ، وما حكمه ، وما هى مظاهره ؟؟؟

إن التوكل عبارة عن الاعتراف بالفقر إلى الله تعالى وإظهار العجز والضعف بين يديه عز وجل ، والاعتماد عليه فى النصر والنجاة ، وبلوغ الآمال فى كل الأعمال وهذا بيان ذلك وتفصيله :

١ - : الاعتراف بالفقر وإظهاره للرب تعالى وهو ناتج عن علم المرء باستحالة الاستغناء عن الله تعالى ، سيجعل العبد لا يألُو جهداً فى طاعة الله تعالى وطلب مرضاته ، ليحصل له أمانه وكفايته ، وهما ما لا غنى للإنسان عنهما فى الحياة .

٢ - : إظهار العجز والضعف أمام الله تعالى ، ومعناه تبرؤ العبد من حوله وقوته إلى حول الله تعالى وقوته ، وهذا يفيد فائدتين :

الأولى :

حصول معونة الله تعالى للعبد ولطفه به ، إذ أنه سأل ذلك بأبلغ لسان وأصدق حال . والثانية ذهاب الغرور عن النفس ، والغرور عائق كبير عن

العمل والنجاح .

٣ - : الاعتماد على الله تعالى وهو إغماض العين عما سوى الله تعالى ، والأطراح بين يديه والتسليم له في تحقيق نصره على عدو ، أو الحصول على نجاة من هلكة ، أو بلوغ أمل في عمل . وفوائد هذا كثيرة منها :
كفاية الله تعالى للعبد ، إذ قال عز وجل : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ ، وطمأنينة النفس وسكونها بعدم القلق والاضطراب الموجب للحيرة والخوف .
والوثوق في الله تعالى وهذا يكسب الشجاعة والمثابرة على العمل ، وعدم الانقطاع عنه حتى يحصل المطلوب بالنجاة من المرهوب ، والظفر بالمرغوب المحبوب .

حكم التوكل :

إن التوكل جزء من العبادة وفرد من أفرادها ، أمر الله تعالى به كما أمر بها ، ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم ﴾ ، وقال ﴿ وعلى الله فيتوكل المؤمنون ﴾ ، وقال : ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ ، وأخبر تعالى عن صالحى عباده أنهم كانوا يتوكلون عليه دون سواه في قوله : ﴿ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾ .

فهذه الأوامر الإلهية بالتوكل وهذه الأخبار دالة على وجوب التوكل على الله تعالى ناهية عن التوكل على غيره من سائر خلقه . وعليه فحكم التوكل على الله تعالى الوجوب العيني ، وعلة ذلك أن غير الله تعالى لا يقدر على كفاية العبد ما يهيم من أمر كماله وسعاده ، وذلك لعجز كل المخلوقات وضعفها وافتقارها إلى الله تعالى في حياتها وبقائها ، والانتكال على من لا يكفى ضلال وباطل .

مظاهر التوكل :

إن للتوكل على الله تعالى مظاهر يتجلى فيها نذكر لك منها على سبيل

المثال ما يلي :

١ - أذن الله تعالى في فلاحه الأرض بالحرث والغرس ، فيأتي العبد ببذره ، أو (فساتله) فيكفر البذر بالتراب « يغطيه » ويغرس الفسيلة في الأرض المهيأة لذلك معتمداً معتقداً أن الحصاد والإنبات والإثمار سيحصل بإذن الله تعالى ، فيقدم على رعاية حرثه وغرسه بالسقى وغيره ، وقلبه مطمئن ساكن لاخوف يساوره ولا قلق ينتابه ، لِعَلَّمه أن ما عليه من أسباب قد قام بها ، وأما الإنتاج فمرده إلى الله تعالى إن شاء حصوله حصل وإن لم يشأ لم يحصل . فهذا يعد توكلًا على الله تعالى ويعتبر مظهرًا من مظاهر التوكل المطلوب شرعاً .

٢ - أن يفتح المرء متجرًا يتجر فيه فيجلب البضاعة ويعرضها على الناس وهو لا يدرى أتشتري منه أم لا ؟ أيربح فيها أم لا ؟ ولكن توكلًا على الله تعالى أتى بالبضاعة وعرضها ، إذ هذه هي التجارة سبب الكسب والربح ، فأحضر السبب وانتظر ما ينتج عنه من الكسب والربح ، ونفسه مطمئنة وقلبه ساكن مستريح ، وأمله في الله قوى فهذا مظهر من مظاهر التوكل على الله .

٣ - يعتزم العبد السفر لتجارة أو زيارة فيركب سيارة أو طيارة وهو لا يدرى هل يصل إلى غايته ، أو ينقطع دونها ، ولكن توكلًا على الله تعالى واعتماداً عليه في بلوغ هدفه والوصول إلى غايته سافر حيث أذن له في السفر متزوذاً له بما عرف زاداً لمثله .

فهذا السفر مظهر من مظاهر التوكل ، وغيره كثير .

مظاهر عدم التوكل :

إن عدم التوكل على الله تعالى إما أن يكون مع التوكل على غيره تعالى فيكون شركاً وكفراً ، وإما أن يكون بدون توكل على الغير وهذا نادر الوجود حتى من الحمقى والمجانين ، وكما يكون التوكل على الأشخاص يكون على

الأسباب في باب التوكل على غير الله تعالى وكله شرك وباطل وهذه مظاهر ذلك :

١ - توكل كثير من أهل الشرك على من يعتقدون أن لهم تصرفاً في الكون بالإعطاء والمنع ، والضر والنفع والتولية والعزل ، فيرفع أحدهم صوته قائلاً أنا في حماكم يا أهل الله ! أو أنا بكم وبالله ! وإني خادكم يا أهل الله فكونوا لي . أو عبارات من هذا القبيل وهو اطراح كامل بين يدي من يدعونهم واعتماد كلي عليهم في أمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى من اللطف والكفاية .

٢ - وتوكل على الأسباب كالرجل يعصى الله تعالى بترك واجب أو جبه الله عليه ، أو بارتكاب منهي نهى الله عنه ، خشية أن يخلع من منصبه ، أو تتعطل أعماله ، أو تكسد تجارته ، أو يفقد بعض ما كان يحصل عليه من منفعة مادية أو معنوية ، وأمثلة هذا كثيرة منه :

أن يقيم تجارته أو مصنعه على القروض الربوية فينصح بترك ذلك فلا يتركه بحجة تعطل أو خسارة التجارة .

ومنها أن يبيع محرمات كالخمر والصور وغيرها من المحرمات وينهى عن ذلك فلا ينتهي بدعوى أن تجارته ومعيشته قائمة على ذلك فإذا ترك بيع هذه المحرمات كسدت تجارته ومات جوعاً هو وأولاده .
ومنها أن يترك أحدهم فريضة من فرائض الله تعالى كالصلاة مثلاً ، لأن الجهة التي يعمل معها تحب منه ذلك أو تكرهه فيجاملها بترك الواجب حتى لا تخلعه من منصبه أو تطرده من عمله ويستمر على ترك ما فرض الله عليه محافظة على منصبه ومعاشه .

ومنها أن يترك عبادة الله تعالى خوفاً من الناس فيقعده عن طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ خوفاً من أذى الناس ويقيم على ذلك أبداً .

فهذه كلها من مظاهر عدم التوكل على الله تعالى . مع التوكل على الأسباب ، وهي كما عرفت من الشرك والعياذ بالله تعالى .

وأخيراً - أخى الحاج - أعلم أن أهل العلم بالله وشرائعه قد أجمعوا على أن العمل بالأسباب لا ينافي التوكل ، ولا يتعارض معه بشرط أن لا ينظر إلى الأسباب إلا من حيث إن الله تعالى أمر بها ، وأنه يوجد المطلوب إن شاء الله تعالى عندها ، وإنه لا تأثير لها بمفردها ألبتة .

فالمؤمن يبذر البذر للحصاد ، ويسقى الشجرة للإثمار ويؤثر النخل للتمر ، ويأكل ويشرب لدفع غائلة الجوع والعطش ، ويحمل السيف ويضرب العدو لدفعه أو قتله ، ويشترى البضاعة ويبيعها ليربح ، ويأمر بالمعروف ليفعل ، وينهى عن المنكر ليرك ، ويوصى بالحق ليثبت عليه ، وبالصبر ليحمل عليه ، ولكن مع هذا فهو قاطع النظر عن كون الأسباب ستنتج المطلوب بها من دون إذن الله تعالى وتقديره ومشيئته .

فهذا أو غيره من تعاطى الأسباب التى وضعها الله تعالى لحصول المسببات عليها مع قطع النظر عنها لا ينافي التوكل ، بل ترك هذه الأسباب والإعراض عنها يعد مخالفة لشرع الله تعالى وبالتالي فهو معصية لله ، ومخالفة لسنة فى الحياة .

فاربأ بنفسك - أخى الحاج - أن تتوكل على غير الله ، أو تترك الأسباب التى شرعها الله .

واعبد الله وتوكل عليه

الزوج الخامس من النصائح الأزواج الصبر والصلاة

بسم الله وبعد - أخى الحاج - لقد جمع الله تعالى بين الصبر والصلاة في موضعين من كتابه العزيز فقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ ، وقال : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ؛ إن الله مع الصابرين ﴾ . فلهذا جمعت لك بينهما ، وجعلتهما زوجين ، ونصحت لك بكل منهما ؛ إذ لا غنى لك عنهما بحال مادمت تريد أن تكمل وتسعد في الدارين ، وقدمت لك النصيح بالصبر على الصلاة لأنه مقدم عليها في الآيتين كما رأيت . وعلة تقديم الصبر على الصلاة أن الصبر وسيلة والصلاة غاية ، والوسائل تقدم عقلا وشرعا على الغايات .

(١) - الصبر :

اعلم أخى الحاج أن الصبر الذى أنصح لك به مر المذاق لا يُتحمّل إلا بمشقة . ولا يُستساغ إلا بشدة ؛ فلذا يحسن بك أن تعرف عن حكمه وفضله وفضل أهله ما يساعدك على تحمل تقبل مرارته وتحمل شدته حتى تخلص منها إلى جوائز الصبر ، ومغانم الصابرين بعد أن ترتع في رياضه ، وتكرع من حياضه ، وعند الصباح يحمد القوم السرى .

حكم الصبر

الصبر - أخى الحاج - إن كان على فعل واجب ، أو عن ترك حرام فهو واجب . وإن كان على فعل مندوب ، أو عن ترك مكروه فهو مندوب . وإن كان على مصاب مقدور فهو كالصبر على فعل المأمور ، وإن كان على أذى يقدر على دفعه فهو بحسب قوة الأذى وضعفه ، فإن كان الأذى شديداً

فالصبر عليه حرام ، وإن كان الأذى خفيفا فالصبر عليه مكروه .
هذا حكم الصبر فاعرفه والزمه فإنه لا غنى لك عنه .

فضل الصبر والصابرين

إن فضل الصبر عظيم ، ويكفى في إثبات فضله وبيانه أن يأمر الله تعالى به رسوله ﷺ في قوله : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ . وقوله : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ وقوله : ﴿ واصبر صبرا جميلا ﴾ . ويأمر به المؤمنين في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ . وفي قوله : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . ويزيد الصبر فضلا ما روى من أن الصبر من الإيثار بمنزلة الرأس من الجسد ، وأنه لا إيمان لمن لا صبر له . وما صح من أن النصر مع الصبر .

أما الصابرون فحسبهم شرفا وفضلا أن يكون الله معهم حيث قال تعالى : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ . وأن يحبهم حيث قال ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ .

وأنه بشرهم بما لا مزيد عليه من الخير في هذه الحياة حيث بشرهم بصلاته عليهم ، ورحمته بهم ، وهدايتهم إليه في قوله : ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ .

وأنهم على خلاف غيرهم يُوفون أجورهم يوم القيامة بغير حساب إذ قال تعالى : ﴿ إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

وأن عظماء الأمور مما تقصر دونه هممُ العظام من الرجال ما يلقاها إلا الصابرون . قال تعالى . ﴿ ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ وقال في آية أخرى : ﴿ وما يُلَقَّاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ . أخى الحاج - لقد عرفت حكم الصبر وفضله وفضل أهله فهل ترغب في أن تركض جواد عزمك في ميادين الصبر لتظفر بما ظفر به الصابرون وتفوز بما فازوا به من المقامات والكمالات في الحياة والممات فأبين لك مواطن الصبر

المنصوح لك به لتصبر فيها فتظفر وتفوز بخير الدارين معا ؟ فإن قلت : نعم قلت إليك بيانها وهي ثلاثة :

١ - فعل ما تكره لأجل ما تحب : وذلك بأن تصبر على طاعة الله ورسوله ﷺ بحبس نفسك على فعل ما يحبه الله ورسوله من اعتقاد أو قول أو عمل - وقصرها عليه حتى لا تتركه أو تتخلى عنه وهي قادرة عليه بحال من الأحوال هذا المواطن من أشرف مواطن الصبر فالزم نفسك به واصبر عليه .

٢ - ترك ما تهوى لما تخشى : وذلك بأن تحبس نفسك بعيدة عما يكرهه الله ورسوله من اعتقاد باطل ، أو قول سيئ أو عمل فاسد . واعلم أن هذا الوطن يشمل سائر ما نهى الله عنه ورسوله من سائر المحرمات ، ومعظم هذه المحرمات هو من الشهوات التي تهواها النفس ويميل إليها الطبع فتركها مخافة ما تؤدي إليه من العذاب والشقاء ؛ إذ حفت النار بالشهوات هو معنى قولنا : ترك ما تهوى لما تخشى ؛ فاذكره وتأمله واحمل نفسك بعيداً عما نهى الله ورسوله عنه تفز بعاقبة الصبر الحميدة .

٣ - احتمال البلاء للرضا ، وذلك بأن تصبر على البلاء وهو ما يختبر به الرب تعالى عباده المؤمنين إذ يبتليهم بأنواع من البلايا والمصائب ليصبروا أو يجزؤوا فيعلم الصابرين منهم فيجزئهم أوفى الجزاء . وهو أن ينعم عليهم بجوارمهم ويخلع عليهم حُلل رضوانه . وهذا معنى قولنا : إنه احتمال البلاء للرضا فيحبس العبد نفسه على عدم الجزع والتسخط محتملاً ألم المصيبة ناظراً إلى ما تعقبه من الرضا وما تُكسبه من صلاة الله ورحمته وهدايته لعبده الصابر .

فالزم نفسك - أخى الحاج - الصبر في هذا الوطن كما ألزمتها في غيره تكن حقاً من الصابرين ، فتفوز بكل الجوائز وتظفر بكل الرغائب والمطالب .

(ب) - الصلاة :

بسم الله ، وبعد : فإن الصلاة المنصوح لك بها - أخى الحاج - لقرينة الصبر وزوجه كما جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ في موضعين من كتابه ، وهى خير موضوع على الإطلاق كما جاء في حديث أحمد والحاكم وابن حبان : « الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فيستكثر » وأنها لمكفرة للسيئات « الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما » ومأخية الذنوب والخطايا ، وموصلة العبد بالرب بها تحصل للعبد مناجاة الرب ، وفي الصحيح « المصلى يناجى ربه » . وإنها لمعراج القبول ، وسلم الوصول . تقرب العبد من مولاه ، وتذنيه وهو بين يديه حتى يكون أقرب ما يكون إليه . وفي الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » وفي القرآن الكريم ﴿ فاسجد واقترب ﴾ .

هذه هى الصلاة المنصوح لك بها أيها الحاج الكريم ، والحديث في بيان فضلها يطول وحسبك من ذلك ما ذكر مع العلم بأن ما لم يذكر أعظم وأكثر .

وإذا عرفت من فضلها ما يرجى أن يساعدك على إقامتها فإنه يحسن بك أن تعرف أيضاً حكمها وحكمتها فإن معرفة ذلك مما يعين على أدائها وتحمل عبء القيام بها ، وهاك بيان ذلك :

١ - حكمها :

إن الصلاة أول الفرائض وأكدها ، تاركها كافر يُستتاب ، وإلا فالسيف ينهى العتاب ، وبحقق المتاب . حكم معرفة شروطها كحكمها الوجوب ، وحكم معرفة أدائها كمعرفة شرائطها لا يعذر عاقل بالجهل في شيء منها ، لأن الله تعالى أمر بإقامتها ، وإقامتها متوقفة على المعرفة التامة بها والأداء الصحيح لها قال تعالى ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ .

٢ - حكمتها

إن الصلاة كغيرها من سائر العبادات قد شرعت لحكم عالية كثيرة

منها :

أنها تطهر الروح وتزكى النفس من آثار ما يعلق بها من جراء الكسب السيئ

والعمل غير الصالح ، فلذا شبهها رسول الله ﷺ بالنهر الغمر الجارى أمام دار العبد يغتسل فيه كل يوم خمس مرات وقال : « فهل يبقى من درنه من شىء » ؟

ومنها أنها تنهى المقيم لها عن الفحشاء والمنكر بما توجده فى النفس من أنوار مشرقة يرى العبد على ضوئها الفحشاء وقبحها ، والمنكر وضرره ويتجنبهما . قال تعالى ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

ومنها أنها توصل العبد بربه ، فإن المصلى يناجى ربه ، وإن الرب تعالى ينصب وجهه للعبد وهو فى صلاته . « وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ، ﴿ اسجد واقترب ﴾ .
لطائف الصلاة :

وغير الحكم لطائف فى الصلاة ما أحسنها ، وما أحسن معرفتها وهالك - أخى الحاج - اثنين منها :

الأولى : أن الشارع الحكيم قد جمع فى الصلاة كل أنواع التحيات التى عرفها البشر ويحى بها الإنسان أخاه الإنسان لمزية اختص بها دون غيره وهذا سر قول المصلى فى التشهد : التحيات لله . وهذا بيان ذلك :

١ - الوقوف باعتدال مستقبل القبلة هذا القيام فى الصلاة أول تحية عرفها الناس ؛ أن يقف المرء أمام العظيم بأدب واحترام يحى به بذلك .

٢ - رفع اليدين حذو الأذنين وهى تحية عسكرية عالمية اليوم يحى بها الجندى قائده كلما دخل عليه أو لاقاه .

٣ - الركوع وهى تحية معروفة عند كثير من الناس فإذا أراد أحدهم تحية رئيسه أو عظيمه انحنى له وركع .

٤ - السجود وهو تحية عرفها الناس منذ القدم فيسجد أحدهم للملك أو عظيمه حتى قيل للرسول ﷺ « أفلا نسجد لك كما يفعل العجم للوكهم ؟ فقال : لا ، لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » ، لما يرى له عليها من حق .

٥ - الجلوس الخاص فى الصلاة للتشهد أو بين السجدين هذا الجلوس تحية عرفها الناس وحيا بها الحقير العظيم منهم ، وبعضهم يحى بها أبويه أو أحدهما . . وهى تحية معروفة عند بعض الشعوب .

٦ - الإشارة بالإصبع عند التشهد تحية عند بعض الشعوب يحى بعضهم بعضا بالإشارة بإصبعه .

٧ - السلام وهو آخر عمل في الصلاة تحية عرفها الناس منذ القدم ، ولكل أمة لفظ خاص تحى به بعضها بعضا .

وهكذا نجد الصلاة قد اشتملت على سائر أنواع التحيات ، فمن صلى فقد أدى كل تحية لله وتعظيم ومن لم يصل فقد منع كل ذلك ، ولذا حكم رسول الله ﷺ ، بكفر تارك الصلاة فقال « إن ما بين الرجل والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر » .

الثانية : أن الله تعالى كما قد ضمن الصلاة : كل أنواع التحيات له عز وجل فقد ضمن الصلاة أيضا كل أنواع العبادات وهذا بيان ذلك :

١ - الصوم وهو الامتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء والمصلى إذا أحرم بصلاته امتنع عن ذلك فهو إذا صائم والصوم من الصلاة . وهو عبادة من العبادات .

٢ - الجهاد وهو بذل الجهد في مدافعة العدو ، والمصلى يبذل ذلك في مدافعة أكبر عدو وهو الشيطان فالمصلى يجاهد والجهاد عبادة وهو في الصلاة .. ومنها .

٣ - الصبر وهو حبس النفس على الطاعة لا يفارقها ، والمصلى صابر حابس نفسه على الصلاة حتى يفرغ منها فهو صابر والصبر عبادة وهو من الصلاة .

٤ - الاعتكاف وهو ملازمة المسجد للعبادة والمصلى يلزم مسجده الذى يصل فيه من الأرض لأشرف عبادة وهى الصلاة فالمصلى إذا معتكف مادام فى صلاته والصلاة فيها الاعتكاف .

٥ - الذكر والدعاء والتسبيح والاستغفار عبادة والمصلى يفعل ذلك كله فى صلاته .

٦ - الزكاة وهى صدقة مالية مشروعة لزكاة النفس وتطهيرها والصلاة كذلك زكاة بدنية شرعت لتطهير النفس وتركيتها .

٧ - الحج والعمرة وهما قصد بيت الله لأداء عبادات عندها والمصلى يقصد بيوت الله تعالى لأداء الصلاة فيها ففى الصلاة إذا معنى الحج والعمرة وبعض أجزائهما .

٨ - محبة الصالحين من عباد الله وتحيتهم والدعاء لهم وهذا يقوم به المصلي في صلاته عندما يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنها دعوة بخير تصيب كل عبد صالح في السماء والأرض كما قال ذلك رسول الله ﷺ .

٩ - التشرف بالسلام على رسول الله ﷺ وهو من العبادات والقرب ، والمصلي يسلم على رسول الله ويصلي عليه في كل صلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .
وهكذا نجد الشارع قد ضمن الصلاة كل أنواع العبادات كما ضمنها سائر أنواع التحيات ، فسبحانه من مشرع حكيم لا إله غيره ولا رب سواه .

وهذا سر نصحي لك أيها الحاج بالصلاة وإقامتها فإن من أقام الصلاة فقد عظم الله تعالى بكل أنواع التعظيمات وعنده بكل أنواع العبادات وبذلك يتأهل لحب الله وولايته . ومن ترك الصلاة أو لم يقمها فإنه لم يقدر الله حق قدره واستوجب غضبه عليه وسخطه .
وأعلم أخيراً أن إقام الصلاة غير أدائها ، وأن الصلاة لا تقام حقاً إلا إذا روعي فيها كل ما يلي :

- ١ - الطهارة الكاملة من الخبث والحدث فليكن ثوب المصلي وبذنه ومصلاته طاهراً من النجاسات وليكن هو طاهراً من الحدثين الأصغر والأكبر .
- ٢ - أن تؤدى الصلاة في أوقاتها المعينة لها فلا تقدم ولا تؤخر .
- ٣ - أن تؤدى في المساجد في جماعات المصلين من المؤمنين .
- ٤ - أن تترتل القراءة فيها وتجود ويتدبر معناها .
- ٥ - أن يعظمثن المصلي في ركوعه وسجوده وجلوسه ويعتدل في كل ذلك .
- ٦ - أن يكثر فيها من ذكر الله بالتسبيح والركوع والسجود ، والدعاء وهو ساجد .

٧ - أن يخشع فيها بالقلب والجوارح فالقلب لا يلتفت إلى غير الله تعالى والجوارح تسكن فلا تتحرك فإذا أقام العبد الصلاة على هذا النحو فقد عبد الله وأطاعه واستوجب رضاه ، وكانت صلاته نوراً له في حياته ، ونوراً له في مماته ودخل بها في جملة الصالحين .

ص	الموضوع
٣	فاتحة
٤	الزوج الأول : الإيمان والتقوى
١١	الزوج الثاني : الذكر والشكر
١٩	الزوج الثالث : الهجرة والجهاد
٢٧	الزوج الرابع : العبادة والتوكل
٣٥	الزوج الخامس : الصبر والصلاة

●● الرسالة الحادية عشر
عشر وصايا قدمت لوفود الحجاج

الوصية الأولى : العبادة

إن الوصية بالعبادة - أخى الحاج - هى وصية بجامع خير الدنيا والآخرة وبما يحقق الكمال والسعادة فيهما ، وهذا ما يهدف اليه العقلاء وما يعملون له طوال حياتهم فى كل زمان ومكان . إن العبادة الموصى بها والمدعى إليها ، بلا مبالغة هى جنة الدنيا والآخرة كما سنبينه فى آخر الوصية إن شاء الله . ولهذا أوصيك أخى الحاج وألح عليك بالعبادة وملازمتها فإنها سبيل نجاتك وطريق سعادتك فى كلتا حياتيك .
وان قلت : عرّف لى العبادة حتى أعرفها ، وحدثنى عن بعض ما جاء فيها حتى أرغب فيها وبين لى حكمها وحكمتها : ليكون ذلك عوناً لى على طلبها والتزامها .

أجبتك قائلاً :

العبادة اسم مشتق من عبد الطريق اذا مهده وسهله للسر عليه .
وهى فى عرف الشرع طاعة الله تعالى بفعل ما يحب من الاعتقادات والنيات والأقوال والأعمال مما أمر به أو رغب فيه فى كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع ترك ما يكره الله تعالى من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال مما نهى عنه فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كل ذلك مع غاية الحب والتعظيم لله ورسوله ؛ لأن مجرد الطاعة بفعل الأمر وترك النهى لا يكون عبادة ؛ إذ طاعة الأبوين والأمير لا يقال فيها عبادة لخلوها من غاية الذل والحب والتعظيم للمطاع .

فالعبادة الشرعية المؤهلة للسعادة والكمال بعد النجاة من الخسران ما قامت إلا على أساس الذلة لله والخضوع له مع حبه تعالى غاية الحب وتعظيمه غاية التعظيم .

فالعبادة بهذا المعنى أمر الله تعالى بها سائر عبادته وفرضها عليهم بقوله : « يا

أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون » ويقول « ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون » . . وأمر بها نبيه موسى عليه السلام بقوله : « فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » ، وأمر بها عبده ورسوله نبينا محمداً ﷺ بقوله : « فاعبده وتوكل عليه » وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وأمر بها المؤمنين بقوله : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ويقول « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » . وأمر بها عيسى عليه السلام بنى اسرائيل بقوله « يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار » . ومن قبل أمر بها هود وصالح وشعيب أمهم وأقوامهم إذ قص الله تعالى ذلك علينا فى كتابه فقال : « وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » ، « وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا اله ما لكم من اله غيره » .

ومن قبلهم أمر بها نوح قومه فقال « اعبدوا الله واتقوه وأطيعون » . فاذا تأملت - أخى الحاج - ما ذكرت لك من أمر الله تعالى لأنبيائه وسائر الناس بعبادته وأمر الأنبياء أمهم وأقوامهم بها عرفت أن حكم العبادة ليست الوجوب فحسب بل هو التحريم واللزوم ، فلا يسع المكلف تركها بحال من الأحوال .

إن العبادة أخى الحاج سر الحياة وعلة وجودها ؛ قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » . فلولا العبادة لما كان من معنى فى خلق المكلفين من الإنس والجن ، وبالتالي لا معنى بخلق الحياة كلها ؛ إذ الوجود كله أرضه وسماؤه مخلوق للإنسان قال تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » . وقال « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » . فتبين بذلك أن العبادة سر الحياة وعلتها ، ومن هنا كان من

ترك العبادة من المكلفين شر الخلق أجمعين قال تعالى « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » - والبرية الخليقة ، والمراد المخلوقات كلها من الانس والجن والحيوانات وما كانوا شر المخلوقات الا بتركهم العبادة فإذا علمت أخى الحاج مما تبين لك أن العبادة سر الحياة وعلة وجودها فاعلم ان سر العبادة وعلتها هو العروج الى الملكوت الأعلى والحياة هناك ؛ إذ العبادة فى واقعها عبارة عن عمليات تطهير للنفس وتركية لها بما شرع الله تعالى لذلك من أنواع القرب والطاعات .

فإذا زكت النفس وطهرت تأهلت للعروج الى السماء والحياة فيها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وذلك بعد مفارقتها للجسم بالخروج منه المعبر عنه بالموت قال تعالى « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » وقال تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » - وقال « إن الذين كذبوا بآياتنا لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » وذلك لعدم تركية نفوسهم وتطهيرها بالعبادة ؛ لأنهم كذبوا بآيات الله المتضمنة لبيان العبادة واستكبروا عنها فلم يؤمنوا ولم يعملوا فلم ترك لهم نفس ولم تطهر لهم روح . فاستحال عروجهم الى السماء ودخلوهم الجنة .

الوصية الثانية : الإخلاص

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله
وبعد : هل يدرى أخى الحاج برّ الله حجّه أن الإخلاص روح الأعمال
الصالحة وسر قبولها ، وأن ما وراءه إلا الشرك والرياء ، وكلاهما مفسد
للأعمال مبطل لها .

إن الأمر - أخى الحاج هو كما قلت لك بل هو أعظم ، واستمع إلى
أحدثك : روى أبو داود والنسائي بإسناد جيد كما قال الحافظ المنذرى عن
أبى أمامة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :
أرأيت - أى أخبرنى - رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول
ﷺ لا شىء له . فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله ﷺ لا شىء له .
ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتغى
به وجهه » .

أخى الحاج هل عرفت بم حرم هذا المجاهد من الأجر الذى غزا فى
سبيل الحصول عليه ؟ انه حرمه بسبب إرادة الذكر معه ، والمراد من الذكر
أن يذكره الناس بخير فيقولون : فلان غزا ، وجاهد ، وشجاع ، إلى غير
ذلك من المدح له والثناء عليه .

فهذا الرجل المحروم من أجر الجهاد لم يحرم لأنه لم يرد بجهاده وجه الله
تعالى ، وإنما حرم لأنه أراد مع وجه الله تعالى وثوابه وجه الناس وذكرهم
له . فكان جهاده غير خالص لله تعالى إذ رأى فيه وجهاً مع وجه الله تعالى
فحرم الأجر لعدم إخلاص العمل لله تعالى وحده : وكذلك الرجل منا
اليوم يخرج من بلاده يريد أداء فريضة الحج طاعة لله ، ويريد أن يذكره
أهل بلاده بلقب الحاج أو يريد أن يحج ويتنزه ويتعرف على البلاد والناس ،
أو يشتري أشياء لم تكن فى بلاده ، أو رخيصة الثمن ليربح فيها ، فإن

الحج مع هذه الإرادات والنيات المادية لا يكون الحج معها خالصاً لوجه الله تعالى ، وقد يقال له : لا شيء لك من حجك كما قيل للغازي لا شيء لك لأنه أراد مع العبادة ذكر الناس له ، فلم يخلص عمله لله فحرمه الله الأجر .

واسمع أزدك روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه ، قال : فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ولكنك تعلمت ليقل عالم . وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » .

أخى الحاج هل عرفت بم ألقى هؤلاء الرجال الثلاثة في النار ؟ إنهم لم يريدوا بأعمالهم الصالحة من جهاد ، وتعلم علم وتعليمه ، وإنفاق للمال . لم يريدوا وجه الله تعالى ، وإنما أرادوا الرياء والسمعة للحصول على الذكر الحسن والشهرة بين الناس . وهكذا كل من عمل عملاً صالحاً لم يرد به وجه الله تعالى لا يحرم ثوابه فقط كما حرم من أراد بعمله وجه الله تعالى ووجه غيره بل يحرم الثواب ويسحب على وجهه حتى يلقي في جهنم لأنه مشرك بعبادة الله تعالى غير الله عز وجل الأول مراء ببعض عمله وهذا مراء بكل عمله والرياء شرك ، والشرك محبط للعمل .

أخى الحاج أحسب أنك عرفت بما حدثتك به خطر الإخلاص وعظم شأنه فاسألنى عن الإخلاص وفيه يكون ولن يكون حتى أعرفك بذلك فتعمل على أن تكون من المخلصين إن شاء الله رب العالمين .

الإخلاص لغة مصدر أخلص الشئ يخلصه إخلاصاً من كذا إذا خلصه منه بمعنى أبعد عنه ونحاه فتمحّض وحده لم يخالطه شئ سواه .

وما أريد أن أوصيك به : أن تخلص أرادتك وعبادتك لله تعالى بحيث لا تلتفت بقلبك عند إرادة القول والعمل إلى غير الله تعالى ، كما لا تريد بقولك أو عملك إذا أنت قلت أو عملت غير الله تعالى ، فتخلص نيتك كما تخلص قولك وعملك من إرادة غير وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته حتى يكون الباعث لك على القول أو العمل دائماً وجه الله تعالى وطلب رضاه ، وبذلك تكون إن شاء الله من المخلصين - بكسر اللام - أى الموحدين ، وقد ترقى فى مراتب الإخلاص حتى تصل إلى درجة المخلصين بفتح اللام ، أى الذين اختارهم الله لعبادته ، واستخلصهم ربهم لطاعته فلا يكون للشيطان حظ فى إرادتهم وأقوالهم وأفعالهم ولا نصيب . كما قال « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » بقراءة فتح اللام .

فالإخلاص إذاً ترك الرياء فى الطاعة وعدم إشراك غير الله تعالى فى عبادته عز وجل كما قال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ هذا هو الإخلاص قد عرفته لك فاذكره ولا تنسه .

أما فيم يكون ؟ فاعلم ان الإخلاص يجب أن يكون فى كل نيات المؤمن وإراداته وأقواله وأفعاله بمعنى أن العبد المؤمن يكون وقفاً على الله تعالى ، لا يتصرف فى الحياة إلا على مقتضى مراد ربه منه ، فإذا قام بطاعة من الطاعات لم يراع فيها منفعة دنيوية ، يرجو حصولها له بل يفعل الطاعة لكونه مأموراً به ومطلوباً منه أن يتقرب بها إلى ربه عز وجل ليحصل على الخطوة لديه والقرب منه وإذا ترك معصية يجب أن يتركها لا لكونها ضارة

بجسمه أو ماله أو عرضه وإنما يتركها لأن الله تعالى نهاه عنها وكرهها له فهو يتركها طاعة لربه وطلباً لمرضاته .

وإذا أتى مباحاً من القول أو العمل يأتيه بنية أن يتقوى به على فعل الطاعات وترك المعاصي . فلا يأتيه لمجرد الانتفاع والتلذذ به . وذلك لأن العبد المؤمن وقف على ربه تعالى لا يصدر عنه شيء لغير الله تعالى كما قال أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ إني أحسب قومتي ونومتي وآية وقف المؤمن في القرآن هي قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ .

وأما لمن يكون الإخلاص ؟

فاعلم أخي الحاج أن الإخلاص وهو تجريد العمل من كل شوائب الرياء والشرك لا يكون إلا له تعالى المعبود بحق . فمن أخلص الطاعة لغير الله تعالى وأياً كان ذلك الغير فهو مشرك كافر والعياذ بالله تعالى ومن أشرك في الإخلاص غير الله تعالى فعمل لله ولغير الله كأن يعمل للدين والدنيا معاً فهو مشرك في عمله مرء فيه فلا أجر ولا ثواب له كما سبق في حديث الرجل الذي غزا في سبيل الله وطلب الذكر فقد قال له الرسول ﷺ « لا شيء لك » ثلاث مرات .

وأنبهك أخي الحاج إلى أن العفن الشيوعي قد تسرب إلى ديار الإسلام فأصبح الرجل المسلم يقول هو مخلص للدولة مخلص للوظيفة كما يقول يرضى ضميره وأعمل إرضاء لضميري هذا كله باطل من القول وهو من مصطلحات الشيوعية فالمسلم لا يخلص إلا لله ولا يطلب رضا سوى الله . فاذا ذكر هذا واحذره . والله أسأل لك الثبات على الإخلاص حتى تكتب عند الله من عباده المخلصين وقد أفلح من أخلص ————— ص .

الوصية الثالثة : العلم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .
وبعد - أخى الحاج - هذه وصيتى الثالثة إليك ، وهى من أهم
الوصايا وأجلها قدراً إنها الوصية بالعلم الذى هو مفتاح كل خير وملاك
السعادة وبابها ، وجواز العبور إلى دار السلام وإذنها فاطلبه يا أخى
واحصل عليه وابغ المريد منه ولا تقتصر فإنك لن تكمل ولن تسعد فى الدنيا
ولا فى الآخرة إلا عليه . واذكر معى أن جميع ما يشكوه المصلحون ويتألمون
له من الفساد والشر فى العالم إنما مرده إلى الجهل بهذا العلم الذى أوصيك
به لتطلبه وتحصل عليه إنه العلم الذى هو بمثابة الروح للحياة والنور
للوجود إنه العلم الذى أوجب الله تعالى طلبه على لسان نبيه محمد ﷺ فى
قوله : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وأمر رسوله له أن يطلب
المزيد منه فى قوله : « قل رب زدنى علماً » ، ورفع به أهله درجات فقال :
﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ ونفى تعالى فى
المحكم من التنزيل مساواة الجاهل بالعالم فقال : ﴿ هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ؟ وأعلن رسول الله ﷺ عن فضله وفضل
طالبه فى غير ما حديث صحيح فمن ذلك قوله فى صحيح البخارى : « من
يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » وقوله فى صحيح مسلم : « من سلك
طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » وقوله فى سنن
البيهقى وابن ماجه بسند لا بأس به : « من أتى مسجداً هذا لم يأت إلا
لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » .

هذا ولأخى الحاج أن يقول الآن : بين لى المراد من العلم الذى
أوصيتنى به وذكرت لى من عظم شأنه ومزيد فضله ، لأن العلوم متنوعة
وكثيرة فأجيبك بأنه العلم الشرعى الواجب تعلمه والذى لا يسع المكلف

جهله بحال ؛ إذ هو كما عرفت مفتاح دار السعادة فلا يكمل عبد ولا يسعد إلا عليه . ألا وهو العلم بالله تعالى رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه ، وبأسماؤه الحسنی وصفاته العلی ، وبمحابه من المعتقدات والأقوال والأفعال والذوات والصفات ، وبمكارهه من المعتقدات الباطلة ، والأقوال السيئة والأفعال الفاسدة ، والذوات والصفات القبيحة وبالوسائل الضرورية للحصول على هذا العلم من لسان عربي ونظر وفكر .

هذا هو العلم الموصى به وهو كما عرفت طلبه واجب والحصول عليه لازم ولا يسع المكلف تركه بحال .

وإن سألتني عن الطريق الموصل إليه والمفضي بصاحبه إلى الحصول عليه فإنني أجيبك بأن لطلب هذا العلم طريقين لا ثالث لهما أحدهما أمثل من نظيره وإليك بيانها :

الطريق الأول وهو الأمثل : أن يجالس المؤمن العلماء ويزاحمهم بركبته يقرع أبوابهم ويرحل إلى ديارهم ولا يزال يطلب ويتعلم حتى يفوز بالعلم الذي هو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته ومعرفة محابه ومكارهه ، وكيف يأتي بالمحباب ، وكيف يجتنب المكاره وإذا شعر بحصول العلم بوجود علامته وهي الخشية من الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ تصدى لتعليم غيره ، ونشر العلم بين الناس إذ مراحل طالب العلم ثلاث الأولى أن يتعلم والثانية أن يعمل بما تعلم والثالثة أن يعلم وبذلك يصبح إماماً في المتقين يقتدى به ويدعى في السماء عظيماً كما روى عن عيسى عليه السلام في صحيح الأخبار .

والطريق الثاني : أن تقصر بالعبد الحياة وتعجز أن تمكنه من الدرس والتفرغ والرحلة لكبر سن أو انشغال بعيال أو بأمور ذات خطر وبإل فإنه في هذا الحال يطلب العلم من طريق سؤال أهل العلم وفهم ما يبينونه له والعمل الفوري به اعتقاداً أو قولاً أو عملاً على حد سواء . وكيفية ذلك أن يتعرف على أعلم أهل بلده ممن تشهد له العلماء بالعلم والمعرفة فيتخذه

الوصية الرابعة : التفكير

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد اعلم أخى الحاج أن وصيتى لك بالتفكير .

هى الوصية بما يحقق لك الوصايا الثلاث التى قدمت لك ويعينك على تنفيذها تلك الوصايا التى هى العبادة : والإخلاص والعلم . إذ التفكير ينتج العلم ، والعلم ينتج العبادة . والعبادة تصح بالإخلاص وتبطل بعدمه فهى إذا متوقفة عليه ، وما يتوقف عليه من الأشياء يكون كالمنتج للشئ المتوقف عليه ، وهذا عاد أمر الوصايا الثلاث المتقدمة إلى هذه الوصية الرابعة وهى التفكير فاعرف هذا واسمح لى أن أقول لك : إن التفكير من خصائص الإنسان لأنه إعمال العقل فى إدراك ما يختفى وراء المدركات الحسية من أسرار وعجائب أو مصالح وفوائد الإنسان فى حاجة إليها . وعليه فمن لم يتفكر فقد أهمل العقل وعطل وظيفته وصار كمن لا عقل له وهو الحيوان الأعجم ، ولذا قيل فكر فأنت إنسان ، لا تفكر فأنت حيوان .

وإذا عرفت أخى الحاج أهمية التفكير بما ذكرت لك وأردت أن تفكر فاعلم أن من التفكير ما هو واجب ومنه ما هو حرام ، فما كان جالباً لسعادة الإنسان وكماله فهو التفكير الواجب وما كان جالباً لشقاء الإنسان وخسرانه فهو الحرام وذلك كالتيقن فى الشر والفساد وما يلحق الضرر بالإنسان والحيوان .

والتفكير فيما يجلب للإنسان سعادته وكماله يكون فى مجالين : هما الكون والإنسان أو الآفاق والأنفس كما قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

فالتفكير فى الإنسان والكون ينتج للمتفكر فيهما الإيمان بالله تعالى

والمعرفة بأسماؤه وصفاته ومن امن بالله تعالى وعرف أسماؤه وصفاته أثمر له إيمانه ومعرفته طلب التقرب إلى الله تعالى والزلفى إليه بفعل محابه تعالى وترك مساخطه وبذلك يتحقق مراد الله تعالى من خلقه وخلق الكون كله من حوله لقوله عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقوله في الحديث القدسي : « يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي » .

وكون التفكير وهو إعمال العقل والنظر في المخلوقات من حيث وجود ذواتها وصفاتها وآثارها وخصائصها ومنافعها . وما يطرأ عليها من تغيرات شتى ، كونه جالباً للإيمان واليقين محققاً للعلم والمعرفة باعثاً على العمل في المحبوب لله تعالى وعلى الترك في المكروه لله عز وجل . دله عليه قوله تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين ، أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء ﴾ .

أخى الحاج إن وصيتي إليك بالتفكر هي الوصية بأن تخرج من محيط الغفلة التي يعيش فيه أكثر سكان العالم من مؤمنين وكافرين . إن الغفلة المستلزمة لعدم التفكير هي سبب كل كفر وشرك وفساد وشر ، إذ لو تفكر الكافر في خلق السموات والأرض وما بينهما وما فيها لآمن بالخالق عز وجل ؛ إذ يهديه التفكير إلى أن هذه المخلوقات العظيمة يستحيل وجودها بغير موجد أوجدها كما لو تفكر في مظاهر الإبداع فيها والإتقان في صنعها والجمال في صفاتها والترتيب والنظام فيما بين أجزائها لآمن بعلم الله الواسع وقدرته التي لا تحد ، وحكمته الباهرة ورحمته العظيمة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وأن الله تعالى خالق كل شيء ورب كل شيء ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . و بذلك يرى وجوب عبادته ويرغب في

طاعته والتقرب إليه ليسعد ويكمل بذلك .

ولو تفكر المشرك فيمن أشركه في عبادة الله تعالى لعلم ضعف من أشركه وفقره وحاجته إلى الله تعالى وأنه مخلوق لله مربوب له لا يملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولا ضرراً ولما عبده مع الله تعالى لعدم استحقاقه للعبادة إذ العبادة مستحقة للخالق وإهب الحياة والرزاق مفيض الخيرات والبركات من يملك كل شيء ويبيده كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء والبصير بكل شيء .

ولو تفكر الحاكم بغير ما أنزل الله عز وجل من الشرائع والأحكام لعرف أن من الظلم البين إبعاد شرائع الله المدبر الحكيم وحلال شرائع البشر وقوانينهم محلها وهم من هم في جهلهم وعجزهم في جهلهم بعواقب الأمور وتجريات الأحداث وعجزهم عن إيجاد المنافع ودفع المضار لو تفكر هذا الحاكم لما رضى لنفسه التعرض لغضب الله وسخطه عليه لأنه نازعة سلطانه ودافعه عن حقه في حكم عباده وسياستهم بما يكملهم ويسعدهم ولكنه لم يتفكر فهلك بغفلته وظلمه .

ولو تفكر الفاسق عن أمر الله ورسوله بترك ما أمراه به من الهدى والخير ، وفعل ما نها عنه من الضلال والشر لو تفكر أنه مربوب لله مخلوق لعبادته لما فسق ولما تعرض لمقت الله وغضبه أو عقابه وأليم عذابه . ولكنه لم يتفكر فظل في فسقه وأقام على عصيانه ليحرم السعادة والكمال .

ولو تفكر الجاهل بربه وشرائعه أنه لا ينبغي أبداً أن يجهل خالقه ومالك أمره ومن بيده سعادته وشقاؤه فلا يتعرف إليه ولا يطلب مرضاته بالتقرب إليه بفعل ما يحب وترك ما يكره ولكنه لم يتفكر فعاش في ظلمات الجهل محروماً من نور العلم وهداية الشرع عرضة للمفاسد والشرور وبالتالي للويل والثبور في دنياه وأخراه والعياذ بالله .

لهذا أخى الحاج أوصيتك بالتفكر فإنه قوام حياتك ومفتاح سعادتك

فالزمه فإنه يكسبك العلم ويعينك على العبادة والإخلاص فيها وتلك سبيل
نجاتك وسعادتك .

وهل لك من حاجة في غير ذلك ؟

الوصية الخامسة : الحلم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد . . .
أخى الحاج أعلم أن الحلم لمن مكارم الأخلاق بل هو من أشرفها وذو
الحلم سيد في الناس وإن بطأ به نسبه ، والوصية بالحلم والتخلق به وصية
بالخير كله . فلذا أوصيك به فتخلق به ، واعلم أن الحلم بالتحلم كما أن
العلم بالتعلم .

فقد روى عن الأحنف بن قيس وكان مضرب المثل في الحلم أنه قال :
أنا لست بحليم وإنما أتحمّل وقد يجبل المرء على الحلم فيكون حليماً بالفطرة
كإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام إذ قال تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام
حليم ﴾ غير أن الغالب في الناس أن الحلماء منهم يكتسبون حلمهم
برياضة النفس وتمرينها عليه حتى يكتسبوه ويصبحوا حلماء بين الناس فكن
أنت كذلك .

والطريق إلى اكتساب الحلم أن يأخذ المرء نفسه شيئاً فشيئاً بحملها على
عدم الغضب إن غوضب وعلى كظم الغيظ إن أغاظه أحد ، وعلى الصبر
إن أودى فلا يثار ممن آذاه ولا ينتقم وهكذا يوماً بعد يوم ، والنفس الكريمة
لا يشق عليها الصبر والحلم كما لا يشق عليها المعروف أن تبذله أو تقوله .
ومما يعينك على اكتساب هذا الخلق الفاضل العظيم أن تذكر أن الله
تعالى ورسوله محمد ﷺ يجبان خلق الحلم وإن من أسماء الله تعالى وصفاته
الحليم فقد روى الشيخان أن الأشج وفد على رسول الله ﷺ فأناخ راحلته
ثم عقلها وطرح ثوبين كانا عليه وأخرج من عييته (حقيته) ثوبين حسنين
فلبسهما وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول
الله ﷺ فقال له : إن فيك بأشج خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأبي
أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة .

فاذكر هذا فإنه يعينك على التحلم واكتساب خلق الحلم حتى تكون حليماً لا تسب من سبك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك . لا تبادر بالإساءة إلى من أساء إليك ولا تنزع إلى الانتقام ممن أذاك في نفسك أو ماله .

واعلم أن الحلم يقابله السفه والجهل فهل يرضى العاقل بأن يوصف بالجهل والسفه ؟

إن الحلم هو العلم والصبر والصفح والعفو أما السفه والجهل فهما الجزع والنزع والحمق والطيش . فلذا أوصيتك أخى الحاج بالحلم لتكمل وتسعد وتشرف بين الناس وتسود .

واستمع إلى أرو لك الآثار والأخبار في الحلم والحلماء لتزداد رغبتك في اكتساب خلق الحلم الذى أوصيتك به :

● قال معاوية رضى الله عنه لعرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة ؟

قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى ومن قصر عنى فأنا خير منه !!

● قال أكثم بن صيفى أحد حكماء العرب : دعامة العقل الحلم ، وجماع الأمر الصبر .

● قال أحد العلماء : الحلم أرفع من العقل قدراً لأن الله تعالى سمي به ويوصف به ولا يسمى بالعاقل ولا يوصف بالعقل فلذا كان الحلم أرفع من العقل .

● قال آخر لا يعرف الحلم إلا عند الغضب كما لا تعرف الشجاعة إلا عند الحرب .

هذا وانظر مواقف أهل الحلم التالية وتمثلها عندما يغاضبك إخوانك الحجاج أو يؤذونك بلسان أو يد لقلة صبرهم وحلمهم ولما يجدون من التعب

وهم يؤدون المناسك .

١ - شتم رجل آخر فقال له المشتوم إن كنت كاذباً فغفر الله لك وإن كنت صادقاً فغفر الله لي وانصرف .

٢ - سب رجل عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فقال لمولاه عكرمة هل للرجل من حاجة فنقضها له ؟ فنكس الرجل رأسه واستحى .

٣ - قال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أشهد أنك من الفاسقين ، فقال عمر ليس تقبل شهادتك !!

٤ - سب رجل على بن الحسين بن على رضى الله عنه فرمى إليه بخميصة « ثوب أسود مربع » وأمر له بألف درهم . فرد ابن الدوحة النبوية منبع العلم والحلم سيئة الرجل بخمس حسنات وهى الحلم ، وإسقاط الأذى عنه ، وتخليصه مما يبعد عن الله تعالى ، وحمله على الندم والتوبة .

٥ - قال أحدهم : شتمت رجلاً يوماً فحلم على فاستعبدنى بها زمناً طويلاً .

وأخيراً أسأل الله تعالى لى ولك أن يرزقنا الحلم بعد العلم . والسداد فى القول والعمل .

الوصية السادسة : التواضع

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .
وبعد :- فاعلم - أخى الحاج - أن التواضع الذى أوصيك ونفسى به
ليس مجرد خُلُق فاضل فحسب بل هو أسمى الأخلاق الفاضلة وأشرفها
وعليه مدار السعادة وهو ملاكها ، لأن التواضع ضد الكبر فمن لم يتواضع
تكبر ، ومن تكبر هلك لحديث مسلم : أن النبى ﷺ قال : « إن الله لا
يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . وذلك أن الكبر مانع من
قبول الحق والإذعان له ، داع إلى انتقاص الناس واحتقارهم كما قال ﷺ :
« الكبر بטר الحق وتهميص الناس » . وما أبلس إبليس إلا بالحسد والكبر
والعياذ بالله تعالى من ذلك .

فلذا كان - أخى الحاج - من وصايا الحق والخير الوصية بالتواضع ،
وهذا رسول الله ﷺ يبلغ عن الله تعالى أمته ما وصاهم به من التواضع إذ
روى مسلم أنه ﷺ قال : « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا
يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » .

والتواضع يكون لله ، ولأجل الله فأما التواضع لله فيكون بطاعته تعالى
بفعل أوامره واجتناب نواهيه . وأما التواضع لأجل الله عز وجل فيكون
بقبول الحق والإذعان له ، والتسليم به ، كما يكون بتوقير الكبير ورحمة
الصغير والعطف على الفقير .

وهذا التواضع لله ولأجل الله يرتفع العبد حتى يبلغ درجات لم يكن
ليبلغها لولا تواضعه : فقد روى مسلم عن النبى ﷺ قوله : « ما زاد الله
عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » كما روى البيهقى فى
الشعب : « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة » وفى القرآن
الكریم « فاسجد واقترب » والسجود عنوان التواضع وأبرز مظاهره فمن

سجد لله بمعنى أحببت لله وتطامن وذل له وأذعن لعبادته ظاهراً وباطناً
ارتفع بذلك وقرب فبلغ مستوى من الرفعة والقرب يقصر عنها غير
التواضعين كما قال القائل :

دنونا فلم نخذل لدان وعلوننا فلم يجزنا علاء

أخى الحاج إذا عرفت شرف خلق التواضع فجداً في طلبه ، وشمر في
تحصيله واعلم أن التواضع ليس ما يسميه أبناء العصر المجاملة واللباقة
وإنما التواضع : إخبات لله تعالى واستكانة له عز وجل وذلك بفعل أمره
وترك نهيه والتقرب إليه بفعل محابه من المعتقدات والنيات والأقوال والأعمال
وترك مساخطه من المعتقدات والإرادات والأقوال والأفعال . قال تعالى
﴿ وبشر المختبين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما
أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ وقال : ﴿ فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون ﴾ فبان بهذا أن التواضع سداً ولحمته الإخبات لله
والاستكانة له عز وجل وهو في نفس الأمر تحقيق معنى العبودية لله عز وجل
وذلك بترك مراد العبد لمراد الرب حتى لا يبقى للعبد مراد غير مراد ربه عز
وجل ومن هنا كان التواضع منزلة فوق منزلة التسليم والرضاء ، وهي آخر
مراحل السائرين إلى الله تعالى لينزلوا برياض جنة حبه وفردوس رضاه .

وإليك - أخى الحاج - صوراً للتواضع المطلوب فسرح النظر فيها
واعمل الفكر في إدراكها وتقديرها واحرص على تمثلها في حياتك يوماً بعد
آخر حتى تكتسبها وتصبح من أهلها المتحلين بها وذلك ما رغبت فيه لك
ولى معك .

● قال أنس بن مالك في رواية البخارى « إن كانت الأمة من إماء المدينة
لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتلق به حيث شاءت » .

تأمل في هذا الخبر الصحيح فإنك ترى صورة من التواضع معجبة
ومدهشة أيضاً إنك ترى أعظم الرجال وقد أنيطت به عظام الأعمال وهو

قائم بما تعجز عنه الفئام من الناس . تأتية الخادم التي لا يؤبه لها عادة ولا يلتفت إليها من دون السادة فتأخذ بيده وتسيره لحاجتها فلا يمنعه علو منصبه ولا كثرة مهامه من الانقياد لها حتى يقضى حاجتها هذا لعمر الله منتهى التواضع الرفيع يتجلى في الخلق المحمدي تجلى الشمس في كبد السماء ظهوراً وسمواً وعلواً .

● ولى الخليفة مروان بن الحكم أبا هريرة رضى الله عنه أمر المدينة النبوية فكان أبو هريرة والى المدينة المنورة يحمل حزمة الحطب على رأسه ويمر بأسواق المدينة وهو يقول : أوسعوا لأمر المدينة أوسعوا !! فقل لى بربك أخى الحاج هل هناك تواضع أعظم من تواضع أمير يحمل الحطب على رأسه ويمر به فى الأسواق ؟ !

● روى أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج ينطفئ فقال الضيف : أقوم فأصلحه ؟ فقال عمر : لا ، ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه . فقال الضيف إذاً أنبه الغلام ، فقال عمر : لا إنها أول نومة نامها فلا تنبهه وذهب وملأ المصباح زيتاً ولما قال له الضيف : قمت بنفسك يا أمير المؤمنين ؟ أجابه قائلاً ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شىء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً .

فانظر أخى الحاج - وأنت تطلب خلق التواضع لتتحلى به وتكمل عليه - إلى خليفة المسلمين قاطبة يقوم بنفسه يصلح سراجهم الذى يكتب عليه مهام الدولة ومتطلباتها ويقول ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . وأخيراً فإليك نموذجاً حياً للتواضع فخذ نفسك به شيئاً فشيئاً فإنك تظفر به وتصبح إن شاء الله من أهله :

روى أن أبا أسامة قال لأبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم ؟ فقال يا ابن أخى كل لله ، واشرب لله والبس لله ، وكل شىء دخله من ذلك زهو أو مباهاة أو

رياء أو سمعة فهو معصية وسرف .

وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته كان
يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخسف النعل
ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا ويشترى الشيء من
السوق ولا يمنع الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب إلى
أهله يصافح الغنى والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من
استقبله من صغير وكبير وأسود وأحمر وحرّ وعبد من أهل الصلاة أي
المؤمنين .

فاقتد أخى الحاج برسولك في كمالته الروحية فإنك تصبح وتمسى من
سادات هذه البرية .

الوصية السابعة : الصدق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
وبعد فاعلم أخى الحاج بر الله حجك - أن الصدق الذى أوصيك به
لتلتزمه فى حديثك وعملك وعزمك ووعدك وفى حالك كله هو الذى أوصى
به رسول الله ﷺ أمته وأنت فرد من أفرادها إذ قال كما فى رواية مسلم :
« عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وأن البر يهدى إلى الجنة وما
يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .
وعليه فبالترامك الصدق أخى الحاج - وتحريك له فى قولك وعملك
وإرادتك وحالك تفوز بخيرين عظيمين لم تكن لتحصل عليهما لولا التزامك
الصدق ألا وهما :

الجنة دار الأبرار والتى ستنتقل إليها بعد انقضاء فترة إقامتك بذلك على
سطح هذه الكرة الأرضية والخير الثانى أن يلحق اسمك فى سجل الأبرار
الخالدين ومواكب النبين . كما قال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول
فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

أخى الحاج إن للصدق لشأناً وإن للصادقين مقاماً عند الله عز وجل
ولذا أوصيك به ولتأكد من صحة ما ذكرت لك فاعلم أن الله تعالى قد أمر
كل مؤمن ومؤمنة فى هذه الأمة المسلمة أن يكون مع الصادقين فقال تعالى :
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ . فلولوا علو مقامهم
وشرف منزلتهم وقربهم من ربهم تعالى لما أمر عز وجل بالكينونة معهم .
وهل تدرى أخى الحاج من هم الصادقون الذين طلب الله تعالى منا أن
نكون معهم ؟ إنهم رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعامة
أصحاب رسول الله ﷺ إنهم أولئك الذين استجابوا لله لما طلب منهم

أرواحهم وأمواهم فأعطوا الله كل شيء ولم يبقوا لغير الله من شيء يوم نزل : ﴿ انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ﴾ ففعلوا صادقين ومصدقين وخرجوا لقتال بنى الأصفر في عقر دارهم .
 واسمع ثناء الله عليهم في محكم كتابه وكريم قوله : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وفي قوله : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ وقوله ﴿ والصادقين والصادقات ﴾ فهل بعد هذا الثناء الإلهي على أهل الصدق من ثناء ؟ وهل بعد هذا الفضل والشرف لأهل الصدق من فضل أو شرف .

ولذا أوصيتك أخي الحاج على علم بالصدق ليكون شعارك وديارك ودرهمك ودينارك وقبل أن أعرفك بالصدق الموصى أقدم لك قطوفا يانعة من ثماره لتعظم رغبتك فيه ويزداد شوقك إليه .

هل عرفت أن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب طمأنينة النفس وهما من أعز المطلوب لدى عقلاء الناس ! إن الصدق يورث راحة الضمير ويكسب الطمأنينة وسل الصادقين يخبروك . وكيف وقد قال رسول الله ﷺ في رواية الترمذي بسندها الصحيح : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » .

وهل عرفت : أن الصدق يجلب البركة للرزق ، والربح في التجارة وأنه ما من أحد إلا ويطلب ذلك في رزقه وتجارته وأن طريق ذلك هو الصدق واسمع رسول الله ﷺ يخبر بذلك في قوله في رواية البخاري « البيعان [البائع والمشتري] بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما » للتاجر في تجارته والمشتري في رزقه .

هل عرفت أن الصدق في سؤال الله تعالى الشهادة يبلغ سائلها منازل الشهداء ولومات خفف أنفه وكيف لا وهذا رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة بقوله في رواية مسلم « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » .

هل عرفت أن الصدق ينجى من المكروه وإن شارفه العبد وكاد يقع فيه حتى سار بين الناس مثلاً الصدق منجاء .

حكى عن بعض الصالحين أن هارباً دخل عليه خائفاً مذعوراً وهو يقول امنعنى عن طالبى ياشيخ امنعنى عن طالبى ياشيخ أخفى عن طالبى ياشيخ فقال له العبد الصالح نم هنا فنام امامه وطرح على حزما من الحطب فأخفاه بها وفجأه دخل طالبوه قائلين هل دخل عليك رجل هارب اين هو فقال العبد الصالح هو ذا تحت الحطب .

فظن الطالبون أنه يسخر منهم فخرجوا وتركوه فنجوا الهارب ببركة الصدق من العبد الصالح وأخرى وهى ان الحجاج بن يوسف خطب يوماً فأطال الخطبة فقال له رجل : الصلاة : فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرک فأمر الحجاج بحبسه فجاء أهله وقالوا له ان الرجل مجنون فاطلقه . فقال الحجاج إن أقر بالجنون أطلقته فجىء بالرجل وسأله هل أنت مجنون ؟ فقال الرجل : لا أنه لايسوغ لى ان أجدد نعمة الله التى أنعم بها على وأثبت لنفسى صفة الجنون التى نزهها الله عنها ولأن الحجاج صدقة فقد خلى سبيله !!! وعليه فراحة الضمير وطمأنينة النفس والبركة فى الرزق والربح فى التجارة وبلوغ منازل الشهداء بدون استشهاد والنجاة من المكاره كل هذه من ثمار الصدق يجنيها الصادقون .

والآن أعرفك بالصدق أخى الحاج كما واعدتك :

١ - الصدق فى القول هو إذا حدثت مخبراً أو أمراً أو ناهياً فلا تخبر ولا تأمر ولا تنهى بغير الواقع والحق الثابت حتى ولو كنت تمزح فلا تحدث إلا بالحق ومتى التزمت هذا فى قولك وحديثك فأنت صادق .

٢ - الصدق فى العمل والمعاملة وهو أن لا تعمل أى عمل إلا وأنت تريد فائدة منه تجلب خيراً لك أو لغيرك أو دفع شر عنك أو عن غيرك وإذا عاملت أحداً بأى نوع من المعاملات التى تجرى عادة بين الناس فاخل معاملتك من الغش والخداع والتدليس والتزوير والغرر فإن فعلت فإنك

صادق .

٣ - الصدق في الوعد وهو أن تصدق في وعدك متى وعدت أحداً من الناس قريباً أو بعيداً غنياً أو فقيراً مؤمناً أو كافراً فتجز له ما وعدته ولو كلف ذلك ما كلفك ومتى أصبحت تنجز وعدك ولا تخلف موعدك فأنت صادق .

٤ - الصدق في الحال وهو أن تلزم نفسك أن لا تظهر في غير المظهر الذي وضعك الله تعالى فيه فلا تتظاهر بالعلم وانت غير عالم ولا بالتقوى وأنت من غير أهلها ولا بفضل لم يكن لك ولا بعمل صالح لم تعمله وذلك قول الرسول ﷺ في رواية مسلم المتشيع بهالم يعط كلابس ثوبي زور .

وأخيراً فهذه وصيتي إليك فالزمها وإذا فتح الله عليك فيها وأصبحت صادقاً ثم صديقاً فادع الله لي بالمغفرة والرحمة وجزاك الله خيراً .

الوصية الثامنة : العدل

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فاعلم أخى الحاج إن سابع وصاىى إليك هى الوصية بالعدل وإنها لمن أعظم الوصايا وأجلها قدراً وأعظمها شأنًا وحسبك أن الله تعالى أمر بها فى قوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ﴾ . ووصى به فى جملة وصايا عشر فى القرآن والكتاب الأول قال تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ وطلبه رسول الله ﷺ فى دعائه المأثور : « اللهم إنى أسالك العدل فى الرضا والغضب » .

ولذا أوصيتك به ملحقاً عليك فيه ليكون خلقاً من أخلاقك وصفة من صفاتك فتعدل فى حكمك وولايتك وفى قولك إذا قلت وعملك إذا عملت فتضع كل شىء فى موضعه وبذلك تتذوق طعم الحكمة وتكون من أهلها فإن الحكمة الإصابة والسداد فى الأمر كله بإعطاء كل ذى حق مستحقه ووضع كل شىء فى موضعه اللائق به .

ومما يساعد على اكتساب هذا الخلق الفاضل الكريم مراقبتك لله تعالى والحلم والأناة فراقب الله تعالى بحيث لا يصدر عنك قول ولا فعل إلا بعد أن تنظر هل هو من رضا الله تعالى أو من سخطه أى هل هذا القول الذى أردت أن تقول أو الفعل الذى أردت أن تفعل أذن الله تعالى فيه وأباحه أم لا يأذن فيه ولم يبحه .

فإن وجدت الإذن قلت أو فعلت وإلا كففت وتركت . وبذلك تسلم أحكامك وأقوالك وأفعالك كلها من الخطأ والفساد . وهى منزلة من أشرف المنازل يغتبط عليها صاحبها فى الدنيا والآخرة فاجتهد أخى الحاج فى تحصيل هذا الكمال بالتزامك العدل فى قولك وعملك وحكمك وما ولاك

الله من شيء وجعلك القائم عليه .

واذكر وصية الله بالعدل وأمره به في قوله : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وفي قوله ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ واذكر قول الرسول ﷺ في بيان فضل أهل العدل وما لهم من كرامة عند الله تعالى في مثل قوله : في رواية مسلم « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا » وفي قوله : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم « الإمام العادل » بل قدمه في الذكر لأهميته إذ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دغته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

فإنك بذكرك - أخى الحاج - هذه الفضائل لأهل العدل ساعدك ذلك على أن تعدل وتتحرى العدل حتى يكون العدل سجية من سجايك وتفوز به وبها أعد الله لأهله من كرامة يوم القيامة .

وأخيرا اسمح لى أن أكرر لك القول ببيان بعض مواطن العدل لتكون منها على علم فتعدل فيها ولا تحيف ولا تظلم . وهى :

١ - إعطاء الله تعالى حقه كاملا فى العبادة فلا تشرك معه فى عبادته أحداً كائننا من كان إذ من أعظم أنواع الظلم المنافى للعدل أن يشرك العبد فى عبادة الله أحداً إذ العبادة استحقها الله تعالى بخلقه الإنسان ورزقه وتربيته وإكماله إياه وغير الله تعالى لم يخلق ولم يرزق ولم يرب ولم يكمل فبأى حق يعطى من عبادة الله شيئا ؟؟

ولعلك لا تعرف كيف يكون الشرك في العبادة فأبين لك ذلك إنه بدعاء غير الله تعالى فمن دعا غير الله تعالى فقال يا فلان أعطني كذا فقد أشرك من دعاه في عبادة الله تعالى التي هي الدعاء لقول الرسول ﷺ « الدعاء هو العبادة » ومن نذر لغير الله فقال : يا سيدي فلان إذا تم لي كذا أو تحقق لي كذا أفعل لك كذا وكذا فقد أشرك ؛ لأن النذر عبادة لا تنبغي إلا لله فمن نذر لغير الله فقد أشرك في عبادة الله غير الله . ومن ذبح لغير الله ذبيحة في مولده أو مواسمه يتقرب بها إليه فقد أشرك في هذه العبادة غير الله ؛ لأن ذبح القربان عبادة لا تكون إلا لله تعالى لقوله عز وجل ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ أي لربك .

٢ - العدل بين الزوجتين أو الزوجات في الفراش والكساء والغذاء وحتى في الكلام والسلام .

٣ - العدل بين الأولاد في كل شيء لقول الرسول ﷺ « سوا بين أولادكم في العطية » فلا تفضل ولداً على ولد في أي شيء تعطيه لهم بل اعدل بينهم في ذلك .

٤ - العدل في القول وذلك بأن لا تقول إلا الحق ولا تشهد إلا بالحق فإن الكذب كشهادة الزور كل ذلك منافٍ للعدل مبين له .

٥ - إذا وليت أمراً أو حكمت في شيء فاعدل في حكمك وقسمتك وسوّ بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه بلا زيادة ولا نقصان .
هذه أخى الحاج مواطن العدل قد وقفت بك عليها فالزم العدل فيها وفي غيرها تكمل وتسعد في الدنيا والآخرة .

الوصية التاسعة : الإحسان

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد
فالإحسان أخى الحاج الوصية به وصية بكل خير وصلاح فى هذه الحياة :
فقد أمر به الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب
المحسنين ﴾ وقوله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ وقوله :
﴿ وبإلوالدين إحساناً ﴾ . وقوله : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وقوله
﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ﴾ . والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير
الإنسان وصلاحه ، كما لا ينهى تعالى إلا عما فيه ضرر الإنسان فى الدنيا
وخسرانه فى الآخرة ومما يدل على أهمية الإحسان وخطره كونه ضرورياً لكل
قول وعمل فلا يستقيم قول ولا عمل إلا عليه ويشهد لذلك قول الرسول
ﷺ فى رواية مسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلت
فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح
ذبيحته . » .

وأدل من كل ذلك على عظم شأن الإحسان وخطره أنه نُذِّتُ الدين
الإسلامى كما جاء ذلك فى حديث جبريل عليه السلام فى رواية مسلم عن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ جاء فيه « أن جبريل عليه السلام سأل
النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان ، فلما انصرف قال النبي ﷺ
هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » فجعل الثلاثة ديناً .

أخى الحاج : إذا عرفت قيمة الإحسان وأن الوصية به من خير الوصايا
وأنفعها فاعرف ماهو الإحسان حتى يمكنك أن تحسن ؛ فإن من لم يعرف
الشىء لا يمكنه أن يفعله أو يقوم به . ولذا تعين أن أبين لك ماهو
الإحسان قبل أن أذكر لك مواطنه التى يتجلى فيها فالإحسان : ضد
الإساءة . كما أن الحسن ضد القبح . وعليه فالاحسان قول الحسن

والجميل وفعلهما ، ومواطن الإحسان هو القول والعمل . أما الإحسان في القول فيكون بصدق الحديث ، واختيار الكلمات الطيبة ، وانتقاء الألفاظ الحسنة التي لا أذية فيها ولا قبح ، ويكون مع سائر الناس بلا فرق بين إنسان وآخر لقوله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . وعليه فليكن منطقك خالياً من ألفاظ الهجاء والبذاء ، والسب والشتم واللعن والطعن والفحش والقبح . والتزم هذا في حال الرضا والغضب والراحة والتعب والمسألة والشغب .

وأما الإحسان في الفعل فيكون في الصحبة والعشرة والمعاملة بما تحب أن تصحب به وتعاشر وتعامل من الاحترام والرفق والمساعدة ، والمودة والجميل والإنصاف ، فإذا كانت مصاحبتك ومعاشرتكم ومعاملتكم قائمة على هذه المبادئ الخيرية الكريمة من الاحترام والرفق ، والمودة والمساعدة والإنصاف والجميل فأنت محسن داخل في عداد من يحبهم الله تعالى من أهل الإحسان لما علمت من أن الله تعالى يحب المحسنين ، كما صرح بذلك القرآن الكريم في آيات كثيرة تقدم بعضها في أول حديثنا هذا على الوصية بالإحسان .

ويكون - أى الإحسان - في العمل بإتقان العمل وتجويده وتحسينه بحيث لا يداخله نقص ولا غش ولا قبح ولا شين . وسواء كان العمل عبادة أو عادة ، فأداء فريضة كطبخ عصيدة ، فالصلاة إن لم يحسن أدائها بطلت على صاحبها وقد يآثم فيها ، والعصيدة إن لم يحسن طبخها فسد طعمها وقد يهلك بها آكلها . واعلم أخى الحاج أن الإحسان بالمعنى الذى عرفت لا يتأتى للعبد القيام به ولا الالتزام بمبدئه إلا على أساس مراقبة الله تعالى فإن من راقب الله تعالى في قوله وعمله بمعنى الا يقول ولا يعمل إلا بعد أن يعلم حكم الله تعالى فيما يريد أن يقول أو يعمل ثم يراقبه تعالى في إحسان قوله وعمله فيلتزم بمبدأ الإحسان الذى كتبه الله تعالى على كل

شئ وفي كل شئ فيحسن في قوله بالتزام الصدق والحسن والجمال فيه ،
ويحسن في عمله باتقانه وتجويده مبعداً له عن الغش والخداع ، والتمويه
والإفساد . وبذلك تكون أقواله وأعماله كلها صالحة نافعة له ولغيره من
سائر الناس .

ومبدأ المراقبة الذي ذكرت لك بأن الإحسان لا يتم إلا على أساسه قد
جاءت به السنة الصحيحة ففي حديث جبريل الذي تقدم جاء فيه :
« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فجبريل عليه
السلام سأل عن الإحسان قائلاً أخبرني عن الإحسان فأجابه النبي ﷺ
« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . فكان
السؤال عن الإحسان وكان الجواب عما يتم به الإحسان إذ هو المهم .
فأخبره أن الإحسان الذي هو تحسين الأقوال والأعمال والنيات والإرادات
وإصلاحها لتكون متميزة نافعة يكون بالوقوف بإحدى مرتبتين أعلاهما أن
يعمل المرء بقلبه أو لسانه أو جوارحه كأنه يرى الله تعالى وإدناهما أن يعمل
العبد بما يعمل بقلبه أو لسانه أو جوارحه وكأنه ينظر إليه الله تعالى ومن عمل
بهذا الشعور من نظر الله تعالى إليه أو نظر العبد إلى الرب جاءت نياته
وأقواله وأعماله صالحة خالية من كل نقص يفسدها أو يخل بها . وبذلك
تركز نفسه وتطهر روحه ومتى زكت نفس العبد وطهرت روحه أحبه الله
تعالى لأن الله يحب المطهرين كما يحب المحسنين .

الوصية العاشرة : السلام .

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
وبعد : فإن الوصية بالسلام قد تبدولك - أخى الحاج - أنها وصية شىء
غير ذى جدوى أو شىء لا يستلزم التوصية ، لأن الوصية عادة تكون
بالأمور التى يتطلب القيام بها جهداً ممن يقوم بها وينفذها . أما السلام
فليس مما يكلف صاحبه مشقة فيحتاج إلى التوصية به مساعدة له على القيام
به . هذا الذى يبدو لأول وهلة غير أن الحقيقة خلاف ذلك وهى أن
السلام لذو شأن وخطر كبير وحسبه أن يكون مفتاح دار السلام وتحية أهل
الإسلام ونصف نعيم دار السلام وهاك بيان ذلك .

أخرج مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده
لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شىء إذا
فعلتموه تحاببتم . . افشوا السلام بينكم » .

فانظر كيف علق ﷺ دخول الجنة وهى دار السعادة الحقيقية على الإيـمان
ثم علق حصول الإيـمان المتجى من النار والموجب للجنة على التحابب بين
المؤمنين ، وعلق حصول التحابب على إفشاء السلام ، لأن المراد من
الإيـمان ما كان تصديقاً بالقلب وقولاً باللسان وعملاً بالأركان وهذا لا يتم
إلا بالتعاون بين المؤمنين من طريق التواصى بالحق والتواصى بالصبر أو
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا التعاون لا يأتى إلا مع حب
المؤمن للمؤمن ، أما مع التباغض والتعادى فهيهات هيهات أن يكون أمر
بمعروف أو نهى عن منكر ، والطريق إلى تحصيل الحب هو إفشاء السلام
فمتى أفشت الجماعة المؤمنة السلام بينها كان التحابب وإذا حصل التحابب
حصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومتى حصل الأمر بالمعروف
والنهى عن المنكر ثبت الإيـمان وصح وكان إيـماناً منجياً مسعداً وبهذا كان

السلام مفتاح السعادة أما كون السلام تحية أهل الإسلام فإن الله تعالى أمر به في قوله « وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم » وقال « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » فأوجب رد السلام على من سلم وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « افشوا السلام بينكم » وفي قوله « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير » وقال في بيان أفضل الأعمال : « وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ولهذا كان السلام الموصى به تحية أهل الإسلام .

وأما كونه نصف نعيم دار السلام فلأن النعيم في الجنة نوعان : جثمانى ، وروحانى فالنعيم الجثمانى هو لذيق المطاعم والمشارب ، وفاخر الملابس ورفيع الأسرة والتمتع بالعرب الأتراب والنعيم الروحانى هو بعد النظر إلى وجه الله الكريم تحية الله والملائكة عليهم قال تعالى « سلام قولا من رب رحيم » وقال « تحيتهم فيها سلام » . وبهذا كان السلام نصف نعيم دار السلام .

أخى الحاج قد عرفت عظم شأن السلام الذى أوصيك به فالتزم به فسلم على من عرفت وعلى من لم تعرف فما قابلتك أحد من المسلمين الا بادرته بالسلام وإذا بادرك أحد بالسلام فرد عليه بأحسن ماسلم به عليك أى بزيادة ورحمة الله وبركاته لقوله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

أخى الحاج افش السلام فإن السلام يورث الحب ويورث التعاون ، وبالتعاون يتحقق الايمان المورث لدار السلام .

وأخيرا أزودك ببعض الأحكام والفوائد المتعلقة بالسلام الذى هو آخر وصاياى اليك فى موسم هذه السنة المباركة حيث قدر لنا اللقاء معك .

١ - البدء بالسلام سنة والرد واجب .

٢ - يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد والقليل على الكثير .

- ٣ - السلام سنة كفائية والرد واجب كفائي بمعنى أنه إذا سلم أحد من جماعة أجزأ عنهم إذا رد واحد من جماعة كفاهم ذلك .
- ٤ - يستحب السلام على الأطفال إذا كان النبي ﷺ يسلم على الأطفال .
- ٥ - لا يسلم على المرأة الأجنبية إلا إذا كانت متجلاة أى قاعد عن الحيض والنفاس لكبر سنها . وذلك خشية الفتنة .
- ٦ - يسلم الإمام إذا أخرج على الناس قبل أن يجلس على المنبر .
- ٧ - تسلم على أهل بيتك إذا دخلت عليهم .
- ٨ - قل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين إذا لم يكن بالبيت أحد .
- ٩ - أجر كلمة « السلام عليكم » عشر حسنات وكذا « ورحمة الله وبركاته » على كل جملة عشر حسنات فالمجموع ثلاثون حسنة فلذا كان ابن عمر رضى الله عنهما يخرج السوق ولا يشتري شيئاً فيقول له مولاه لم تخرج الى السوق وتعود ولا تشتري شيئاً فيقول له إنما نخرج لنسلم على الناس .
- ١٠ - سلم على الرسول ﷺ عند دخولك المسجد بأن تقول بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وكذا عند خروجك الا انك تقول وافتح لى ابواب فضلك بدل رحمتك هذا ولا تنس من قدم لك هذه الوصايا العشر بترحمك عليه واستغفارك له فإنك ترحم ويغفر لك والسلام .

فهرست عشر وصايا

قدمت لوفود الحجاج

الموضوع	الصفحة
الوصية الأولى : العبادة	٣
الوصية الثانية : الإخلاص	٦
الوصية الثالثة : العلم	١٠
الوصية الرابعة : التفكير	١٣
الوصية الخامسة : الحلم	١٧
الوصية السادسة : التواضع	٢٠
الوصية السابعة : الصدق	٢٤
الوصية الثامنة : العدل	٢٨
الوصية التاسعة : الإحسان	٣١
الوصية العاشرة : السلام	٣٤

الرسالة الثانية عشر
السنة الوحى الثانى
محاضرة القيت بمنى على وفود بيت الله الحجاج

المحمودُ الله جل جلاله ، والمصلّى والمسلم عليه محمد عبده ورسوله ، والمرضى عنهم صحابته وآله .

وبعد - أيها الإخوة المسلمون - أحييكم بأطيب تحية فأسلم عليكم وأهنيكم بمقامكم هذا - وأحمد الله تعالى اليكم على ما أنعم به عليكم من نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . هذا

وأقول معتذراً إليكم في أن أحاضرکم في موضوع كهذا : وهو السنة الوحى الثانى ، إذ ما كان يخطر ببال أحدنا أنه سيكون بين المسلمين من يذكر السنة النبوية بغير الاحترام والإجلال والإكبار .

وإذا بنا نفاجأ اليوم بنابذة سوء حديثه الأسنان ، سفيهة الأحلام رقية الدين ، قليلة الإيمان والإسلام ، عديمة الحياء والإحسان ترفع عقيرتها ، وبأعلى صوتها بالطعن في السنة ، والتجافى عنها ، والتطاول على مقامها قالم ذلك المصلحين ، وتوجعوا ، ولم يجدوا بداً من تجلية الموقف أمام أمة الإسلام ؛ لتحذر الطاعنين في دينها والمشككين في سبيلها الذى هو سبيل المؤمنين .

ونلعن كل من أرادها بسوء أو أحدث فيها فتنة عمياء كهذه وهى الطعن في السنة والتطاول على الكتاب ومن نزل عليه الكتاب .

أيها المسلمون : إن السنة معناها :

أقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تلك الأقوال التى تحمل الأمر والنهى والترغيب بالوعد الصادق ، والترهيب بالوعيد الشديد كما تحمل

التقنين والتشريع لكل ما يتوقف عليه إكمال المسلمين وسعادتهم في الحياتين الدنيا والآخرة .

وأفعاله صلى الله عليه وسلم التي هي مظاهر دين الله تعالى ، والتي لا يستثنى منها إلا ما كان جبلياً . أما ما عدا الأفعال الجبلية فلإنها شرع الله تعالى المتضمن محابه تعالى ومكارهه . فكل فعل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم تديناً وتعبداً مما قل ، أو أكثر هو السنة وإن لم يأمر بفعله بلسانه .

وتقريره : صلى الله عليه وسلم لكل ما قيل أمامه . أو فعل بين يديه ، أو بلغه من أحد أو عن أحد من أصحابه فسكت عنه وأقره بأن لم يرد به عبارة ، أو بإشارة فتلك من السنة النبوية ، وهذه مناشئها أقوال النبي وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وسلم .

وبهذه السنة - أيها المسلمون - تثبت العقائد وتتقرر الأحكام ، فكم من معتقد ثبت بالسنة فأقره الكتاب وكم من واجب أو حرام جاءت به السنة ولم ينفعه الكتاب . فمن جاءنا يهون من شأن السنة أو يقلل من أثرها في حياتنا فلنعلم أنه يريد إغواءنا وإضلالنا فلتنبأ منه ونهجره . ومن سمعتموه أيها المسلمون يطعن في السنة فاعلموا أنه يطعن أيضاً في الكتاب ، ومن طعن في السنة والكتاب وجب لعنه وتعين رجه فإنه من الكافرين .

أيها المسلمون إن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه دين تعبدنا الله تعالى به قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ . وقال عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وواعد بعظيم الثواب على طاعته ، وأليم العذاب على معصيته قال جل جلاله : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » . وقال : « ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً » . فإذا طرحنا السنة وأسقطناها فقولوا لى :

كيف نطيع الرسول ، وفي أى شىء نطيعه وقد أعلمنا ربنا تعالى أن في طاعته وطاعة رسوله السعادة والنجاة وفي معصيته ومعصية رسوله الشقاء والهلاك ؟؟؟

إن من أحمل المحال وأشدّه أن يطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بغير سنته المتضمنة للعقائد والآداب والأخلاق والعبادات والمعاملات .

فسبحان الله . ماذا يريد منا دعاة الفتنة وهم المشككون في صحة السنة وحجيتها ، والطاعنون في حفظتها ، وكمال عُعاتها كأبى هريرة من الأصحاب والبخارى من الأنجاء .

أريدون منا أن نفرق بين الله ورسوله فنؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، فيصدق علينا ما نعه ربنا تعالى على غيرنا في قوله : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ .

إن التفرقة بين الكتاب والسنة - أيها المسلمون - هي عين التفرقة بين الله ورسوله وأن الطعن في الكتاب بدعوى أن هناك كلمات لا حاجة إليها كما قال بعضهم في كلمة « قل » في مثل ﴿ قل هو الله ﴾ ﴿ وقل يا أيها الناس ﴾ ، لا معنى لها اليوم ولا حاجة إلى قراءتها ضمن خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ هذا الطعن في الكتاب كالطعن في السنة بدعوى عدم صحتها وتناقضها كلاهما كفر بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن قبول بعض الأحكام الشرعية لموافقتها المصلحة الشخصية ولما في النفس من هوى ، وترك البعض لمعارضته للهوى النفسى أو لعدم وجود مصلحة شخصية تطلب من ورائه هو نفس الإيمان بالبعض والكفر بالبعض ، واتخاذ سبيل جائزة غير سبيل المؤمنين . والله تعالى يقول : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ .

أيها الإخوة المسلمون : إن السنة وحى كالكتاب واسمعوا قول الرسول ﷺ في ذلك ، روى أبو داود في سننه عن المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذى ناب من السبع ولا لقطة مُعَاهِدٍ إلا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرؤوه ، فإن لم يقرؤوه فله أن يعقبهم بمثل قرأه » .

والشاهد من هذا الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » فإن المراد من قوله ومثله معه السنة النبوية فأثبت ﷺ وحيا له غير القرآن الكريم وهو السنة فلذا كان هذا الحديث دليلاً قاطعاً ونصاً صريحاً في أن السنة الصحيحة وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته متلقة بالوحى تلقاها النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه كما تلقى القرآن الكريم سواء بسواء فمن أراد أن يفرق بين الكتاب والسنة فيما يَحْمِلَانِ من الشرع والهدى إنما أراد أن يفرق بين الله ورسوله ؛ ليتخذ بين ذلك سبيلاً للشر والفساد والغواية والإضلال .

أيها المسلمون اسمعوا الرسول ﷺ وهو يهدد الذين يرفضون العمل بالسنة ويندد بمسلكهم الشائن المنحرف فيقول : « لا ألفين أحدكم متكثراً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه » . ومفهوم قوله هذا إن مالم يجده في الكتاب وإن صحت به السنة لا يلتزم به ولا يتبعه ، وهو عين الكفر والضلال الذى هدد المصطفى ﷺ صاحبها بقوله « لا ألفين » إن مفهوم الكلام أن من وجده كذلك سوف يتخذ حياله ما يلزم من الجزاء والعقاب .

وهل يُصدق امرؤ يزعم العمل بالكتاب دون السنة أنه يعمل بالكتاب صدقاً وحقاً ، لا ، والله ، إنه ما حملهم على ترك العمل بالسنة إلا إرادة ترك العمل بالكتاب . إن مثلهم كمثل من تطلب منه صدقة والمال بين يديه فيقول هذا مال يتامى . . وإلا فهل العمل بالسنة غير العمل بالكتاب ، والله تعالى يقول : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .

هذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يلقي رجلاً محرماً وعليه ثيابه فيقول له : انزع عنك هذا : فيقول الرجل أقرأ على بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ فقال عبد الله رضى الله عنه : نعم ، ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وحَدَّث مرة رضى الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الواشيات والمتوشيات والمنتمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها : أم يعقوب . فجاءت ابن مسعود وقالت : بلغنى أنك تلعن كيت وكيت ، فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله . فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول . فقال : لئن كنت قرأته لقد وجدته . أما قرأت : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) . قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

إن هذه الآية أيها المسلمون وإن نزلت في قسمة الغنائم . فإن جميع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ونواهيه داخله فيها ، بهذا قال أولو العلم ، وحسبنا استدلال ابن مسعود صاحب رسول الله ﷺ بها على من أنكرت عليه لعن الواشيات والمستوشيات .

بل استدلال الرسول ﷺ نفسه بها على وجوب اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، فقد روى عن الحكم بن عمير وكانت له صحبة أن النبي ﷺ قال : « إن هذا القرآن صعب مستصعب عسير على من تركه ، يسير على من اتبعه وطلبه ، وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القرآن ، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا

والآخرة . وأمرتم أن تأخذوا بقولي ، وتكتنفوا أمرى وتتبعوا سنتى ، فمن رضى بقولى ، فقد رضى بالقرآن ، ومن استهزأ بقولى فقد استهزأ بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

وتأكيداً لهذه الحقيقة وتقريراً لها ، وهى أن السنة مع الكتاب والكتاب مع السنة لا يفترقان أبداً نورد على أسماع الإخوة المسلمين ما حدث به الفريابى إذ قال سمعت الشافعى رحمه الله يقول : سلونى عما شئتم أخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له : ما تقول أصلحك الله - فى المحرم يقتل الزنور ؟ قال : فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ . وقال : حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربيع بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر » . وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر ابن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر بقتل الزنور . قال القرطبى رحمه الله ، وقد أورد هذا فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ من سورة الحشر قال : قال علمائنا هذا جواب فى غاية الحسن ؛ أفتى بجواز قتل الزنور فى الإحرام ، وبين أنه يقتدى فيه بعمر رضى الله عنه وأن النبى ﷺ أمر بالاعتداء به ، وأن الله تعالى أمر بقبول ما يقوله الرسول ﷺ فجواز قتل الزنور فى الإحرام مستنبط من الكتاب والسنة .

وإن من أبسط الأدلة : أيها المسلمون - على ضلال بل وكفر من يترك العمل بالسنة مستغنيا عنها فى زعمه بالكتاب الكريم أن يقال إن الله تعالى قد أمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى فى غير ما آية : ﴿ اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ .

فهل فى القرآن الكريم بيان شروط صحة الصلاة ، وبيان كيفية أدائها وعدد ركعاتها ، وهل فى القرآن بيان مواقيت إخراج الزكاة وبيان أنصبتها

ومقادير ما يخرج من الأموال . وهذا مجرد مثال ، وإلا فكل العبادات وسائر الشرائع الإلهية متوقفة على بيان السنة النبوية لها . فسيحان الله ! كيف يعبد الله امرؤ عبادة تصح له وتقبل منه ، وهو يطعن في السنة أو يرفض العمل بها ؟

اللهم إن هذا عجب عجاب ، وأمر مستغرب ومستراب . إن كل عبادة مهما قلت مفتقرة في بيانها إلى سنة رسول الله ﷺ القولية أو الفعلية . فكيف يصح الاستغناء عن السنة بالكتاب ؟ وهذا يظهر جلياً ولا مجال للشك فيه أن من يطعن في السنة أو يرى عدم العمل بها ، أو إسقاط الاحتجاج بها يعتبر زنديقاً مارقاً من الدين كافراً بالإسلام لا أخوة له ولا ولاية بين المسلمين ..

هذا وإتماماً للفائدة المقصودة من هذه المحاضرة أعود بالإخوة المستمعين إلى عنوان المحاضرة - السنة الوحي الثاني - فأشرح لهم معنى الوحي ووجه كون السنة منه وفي المرتبة الثانية له فأقول : إن الوحي لغة هو الإعلام السريع الخفى الخاص بمن يوجه إليه دون غيره فيفهمه من الموحى به دون سواه ممن لا يراد إعلامهم . ويكون بالإشارة ببعض الجوارح كالعين أو اليد مثلاً ، ومنه قول الله تعالى عن عبده ورسوله زكريا «فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا» فإن زكريا عليه السلام لما طلب الآية على حمل امرأته بيحيى وكانت عاقراً لا تلد ، وزكريا قد بلغ من الكبر عتياً أى سناً لا ينجب من في مثلها أعطى على ذلك آية أى علامة وهى عدم قدرته على الكلام لمدة ثلاثة أيام فلا يتكلم إلا بالرمز والإشارة قال تعالى في الحديث عنه : ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً ﴾ . و ﴿ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴿ والشاهد في قوله ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أى أشار إليهم أمراً إياهم بتسبيح الله

تعالى بكرة وعشيا .

وقد يكون الوحي بالإلهام الغريزي كما في قوله تعالى ﴿ واوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ، ومن الشجر وما يعرشون ﴾ الآية .
فإيحاء الله تعالى إلى النحل إلهامه إياه هذا السلوك المعين لفائدة الإنسان ليذكر الله تعالى ويشكره .

ويكون الوحي بالإلقاء في روع الإنسان من الخاطر الصادق الذى يجزم معه أنه الحق فيعمل بمقتضاه كما كان لأم موسى عليه السلام ، فقد ألقى في روعها أن ترضع ولدها فإذا خافت عليه ألقته في اليم . ففعلت بمقتضى هذا الإيحاء كما أدركته وأنه الحق من الله تعالى .

ومن هذا النوع من الوحي ما يلقيه شيطان الجن إلى وليه من الإنس كما قال تعالى : ﴿ شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾ ، وقال : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ . . .

ومما أوحى به شياطين الجن قولهم لمشركى قريش : قولوا لمحمد والمؤمنين : كيف تحرمون الميتة التى قتلها الله ، وتحلون ما تقتلونه أنتم بأيديكم . هكذا أوحى شياطين الجن إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوا المؤمنين .

هذا هو مدلول كلمة الوحي في عرف اللغة أما وحي الله تعالى ، وهو ما يوحي به إلى من يصطفى من الناس كالأنبياء والمرسلين من سائر الشرائع والأحكام ، وأنباء الغيب فطره التى يتم بها نزوله حسبما ذكر الله تعالى في كتابه من سورة الشورى ثلاث طرق لا رابع لها وهى :

١ - الوحي بمعنى الإيحاء المصدر لا الوحي بمعنى المفعول أى الموحى به : وهو أن يلقى الملك في قلب النبى وروعه ما يشاء الله تعالى من أمر أو نهى أو خبر غيب أو شهادة ، ويشهد لهذا الطريق من الوحي قوله تعالى ، ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾ * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون

من المنذرين ﴿ وحديث البخارى وفيه : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت » وحديث ابن حبان : « إن روح القدس نفث فى روعى إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته » .

٢ - والطريق الثانى من طرق الوحي الإلهى أن يكلم الله تعالى الرسول من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات العلية ، كمن يسمع متكلماً وراء جدار ونحوه ، فإنه يسمع كلامه ولا يرى ذاته . وقد تم هذا التكليم الإلهى من وراء حجاب لاثنتين من أولى العزم من الرسل ، وهما موسى عليه السلام وتم له ذلك بجانب الطور من سينا كما قال تعالى ﴿ فلما أتاه نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يأموسى إنى أنا الله رب العالمين ﴾ ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتم له هذا التكليم فى الملكوت الأعلى ليلة الإسراء والمعراج فقد قربه ربه تعالى وأذناه حتى بلغ مستوى سمع فيه صرير الأقلام ، وثم كلمه ربه وفرض عليه الصلوات الخمس فكان يسمع كلام ربه ولا يرى ذاته المقدسة . ولما سئل ﷺ عن رؤيته لربه قال : نور أنى أراه .

٣ - والثالث : أن ينزل الملك الموكل بالوحي متمثلاً فى صورة رجل من بنى آدم كما كان جبريل عليه السلام يأتى رسول الله ﷺ أحيانا فى صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان رجلاً وسيماً حسن الطلعة جميل المنظر كامل الخلق والخلق فيتمثل جبريل به فيأتى فى صورته فيراه الحاضرون ولا يعرفون أنه جبريل حتى إذا انصرف وغاب عنهم أعلمهم رسول الله ﷺ أنه جبريل كما جاء ذلك فى حديث مسلم وفيه « سأل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعن الساعة وأماراتها . . . ولما انصرف وطلبوه فلم يعثروا عليه أخبرهم النبى ﷺ أنه جبريل أتاهم يعلمهم أمر دينهم » . وهذا الطريق من طرق الوحي الثلاثة أيسرها على النبى ﷺ ؛ إذ لا يجد

فيه آية صعوبة في الفهم عن الملك وهو في صورة بشر وإنما يعاني شدة فيما إذا كان الملك في صورته الملائكية الروحانية ؛ لأن سنة الله تعالى في التفاهم أن يكون المتخاطبان متجانسين كإنسان مع إنسان أو حيوان مع حيوان من جنسه . أما إذا اختلف الجنسان فيتعذر التفاهم بينهما .

ومن هنا كان النبي ﷺ إذا أتاه الملك في صورته الروحانية يعاني شدة حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في الليلة الباردة ؛ لأنه يكاد ينسلخ من بشريته ليكون روحانياً محضاً حتى يصل له الفهم والتلقى عن الروحاني من الملائكة وقد أكدت هذه الحقيقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ قالت : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً » وفسرها ابن خلدون بقوله : إنها حالة انسلاخ من البشرية الجسدية واتصال بالملكية الروحانية .

وهذه الطرق الثلاثة التي عرضنا لها أيها الإخوة المستمعون جاءت في قول الله تعالى من سورة الشورى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء انه عليم حكيم ﴾ .

ومن هنا أجمع المسلمون أن من السنة ما هو وحي بالأصالة ينزل بأحد الطرق الثلاثة التي ذكر تعالى في آية الشورى ومن ذلك قوله ﷺ في رواية ابن حبان : « إن روح القدس نفث في روعي » الحديث وهو شاهد للطريق الأول ، وشاهد الثاني تكليم الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في الملكوت الأعلى ، وفرض الصلوات الخمس عليه وعلى أمته . وشاهد الثالث رواية البخاري وفيها أنه ﷺ لما خرج حاجاً من المدينة . أنه لما كان بوادي العقيق نزل عليه جبريل وقال له : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول لك إنك بالوادي المبارك فقل عمرة في حجة » .

ومن السنة ما هو من الوحي وهو الفهم يفهمه رسول الله ﷺ من كتاب ربه تعالى وذلك كسائر أقضيته ﷺ في الأموال والدماء والحدود ، كما قال

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وقرره ولهذا تقرر عند أهل السنة والجماعة أن كل ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه عز وجل يستحيل فيه الكذب أو النقص أو الزيادة ، كما يستحيل فيه التناقض أو التدافع والتضارب ، وأن الإيمان به واجب ، والعمل به لازم . كما أن رده فسق ، وإنكاره والتكذيب به كفر .

أما ما كان عن اجتهاد من رسول الله ﷺ في شئون السياسة والمال والاقتصاد أو الحرب والسلم ، فإن ما كان منه موافقاً لرضى الله تعالى حاملاً لهداية الخلق وإصلاحهم أقره الله تعالى عليه ، ويصبح بذلك شرعاً وديننا يجب العمل به ويحرم تركه والإعراض عنه . وما كان غير موافق لرضا الله فلا هو يحمل هدى ولا إصلاحاً للناس ، فإن الوحي ينزل بإبطاله ، وعدم إقرار الرسول عليه ، فلذا لم يقر الله تعالى رسوله ﷺ على غير صواب قط وهذا وإن كان نادر الوجود جداً فإن النبي ﷺ قد نبه عليه في قضية عدم تأبير النخل بقوله : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . فقد روى مسلم ابن الحجاج في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلحقون فقال : لو لم تفعلوا لصلح . قال فخرج شيصاً فمر بهم ، فقال ما لنخلكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم » وروى أيضاً عن رافع بن خديج قال « قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون : يلحقون النخل ، فقال : ما تصنعون ؟ قالوا كنا نصنعه قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً ، فتركوه فنفضت أو فنقصت . قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنها أنا بشر » كما روى عن أبي طلحة رضى الله عنه حديثاً كهذين وفيه : « ولكن إذا حدثكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله عز وجل » .

وخلاصة القول أن ما أمر به الرسول ﷺ أو نهى عنه من أمر الدين والشرع فهو دين وشرع يجب الإيمان به والعمل بما يدل عليه ، لأنه قول

على الله تعالى والرسول لن يقول على الله غير الحق . وما كان من الدنيا ومصالحها المحضة فأهل الدنيا الممارسون لسنن الله تعالى فيها هم المرجع في ذلك وليس الرسول ﷺ .

وما أظن أيها المستمعون أن هذا الاستطراد يضر بموضوع حديثنا في تقرير أن السنة هي الوحي الثاني ؛ إذا المراد من السنة ما علمتم : وهي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته المتعلقة بالشرع والدين ، التي يكون فيها الرسول ﷺ مبلغاً عن الله تعالى . هذه السنة التي هي الوحي الثاني . وقلنا فيها الوحي الثاني غير ضار بها ولا حاط من مكانتها ؛ لأن المراد بالوحي الأول هو القرآن . والقرآن أولاً قطعاً فقد كان الله ولا شيء معه ووجود الرسول ﷺ وعلمه وحكمته من عطايا الله عز وجل وهباته . فلا غرابة أن تكون السنة ثانية والقرآن أولاً وحتى في باب الاستدلال والاحتجاج يراعى هذا الترتيب وحديث معاذ في السنن شاهد هذا ودال عليه

فقد سأل النبي ﷺ معاذاً لما أراد أن يبعثه إلى اليمن والياً وقاضياً فقال : « بم تحكم يامعاذ ؟ فقال : بكتاب الله تعالى ، قال : فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله ﷺ ، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ؟ قال أجتهد رأيي ولو آلو . قال فضرب على صدرى وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » .

هذا وقد يكون من مقتضيات تقديم الكتاب الكريم على السنة الشريفة عند طلب الحكم أن القرآن الكريم يحفظه المرء (على ظهر قلب ويحيط به علماً ، أما السنة فكثيرة وحفاظها قليل ، ومن حفظ منها شيئاً غابت عنه منها أشياء لأنها كالشرح للكتاب والشرح أوسع من المتن ويحفظ المتن ولا يحفظ الشرح إلا نادراً كما هو معلوم لدى أولى العلم فالقاضى إذا عُرِضَ عليه المسألة أول ما ينظر فيه الكتاب فيستعرض بسرعة ذهنه القرآن من أوله

إلى آخره فإن وجد نص الحكم حكم به ، وإلا طلب الحكم من السنة . وهذا أمر يكاد يكون بدهياً . والمقصود من هذا أن كون السنة الوحي الثاني غير نازل بها عن سمو مكانتها ، ولا هابط بها عن درجتها العظيمة التي وضعها الله تعالى فيها بقوله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . « فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

وختاماً أنه أيها الأخوة المسلمون إلى أن السنة التي هي الوحي الثاني تلقياً وقبولاً واحتراماً وقداسة هي ما كانت صحيحة السند إلى رسول الله ﷺ ؛ إذ ما كل ما نسب إلى الرسول ﷺ من قول أو عمل أو تقرير قد صحت نسبته إليه ﷺ .

فالحديث إذا كان موضوعاً أو منكراً وجب إسقاطه وتعريضه من النسبة إلى الرسول ﷺ وحُرم العمل به بل روايته والتحديث به إلا للإعلان عن بطلانه والتحذير من الاغترار به أما ما كان من السنة ضعيف النسبة إلى النبي ﷺ غير ثابتها بقطع وإنما باحتمال قوى أو ضعيف فإن رأى فيه وهو رأى خاص بى لا أحمل عليه أحداً ولا أدعو إليه أحداً أيضاً فهو أن ينظر فيه من جهة دلالة ومعناه بعد النظر فيه من جهة سنده والفاظه فإن وجد أنه يعارض نصاً صريحاً من كتاب أو سنة صحيحة وجب تركه وحُرم العمل به واعتباره باطلاً غير صحيح وإن وجد غير معارض لكتاب ولا لسنة ولا إجماع الأمة وكان يدعو إلى الإيمان أو تقويته أو إلى البر والتقوى ولزومهما فإن رأى فيه اعتباره والانتفاع به وعدم إهداره أو إهماله ووجهة نظري هذه مستندها ما يلي :

١ - إحتمال صحة نسبته إلى النبي ﷺ وهو احتمال في الأحاديث الضعيفة غير المنكرة والباطلة لا يقل عن نسبة خمسين في المائة إذ لا يستطيع محدث أن يحلف بالله تعالى على حديث ضعيف أن الرسول ﷺ لم يقله أو لم يقره

٢ - قول كثير من أهل العلم بجواز العمل بالحديث الضعيف في

فضائل الأعمال . وهو قول راجح عند الأكثر .

٣ - قياسه على أحاديث بنى إسرائيل وقد جاء الإذن بالتحديث بها وهي محتملة وليست قطعية فيما تروى فيه لما صح عنه ﷺ من قوله : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج » . مع قوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقا لم تكذبوهم وأن كان باطلا لم تصدقوهم » .

والمراد من هذا جواز رواية بنى إسرائيل وهي لا تخلو من أن تكون موافقة لما عندنا أو مخالفة أو لم تخالف ولم توافق فإن كانت مخالفة حرم القول بها وإن كانت موافقة فالعمل بها عندنا لا بها وأن لم تخالف ولم توافق فهذه التى تروى للاعتبار وهذا القدر هو الذى استشهدت به على جواز الاعتبار بالحديث النبوى الضعيف .

هذا هو رأى فى هذه المسألة كما سمعتموه وقد لا يقبله أكثر المتسبين إلى العلم بالسنة ولا تثريب عليهم فى عدم قبوله .

والى جانب هذا الرأى رأى لى آخر غير أنى أدعو إليه وأحث عليه بخلاف الرأى الأول . وهذا الرأى هو أن على طلبة العلم اليوم إذا عثر أحدهم على سنة من السنن النبوية فى مصادرهما المحترمة كالصحيح والسنن والمسانيد والمصنفات ولم ير المسلمين يعملون بها سلفهم وخلفهم سواء أن عليه أن لا يعمل بها ولا يدعو المسلمين إلى العمل بها حتى يتصل بعلماء الإسلام فى الشرق والغرب ويروىها لهم ذاكراً مصدرها مبيناً سندها طالباً بيان الحكم بها ويتلقى الإجابات ولمدة لا تقل عن ثلاث سنوات فإن قدر حقاً أن المسلمين نسوا هذه السنة أو جهلوا فلم يعملوا بها ووافقه عامة علماء المسلمين على العمل بها والدعوة إليها عمل بها ودعاً إلى العمل بها وجزاه الله خيراً وإلا فلا . . إبقاء على سلامة صدور المسلمين من الشك فى دينهم وسلفهم الصالح مع المحافظة على وحدة المسلمين أو على الأقل

عدم زيادة فرقتها واختلافها في دينها وهي تعاني مرَّ العذاب من الفرقة والخلاف .

ورأى ثالث لى ولا أدعو إليه ولا ألوم من لا يأخذه وهو أنى التزمت في هذه الآونة الأخيرة أن لا أحمل مسلماً على عزيمة ما دمت أجد له رخصة في دين الله تعالى وذلك لما أراه وألمسه من ضعف المسلمين وبعدهم عن هداية ربهم إلا من قل منهم ولا أعنى بالرخصة ما أنتحله أو أجهد رأى في استنباطه واستخراجه من نصوص الكتاب والسنة وإنما أعنى بالرخصة الرخصة الشرعية الثابتة بأحد الدليلين وقال بها علماء الإسلام وعملوا بها ولو بقلّة وعلى سبيل المثال يمنى خرج من اليمن يريد الحج فأحرم من يللمم ميقات أهله بعمره فقضاها ثم سافر إلى زيارة المسجد النبوى فزار ثم أراد أن يحرم بالحج من ذى الحليفة ميقات أهل المدينة النبوية فسألنى قائلاً فهل أنا متمتع وعلى هدى التمتع ؟ أو انقطع تمتعى بالسفر إلى المدينة ؟ فنظراً إلى الخلاف في هذه المسألة وهو خلاف بلغت الآراء فيه أربعة آراء وأمثلها رأى من قال : إذا سافر المتمتع سافراً تقصر فيه الصلاة انقطع تمتعه وأصبح حكمه حكم الحاج المفرد ولا هدى عليه وما دمت أعلم أن التمتع الذى لا يختلف فيه هو الذى يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويقيم بمكة حتى يحج من عامه وأن من قال ببقاء التمتع وحكمه ولو مع السفر لا حجة قوية معه ورأيت من يخالف هذا رأى من علماء السلف والخلف .

فإنى لا أحمله على عزيمة الهدى ولكن على تركه لأنه أيسر له وأخف عليه وشأن الرخصة التيسير والتخفيف هذا مجرد مثال والله المستعان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرسالة الثالثة عشر
حرمة الابتداع في الدين
وكل بدعة ضلالة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحابه أجمعين . وبعد : فإن الكلام على الابتداع والبدعة مما ينبغي الاهتمام به ، وتفهمه ، ووعيه ، وتبليغه أيضا .

وذلك لضرر الابتداع في الدين ، وخطورة البدعة ، بين المسلمين . وإن مما يساعد على إدراك ضرر الابتداع ، وخطورة البدعة فهم الحقائق الثلاث التالية :

الاولى : أن العقل الإنساني لا يستقل بمعرفة الحسن والقبح ، ولا بمعرفة ما يضر أو ينفع من سائر الأمور والأشياء ، وذلك لقصوره ، وعدم قدرته من جهة ، ولما ينازعه من هوى ، ويدافعه من غرائز وشهوات من جهة أخرى . . .

ومن هنا كان لابد لمعرفة المضار والمنافع ، والمحسن والقباح ، والمفاسد والمصالح من الوحي الإلهي المنزه عن القصور والإغفال ، والجهل والنسيان .

إن العقل لقصوره ، وجهل صاحبه ، وظلمه ، ولما يحوطه من مؤثرات النفس والهوى ، لا بد له من نور الوحي الإلهي ليصير به الحقائق ، ويعرف الأشياء نافعها وضارها صالحها وفاسدها ، حسننها وقبيحها .

إن العقل الإنساني بمثابة العين المبصرة إن كان هناك ضوء أو نور أبصرت الأشياء بحسب قوتها وضعفها وإن لم يكن هناك ضوء ولا نور تعذر عليها أن ترى أو تبصر كما هو معلوم لكل الناس ومشاهد بينهم .

فالعقل البشري كذلك إن كان هناك وحي الهى من كتاب أو سنة أدرك الأشياء على حقيقتها ، وأبصر الأمور كما هى ، فعرف مضارها ومنافعها ، وصالحها وفاسدها ، وحسنها وقبيحها . وإذا انضاف الى ذلك العلم والإيمان كثر صواب صاحبه ، وقل خطؤه ، وأصبح يعيش على نور من ربه . بخلاف العقل الذى يحرم صاحبه نور الوحي الإلهي فلا ينظر فى كتاب ولا سنة ، ولا يتقيد بأمر ولا نهى فيها فان خطأه أكثر من صوابه ، وكيف ؟ وهو يعيش فى ظلمة الجهل والهوى فلا يخرج من ظلمة إلا إلى ظلمة أخرى ، ومن هنا فأتى لصاحبه أن يشرع أو يقنن ، أو يهدى الى صراط مستقيم ؟

والثانية : أن الله تعالى قد أكمل لهذه الأمة المسلمة دينها الذى هو مصدر سعادتها وكمالها ، ولم يحوجها الى طلب زيادة فيه بحال من الاحوال ، إذ قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، وما قبض نبيها محمد ﷺ حتى دلّها على كل خير يمكنها أن تحصل عليه ، وحذرّها من كل شر يمكن أن يقع لها ، أو تقع فيه .

وهذا ابو هريرة رضى الله عنه يصرح بهذه الحقيقة فيقول : (١) علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة .

وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة وعالم المدينة رحمه الله تعالى يؤكد بها بقوله : ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ديناً لم يكن اليوم ديناً . ويقول : من ابتدع في الإسلام بدعة فراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة ، وذلك لأن الله تعالى قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

الثالثة : أن شرع الله تعالى الموضوع لإكمال الإنسان وإسعاده قد وضعه الله تعالى وضع السنن التي لا تختلف نتائجها التي وضعت لها ومن أجلها فكما أن النار تحرق ، والحديد يقطع ، والطعام يشبع ، والماء يروى فكذلك ما شرعه الله تعالى من عبادات قلبية ، أو قولية ، أو فعلية إذا أداها المؤمن على الوجه المطلوب لأدائها فإنها لا تتخلف نتائجها من تزكية النفس وتهذيب الخلق ، وإصلاح الروح ، بخلاف ما يضعه الإنسان من قوانين ، أو يبتدعه من بدع فإنه لا ينتج ما وضع له . فما كان من بدعة دينية أريد بها تهذيب الخلق ، وتزكية النفس وإصلاح الروح فإنها لا تثمر شيئاً من ذلك بحال ، وما كان من قانون وضع لحفظ ضروريات الإنسان من جسم وعقل وعرض ومال ودين فإنه لا يمكن أن يتحقق شيء من ذلك إلا ما قل ونذر . وواقع الناس يشهد ، فإن البدع الدينية ما زادت أصحابها إلا خبثاً في أرواحهم ، وظلمة في نفوسهم ، وسوءاً في أخلاقهم . كما أن ما وضع من قوانين لحفظ الأموال والأنفس والأعراض وقد عمل به الناس وطبق في بلادهم لم يحقق شيئاً يذكر . فالدماء مسفوكة ، والأعراض منتهكة ، والأموال مسروقة منهوبة ، وفي كل بلد طبقت فيه تلك القوانين التي هي ليست من شرع الله تعالى بخلاف البلد الذي تطبق فيه شرائع الله تعالى ، وكفى بالبلاد السعودية شاهداً على صحة ذلك .

وعلى ضوء هذه الحقائق الثلاث ندرس البدعة وآثارها ، ونبدأ بتعريف البدعة فنقول :

البدعة : لغة الاسم من بدع الشيء يبدعه بدعاً إذا أحدثه فأتى به على غير مثال سابق . وابتدعه وأبدعه بمعنى واحد . واسم الفاعل من أبدع المبدع ، ومن ابتدع المبتدع . ومن أسماء الله تعالى الحسنى البديع ، ومعناه المبدع للأشياء والأكوان على غير مثال سابق ، كما قال تعالى : بديع السموات والأرض ، والبديع أيضاً الذى ليس قبله شيء ، والله الأول الذى ليس قبله شيء ، ولذا لا يصح أن يسمى بالبديع غير الله تعالى ، والبذع : ما كان أولاً ولم يسبقه شيء كما قال تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل » بل أرسل قبلى رسل كثيرون فلم تنكر رسالتى أو يتعجب منها؟

والبديع علمٌ تعرف به وجوه تحسين الكلام وهو أحد فنون البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع .

هذا تعريف البدعة لغة أما فى الاصطلاح فإمها ما اخترع فى الدين على غير مثال سابق وهى البدعة الحقيقية . أو هى ما أحدث فى الدين من طريقة تضاهى الشريعة بقصد التعبد والتقرب الى الله تعالى ولذا فالبدعة تقابل السنة غير ان السنة هدى والبدعة ضلال ، إذ السنة طريقة شرعية ثابتة بالوحي الإلهى ، والبدعة طريقة مخترعة لم يشهد لها كتاب ولا سنة ولا إجماع .

حكم الابتداع في الدين

تلك كانت البدعة أما حكم الابتداع في الدين فإنه محرم بالكتاب والسنة والإجماع ، لأن الابتداع تشريع يُضاهى به شرع الله عز وجل ، وهو بهذا مشاققة لله ورسوله ومحادة لهما ، وكفى بالمرء إثماً أن يشاق الله ورسوله ومحادهما ، ومن هنا ذُمت البدعة وندد بها وبفاعلها وحذرت الأمة من شرها وخطرها وسوء عاقبتها ، إن في قول الله تعالى ، شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم تهديد ووعد لكل من المبتدعة والعاملين بالبدعة كما هو دال على مدى إنكار الشارع للبدعة والعمل بها . وفي حديث العرياض بن سارية عند مسلم ما يكفى في التنديد بالبدعة وذمها وتحريمها ، إذ جاء فيه قوله ﷺ : إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وفي افتتاحية خطب الرسول ﷺ : إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وهو ذم للبدعة وتحريم لها وتحذير منها وتنديد بها .

إنكار البدعة

لا شك أن إنكار البدعة واجب ، وأن العمل بها مردود ، ولنستمع إلى ما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية والآثار الحديثية . ففي صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . ويقول من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ، فثبت بهذين الحديثين الصحيحين أن العمل بالمحدث في الدين مردود والمردود باطل والباطل لا أجر فيه ولا مشوبة . وما كان كذلك وجب انكاره وعدم العمل به .

وها هو ذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ينصح لأمة الإسلام كل أمة الإسلام باتباع السنن وترك المحدثات من البدع فيقول : اتبعوا آثارنا ، ولا تبتدعوا فقد كفيتم . ويقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .

يريد ان عملاً قليلاً من المسنون المشروع أفضل من كثير عمل مبتدع غير مشروع ولا مسنون ، لأن المشروع يثاب عليه فاعله ، الحسنة بعشر أمثالها ، والمحدث المبتدع يرد على صاحبه فلا يؤجر عليه ولا يثاب به ، لأنه عمل غير صالح لا يزكى النفس ولا يطهر الروح .

وهذا حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يضرب مثلاً عجيباً في التحذير من البدعة : إذ اخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ، ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً ، قال والذي نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا : تركت سنة .

والحسن البصرى رحمه الله تعالى يذهب في إنكار البدعة والتحذير منها ومن أصحابها أبعد المذاهب فيقول : لا تجالس صاحب البدعة فإنه يمرض قلبك ، وفي القرآن الكريم النهى الصريح عن مجالسة أهل البدع والأهواء . فمن سورة الانعام جاء قول الله تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ فآيات الله شاملة لأسماء الله تعالى وصفاته بالنفى والتعطيل ، والتشبيه والتمثيل ، ونفاة قدره أسماء الله تعالى وصفاته بالنفى والتعطيل ، المستخفون بطاعته وطاعة رسوله ، والمتزيدون في دين الله المحدثون فيه ، فكل هؤلاء وهم شر البدعة تحرم مجالستهم والاجتماع . لغير ضرورة بهم ، إظهاراً للسخط عليهم ، وعدم الرضى بصنيعهم ، وحفاظاً على سلامة قلب المؤمن من التأثير ببدعتهم ، والوقوع في فتنتهم وباطلهم ، والعياذ بالله من كل ذلك .

البدعة نوعان حقيقية وإضافية

إن البدعة هي البدعة وسواء كانت إضافية أو حقيقية فالعمل بها باطل والدعوة إليها حرام ، وإنكارها واجب ، إذ كل منها إحداه في دين الله ، وزيادة فيه ، ومضاهاة له ، وذلك محادة لله ورسوله ومشاقة لهما ولو بغير قصد ذلك وإرادته ، وهو من أكبر الذنوب وأعظم الآثام .

والمراد بالبدعة الحقيقية ما أحدث في الدين من غير استناد إلى أصل من أصول الدين أو فرع من فروعه أى من غير أن يدل عليها دليل شرعى من كتاب أو سنة أو إجماع . وإنما اخترعت اختراعاً وألصقت بالدين لغرض تعلق لمبتدعها بذلك ، وسواء كان صحيحاً أو فاسداً ، وذلك كالبناء على القبور وإشادة القباب عليها ، وكزخرفة المساجد ، وكوضع القوانين التشريعية فيما أنزل الله تعالى له الكتاب ، وبعث من أجله الرسول ﷺ

فبينه بالقول والعمل ، كل هذا من البدع الحقيقية ، إذ لا مستند له من كتاب أو سنة أو إجماع ، بل جاء الشرع بتحريمه ومنعه ، والوعيد عليه ، فقد نهى رسول ﷺ عن البناء على القبور ، وأمر بهدم المبنى منها كما نهى عن زخرفة المساجد ، وحرم تعالى تعطيل أحكام شرعه ، وندد بمن شرع لعباده معرضاً عما شرعه الله تعالى لهم مضاهياً له في شرعه ، إذ قال تعالى : « شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم » .

وأما البدعة الإضافية فهي ما أحدث في الدين مما له دليل من كتاب أو سنة أو إجماع استند عليه في وجوده ولكنه بدعة باعتباره زيادة لم يشرعه الله ورسوله وذلك كالذكر جماعة بصوت واحد ، فإن ذكر الله تعالى مشروع بالكتاب بقول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً

وسبحوه بكرة وأصيلاً ، والصورة التى يؤتى به عليها وهى الاجتماع والصوت الواحد محدثة ، إذ لم تكن هذه الصورة معروفة ولا معمولاً بها على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد أصحابه رضوان الله عليهم ، ولا على عهد التابعين رحمهم الله أجمعين . فكان الذكر الجماعى من البدع الإضافية التى لها وجهان وجه يلحقها بغير المحدثات ، ووجه يلحقها بها ويجعلها منها فيستلزم تركها ، وعدم العمل بها . والبدع الإضافية أكثر من البدع الحقيقية ، وإن كانت الحقيقية غير قليلة ، وتزيد بأن معظمها مكفر لصاحبه ، أو مفسق له والعياذ بالله تعالى .

البدع المكفرة

إن البدع المكفرة غالباً ما تكون فى أصول الدين من المعتقدات ، وأكثر ما تنشأ عنه الجهل بالدين واتباع الهوى ، والتقليد الأعمى ، وذلك كبدعة نفى القدر والتكذيب به ، والقول بالجبر ، ونفى صفات الخالق عز وجل ، وكتكفير بعض الصحابة أو الطعن فى عدالتهم ، وخاصة الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وكاعتقاد أن الأولياء يتصرفون بعد موتهم فى أمور الناس بالإعطاء والمنع والضر والنفع وكاعتقاد أن الولي أفضل من النبي ، وأن من الأولياء كعبد القادر الجيلانى من إذا دعاه الداعى ورفع صوته باسمه سمعه وأجابه ، وقضى حاجته كأن يخلصه من شدة ، أو ينقذه من تهلكة .

وكاعتقاد أن فى القرآن تناقضاً ، أو أن عذاب القبر ونعيمه يحيلهما العقل ولا يقرهما إلى غير ذلك من البدع المكفرة التى أحدثت بعد عهد النبي ﷺ وعهد أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

البدعة المفسقة

تلك كانت البدعة المكفرة ، وأما البدع المفسقة فغالباً ما تكون في فروع الدين ، وقد تكون في أصوله والحامل عليها ما ذكرنا آنفاً من الجهل والتقليد واتباع الهوى ومن أمثلتها :

١ - رد الأحاديث النبوية الصحيحة لمعارضتها بعض ما يهوى ويشتهى صاحب الهوى ، وهى من البدع الحقيقية الخطيرة ، فقد رد بعضهم حديث البخارى في الذباب والذي نصه : إذا ولغ الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه داء ، وفي آخر شفاء ، وإنه ليتقى بجناحه الذى فيه الداء .

بدعوى أن في هذا الحديث ما يدعو إلى القذارة ، أو يقرها وأن الرسول ﷺ جاء بالنظافة والدعوة إليها .

٢ - تأويل بعض آيات القرآن بغير تأويلها لمنافاتها لما هم عليه من الصفات ، أو لمعارضتها لأغراضهم ومشتبهاتهم فيؤولونها بما يلائم صفاتهم ، ولا يتعارض مع أغراضهم وشهواتهم كتأويل بعضهم آية : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ الآية ، بإباحة شرب الخمر . وتأويل بعض غلاة الصوفية آية الأنعام : ﴿ قل لله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ بجواز الذكر باللفظ المفرد في حين أن تأويل الآيات على ما أولوها به باطل لم يرد على السنة أهل التفسير من الصحابة والتابعين وتابعيهم فضلاً أن يأتى به خبر صحيح عمن أنزل عليه الكتاب وأمر ببلاغه وبيانه ﷺ .

وكتأويل بعضهم آية النور : ﴿ وصديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو اشتاتاً ﴾ بإسقاط الحجاب بين إخوان الطريقة لعظيم صداقتهم ، وثبوت أخوتهم فهم ينظر بعضهم إلى نساء بعض إسقاطاً للحجاب بينهم ، حتى إنهم ليأكل بعضهم مع بعض نساءً ورجالاً مستدلين على جواز ذلك بما

تأولوا به الآية المذكورة وهو تأويل باطل يرده الكتاب والسنة والاجماع .
 هذه صور ونماذج للبدع المكفرة والمفسقة وهناك بدع لا تكفر ولا
 تفسق . وذلك أولاً أنها من البدع الإضافية لا الحقيقية ، وثانياً أنها تتعلق
 بفروع الدين لا أصوله ، وثالثاً أنها لا تحرم حلالاً ، ولا تحلل حراماً . ومن
 أمثلتها : الذكر والدعاء جماعة بعد الصلوات الخمس في المساجد ،
 والتثويب في الأذان بزيادة الصلاة والسلام عليك يا رسول الله في أذان
 الفجر وكزيادة أذان أو أكثر لصلاة الجمعة . وكقراءة القرآن جماعة بصوت
 واحد وهو ما يعرف بالحزب في بلاد المغرب الأدنى والأقصى .

وكالاجتماع على المدائح النبوية إن خلت ألفاظها من الشرك ،
 وكالمصافحة بعد صلاة الجماعة حيث يصافح الرجل من عن يمينه ، ومن
 عن شماله بعد السلام مباشرة إلى غير ذلك من البدع الإضافية التي سنذكر
 طرفاً منها للتنبيه عنها والتحذير منها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

هذا ولا ينبغي أن يفهم القارئ أو السامع أن كون البدعة غير مكفرة
 أو مفسقة أنه يجوز العمل بها ويثاب فاعلها عليها لا سيما إذا انضاف إليها
 حسن القصد وسلامة النية لا ، لا أبداً فإن كل بدعة ضلالة كيفما كان
 حالها حقيقية أو إضافية أو مكفرة أو مفسقة ، أو لا مكفرة ولا مفسقة ، إذ
 البدعة افتيات على الشارع ، ومضاهاة لما شرع . ولازمها أنها اتهام
 للشارع بالنقص والتقصير . وهذا ما يجعلها محرمة ممنوعة لا يجوز العمل بها
 ولا يجوز إقرارها والسكوت عنها .

وكون البدعة مطلقاً ضلالة لأن العمل بها يشغل عن العمل بالسنة ،
 وهذا هو وجه إطلاق الرسول ﷺ لفظ الضلالة عليها في قوله : « إياكم
 ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ولما كان الضلال يتفاوت قرباً وبعداً كان بعض البدع كبيراً ، وبعضها
 صغيراً . وبعضها مكفراً ومفسقاً وبعضها لا يكفر فاعلها ولا يفسقه وهو
 البدع الصغيرة . وقد ذكر أهل العلم للبدعة الصغيرة شروطاً متى توفرت

فيها كانت صغيرة لا تكفر ولا تفسق من تلك الشروط .

- ١ - أن لا يداوم عليها فاعلها .
- ٢ - أن لا يدعو غيره إلى فعلها .
- ٣ - أن لا يفعلها في الأماكن التي هي مجتمعات للناس ولا في المواضع التي تقام فيها السنن .
- ٤ - أن لا يحتقرها فاعلها ولا يستصغر شأنها . ويتأمل هذه الشروط يتبين كونها صغيرة غير كبيرة .

وجوب محاربة البدع

إن البدعة مهما صغرت يجب إنكارها والتحذير منها . كما يجب عدم العمل بها ، إن الرسول ﷺ لما أنكر البدعة وحذر منها لم يفرق بين أنواع البدع ، بل أطلق لفظ الضلال على كل بدعة ، فحرم لذلك العمل بالبدعة مطلقاً وتعين إنكارها ، وعدم العمل بها مهما صغرت . وكيف لا وقد ورد في بعض روايات الحديث لفظ : « وكل ضلالة في النار » ، ومعناه أن العمل بالبدعة يؤدي بصاحبه إلى دخول النار . ومن هنا وجب التنديد بالبدعة وتعينت محاربتها ، والأحاديث التالية والآثار تقرر ذلك وتؤكدده :

- ١ - روى البخاري أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال ﷺ مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه . ففى هذا الحديث صورة من صور محاربة البدعة ومقاومتها وعدم الرضى بها .

- ٢ - روى البخاري أيضاً « أن ثلاثة رهط جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا :

«أين نحن من النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال أحدهم أما أنا فإنني أصلي الليل ابداً ، وقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا اعتزل النساء فلا أتزوج ابداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني .»

٣ - موقف عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من البدعة حتى إنه لا يرى الحياة شيئاً لولا أنه يحى فيها سنة قد أميتت ، أو يميت فيها بدعة قد أحدثت فقد روى عنه أنه قال في بعض خطبه : أيها الناس إنني والله لولا أن أنعش سنة قد أميتت وأن أميت بدعة قد أحييت لكرهت أن أعيش نيكم فواقاً (١) .

٤ - ماروى عن يحيى بن أبي يحيى رحمه الله تعالى أنه قال الذب عن السنة أفضل الجهاد .

فلننظر إلى قول هذا الإمام السلفي رحمه الله تعالى كيف جعل الدفاع عن السنة ، وذلك بحرب البدعة وإماتتها من أفضل أنواع الجهاد .
بهذه الأحاديث والآثار يتقرر أن محاربة البدع من الواجبات الدينية التي لا ينبغي إهمالها والتساهل فيها .

(١) الفواق : قدر ما بين الحلبتين من الوقت .

اسباب الابتداع

إن معرفة أسباب الابتداع تساعد على محاربة البدعة والتخلص منها ،
أو على الأقل تساعد على تقليلها والحد من انتشارها بين المسلمين . وهذه
بعض تلك الأسباب .

١ - الجهل بالسنن النبوية فإن من جهل سنن الهدى ضل ، ومن
ضل ابتدع

٢ - ترك العمل بالسنة فإن من ترك العمل بالسنة شغل بالبدعة
كما قال تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له
قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون »
٣ - الرغبة في الطاعات وفي فعل الخيرات فإن أكثر البدع
الإضافية يحمل عليها الرغبة في الطاعة والإكثار من الرغائب ، فإذا وجدت
رغبة في الصالحات ، ولم تكن لصاحبها بصيرة في دين الله حملته تلك الرغبة
على التزيد والابتداع في الدين .

٤ - الخوف من الله تعالى كما قيل الخوف سوط سائق ، والرجاء
حادٍ قائد (١) فشدة الخوف تحمل صاحبها على الافراط في الطاعة فعلاً
للمحسوب وتركاً للمكروه فيحدث صاحبها بدعاً فعلية وأخرى تركية كما مر
أنفاً مع أبي إسرائيل وكما قال الرهط الثلاثة الذين تقالوا عبادة رسول ﷺ
فقد عزموا على الابتداع والرهبة .

٥ - الكيد للإسلام والمكر بالمسلمين فإن شر البدع كالشيع لآل
البيت . وكثير من الطرق الصوفية لم يحدثها أصحابها إلا لتحطيم الإسلام
وضرب المسلمين .

٦ - طلب الخطوة لدى ذي السلطان فكم من بدعة أحدثت لطلب
هذه الخطوة . فقد تؤولت آيات الكتاب لذلك ووضعت الأحاديث ،

(١) الحادى الذى يسوق الإبل ويتغنى لها .

وأبدعت البدع القبيحة طلباً لرضى الحكام حتى إن طالبي الخطوة ليحللون الحرام ويحرمون الحلال من أجل فوزهم بها لدى ذى السلطان الحاكم ، وما القول ببدعة خلق القرآن إلا مثلاً سيئاً لذلك والعياذ بالله تعالى

٧ - طلب العلو والمحافظة على المنصب فكثيراً ما يجد الجاهل بالشرع نفسه شيخاً لطريقة أو إماماً لجماعة فيحمله حب المنصب الذى وضع نفسه فيه بغير أهلية له على أن يبتدع الأوراد والأذكار والأدعية ، ويعطيها لمريديه وإخوان طريقته . فبهذه الأسباب وجدت بدع كثيرة قد لا تحصى ولا تعد كثرة ، وشرها ما يتعلق بالعقائد والعبادات .

٨ - وأخيراً اشتباه البدعة بالمصالح المرسلة وهذا سبب قوى فى إحداث البدع وانتشارها والعمل بها ، حيث اعتمد فى ذلك خبر ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن . وقول بعضهم : إن البدعة تجرى عليها الأحكام الخمسة ، ومعناه أن البدعة قد تكون واجبة أو مستحبة ، أو جائزة ، أو مكروهة أو حراماً ولذا وجب التفريق بين البدعة والمصالح المرسلة كما وجب أن يبين ذلك للمسلمين ويعرفوا به حتى تزول الشبهة ويعرف الحق ، فيبطل الاحتجاج بالمصالح المرسلة على جواز البدعة فى الدين والابتداع فيه .

المصالح المرسلة

إن المصالح المرسلة ليست ابتداءً فى الدين ولا تشريعاًئداً عليه وإنما هى ثمرة قاعدة أصولية شرعية عرفها الفقهاء بقولهم : ﴿ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ ومثاله الطهارة واجبة لكل من الصلاة والطواف وهى أن الطهارة لا تتم إلا بالماء الطهور ، وطلب الماء الطهور وإحضاره ليس واجباً فى حد ذاته ولكن لما توقفت الطهارة الواجبة عليه صار واجباً . هذا مثال ، وآخر الجهاد واجب وهو لا يتم إلا بالسلاح فطلب السلاح بصنعه

أو شرائه ليس واجبا ولكن لما توقف الجهاد الواجب عليه صار واجبا ، ومثال آخر إقامة الدين واجبة ، لقول الله تعالى : « أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ولما كان أمر الدين لا يقوم إلا بإمام واجب الطاعة وجب نصب الإمام ووجبت طاعته لإقامة الدين فنصب الإمام لم يكن واجبا في حد ذاته ، ولكن لما توقف أمر إقامة الدين الواجب عليه وجب لوجوبها .

هذه القاعدة هي التي أثمرت مبدأ المصالح المرسله والأخذ بها لحفظ الضروريات الخمس التي هي الجسم والعقل والدين والعرض والمال ، من جهة ورفع الحرج والمشقة على الجسم من جهة أخرى ، هذا ولينين المصلحة المرسله ولشرحها بما يزيل الشبه بينها وبين ما يسمونه بالبدعة الحسنة فنقول : إنه لا بد لوجود الحكم في أى شىء من معنى مناسب يُربط به الحكم . وهذا المعنى المناسب لا يخلو من أن يشهد الشارع بقبوله ، وذلك كمشروعية القصاص حفظاً للنفوس والأطراف فهذا لا إشكال في صحته واعتباره .

وإما أن يشهد الشارع برده وعدم اعتباره ، وذلك كمهر البغى وحلوان الكاهن فإن المعنى المناسب الذى يرتبط به حكم إباحة الزنى ، والتكهن وهو المنفعة المادية قد ألغاه الشارع ولم يعتبره ، إذ حرم الزنى والتكهن فهذا لا إشكال في رده وعدم قبوله واعتباره بحال . وإما أن تسكت عنه شواهد الشرع فلم تشهد له بالغاء ولا اعتبار فهذا الذى يكون ميداناً للمصالح المرسله (١) .

والمصالح جمع مصلحة وهى بمعنى المنفعة والفائدة يصلح بها أو عليها أمر العباد . والمرسله : المطلقة التى لم يقيدھا الشارع باعتبار ، أو إلغاء ، أى لم يعتبرها ولم يلغها ، إذ سكتت عنها نصوصه فلم يوجد لها دليل في الشرع غير أنه يشترط لها ملائمتها لتصرفات الشارع بحيث يوجد للمعنى المناسب في المصلحة المرسله جنس اعتبره الشارع في الجملة من غير دليل معين وهو (الاستدلال المرسل) هذا وللمصلحة المرسله أمثلة منها :

١- راجع الاعتصام للشاطبي .

أولاً : تضمين الصناع ما ضاع عندهم من أمتعة الناس فإن هذا التضمين سكت عنه الشارع فلم تشهد له شواهد باعتراف ولا إلغاء بيد أن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم قضوا بتضمين الصناع حتى قال على رضى الله عنه : لا يصلح الناس إلا ذاك . ووجه المصلحة فيه كما قال الشاطبي رحمه الله تعالى : إن الناس لهم حاجة إلى الصناع . وهم يغيبون عن الامتعة في غالب الأحوال . والأغلب عليهم ترك الحفظ ، فلو لم يثبت تضمينهم مع ميسر الحاجة إلى استعمالهم لأفضى ذلك إلى أحد أمرين إما ترك الاستصناع بالكلية وذلك شاق على الناس وإما أن يعملوا ولا يضمنون ذلك بدعواهم الهلاك والضياع فتضيع الأموال ، ويقل الاحتراز ، وتتطرق الخيانة ، فكانت المصلحة في التضمين ، وهو معنى قول على رضى الله عنه : لا يصلح الناس إلا ذاك .

ووجه الاستدلال بهذه القضية ان تضمين الصناع لم يره الشرع بإثباته وإيجابه ، ولا بإلغائه وعدم اعتباره ولما كان تضمين الصناع يحقق مصلحة عامة تزيد على مصلحتهم الخاصة أثبت الخلفاء ، وهذا التضمين ملائم لتصرفات الشارع في تقديمه المصلحة العامة على الخاصة ، فقد نهى النبي ﷺ أن يبيع حاضر لباد كما نهى عن تلقي الركبان ، وذلك كله من أجل ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الفردية الخاصة .

ثانياً : جمع المصحف الشريف وكتابته بعد ما كان مفرقاً غير مكتوب في كتاب واحد فقد جمع وكتب على عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وأجمع الصحابة على ذلك فجمعه وكتابته في كتاب واحد بعدما كان مفرقاً سوراً وأحزاباً عند الصحابة من المصالح المرسلة ، إذ الشارع لم يأمر بجمعه وكتابته ولا بعدم ذلك ، واقتضت مصلحة الأمة والدين كتابته وجمعه في كتاب واحد ، فكتب وجمع ، وكان ذلك ملائماً لتصرفات الشارع في الأمر بكتابة الديون حتى لا تضيع بإنكار أو نسيان ، فالمحافظة على كتاب الله

وهو مصدر كمال الأمة وسعادتها أولى بالجمع والكتابة حتى لا يضيع بموت أو نسيان الحافظين من أفراد أمة الاسلام .

ثالثاً : ضرب المتهم عند من يرى ذلك من الفقهاء كمالك ومن وافقه من الأئمة رحمهم الله أجمعين .

رابعاً : توظيف الإمام على الأغنياء أى سن ضرائب مالية يدفعونها لحاجة بيت المال لذلك فيما إذا فرغ بيت المال وعجز عن سد حاجة الجهاد والدفاع عن الأمة وبلادها .

خامساً : العقوبة بالمال فيما لا حد فيه ولا نص عن الشارع في تغريمه .

سادساً : أخذ الكفاية من المال الحرام إذا لم يوجد الحلال بالمرة .

سابعاً : قتل الجماعة بالواحد ؟

ثامناً : بيعة الإمام القاصر عن رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع إذا خلا الزمان ممن تتوفر فيه هذه الصفة ، وكذا الحال أيضاً في تولية القضاء حيث يقدم الأمثل فالأمثل ، ولا تترك الأمة فوضى فيكثر الشر وينتشر الفساد في البلاد . فهذه الأمثلة كلها ذكرها الشاطبي بتفصيل ونضيف إليها مثلها وهي :

١ - اتخاذ المحاريب في المساجد إذ لم يرد عن الشارع شاهد باعتبارها أو إلغائها . فنظر السلف إلى أن ترك المسجد بلا علامة تدل على القبلة فيه يسبب حرجاً للمصلين بحيث كلما دخل المسجد غريب يريد الصلاة سأل عن القبلة فرأوا أن المصلحة تقتضى وجود علامة في المسجد تدل على القبلة فاتخذوا طاقاً في جدار المسجد القبلي وسموه محراباً والملائم في هذه المصلحة هو أن الشارع ورد بدفع المشقة ورفع الحرج .

٢ - بناء المنارات والمآذن العالية في المسجد لتدل على المسجد وتسمع صوت المؤذن من مسافات بعيدة .

٣ - رفع المنابر وإعلاؤها بكثرة درجها بحسب حاجة الناس إلى سماع صوت الخطيب إذا خطب .

٤ - اتخاذ مكبرات الصوت العادية والآلية للخطباء والمدرسين والوعاظ المرشدين لمصلحة إسماع الناس ما هم في حاجة إليه .
 ٥ - تدوين العلوم ووضع أصولها وقواعدها كعلم الحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، والنحو والصرف واللغة وما إلى ذلك من العلوم والمعارف .

٦ - اتخاذ الآلية لطحن الحب ، والمناخل لإزاله النخالة منه ، وأكله صافياً بعدما كان يؤكل بنخالته .

٧ - ركوب القطارات والسيارات والطائرات والسفن .

٨ - اتخاذ المطابع الآلية لطباعة الكتب ونشرها بسرعة وبكميات كافية .

فهذه كلها وغيرها كثير من المصالح المرسله التي لم تشهدها شواهد الشرع « أى الكتاب والسنة والاجماع » بإلغاء أو اعتبار أى (بإيجاب أو منع) وهى ملائمة لتصرفات الشارع فى تقريره تقديم المنافع العامة على الخاصة ، ودفع الضرر بأخف الضررين ، وسد الذرائع ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وليس هى من باب الابتداع فى الدين فى شىء ، وإن احتج بها أصحاب البدع على إثبات بدعهم وترويجها بين المسلمين . ومع الأسف فقد وقع فى هذا الخطأ كثير من المسلمين فحسبوا أن البدعة كالمصلحة المرسله ، وسبب وقوعهم فى هذا الخطأ هو جهلهم بمعنى البدعة والسنة وعدم التفرقة بينهما . ولذا تعين أن نكرر القول فى بيان كل من البدعة والسنة اعذاراً وإنذاراً أو تذكيراً وتعليماً فنقول : إن السنة ما شرعه رسول الله ﷺ بإذن ربه عز وجل من اعتقاد أو قول أو عمل بقوله ﷺ أو فعله أو تقرير لتزكية النفوس وتطهيرها وتهذيب الأخلاق وإصلاحها ليكمل الإنسان ويسعد فى روحه وبدنه دنيا وأخرى ، وذلك لما تحمله السنة وهى من الوحي الإلهى من قوة التأثير على النفس فى إصلاحها وتركيبتها .

أما البدعة فهي تشريع لم يأذن الله تعالى فيه : إذ هو من وضع الإنسان (غير النبي) واختراعه ضاهى به الشرع ، وقصد به التعبد والتقرب إلى الله تعالى للحصول على رضاه عز وجل وحسن ثبوته تعالى ، وهو لا يحقق شيئاً من ذلك لعدم صلاحيته وذلك لخلوه من مادة التزكية للنفس التي لا توجد في العبادة إلا إذا شرعها الله تعالى أو أذن بشرعها وسواء ما كان منها اعتقاداً أو قولاً أو عملاً ، ويشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » ، ومعنى رد : مردود على صاحبه : لا يقبل منه ولا يثاب عليه لخلوه من قوة التأثير على النفس بالتزكية والتطهير تلك القوة التي لا توجد في العبادة إلا إذا كانت مما شرع الله تعالى لعباده .

ويقرر هذه الحقيقة ويؤكد ما هو معلوم بالضرورة بين المسلمين من أن العبادة توصف بالصحة إذا استوفت شروطها ومقوماتها من أركان وواجبات وسنن وآداب وتوصف بالبطلان إذا لم تستوفها ، ومعنى صحتها : أنها تقبل ويثاب عليها فاعلها ، وذلك لما تحدثه في النفس من التزكية والتطهير . ومعنى فسادها أنه لاختلاها لم تثمر المطلوب منها من التزكية للنفس والتطهير لها . فلذا هي لا تقبل ولا يثاب عليها فاعلها . وأمر آخر يجب إدراكه وتفهمه وهو أن العبادة سواء ثبتت بالكتاب أو السنة لا تثمر المطلوب منها من الحسنات إلا إذا أديت أداء صحيحاً يوافق أداء الرسول ﷺ لها وذلك بمراعات أربع حيثيات وهي الكمية والكيفية والزمان والمكان فمتى اختلت واحدة وصفت العبادة بالبطلان ولنضرب لذلك مثلاً . الصلاة فإنها لو زيد في عدد ركعاتها أو نقص منها من غير سهو أو نسيان بطلت ، وذلك لاختلال كميتها المقدرة لها ، كما أنها لو اختلت هيئة أدائها بأن قدم فيها السجود على الركوع ، أو قراءة الفاتحة على تكبيرة الإحرام لبطلت كذلك ما لم يكن في ذلك سهو ، كما ولو أنها أديت في غير وقتها المعين لها ، أو في غير المكان اللائق بها لبطلت كذلك .

وهذا رمضان لو قدم صومه أو أخر عن شهره المعين له بقول الله تعالى شهر رمضان . لما صح الصوم بحال . ومثله الحج لو وقف الحجاج بغير المكان المحدد له وهو عرفات ، وغير الزمان المعين للوقوف فيه وهو تاسع شهر الحجة لما صح أبداً ولو طاف الناس بغير الكعبة أو بين غير الصفا والمروة لما كفاهم ذلك ولما صح منهم أبداً .

وبهذا يتبين أن الفرق بين السنة والبدعة يتمثل فيما يلي : السنة : شرع الله تعالى الوارد على لسان رسوله محمد ﷺ . والبدعة : شرع الإنسان بتزيين الشيطان . السنة عبادة يراعى في أدائها أن تكون موافقة لأداء رسول الله ﷺ لها من أجل أن تثمر الحسنات لتزكية النفس وتطهيرها . والبدعة : افتراء على الله ورسوله وافتيات في الدين فلذا هي لا يعتمد في أدائها كي تثمر الحسنات على كمية ولا كيفية ولا زمان ولا مكان . ونتائجها دائماً ظلمة السيئات ، وتلوّث النفس وتخبيثها . ولهذا كانت السنة هدى ، والبدعة ضلالة .

صور من البدع كبيرها وصغيرها

ويحسن هنا ذكر طائفة من البدع تعليلها بها ، وتحذيراً منها رجاء أن يتجنبها المسلم ويتبعد عنها .

(أ) البدع الواردة في المعتقدات

- ١ - نفى القدر وإنكار علم الله تعالى بالجزئيات الكونية .
 - ٢ - تأويل صفات الله تعالى وتعطيلها بإنكار معناها وعدم وصف الرحمن عز وجل بها وصفاً يليق بذاته جل وعلا .
 - ٣ - إنكار عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين لصاحبه .
 - ٤ - تكفير أصحاب رسول الله ﷺ والطعن فيهم وانتقاص بعضهم وذمهم .
 - ٥ - اعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ، وإن منهم من يفضل الأنبياء .
 - ٦ - اعتقاد وجود ديوان للصالحين يجتمعون فيه لتقرير أحداث العالم ومجريات الحياة . بالإعطاء والمنع والتولية والعزل . وإلى غير ذلك من التصرف في الكون .
 - ٧ - اعتقاد أن أرواح الأولياء تتصرف بعد موتهم بعض التصرف بأن تقضى حاجة من زارهم في قبورهم مستشفعاً متوسلاً بهم .
 - ٨ - النذر للأولياء والذبح على أرواحهم عند أضرحتهم وقبورهم .
 - ٩ - دعاء الأولياء والاستغاثة بهم ، والعكوف على قبورهم ونقل المرضى إليهم طلباً للشفاء لهم منهم وبواسطتهم .
- فهذه تسع بدع في الاعتقاد كلها مكفرة ومفسقة لصاحبها ، تجب التوبة الفورية منها ، ومن أصر عليها أو على واحد منها ومات على ذلك فقد مات على الكفر والفسق والعياذ بالله تعالى .
- ١٠ - إقامة الموالد مطلقاً .

(ب) البدع الواردة في العبادات :

« في الطهارة » .

- ١ - إنكار المسح على الخفين وهي بدعة مفسقة .
- ٢ - الاكتفاء بمسح الرجلين دون غسلهما مع عدم وجود خف أو أى ساتر لهما هذه بدعة مفسقة .
- ٣ - مسح الرقبة في الوضوء .
- ٤ - الاسراف في الماء .
- ٥ - الدعاء مع غسل كل عضو من أعضاء الوضوء .
- ٦ - استقبال القبلة بالوضوء وتحرى ذلك وقصده .

« في الصلاة »

- ١ - عدم رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الاحرام .
- ٢ - عدم الطمأنينة في الركوع والسجود والقيام (بدعة مفسقة) .
- ٣ - الجهر بتكبير الانتقال والتسميع والتحميد لغير الإمام .
- ٤ - المصافحة بعد السلام من الصلاة .
- ٥ - الذكر والدعاء جماعة جهراً بعد الصلاة .

« في الجنائز »

- ١ - وضع الميت على الأرض واستشهاد الناس عليه بقول أحدهم ماذا تشهدون على أخيكم ؟
- ٢ - رفع الأصوات بلا إله الله محمد رسول الله عند حمل الجنازة وكذا كلمة « وحدوه » .

- ٣ - قراءة البردة أو الهمزية أمام الجنازة .
- ٤ - قراءة القرآن جماعة على الميت في المقبرة .
- ٥ - قراءة القرآن في منزل الميت وإطعام الطعام وما يسمى بعشاء القبر ليلة الموت أو في ثالث ليلة أو سابع ليلة أو ليلة الأربعين .

٦ - البناء على القبور ووضع صورة الميت عليه ، أو وضع الزهور فوقه (هذه بدعة مفسقة) .

٧ - سكتة حداد على أرواح الشهداء (هذه بدعة مفسقة) .

٨ - زيارة النساء للقبور وتجمعهن هنالك للبكاء والضحك والغيبة وعرض الزينة وحتى البيع والشراء (هذه بدعة مفسقة) .

(ج) البدع الواردة في المعاملات :

« في الحكم »

١ - وضع قانون للزجر فيما وضع له الشارع حداً من حدوده كحد القذف والزنى والسرقة ، وشرب الخمر والقتل (هذه بدعة مكفرة أو مفسقة) .

٢ - ترك جباية الزكاة ممن وجبت عليهم في أموالهم من المسلمين (هذه بدعة مكفرة أو مفسقة) .

٣ - إدناء الفساد وإسناد مهام الدولة إليهم ، وإبعاد أهل العدل والصلاح وإقصاؤهم عن شؤون الحكم « هذه بدعة مفسقة » .

٤ - تقضية المرأة وإسناد وظيفة إليها من شأنها أن تجعلها تختلط بالأجانب وتخلو بهم « هذه بدعة مفسقة » .

٥ - ضرب الضرائب الفادحة على المسلمين من غير ضرورة قصوى توجب ذلك « هذه بدعة مفسقة » .

٦ - مشاركة الدولة في تركة الميت بأخذ نسبة معينة مع وجود ورثة من ذوى الفروض والعصبة « بدعة مفسقة » .

« في التجارة »

١ بيع المحرمات كالصور والتماثيل والمسكرات والمخدرات وملابس الخلاعة والشعور الصناعية « لبروك » (هذه بدعة مفسقة) .

- ٢ - بيع السلعة قبل تملكها بشراء ونحوه « بدعة مفسقة »
- ٣ - بيع العينة ^(١) « بدعة مفسقة »
- ٤ - بيع أواني الفضة والذهب في بلاد المسلمين للمسلمين

« في المطاعم والمشارب والملابس »

- ١ - الأكل والشرب بالشمال .
- ٢ - الاتكاء في الأكل .
- ٣ - تلوين الطعام والشراب والإكثار منه ومن وجباته .
- ٤ - أكل الرجال والنساء في الشوارع والأسواق وهم يمشون .
- ٥ - الاختلاط في الأكل والشرب نساء ورجالاً وليسوا بمحارم لبعضهم بعضاً .

« في الملابس »

- ١ - لبس القبعة « البرنيطة » الخاصة بالكافرين هذه بدعة مفسقة إذا صاحبها الرغبة في التشبه بالكفار ، والعياذ بالله تعالى .
- ٢ - لبس الرجال خواتم الذهب ، واتخاذ بعضهم سلسلة من ذهب في عنقه تشبهاً بالمخنثين من اليهود والنصارى (هذه بدعة مفسقة) .
- ٣ - لبس المرأة الرقيق من الثياب الذي يصف أو يشف عن بشرتها لناظرها من غير محارمها .
- ٤ - كشف المرأة غير القاعد عن وجهها ومشيتها في الشوارع والطرق والأسواق بين الرجال الأجانب (هذه بدعة مفسقة)

(١) هو بيع السلعة دينا إلى أجل ثم شراؤها نقداً ممن باعها بأقل من ثمنها الذي باعها به .

٥ - لبس الرجال أو المرأة ما يختص به الكفار أو الفساق والفجار « بدعة مفسقة » .

هذه بعض البدع التي حضرتها وأنا أعد هذه الكلمة عن البدعة وآثارها ، وغيرها كثير ، وفي مجالات أخرى غير ما ذكرت .
والأحظ هنا أن بعضها مما ورد النص بالنهي عنه ، وذكرته مع البدع الحقيقية والإضافية وإن لم يكن بدعة حقيقية تنطبق عليه شروط البدعة ، لأنه لم يكن موجوداً أو شائعاً منتشراً في صدر الأمة الصالح فأشبهه المحدثات من البدعة المحرمة والمردودة ، التي يجب التحذير منها بعد إنكارها ، والبعد عنها .

إذ المقصود من كتابة هذه الكلمة هو التعليم والتحذير والسؤال الآن :
هو كيف الخلاص من هذه البدع ، والمنكرات ، وما طريق النجاة من آثارها السيئة التي قعدت بالفرد والأمة عن الكمال والإسعاد حتى أصبح أكثر المسلمين يعيشون بغير هداية ، وكأنهم محرومون من التشريع الإلهي بالمرّة ، والكتاب والسنة بين أيديهم ، حتى لقد صدق عليهم قول الشاعر :

كالعيس في البداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

طريق الخلاص من البدع

إن الطريق الوحيد للخلاص من البدع وآثارها السيئة هو الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعلماً وعملاً غير أن دون ذلك من الحوائل المانعة ، والصعوبات المعترضة ما يجعل الاعتصام بالكتاب والسنة غير سهل ولا ميسور . ولطالما دعا العلماء إلى ذلك ، وصاح الوعاظ والمرشدون في أمة الإسلام يطالبونها بالاعتصام بالكتاب والسنة لتخرج من محتها وتنجو من هلكتها وفتنتها ، والأمة لاصقة في أحوال المادة وأوضاعها ثقيلة السمع ، ضعيفة الرؤية قليلة التفكير ، بطيئة الحركة مثقلة بأوزارها ، مكبله بعاداتها ، مرهونة بذنوبها ، فأنى لها أن تنطلق وتفكر ، وتعتقد وتعلم فتخلص من وهبتها وتنجو من ورطتها ، وما حل بها ؟

وإن كان هناك سبيل لخلاصها فهو في الاخذ بالخطه التالية لا غير . والخطه هي : عبارة عن صدق في الرغبة في الخلاص والعزم على تحقيق ذلك ، أو بأى جهد كان ، أو ثمن كلف ثم الشروع في العمل أن يجتمع أهل كل قرية أو حى في مسجدهم الجامع الكبير الذى يتسع لكل أفرادهم رجالاً ونساء بعد صلاة المغرب من كل يوم وعلى طوال العام لا يتخلف منهم احد إلا ذو عذر شرعى مقبول ، وذلك لتلقى العلم والمعرفة من الكتاب والسنة والتطبيق العملى الصادق لكل ما يتعلمونه ويعرفونه من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق .

هذا هو الطريق الوحيد الذى يمكن للمسلمين بواسطته أن يعتصموا بالكتاب والسنة . فينجوا من هلكتهم ويكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة .

اللهم حقق لهم ذلك وأعنهم عليه

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين

حرمة الابتداع في الدين

الموضوع	صحيفه
المقدمه	٣
حكم الابتداع في الدين	٧
إنكار البدعة	٧
البدعة نوعان	٩
البدعة المكفرة	١٠
البدعة المفسدة	١١
وجوب محاربة البدع	١٣
أسباب الابتداع	١٥
المصالح المرسله	١٦
صور من البدع كبيرها وصغيرها	٢٣
طريق الخلاص من البدع	٢٨

الرسالة الرابعة عشر
اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالتين :

إن الحمد لله ، والاستعانة به ، والرغبة منه ، والرغبة إليه . أرسل رسوله محمداً بالهدى ودين الحق وذلك بين يدي الساعة علمه من علم الغيب ما أثبت به نبوته . وقرر به رسالته . فقامت له بذلك الحجة ، وظهرت به للناس المحجة ، فمن سلكها اهتدى ، ومن تنكبها ضلّ وغوى ، والمهتدى لا يضره من ضلّ ، والضال لا ينفعه من اهتدى .

وبعد : فإن ما حدث من عجائب الصنائع والمخترعات في القرن المنصرم الرابع عشر قد أحدث في نفوس كثير من المؤمنين تساؤلات شتى : هل كان رسول الله يعلم بهذه المخترعات العجيبة ؟ وهل أخبر أصحابه بشيء منها ؟ وهل الأصحاب رضوا الله عنهم حدثوا بما أخبرهم به نبيهم ﷺ ؟ وكيف كان فهمهم أو تصورهم لذلك ، وهو بالنسبة إليهم وإلى أهل زمانهم من مدركات ما وراء العقل ؟

وقد صح عن غير واحد منهم رضى الله عنهم أن النبي ﷺ أخبر في عدة مجالس وفي مناسبات شتى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فقد روى مسلم وكذا الإمام أحمد عن أبي زيد الأنصارى رضى الله عنه أنه قال « صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت صلاة العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا » .

كما روى البخارى رحمه الله تعالى وغير واحد من أصحاب السنن والمسانيد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال : « خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ماترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » .

وكما روى أيضا أحمد في المسند عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون في أمته إلى يوم القيامة ، وعاه من وعاه ونسيه من نسيه . حتى قال أبو ذر رضى الله عنه في رواية أحمد رحمه الله « لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً » .

هذا وما أخبر به الرسول ﷺ أصحابه من تلك الغيوب هو كائن لاحالة ، وهو في جملة أشراط للساعة ، وعلامات على قرب مجيئها . وهو نوعان : أخبار فتن ، وهذا النوع قد عُنِيَ به رجال السلف حفظاً وإتقاناً ، وكتابة وتدويناً ، طلباً للوقاية من شر تلك الفتن الواقعة لاحالة .

ونوع أخبار عجائب تحدث في الكون قبل قيام الساعة . وتكون آيات لها ، ودلائل على قرب مجيئها ، وهذا النوع هو الذى كان يتلقاه الرواة له

من سلف الأمة بمجرد الإيمان به ، والتسليم للرسول ﷺ فيما يخبر به ، لأنه كما قدمنا أشبه بما هو من وراء العقل .

وكأنهم كانوا يقولون إزاءه : مثل هذا يُترك لزمانه الذى يظهر فيه ، ومن ثمّ فقط يعلم تأويله على حقيقته . ومن ذلك هذه العجائب من مخترعات التقنية الحديثة التى أدهشت العقول ، وحيرت فهم (١) الناس وأعيت أذهانهم ، إذ جُلّ لها لو حدث به أكثر الناس من عرب وعجم قبل وقوعه لأنكروه وكذبوا به ، وعدّوا وجوده ضرباً من المحال الذى لا يمكن أن يقع مثله فى هذا الوجود .

وإن كان المؤمنون يؤمنون بنظائره فى الدار الآخرة ، وذلك كالطيران فى الجنة ، ورؤية البعيد ، وسماع قوله على بعد وبلا وساطة ، وكالاستنارة بلا نار ولا ضوء شمس ولا نور قمر أو كوكب ، وما إلى ذلك مما جاء فى الكتاب والسنة ذكره وبيانه من نعيم الجنة وعجيب ما فيها . وهذا النوع الأخير هو الذى أردنا استعراض بعض الآثار الواردة فيه ، وذلك لغرضين :

الاول : التدليل به على صدق النبوة المحمدية التى تردد غير المسلمين فى صحتها بل وكذبوا بها وأنكروها سفهاً وجهلاً فضلوا وشقوا .

والثانى : بيان أن النبى ﷺ قد حدث بها فعلاً وأخبر أصحابه بوقوعها ولكن بعبارات وإشارات بعضها قريب جداً من صورة المخبر به ، وبعضها بعيد شيئاً ما ، ولكنه ينطبق على المخبر به كما هو ، غير أن الفهم الحقيقى لما أخبر به ﷺ من تلك المخترعات العجيبة لا يفهم على حقيقته إلا عند ظهوره فى وقته المحدد له . وعلى سبيل المثال إخباره ﷺ فى حديث أحمد عن السيارات فى الوقت الذى لم تكن فى العالم سيارة قط ، ولم يكن للناس من المراكب البرية سوى الخيل والبغال والحمير أو العربة يجرها حصان أو بغل أو حمار . فى ذلك الوقت يقول ﷺ : سيكون من أمتى رجال يركبون

(١) الفهم جمع فهم وهو إدراك الشيء وتصوره .

على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت (١) العجاف ، إلعنوهن فإنهن ملعونات .

فقوله ﷺ يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد . كان عند الإخبار به إشارة إلى مركوب سيحدث فعلا في آخر الزمان . غير أن تصويره فضلا عن إدراكه كان من الصعوبة بمكان . فآمن من سمعه ، ولم يهتم به لعدم الفائدة من البحث عن حقيقته ، فترك للزمان يكشف عن كنهه ، ويظهر حقيقته ، ومضت القرون فظهرت السيارة مقاعدها تشبه سروج الخيل حقاً ، وهيكل بنائها يشبه رحال الإبل وهي الهوادج توضع على ظهور الإبل يركب عليها النساء لأنها ساترة ومريحة . وزاد الأمر وضوحاً قوله ﷺ ينزلون بها على أبواب المساجد ، وذلك لنظافتها وعدم تلوث ساحات المساجد بها بخلاف البهائم فإنها تروث وتبول ، فلم يكونوا يدنونها من المساجد ، وإنما يربطونها بالاصطبلات بعيداً عن ساحات المساجد وأبوابها .

ففى هذا الحديث إخبار بمركوب لم يكن فكان ، وإنه وإن كان داخلاً فى قول الله تعالى : ﴿ وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بعد قوله عز وجل : ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ فإن الحديث قد صور هذا المركوب المجهول لنا بصورة انطبقت تماماً على السيارات ، فكان ذلك علماً من أعلام النبوة المحمدية وشرطاً من أشرط الساعة .

هذا وسنستعرض ما يمكننا من المخترعات الحديثة ، فنذكر كل مخترع على حدة ونذكر دليله من الحديث النبوى الشريف مبينين وجه الاستدلال به على المخترع المعروف أمامنا من كثير من المخترعات الحديثة التى بهرت عقول الناس . وهذا أوان ذكر ذلك فبسم الله نقول :

(١) البخت نوع من أنواع الإبل .

المذياع (الراديو) :

إن المذياع وهو آلة إذاعة الأخبار والأحاديث وبثها ونشرها في الآفاق البعيدة وهو بلغة الفرنجة (الراديو) يعتبر من مخترعات العصر الحاضر إذ لم يتجاوز عمره الآن الثمانية عقود أى ثمانين سنة . وهو عند التأمل أعجوبة من الأعاجيب إذ ما كان يعقل عند كل البشر أن المرء يتكلم أو يتحدث في مكان ما وينتقل صوته المحدود إلى بلاد بعيدة كل البعد ، وديار مختلفة كل الاختلاف ، وإلى أماكن خفية كل الخفاء .

فالمذيع يذيع من عاصمة الانكليز (لندن) من محطة معينة فيذيع صوته وينتشر حتى يبلغ شمال أفريقيا وغربها وشرقها ووسط آسيا وغربها وشرق أوروبا وغربها على حد سواء ويدخل الصوت كل بيت ويسمع في كل حجرة مهما خفيت وضائق أو اتسعت ، متى وجدت آلة التقاط الصوت وهى . المذياع (الراديو) إن هذا الحق معجب ومدهش وما كان الحديث عنه يستساغ أو يقبل بحال . ولو أخبر به إنسان غير الرسول صلى الله عليه وسلم الواجب تصديقه لما وجد من يصدقه في دنيا الناس ابداً .

والسؤال الآن هو : هل أخبر الرسول ﷺ بما يدل على هذه الآلة وأنها ستوجد في آخر الزمان ، وقد علمنا أنه ﷺ قد حدث أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة ؟ .

والجواب : نعم أشار إلى ذلك إشارة واضحة في رواية الدارمى التالية . وبالتأمل يرى القارئ أنها إشارة أفصح من عبارة في دلالتها على آلة المذياع العجيبة . أخرج الدارمى في مسنده وأبو نعيم في حليته عن أبى الزاهرية يرفعه أن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى قال : « أبث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل و المرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك أخذتهم بحفى عليهم » . ووجه الاستدلال بهذا الحديث على المذياع

في قوله تعالى : أبث العلم في آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة الخ . .
 فإن بَثَّ العلم الذي هو نشره حتى يعم من ذكر يحتاج إلى آلة وكون الآلة
 علماء يعلمون الناس لا يصح من وجهين الأول : أن العلماء لا يمكنهم
 ذلك ، إذ نشر العلم بالصورة التي ذكرت في الخبر لا يتأتى للعلماء بحال
 إلا إذا جمع لهم كل الناس من رجال ونساء وأحرار وعبيد وصغار وكبار ،
 وهذا متعذر في العادة فكيف يكون مراداً في الحديث ؟ والثاني : أن الله
 تعالى قال فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم . ولازم هذا أنهم لم
 يعملوا بالعلم الذي علموه ، وهذا دليل على أنهم لم يتلقوه من أفواه العلماء
 مشافهة ولذا لم يتأثروا به فلم يعملوا فاستوجبوا العذاب فأخذوا به .
 وحينئذ لم يبق من واسطة لبث العلم ونشره بالصورة المذكورة مع عدم
 العمل به حتى يؤاخذ الناس به إلا أن يكون آلة المذيع إذ هي التي دخلت
 على الناس بيوتهم وغشيت مجالسهم وصاحبتهم في حلهم وترحالهم
 وإقامتهم وأسفارهم . وبواسطتها عمت الثقافة اليوم البوادي والخواضر ،
 فنسمع القرآن مرتلاً مجوداً والسنة موضحة مفسرة والشرعية مفصلة مبينة ،
 وذلك بواسطة الأحاديث الإذاعية المختلفة المتنوعة . والتي تبث طوال
 السنة من آلاف المحطات في العالم حتى لم يبق من لم يعرف عن الله تعالى
 ورسوله ودينه . وبهذا أصبح من غير المشكوك فيه أن النبي ﷺ قد أخبر
 باختراع آلة الراديو ووقع ما أخبر به كما هو . وبهذا تأكد لكل ذي عقل سليم
 أن محمداً رسول الله صدقاً وحقاً ، وأن النجاة كل النجاة في الإيمان به
 واتباع ما جاء به من الدين الحق ، وأن الخسران في الكفر به وعدم متابعتة
 على ما جاء به من الدين الحق ، وهو الإسلام .

٢ - المراكب الحديثة

إن السكك الحديدية والسيارات والطائرات مراكب حديثة لم تكن عرفت قبل مائتي سنة من عمر الدنيا الطويل ، وهى حقاً من ثمرات التقنية العصرية ، ولم يكن منها على عهد رسول الله ﷺ شىء يذكر فى دنيا الناس قط إذ لم يزد عمر هذه المراكب الحديثة على قرن ونصف من الزمن . ومع هذا فقد وردت الإشارة إلى جودها مستقبلاً فى كل من الكتاب والسنة قال تعالى من سورة النحل : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ . فقد يدخل فى قوله ويخلق ما لا تعلمون سائر المراكب الحديثة ما وجد منها ، وما قد يوجد غداً إن طالت بالناس الحياة . بل القرآن دل على نوع خاص من الطائرات وهو ما يعرف بحاملات القذائف من النفاثات الحربية ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ . ففى هذه الآية من سورة الفيل تصوير رائع للطائرات النفاثة من حاملات القذائف وهى تقذف بها على تجمعات الجيوش المعادية فتحيلها إلى شبه زرع رعته الماشية فحطمته تحطيماً . وقال رسول الله ﷺ فى رواية أحمد : « سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون بها على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات » .

فهذا الحديث الصحيح قطعى الدلالة على وجود السيارات فى آخر الزمان ، وذلك أن مقاعد السيارات كسروج الخيل بلا فرق بينها ، وأن هياكل السيارات شبيهة بالهواذج التى توضع على ظهور الجمال ليركبها النساء فتسترهن وتقيهن الحر والبرد وهى المعبر عنها فى الحديث بالرحال جمع رحل وهو ما يحمل على البعير .

وقال ﷺ في رواية أحمد وغيره : « لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب وتقارب الأسواق ويتقارب الزمان وتطوى الأرض » الحديث . فتقارب الزمان وطى الأرض لم يكن لهما وجه صحيح يفسران به إلا وجود مركوب سريع - وهو الطائرات - يصل به المرء من البلاد البعيدة في أقرب وقت ، إن ما كان يقطعه المسافر من مسافة في شهر يقطعه اليوم بالطائرة في ساعة ، وما كان يقطعه في نصف سنة يقطعه اليوم بالطائرة في خمس ساعات ، وما كان يقطعه في سنة يقطعه الآن بالطائرة في يوم فقط فكأن الزمان قد تقاربت أجزاؤه ، والأرض قد طويت في بعضها . وهذا مدلول الحديث النبوى الشريف فكان آية صدقه ﷺ . وكان شرطاً من أشراف الساعة قد وجد .

وقال ﷺ في رواية مسلم . وهو يصف الدجال « قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض ؟ قال : كالسحاب استدبرته الريح » . فالسرعة التي تمكن الأعور الدجال من الطواف بمدن العالم وقراه مدة لا تزيد على سنة ونصف كما ورد بذلك الحديث لا تكون إلا على مثل هذه الطائرات ، لاسيما وأن وصف الرسول ﷺ له بأنه كالسحاب استدبرته الريح ينطبق تماماً على سرعة الطائرات وكيفية طيرانها في الهواء فهذا الخبر الصحيح دال على وجود الطائرات ولم تكن فهو كذلك علم من أعلام النبوة المحمدية . وشرط من أشراف الساعة .

وقال عليه الصلاة والسلام في رواية الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « لا تقوم الساعة حتى لا تنطع ذات قرن جماء (١) ، وحتى يبعث الغلام الشيخ (٢) بربداً بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً » . ففى هذا الحديث زيادة على دلالة على وجود الطائرات إذ قطع المسافة بين الأفقين الشرقى والغربى لا تكون قطعاً إلا على مركوب

(١) الجماء التى لا قرون لها .

(٢) يريد يحمل له رسائله ، وما يريد إيصاله إلى رئيس دولة من الدول .

مثل الطائرات . فإن فيه من أعلام النبوة وأشراط الساعة ما يلي :

١ - القضاء على الغارات التي كانت تشنها العصابات المجرمة على المدن والقرى من الوقت إلى الوقت فيسلبون وينهبون ويفرون . فقد تم القضاء على مثل هذا النوع من الإجرام بالأنظمة الحديثة بقوى الأمن ورجال الشرطة ، وما زدوا به من الآلات الحديثة التي تساعد على اكتشاف هذه العصابات ومحاصرتها والقضاء عليها ، وهذا ما أشار إليه الحديث في الجملة الأولى منه : « حتى لا تنطح ذات قرن جماء » .

٢ - وجد حكام حُدثاء الأسنان من الشبان يستخدمون كبار السن من المشايخ في مهام الحكم فيسافرون في مهامهم بالطائرات بين الآفاق . كما هو واقع اليوم دل على هذا قوله : « وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين » كما يتصور في استخدام رؤساء المؤسسات من الأحداث الشيوخ الكبار ويرسلونهم في حوائجهم مسافات بعيدة ولا يستحيون أو يخجلون من استخدام الكبير السن الذي يستحي منه الله تعالى فلا يعذبه يوم القيامة .

٣ - قلة الربح في كثير من التجارات وذلك لوجود المواصلات السريعة والإخباريات الحديثة فتقاربت بذلك الأسواق وقل الربح في كثير من التجارات أما في الزمن الأول فكان من ينقل بضاعة من إقليم إلى آخر يتاجر فيها ربحه مؤكداً تماماً لفراغ الأسواق من أجل المشقة التي تحصل لمن يسافر من إقليم إلى آخر ولانعدام المواصلات الحديثة . وأخيراً فهذه الأخبار أكدت صحة ما أخبر به الرسول ﷺ من وجود الطائرات والسيارات والسكك الحديدية في آخر الزمان . وبذلك تقرر نبوة محمد ﷺ وظهرت أشراط الساعة فهل من تائب ؟؟ .

٣ - الهاتف السلكى واللاسلكى والتلغراف والتلكس

إن هذه الآلة الموصلة للصوت إلى أبعد الافاق هى من أنفع الآلات وبها تقارب الزمان . وانطوى بُعد المكان ، وأصبح البعيد قريباً . قد أخبر بها الرسول ﷺ فى مثل الأحاديث التالية :

١ - حديث النسائي فى سننه وهذا نصه : « إن من أشراط الساعة أن يقشو المال ويكثر وتفشو التجارة ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول : لا ، حتى استأمر تاجر بنى فلان » الخ . . . والشاهد على آلة الهاتف والتلغراف فى هذا الحديث فى قوله ﷺ : حتى استأمر تاجر بنى فلان ، إذ طلب التاجر الأمر أو الإذن من تاجر آخر بعيد عنه قبل أن يبت فى الصفقة ما كان يتم بحال من الأحوال لتباعد البلاد ، أما عند ظهور آلة التليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس فإن التاجر فى بلاد بعيدة يتصل بتاجر آخر ويسأله عن القيمة ، وإن كان شريكه يطلب منه الإذن بالبيع وعدمه .

٢ - حديث الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ونصه : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة ، وتكون الجمعة كالיום ، ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة . والشاهد من هذا الحديث فى قوله حتى يتقارب الزمان ، إذ لا وجه لتقارب الزمان إذ هو نظام ثابت ناشئ عن ارتباط الأرض بالشمس والقمر لا يخل إلا عند خراب العالم والإيدان بفناء الكون قبيل يوم القيامة . إلا أن يكون هناك آلات تقرب البعيد فتطوى معها الأزمنة والأمكنة فما كان يوصل إليه من خير أو شر فى سنة يوصل إليه فى شهر ، وما كان يوصل إليه فى شهر يوصل إليه فى جمعة ، وما كان يوصل إليه فى جمعة يوصل إليه فى يوم . وما كان يصل إليه فى ساعة يصل إليه فى مثل احتراق السعفة أى فى دقيقة أو أقل . هذه الآلات لاتعدو الطائرات والتليفون بنوعيه والتلغراف والتلكس .

٣ - حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند الطبرانى وفيه : « من اقترب الساعة انتفاج الأهلة » وفي رواية أبى هريرة رضى الله عنه انتفاج الأهلة . والشاهد من الخبر فى لفظ ابن مسعود (انتفاج الأهلة) إذ معناه سرعة انتشار خبرها لمجرد ظهورها ورؤيتها فى البلاد كما هى الحال اليوم يُرى الهلال فى بلد ما فينتشر خبره بواسطة التليفون والتلغراف فى سائر البلاد فى أقل من ساعة . إذ الانتفاج مأخوذ من نفجت الأرنب إذا سارت مسرعة . وأنفجها الصائد إذا أثارها من مخبئها فأسرعت هاربة بأوْحَى عدوها أى بأسرعه . أما لفظ رواية أبى هريرة : انتفاج الأهلة فهو دال على وجود المراسد ومكبرات الرؤية وفيه عِلْمٌ من أعلام النبوة أيضا وشرط من أشراف الساعة .

وأخيرا إن سرعة انتشار خبر الهلال فيعم بلادا عديدة ومتباعدة ما كان ليتم قبل وجود آلة الهاتف والتلغراف بحال من الأحوال . أما عندما وجدت هذه الآلات فإن خبر الهلال أصبح يصل بأعظم سرعة إلى آفاق بعيدة ، فيصوم الناس ويفطرون فى يوم واحد نتيجة لانتفاج الأهلة ونشر خبر ظهورها بواسطة الهاتف (التليفون) والتلغراف والمذياع والتلفاز . ويتأمل ما ذكرنا فى الأحاديث الثلاثة يثبت لدينا وبدون شك أن النبى ﷺ قد أخبر عن وجود هذه الآلات فى وقت لم يكن ليصدق مثل هذا الخبر إلا أن ينطق به نبيّ يجب الإيمان بما يخبر به من شأن الغيب معقولا كان أو غير معقول .

وبهذا ثبتت نبوة نبيّنا وتقررت رسالته ﷺ . كما تأكد قرب الساعة إذ هذه الأخبار الصادقة من أشرافها . فهل من منيب إلى ربه .

٤ - آلة التسجيل وكلام الجهادات

إن كلام الجهادات كان من قبيل المستحيلات العقلية إلا أن يكون معجزة لنبي أو كرامة لولى إذ المعجزات كالكرامات كلها من قبيل خرق

العادات . بيد أن النبي ﷺ قد أخبر بأن ذلك كائن في آخر الزمان ، وأن الساعة لا تقوم حتى يكلم الإنسان عذبةً سوطه يعنى طرف عصاه وحتى يخبره شراك نعله بما أحدث أهله جاء ذلك في رواية أحمد من مسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ونصها : إنها أمارات من أمارات بين يدي الساعة : « أو شك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعله وسوطه ما أحدث أهله بعده » . فكون الرجل تحدثه نعله وسوطه وهما من الجمادات أمر غير معروف ، ولا متوقع أن يكون بحال ، لأن الجماد لا ينطق ولا يتكلم فكيف يحدث ويخبر ؟ غير أن النبي ﷺ قد أخبر أن هذا كائن لا محالة وهو من أمارات الساعة وأشراتها . وصدق رسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به فآلة التسجيل ، والأشرطة المسجلة الناطقة بكل ما يسجل عليها تبين بها صدق هذا الخبر ، وأصبح الرجل يضع آلة التسجيل في بيته فتسجل له كل ما يحدثه أهله في غيبته وهم لا يشعرون ، وقد توسع في صناعة هذه الآلة وتطويرها حتى أصبحت توضع في مثل السوط ، وتوضع في الجيب . وكان هذا من أعلام النبوة المحمدية . وآيات قرب الساعة وبذا وجب على كل عاقل من بنى آدم اليوم أن يؤمن برسالة محمد ﷺ ويدخل في دين الله الحق الذى جاء به ﷺ طلباً لنجاة نفسه من عذاب الآخرة ثم للسعادة في الملكوت الأعلى مع مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

٥ - آلة التصوير الفوتوغرافى (الكاميرا)

إن التصوير بالريشة والقلم والنسيج في الثياب وغيرها كالنحت في الأحجار والأخشاب وغيرها معروف لدى أمم العالم وشعوبه من قديم الدهر ، ومن قبل حادثة الطوفان التى تمت على عهد نبي الله نوح عليه السلام ، غير أن التصوير الفوتوغرافى بآلة ما يسمى بالكاميرا لم يكن معروفاً ولا معهوداً حتى عند أرقى أمم العالم حضارة وتقدناً . وهو - أى فن التصوير - يعتبر مظهراً من مظاهر الحضارة العصرية

والتقنية الحديثة وقد شاع هذا الفن وذاع وأصبحت آلاته بيد كل انسان يريد ذلك . وصورت بهذه الآلة الأشياء جليلها وحقيرها : الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، وحتى المساجد بيوت الله تعالى قد صورت وعلقت صورها في المنازل والبيوت لاسيما المساجد المقدسة الثلاثة : المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ، والمساجد الأثرية كمسجد أياصوفيا والقرويين والزيتونة والأزهر الشريف ومسجد دار الخلافة العثمانية باسطنبول وغيرها .

كل ذلك ليتحقق ما أخبر به النبي ﷺ ويتم على نحو ما أخبر به تماما ، ومنذ ألف وأربعمائة سنة تقريبا . فقد أخرج أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من علامات اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة فذكر الحديث وفيه : وحُلِّيت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنائر » .

ولننظر إلى الواقع كيف تجلت فيه هذه المغييات واحدة بعد الأخرى . أما تحلية المصاحف بالذهب والفضة وأنواع الزخارف فقد ظهر بعد عصر التابعين مباشرة وكذا تطويل المنارات ورفعها حتى أصبحت أرفع من كل بناء المدن والقرى ترى في عنان السماء وكأنها تناطح السحاب ، وذلك في كثير من البلاد الإسلامية ومن عهد الفاطميين إلى يومنا هذا . وأما تصوير المساجد - لا رسمها - فلم يكن معهوداً ، ولا يعرف الناس كيف يتم تصوير المساجد حتى ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافي ، فصورت بها المساجد وغيرها كما قدمنا في أول البحث . وكان ذلك علما من أعلام النبوة المحمدية ، وعلامة بارزة من علامات قرب الساعة .

وختامنا فقد ذكرنا في هذه الرسالة على قصرها عدداً من الأحاديث النبوية ^(١) والأخبار المحمدية المنبئة بصريح العبارة أو لطيف الإشارة عن

(١) ليعلم القارئ أن ما أوردنا في هذه الرسالة من الأحاديث النبوية ببعض صحيح الإسناد ، وبعضه حسن ، وبعضه ضعيف . ولكن ما دام الواقع قد شهد له بالصحة فإذا لم تكلف أنفسنا عناء التحريم والتصحيح لأن من علامات صحة الحديث مطابقته للواقع ، ومن علامات وضعه مخالفته له .

معظم ما أدهش الناس حدوثه . وجعل كثيرا من المؤمنين يتساءلون : هل كان النبي ﷺ أخبر به أو حدث أصحابه بمثله ؟؟ وذلك من عجائب المخترعات الحديثة التي بهرت عقول الناس وحيّرت أفكار الكثيرين ، إذ هي - في الحقيقة - أمور كان العقل البشري يحيل وجودها بل ولا حتى مجرد تصورها إلا أن يخبر بها نبي فإنه يصدق فيها أخبر به سواء أحوال العقل ما أخبر به أو أجازه كسائر الغيوب التي يخبر بها الأنبياء عن الله تعالى ، والدار الآخرة .

ومن أعظم هذه المخترعات الحديثة شأناً وأكثرها نفعاً للإنسانية الرحلات الجوية والمكالمات اللاسلكية ، والبث الإذاعي ، والعرض التلفازي .

وقد أخبر بها النبي محمد ﷺ قبل وقوعها بمئات السنين فكان كما أخبر تماماً وحرفياً كأنه المشاهد الحاضر . وبذلك ظهرت الحجة وقام الدليل على ثبوت نبوته وصدق رسالته ﷺ حتى أصبح إنكار نبوته وجحد رسالته يعتبر سخفاً وحماقة وطيشاً وسفهاً لا يُقر بها عاقل سليم العقل في دنيا الناس . كما قام الدليل القاطع بهذه الأخبار الغيبية على قرب الساعة ، وآيات لقرب مجيئها فلذا أصبح من المؤكد أن الساعة قريبة المجيء ، وأنها على الأبواب وكالحامل المتم المقارب لا يدري متى تضع جنينها ، وهذه حال تتطلب من عقلاء الناس المبادرة الفورية إلى التوبة النصوح ، وذلك بإصلاح فاسد القلوب والأقوال والأعمال باعتقاد الحق والقول به والعمل ، وهو ما جاء به النبي ﷺ وحمله إلى الناس كتاب الله وسنته ﷺ .

ألا فالبدار يا عقلاء البشر زكوا أنفسكم بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرع الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، وجنبوها ما يفسدها من الشرك والمعاصي ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به . وليعلموا أنها هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ .

الموضوع	الصفحة
بين يدي الرسالة	٣
المذياع (الراديو)	٧
المراكب الحديثة	٩
الهاتف السلكي واللاسلكي والتلغراف والتلكس	١٢
آلة التسجيل وكلام الجمادات	١٣
آلة التصوير الفتوغرافي (الكاميرا)	١٤

الرسالة الخامسة عشر
الاحاديث النبوية الشريفة
في أعاجيب المخترعات الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وبعد فإن كل الظواهر الكونية في هذا الوجود دالة بواقعها الذي لا يختلف فيه أنها مسبوقة بَعْدَمٍ بمعنى أنها لم تكن ثم كانت فهي لذلك محدثة ، وسيؤول أمرها إلى العدم مرة أخرى وهو الرجوع إلى الأصل الذي هو العدم السابق . وهذا هو الهلاك والفناء الواردان في قول الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنْ يُبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢) إن كل شيء - ما عدا الله جل جلاله وهو الخالق الباريء . الحى القيوم الباقي يطرأ عليه الفناء والهلاك كما طرأ عليه الحدوث المسبوق بالعدم . أما الله تبارك وتعالى فإنه وحده خالق العوالم وطينتها (٣) الأولى فهو لم يسبق بعدم فيلحقه الفناء عز وجل ، إنه وحده الأول والآخر ، والوارث لهذه الحياة بكل ما فيها سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

(١) الآية من خاتمة سورة القصص .

(٢) من سورة الرحمن .

(٣) المراد بالطينة : ما يسمى بالهوى ، وهي مادة خلق العالم . ويعبر عنها بالسديم وهو كالدخان . لقول الله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ .

ومن الظواهر الكونية المسلم بها والتي لا يختلف فيها اثنان أن الكائن الحى أو النامى عندما يقرب طروء العدم عليه تحدث له ظواهر ذاتية تدل على قرب طروء العدم عليه ، وهذا مايسمى بالأعراض المرضية ، أو علامات الوفاة . أو مظاهر الضعف الدالة على قرب الهلاك والموت .

وأهل الاختصاص هم الذين يعرفون تلك الأعراض ، والظواهر الدالة على دنو أجل الإنسان أو هلاك الحيوان والنبات . وأجل الحياة العامة كالخاصة مجهول لكل الناس غير معلوم لأى أحد سوى الخالق عز وجل . والساعة التى تنتهى فيها هذه الحياة الدنيا ثقل أمر علمها فى الأرض والسموات . قال تعالى فى شأنها : ﴿ يسألونك عن الساعة ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت فى السموات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة ﴾ (١) . بيد أن لها أعراضا وظواهر تظهر فى شكل علامات تدل على قرب الأجل ، وساعة نهاية الحياة العامة . وهذا عام فى الكائنات الحية والنامية فإنها إذا قرب طرؤ الفناء عليها تبرز فيها علامات تدل عليه يعرفها أهل الاختصاص كما قدمنا .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ وهو صاحب الاختصاص العام يذكر لأصحابه رضى الله عنهم علامات قرب الساعة ونهاية هذه الحياة الدنيا لتبتدىء الحياة الآخرة الخالدة الباقية .

ومن تلك العلامات ما هو بعيد نسبياً عن ساعة نهاية الحياة ومنها ما هو قريب نسبياً أيضاً . ومنها ما هو قريب قرباً حقيقياً .

وبالنظر الفاحص الدقيق إلى تلك العلامات والظواهر يرى أن بعضها ظهر ويظهر فى الآفاق الكونية ، وبعضها ظهر أو يظهر فى الأنفس البشرية . وما تزال كل يوم تظهر تلك العلامات حتى

(٢) الآية من سورة الأعراف .

لا تبقى منها علامة إلا وقد ظهرت . ويومئذ يحصل الانقلاب الكونى الذى ينتهى بنهاية هذه الحياة فتعود الأكوان كما كانت سديماً وبخاراً وذلك فى قوله : ﴿ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ (١) وقوله : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى ، أفلا يؤمنون ﴾ (٢) .

وإلى القارىء الكريم تلك الظواهر والعلامات ، ليعلم أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور . وليعظم من شأن رسول الله ﷺ . ويكبر من أمر رسالته الختامية ، فيبلغ اليقين فى إيمانه به ، فيتحمل واجب الدعوة إلى الإيـمان به ﷺ وبدينه الذى هو سبيل نـجاة الإنسان وسعادته فى كلتا الحياتين متى آمن به وتقيـد بشرائعه . وهذه هى النتيجة التى توخيناها من كتابة هذه الرسالة ونشرها بين الناس . والله نسأل أن يحقق لنا وللقارىء ما قصدناه ورمناه ، إنه قوى قدير وبالاجابة جدير .

(١) الآية من سورة الأنبياء .

(٢) الآية من سورة الأنبياء .

العلامات الواردة

في الآفاق

إن علامات قرب الساعة . وآيات ظهورها ليست محصورة فيما نورد من أحاديث فقط ؛ إذ ما ذكره لا يمثل إلا جزءاً يسيراً وعدداً قليلاً منها وإنما حسبنا أن نذكر طرفاً يحصل به الغرض من تقرير نبوة المخبر به ﷺ ويتأكد به مبدأ حتمية نهاية هذه الحياة . واستقبال الحياة الآخرة بكل ما فيها وهذه العلامات التي ظهرت في الآفاق .

١ - وجود دويلة اليهود في فلسطين :

إن اليهود بذهاب آخر مُلْكٍ لهم ، وتشردهم في آفاق ، وذلك على يد دولة الرومان المجاورة لبلادهم ، والمحاددة لها شمالاً وغرباً وقعوا في شبه يأس كامل من أن يعود لهم ملك أو يرجع لهم دولة أو سلطان ، وزاد يأسهم بظهور دولة الاسلام وخاصة بعد أن ضمت تحت جناحيها مملكة فارس ودولة الروم في أكثر ديارهم . وأجلوا عن الحجاز وأصبحوا أفراداً ذميين يعيشون تحت ظل دولة العدل والرحمة الاسلامية في كل من الشرقين الأدنى والأوسط والشمال الأفريقي .

هذا وأما فكرة العمل على إعادة مملكة بنى إسرائيل في أرض المعاد فإنها لدى المسلمين غير واردة بالمرّة ، ولم تكن تخطر لأحد منهم على بال ، لما صرحت به آيات القرآن من كُتِبَ الله تعالى على اليهود الذلة والمسكنة . ولاعلام الله تعالى أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . أما عند خواص اليهود فإنها كانت تراودهم كأمل من الحين إلى الحين ، ولذا تعاونوا مع عناصر المجوس الناقمين على الاسلام الذي ثل عرش كسرى ، وهـد أركان مملكة الساسانيين^(١) بأرض فارس ،

(١) بنو ساسان أسرة . ملكية فارسة حكمت فارساً من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٥١ م ، وهى التى جردها الفتح الإسلامى من ملكها فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. (انظر دائرة المعارف) .

واستطاعوا أن يضربوا الاسلام ويدوخوه . وكانت أول ضربة وجهوها إلى الاسلام قتلهم الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إذا قتله أبولؤلؤة المجوسى بأمر من منظمة مجوسية سرية متعاونة مع اليهود ، ثم إحداث فتنة المال وقتل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان حامل راية هذه الفتنة عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعانى ثم إشعال نار الحرب بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، وإذكاؤها كلما خبت أو كادت .

ولما استعصى عليهم أمر قطع جبل الإسلام بالحروب عادوا إلى الدس والمكر والخديعة فأوجدوا مذهب التشيع لآل البيت وهو المذهب الشيعى المدمر ، والذي برع اليهود فى صنعه متعاونين مع إخوانهم المجوس ، فكان هذا المذهب المدمر ، لا يقل أثراً فى الدمار والتخريب عن المذهب الماركسى الشيوعى إلا أن الأول كان قاصراً على ضرب الإسلام والثانى عام فى الإسلام والمسيحية على حد سواء ، إذ الإسلام والمسيحية فى نظر اليهود أنهما السد الحائل دون عودة مملكة بنى إسرائيل إلى الوجود فلذا وضعوا المذهب الماركسى لنشر الإلحاد واللا دينية فى العالمين الإسلامى والمسيحى معاً .

وفرغ اليهود من الإسلام والصليبية بعد حرب طويلة من الدس والمكر والخداع والتضليل دامت زهاء ستين وثلاثمائة وألف سنة وظهرت دولة إسرائيل على ركام من جماجم وأرواح وأخلاق وآداب الأمتين الإسلامية والمسيحية . واندھش المسلمون وانتابهم موجة شديدة من الحيرة والشك وتساءلوا قائلين : كيف يكون لليهود دولة ؟ كيف يكون لليهود حكم وسلطان ؟ وكيف يتم ذلك على أرض الإسلام بلاد القدس ؟ وأكبروا الأمر واستعظموه ، وصدق رسول الله إذا يقول : « لا تقوم الساعة ^(١) حتى تروا أموراً عظيماً لم تكونوا ترونها ، ولا تحدثون بها أنفسكم » ويقول : « سترون

(١) رواه أحمد والبيهاق والطبرانى .

قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظاما ، تقولون : هل كنا حَدَّثنا بهذا (١)

والسؤال الآن هل أخبر النبي بوجود دولة إسرائيل ؟ .

والجواب : نعم وهذا مسلم يروى لنا في صحيحه ما يثبت ذلك فقد أخرج قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » (٢)

هذه رواية أبى هريرة . أما رواية ابن عمر فنصها : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » . ودلالة هذين الحديثين الصحيحين على وجود دولة اليهود فى آخر الزمان هى فى قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودى » الخ إذ الوقت الذى أخبر فيه الرسول ﷺ بهذا الخبر كان اليهود قد أجلوا عن المدينة ، والإسلام قد عز فى كل الجزيرة ولم يكن لليهود وجود مخيف أبداً . وفى أى صقع من الأرض . إذا هم أقليات يعيشون هنا وهناك موزعين فى شتى أنحاء العالم . وكل الدنيا تلغهم فكيف يصح منهم قتال للمسلمين الذين أخبر عنهم ﷺ أن ملكهم (٣) سيبلغ أقصى المشرق وأقصى المغرب ، وفعلاتم لأمة الإسلام ذلك . فيكيف إذاً يتأتى لليهود قتال المسلمين اللهم إلا إذا اجتمعوا فى مكان واحد وكانت لهم فيه دولة وسلطان وعندها يمكنهم أن يقاتلوا المسلمين . وتمضى السنون وتتوالى القرون ويتجمع اليهود فى فلسطين ويكونون دولة يعترف بها أكثر دول العالم ويقاتلون المسلمين فى

(١) رواه البزار والطراى فى الكبير من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه كالأول .

(٢) شجر الغرقد يوجد بالمدينة المنورة وكان يبيت بالبقيع مقبرة المدينة ولذا يقال بقیع الغرقد . بلغنى من الطلاب الفلسطينيين

أن اليهود يعنون اليوم عناية كبيرة بشجرة الغرقد بفلسطين المحتلة .

(٣) من معنى حديث ثوبان عند مسلم : « أن الله زوى لىء الأرض » الحديث .

أكثر من عشر حروب ، ولا يزالون يقاتلونهم حتى يتم وعد الله ويسلط الله المسلمين عليهم فيقتلونهم حتى يقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائى فاقتله . وهذا الأمر موقوف على توبة المسلمين برجوعهم إلى الإسلام رجوعاً صحيحاً ينتظم العقيدة والعبادة والخلق والأدب والحكم .

وأخيراً فقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به من قتال المسلمين لليهود فى آخر الزمان إذا ما قامت الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود وما زالوا يقاتلونهم حتى يغلّبهم بإذن ربهم . ودل ذلك على وجود دولة اليهود . وعلى قرب الساعة وبذلك تأكدت نبوة محمد ﷺ وتقررت رسالته . وعجبا للناس كيف لا يؤمنون به ولا يهتدون بهديه حتى ينجوا ويسعدوا ؟ .

٢ - تعدد الدول الإسلامية :

وهذه آية أخرى من آيات النبوة المحمدية . وعلامة من علامات قرب الساعة تظهر واضحة جلية فى أفق الحياة الإسلامية بحيث لا يستطيع أحد إنكارها ، تلك هى تعدد الدول الإسلامية حتى بلغت خمساً وعشرين دولة فى هذه الأيام وهى محصورة فيما بين أندونيسيا شرقاً والمملكة المغربية غرباً . إن وجود هذا العدد من الدول الإسلامية ، كل دولة مستقلة تماماً عن غيرها لم يكن يخطر على بال أحد من المسلمين ، وذلك لتحريم الإسلام لمثل هذا التعدد الناتج عن انقسام دولة الإسلام الواحدة ، والتى يجب أن لا تكون إلا واحدة لتعظم وتقوى وتقدر على حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة ليكملوا به ويسعدوا عليه فى الدنيا والآخرة ، إذ الانقسام يورث الضعف وذهاب الريح ، ويؤمئذ يعجز المسلمون عن أداء رسالتهم ويُعاقون عن هداية الخلق وإصلاحهم .

ومع هذا فقد انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات عدّة بلغت خمساً وعشرين كما قدمنا ، وتم هذا مصداقاً لإخبار الرسول ﷺ به ، وذلك فى

حديث عبد الله بن مسعود الذى رواه الحاكم والدارمى وأبو نعيم وهذا نصه : « كيف أنتم إذا لبستم فتنة فتتخذ سنة يربو فيه الصغير ، ويهرم الكبير ، وإذا ترك منها شيء قيل تركت سنة ؟ قالوا : متى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا كثر قراؤكم وقلت علمائكم ، وكثرت أمراؤكم ، وقلت أمناؤكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقّه لغير الله » (١).

إن هذا الحديث الشريف لم يتضمن ظاهرة تعدد الدول الإسلامية المشار إليها بكثرة الأمراء فحسب بل تضمن ظواهر أخرى كلها دالة على نبوة الرسول ﷺ وعلى قرب الساعة وهذا بيان ذلك :

١ - كثرة القراء : إذ نسبة الأُمّة قد انخفضت جداً بين المسلمين في هذه الأيام وما أصبح يوجد من لا يقرأ ويكتب إلا نادراً وذلك لكثرة المدارس ونظام محو الأُمّة بين المواطنين .

٢ - قلة العلماء ، انه على الرغم من كثرة القراء ومعاهد العلم ومدارسه فقد قلّ العلماء المتبحرون في العلوم الإسلامية وخاصّة الشرعية منها حتى أصبح العديد من المدن والقرى لا يوجد فيها عالم واحد يفتى المسلمين في أمور دينهم .

٣ - كثرة الأمراء ، وهذا صادق بتعدد الدول الإسلامية وهو محل الشاهد كما قدمنا فبدل الأمير الواحد للمسلمين وما عداه ولاية وقضاة ورؤساء أجناد ، أصبحت الدولة الإسلامية دولا ، وأصبح أمير المسلمين أمراء .

٤ - قلة الأمناء : إن الأمناء يقلون بقلّة الأمانة وأول ماتفقد هذه الأمة الأمانة وقد فقدتها ، وبذلك قل الأمناء . وإن ارتبت أخى القارىء فتسمع أحاديث الناس وهم يطعن بعضهم بعضاً فإنك تحسب بدون شك أنه لم يبق أمين بين الناس والعياذ بالله تعالى .

٥ - التماس الدنيا بعمل الآخرة : وهذه الظاهرة وجوه كثيرة منها

(١) لبستم فتنة هو بمعنى تلبستم بفتنة ، والفتنة ما يفتن المسلم عن دينه الحق .

٣ - نظرية داروين :

هذه النظرية وإن أنكرها وكفر بها علماء الكون والطبيعة في كل من أوروبا وأمريكا وبالعوا في إنكارها حتى وصفها بعضهم بأنها نظرية أبوها الكفر ، وأمها القذارة ، فإن العالم الإسلامي قد قررها ضمناً واعترف بها رسمياً حيث مازالت تدرس في المدارس الثانوية ولو على سبيل أنها مجرد نظرية تصح أو لا تصح . وحقيقة هذه النظرية الدارونية : أن الإنسان متطور عن القرد على قاعدة النشوء والارتقاء . وإذا فلا آدم ولا حواء عليهما السلام وبالتالي فلا إله ، والحياة مادة .

ومن هنا ما كانت النظرية الدارونية إلا لعبة يهودية أو ضحكة صهيونية ماسونية على أذقان العالم . الهدف منها زعزعة الإيمان في نفوس المؤمنين بإلقاء هذه الأوساخ من النظريات ، والأفكار الإلحادية التي تنبت الشك في القلوب في وجود الرب تبارك وتعالى وقيوميته على كل شيء ، وخلقه لكل شيء وتديره لكل شيء .

لأنه متى خلت القلوب من عقيدة الإيمان بالله ولقائه وعدله ورحمته خوت تماماً من معاني الجمال والكمال وأصبح الإنسان بهيمة لا تعقل ولا تفكر إلا في شهوات بطنها وفرجها . وأصبح الآدمي آلة صماء لا تسمع ولا تبصر ، ولا تعقل ولا تفكر وإنما تحركها أصابع اليهودية العالمية كيف تشاء . ويومئذ يحق لدولة إسرائيل أن تتحول إلى مملكة إسرائيل التي تمتد لا من النيل إلى الفرات فحسب ، بل من الغرب إلى الشرق واضعة العالم الإنساني كله تحت كلِّكْلِها الثقيل وأنفاسها المنتنة الخبيثة .

لقد مرت الأجيال البشرية على ساحة الحياة يتلو بعضها بعضاً وفيها الأنبياء والحكماء والعلماء والصلحاء والمفكرون والمصلحون ولقرون عديدة ولم يخطر على بال واحد منهم مثل النظرية الدارونية ، حتى ظهر في ذيل الحياة صنعة اليهود ولعبة الصهيونية العالمية داروين اليهودي القذر يحمل

نظريته في أصل الإنسان وخلقه ، ويشغب بها على العالم أجمع ، ويشكك كل إنسان في أبيه وأمه ، وتصادف نظريته التعقّن البلشفي الشيوعي وقد عشى كوّباء خطير جلّ سكان المعمورة فاستجاب للنظرية التي أبوها الكفر وأمه القذارة فثام الناس وهم الذين فقدوا من قبل جمال الإيمان وحلية الفطرة في الإنسان .

وعجب المؤمنون من هذه الفتنة وتساءلوا هل كان النبي ﷺ أخبر أصحابه بشيء عنها وهو الذي قد أخبرهم بكل شيء يأتي في عمر هذه الحياة ؟ وإذا بالإمام مسلم يروى لنا في صحيحة ما هو صريح الدلالة قطعياً في رفض النظرية الدارونية واجتثاثها من أصلها والإلقاء بها في سلة المهملات .

وهذه روايته في الصحيح : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته (١) . وتأويل هذا الحديث يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : باطل لأنه محال عقلاً وشرعاً وهو كون الله تعالى خلق آدم على صورته عز وجل إذ الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فلم يكن له تعالى كفؤ ولا مثل بحال .

والثاني : محتمل الجواز وهو أنه يكون الله تعالى خلق آدم على صورة الرجل المضروب .

والثالث : وهو المعجزة المحمدية وشاهد إبطال النظرية الدارونية ، والإلقاء بها في نفاية الزبالات . وهو أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي ورثها أبناؤه عنه . ولأزم هذا أن آدم عليه السلام لم يتطور في خلقه

(١) من عجب تذكير الله تعالى أن هذا الحديث روى أيضاً بلفظ : فإن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فافاد الحديث باللفظ الأول لخطأ فرقة دارون ، وأفاد بالثاني شرف آدم وبنيه حيث أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن أي صفته من العلم والسمع والبصر والكلام ، والحلم والرحمة . والله أكبر وله الحمد .

بَلْ خَلَقَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي تَوَارَثَهَا أَبْنَاؤُهُ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ فَكُلُّ جِنْسٍ مِنْ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ يَتَوَارَثُ أَفْرَادُهُ الشَّكْلَ وَالصُّورَةَ الْأُولَى لِأَوَّلِ حَيَوَانٍ . فَلَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهَا تَغْيِيرٌ وَلَا تَبَدُّلٌ يُذَكِّرُ . فَالْفَرَسُ مِنْذُ أَنْ كَانَ الْفَرَسَ ، وَالْقَرْدُ هُوَ الْقَرْدُ .

وبهذا ظهرت المعجزة المحمدية وكانت من أعلام نبوته ﷺ . والويل كل الويل لمن لم يؤمن به ويعمل بالدين الحق الذي جاء به ﷺ .

٤ - . تسلط الكفار على المسلمين

إن المسلمين الذين أصبحوا بعد نبينهم بأقل من ربيع قرن يمثلون أكبر دولة في العالم تضم تحت رايته أكبر امبراطوريتين في العالم : فارس والروم ، وبلغ رقيهم الحضارى ، وتقدمهم الإنسانى شأواً لم يخطر ببال أحد أن أمة ما سوف يكون لها هذا الشأن . كما لم يكن يخطر ببال أحد أيضاً أن هذه الأمة وقد أصبحت أكبر أمة على وجه الأرض سوف تضعف وتَهْوَ ، ويذهب سلطانها وتمزق بلادها ، ويحكمها الكفر والكافرون وَيَسْمُونَهَا الْخُسْفَ وسوء العذاب . غير أن رسول الله ﷺ قد أخبر بذلك فهو كائن لا محالة ، وقد كان ، وبذلك تأكدت النبوة المحمدية ، وثبتت رسالة صاحبها عليه الصلاة والسلام ، وأصبح من فساد العقول وضعفها عدم الإيمان به وبما جاء به من الهدى والنور ، ومتابعته على دينه الذى هو الدين الحق الذى لا يقبل الله ديناً سواه .

وهذا أبو داود وأحمد وأبو نعيم وغيرهم يروون لنا آية صدق نبوته في حديث ثوبان رضى الله عنه والذى يحمل نبأ تسلط الكافرين على أمة الإسلام وإذلالهم لها ، وتحكمهم فيها زمناً غير قصير وهذا نصه : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق ، كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال ثوبان قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال : لا ، أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، تنزع المهابة من قلوب عدوكم ،

ويجعل في قلوبكم الوهن قال : وما الوهن ؟ قال : حب الحياة وكراهية الموت .

فهذا الحديث أيها القارئ الكريم ووقوع مدلوله كما أخبر به ﷺ يعتبر علماً من أعلام النبوة المحمدية ؛ إذ وقع ماتضمنه حرفياً ولم يتأخر منه شيء فقد تداعت الأمم على أمة الإسلام ، فاستعمرت هولندة إندونيسيا ، واستعمرت بريطانيا ممالك الهند الإسلامية وأمة الأفغان الأبية ، واجتاحت روسيا الشيوعية الجمهوريات الإسلامية فمزقتها وشتت شملها وكفرت أهلها وحولتها إلى بؤرة للكفر القذر والإلحاد العفن كما استعمرت بريطانيا شرق الجزيرة وجنوبها ، والعراق والأردن وفلسطين ومصر ، واستعمرت إيطاليا ليبيا . وفرنسا شمال إفريقيا .

وهكذا تمزقت أمة الإسلام ، وتمزق ملكها وديارها ، بتداعى الأمم عليها ، وهى أكثر ماتكون عدداً غير أنها أصبحت بفساد عقائدها وتدهور أخلاقها ، وتعطيل طاقاتها لما رماها به أعداؤها من داء الفرقة والخلاف ، ومرض الخرافة والضلالة ، أصبحت لذلك غشاء كثفاء السيل لا تبدي ولا تعيد . نزع الله مهابتها التى كانت لها من قلوب أعدائها ، أولئك الأعداء الذين كانوا يرهبونها ويفزعون لذكرها وذكر إسلامها حتى كانت المراقبة الأوربية إذا خوفت طفلها تقول له : (عربى عند الباب) ..

وكما نزع الله تعالى مهابتها من قلوب أعدائها لفسقها وخروجها عن طاعة ربها جعل في قلوب أفرادها الوهن الذى فسرهُ الرسول ﷺ بحب الحياة وكراهية الموت . والوهن داء الأمم والشعوب متى أصيبت به أمة من الأمم حل بها الذل وأصابتها المهانة ونزل بها الصغار ثم هى إذا لم يتداركها الله تعالى بتوبة يُوفقها لها ويقبلها منها آل أمرها إلى أحد شيئين : المسخ ، أو النسخ . . أما المسخ فهو أن يسلط الله تعالى عليها أمة من الأمم أقوى منها فتقهرها وتذلها . وأما النسخ فهو أن يسلط عليها أمة ملحدة كافرة لا تؤمن بالله ولا بخلقائه فتنسخ وجودها بالمرة فلا يبقى لها دين ولا لغة ولا كيان

كما مسخت روسيا الإلحادية الجمهوريات الإسلامية مسخاً كاملاً فلم يبق لتلك الأمة المسلمة وجود إسلامي بالمرّة والعياذ بالله تعالى .
وأخيراً . فإن حديث ثوبان رضى الله عنه وما تضمنه من الإخبار بتسلط الكافرين على المسلمين يعدّ علماً من أعلام النبوة المحمدية وآية واضحة على قرب الساعة إذ وقع مدلوله كما هو بلا نقص . ولكن فهل من معتبر أيها المسلمون ؟ .

٥ - نظام الشرط (البوليس)

إن دولة الرسول ﷺ وكذا دولة الراشدين من بعده لم تكن تعتمد في تحقيق الأمن والطهر والصفاء للمواطنين المسلمين على أنظمة الشرطة ، وقوانين البوليس الغربية أو الشرقية ، إذ لم يكن بها رجل شرطة واحد . وإنما كانت تعتمد على إيمان الفرد المسلم وخلقه وأمانته ودينه . وكان الفرد المسلم يعتمد في تقوية إيمانه وتهذيب أخلاقه ، وتزكية نفسه على طاعة الله تعالى ورسوله ومن أهم تلك الطاعات إقام الصلاة ، إذ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والفرد المسلم متى زكت نفسه وطهرت روحه كان أبعد الناس عما يشين ، ويضر ، وأقدر الناس على فعل ما يجلب الخير والنفع له ولغيره من عباد الله . ولازم هذا الكمال في الأفراد أنهم يتعاونون على البر والتقوى ، ولا يتعاونون على الإثم والعدوان . ومن هنا لم يكن الأمر محتوجاً إلى وجود شرطة ولا نظامها في ديار الإسلام . وبخاصة دولة الرسول ﷺ والراشدين . بيد أن الرسول ﷺ قد أخبر بأنه ستوجد شرطة في آخر الزمان وهو بإخباره ذلك يحذر أمته من شر مايقع ، لتدفع عن نفسها ما استطاعت . وهذا مسلم يروى لنا حديث الشرطة فيقول : عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات كأسنمة البخت العجاف ، لا يدخلن الجنة ولا يخرجن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . . . » .

كما أخرج الطبراني في الكبير عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال :
« أخاف عليكم ستاً : إماراة السفهاء وكثرة الشرط الخ .. » .

فدل كل من هذين الحديثين على وجود علامتين من علامات الساعة
فحديث مسلم دل على وجود الشرطة وتبرج النساء تبرج الجاهلية الأولى ،
وحديث الطبراني دل على إماراة السفهاء وهم الذين لا رشد لهم في أعمالهم
وتصرفاتهم لخفة عقولهم وأحلامهم وعلى وجود الشرط وكثرتهم وكان
ما تضمنه الحديثان دليلاً قاطعاً على نبوة محمد ﷺ وعلى قرب الساعة . إذ
هو غيب محض أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر بلا زيادة ولا نقصان .
هذا وإن قيل : ما ذنب رجال الشرطة حتى يدخلوا النار وهم يحفظون
الأمن والنظام في البلد ؟

فالجواب : إن ذنبهم الذي أوجب لهم النار وحرّمهم من الجنة ليس هو
حفظهم الأمن والنظام وإنما هو تركهم الصلاة ، وفعلهم المنكرات كشرب
الخمر وأخذ الرشوة وظلم الناس إذ أكثر الشرط في العالم الإسلامي لا
يصلون ويرتكبون كبائر الذنوب ، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر
وهم قادرون على ذلك بما خولّوا من سلطة وإن كانت محدودة فإنهم
يستطيعون بها أن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر في حدود تلك السلطة
المحدودة .

وأما كون النساء من أهل النار فالأمر ظاهر إذ المرأة التي تترك الحجاب
وهو دين الله تعالى وأمره ، وتخرج متبرجة كاسية بعض جسمها كاشفة عن
بعض آخر للإغراء بها والفتنة امرأة لم يبق لها من الإيمان حبة خردل ،
وحينئذ فما الذي ينهاها عن فعل الشر ، ويأمرها بفعل الخير . والنار تدخل
بفعل الشر وترك الخير ، والجنة تورث بفعل الخير واجتناب الشر ولا عجب
إذاً فإن من كانت من النساء كما وصف رسول الله ﷺ أنها لا تدخل الجنة
ولا تجد ريحها .

وأخيراً فإنه لا يسعنا أمام هذين الحديتين اللذين دلّا على نبوة رسول الله ﷺ وقرب الساعة إلا أن نتوب إلى الله ونكثر من ذكره عز وجل عملاً بقوله ﷺ في رواية الطبراني والبخاري : « سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تنكرونها عظماً تقولون : هل كنّا حدثنا بهذا ؟ فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة » .

٦ - الحكم بغير ما أنزل الله تعالى :

إن المسلمين سواء كانوا عرباً أو عجماً بعد أن أنعم الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام فذاقوا طعم عدالة الأحكام الإسلامية وتنسموا نسيم الحرية في ظل (١) الأنظمة والقوانين الإلهية ، ما كان أحد منهم يخطر على باله أن يوماً سيأتى يرغب فيه المسلمون عن شرع الله تعالى وشرع رسوله مستبدلين بذلك شرائع وقوانين وضعها الكفار والفجار من أهل العداوة للإسلام والمسلمين ، لاسيما وأن القرآن الكريم محفوظ في الصدور مكتوب في السطور ولا يخشى عليه فوت ولا ضياع . إن الله تعالى يقول : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ مع إفاضة علمهم التام بتكفير وتظليم وتفسيق من لم يحكم بما أنزل الله تعالى حيث جاء ذلك واضحاً صريحاً في كتاب الله تعالى من سورة المائدة .

وتمضى القرون على المسلمين ولا شرع لهم ولا قانون إلا شرع الله وقانونه .

وديارهم ناعمة بالعدل والرحمة والنظام ، ثم داخلهم الفساد في عقائدهم ، وعباداتهم وآدابهم وأخلاقهم نتيجة مكر أعداء الإسلام بهم ، فتمرضوا بذلك لمقت الله وغضبه فسلط عليهم النصارى فحكموهم بقوانين الكفر والباطل ، ولم ينبج من هذه المحنة سوى حكومة الإمام العادل الملك عبد العزيز فغمدته الله برحمته . ورحل النصارى في الجملة عن بلاد

(١) الأولى أن يقال في ظل الأحكام الشرعية لأن كلمة النظام والقانون لم ترد في الكتاب ولا في السنة .

المسلمين وبقيت قوانينهم هي السائدة تنفذ في كل شؤون الحياة . ومن حاول من علماء الإسلام إنكار ذلك رُمي بالخيانة والتعاون مع الأجنبي ونكل به فسكت لذلك العلماء وساد المسلمون قانون الكفر والكافرين وتبع ذلك ظلم وفوضى وذل ومهانة لا يرجى أن ترفع إلا بعودة الحكم الإسلامي إلى الحياة .

وبما تقدم لك أيها القارئ ترى أن المعجزة المحمدية قد تجلّت . وأن أشرط الساعة قد ظهرت ؛ إذ وقع ما أخبر به الرسول ﷺ من أن أمته ستدخل عن أحكام الشرع الإسلامي وتستبدل بها غيرها من شرائع وقوانين لم ينزل الله تعالى بها من سلطان .

وإليك الحديث النبوي الشريف المتضمن لترك أمة الإسلام الحكم بشرع الله عز وجل فقد روى أحمد والطبراني عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال : « لتنقض عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضاً (الحكم) وآخرهن الصلاة » .

ويتعين علينا هنا أن نذكر بعض ما انتقض من عرى الإسلام بعد تعطيل الأحكام الشرعية .

إنه أول ما انتقض من عرى الإسلام بعد تعطيل الشريعة جباية الزكاة وأخذها ممن وجبت عليهم من المسلمين وصرفها في مصارفها ، واستبدال الضرائب الفادحة بها ، وثاني عرى الإسلام انتقاضاً ترك الجهاد والغزو في سبيل الله تعالى وثالث العرى انتقاضاً ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورابع العرى انتقاضاً ترك الخلافة الإسلامية الجامعة لشتات المسلمين والحامية لهم من كيد وظلم أعدائهم ، والقناعة بدويلات صغيرة لا تبدى ولا تعيد ، لا تقدر على حماية نفسها ولا حماية غيرها . وخامس عرى الإسلام انتقاضاً إماتة جماعة المسلمين . وإحياء الجمعيات والأحزاب

المتناحرة المتطاحنة مما زاد في سوء حال المسلمين وأفقدتهم الإخاء الإسلامى والتعاون الإيمانى إذ جماعة المسلمين إذا ضعف السلطان تنهض بالمهام الواجب القيام به بين المسلمين وذلك كإرشاد الضال وتعليم الجاهل ، وكسوة العارى ومداداة المريض ، وإطعام الجائع وتأمين الخائف إلى غير ذلك من النصح والإرشاد لكل مسلم فى البلاد .

٧ - ظهور الكشافة :

إن الحركة الكشفية نظام حديث يدور على تجنيد الأحداث المميزين ، والذين لم يناهزوا البلوغ بعد ، لأجل رياضة أبدانهم وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم على أعمال إنسانية محضة . هكذا زعم واضع هذا النظام ومؤيدوه من الناس . ومما يحكى فى هذا الشأن أن واضع النظام الكشفى العالمى هو رجل بريطانى موصوف باللوطية . ويدل لذلك إلزام الأحداث المنخرطين فى المعسكرات الكشفية بكشف أفخاذهم لمتعة النظر إلى الأفخاذ وهى عارية بيضاء نقية شأنهم فى ذلك شأن دعاة السفور والتبرج فى العالم إذ الحامل لهم على ذلك رغبة التمتع بوجوه الحسان والتحدث مَعَهُنَّ ليسهل بذلك إرواء غرائزهم البهيمة . ومن هنا فلا غرابة فى ذكر هذه التهمة إزاء واضع الكشافة وأنظمتها ؟ إذ الريبة قائمة والوازع الدينى معدوم ، والشهوات عارمة وما وراء ذلك السكوت عنه أحسن . وهل لفظ الكشافة مشتقة من الكشف عن الأفخاذ ، أو من كشف الغموم ؟ .

لا مانع أن يكون الاشتقاق منها معاً بحسب مقاصد واضعى نظام الكشافة ومؤيديه والكشافة حديثة الوجود ، ولم تكن معروفة قبل ، ومع هذا فقد انتشرت فى العالم بأسره ، ولم ينبج منها حتى العالم الإسلامى ، وقبلها المسلمون على عجزها ويجرها ، لأنهم أخذوها تقليداً للغرب ، والمقلد أعمى ، وإلا فكيف يجوز للغلام المناهز للبلوغ أو يكاد أن يكشف

عن فخذيه ويمشى فى الشوارع والأسواق بلا حياء ولا خوف ولا وجل . وأغرب من هذا فى حال المسلمين أن يرضوا بوضع شعار الكشافة وهو عبارة عن خرقة على شكل صليب تسلك فى العنق ولا شك أن هذا من عمل النصارى الذين يحبون أن يتمثلوا الصليب فى كل شىء . ولو عرف المسلمون مكانتهم لما رضوا فى كشافتهم بهذين المعصيتين : كشف الأفخاذ ولبس الصليب . (١)

وكون ظهور الكشافة علامة من علامات قرب الساعة ظاهر فى أن النظام الكشفى لم يكن معروفا فى الشرق ولا فى الغرب . وتمضى القرون العديدة ولم يظهر للكشافة وجود . وفجأة تظهر بين الناس وتجد التحبذ والاستحسان حتى من المسلمين ، وبذلك تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ فى قوله وهو يذكر (٢) خصالاً عمل بها قوم لوط فأهلكوا « والمشى فى الأسواق والأفخاذ بادية » ولم يُعرف المشى فى الأسواق والأفخاذ بادية إلا عندما ظهرت المعسكرات الكشفية . وأخذ الكشافة يتجولون فى الأسواق وأفخاذهم مكشوفة . فكان هذا فى الواقع علما من أعلام النبوة إذ أخبر به الرسول ﷺ فكان كما أخبر . ف ﷺ تسلياً .

٨ - المظاهرات بدل الغزو والجهاد :

إن المراد من المظاهرات هو خروج المواطنين من منازلهم ومحلات أعمالهم وتجمعهم فى الساحات العامة ، ثم سيرهم فى الشوارع يحملون لافتات قد كتب عليها بعض ما يطلبون بتحقيقه ، وهم يهتفون بأعلى أصواتهم مطالبين بما يريدون تحقيقه من إسقاط حاكم أو تعديل قانون ، أو دفع

(١) باستثناء المملكة العربية السعودية فإن الكشافة عندما ملتزمة بالشرع فلا كشف للأفخاذ . ولا تعليق ما يشبه الصليب والحمد لله .

(٢) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وذكره ابن عساکر فى تاريخه .

ظلم ، أو تحقيق حق ، ويواصلون مظاهراتهم إلى أن يتعبوا فيتفرقوا . أو يحدثون شغباً فتتصدى له السلطات الحاكمة فيفرقونهم بقوة السيف . ويعدون هذه المظاهرات من الجهاد في سبيل الله ويفخرون بها . وأسوأ ما رُوى من مظاهرات ما قام حجاج الروافض الشيعة في الحرمين الشريفين بقصد الإساءة إلى حكومة المملكة العربية السعودية وذلك لما يحملون لها من الغيظ الذي كان يحطم صدورهم ويمزق قلوبهم ولا ذنب للحكومة السعودية إلا أنها تحكم بالإسلام . ولا تسمح بمظاهر الشرك والخرافة الدينية ، والروافض يقوم معتقدتهم وعباداتهم على أساس الخرافة والضلالة والشرك الأكبر والأصغر والخفى والجلي ، لأنهم قوم ضلّلوا من قديم الزمان على أيدي التعاون المجرم المجوسى واليهودى ، ورضوا بضلاتهم وشركهم ويحسبون أنهم مهتدون .

وبعد فهل ذكر رسول الله ﷺ لأصحابه مثل هذه المظاهرات وأخبر بوجودها فى آخر الزمان ؟

والجواب : - نعم - أيها القارئ الكريم - لقد ذكرها رسول الله ﷺ بصريح العبارة وجعلها من أشراط الساعة وقرب قيام القيامة ، وهذا الطبرانى فى كبرى (١) يروى بسنده قوله ﷺ : « ثلاث إذا رأيتموهن فعند ذلك تقوم الساعة » . وبينها فيقول : « خراب العامر ، وعمار الخراب ، وأن يكون الغزو نداءً وأن يتمرس الرجل بأمانته تمرس البعير بالشجرة » (١) والشاهد من هذا الحديث فى قوله ﷺ : « وأن يكون الغزو نداءً . إن النداء . هو رفع أصوات المتظاهرين يحيا فلان ويسقط فلان ، أو يكون كذا وكذا وهم يعدون هذه النداءات بأعلى أصواتهم مع مظاهراتهم يعدونها غزواً وجهاداً أو أعظم من الغزو والجهاد .

وأخيراً فإن وجود هذه المظاهرات فى العالم اليوم ، ولم تكن معروفة من

(١) ورواه أيضا البغوى فى معجم الصحابة ، وابن عساكر فى التاريخ .

قبل ، آية من آيات قرب الساعة ، وعلم من أعلام النبوة المحمدية إذ أخبر بها الرسول ﷺ قبل وجودها بمئات السنين فكانت كما أخبر . فتقرر بذلك نبوته ، وقرب الساعة . فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٩ - فشو التجارة ، وكثرة المال وظهور القلم :

هذه - أخى القارىء - ثلاث علامات قد ظهرت وفق إخبار الرسول بها وهى معدودة من أشراط الساعة الصغرى . وفى القرآن الكريم : ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها . فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ . وهذه العلامات هى : كثرة التجارة وفشوها ، وكثرة المال وفيضه ، ورفع القلم وظهوره . أما التجارة فقد تعاطاها اليوم العام والخاص حتى الأحداث الصغار من بنين وبنات كما نشاهد فى شوارع المدينة المنورة ، فأصبحت التجارة مهنة كل الناس بعد أن كانت خاصة بفئة محدودة فى كل الأمم والشعوب من شأن تلك الفئة القليلة من أهل المدينة أو القرية أنه تقوى على السفر والسهر ، والنصب والتعب ، وكان من أسباب انتشارها يسر المواصلات وسرعة الاتصالات ، فالرجل على مكتبه وهو يبيع ويشترى مع من شاء من التجار فى العالم بأسره وأما المال فقد فاض فيضانا لم يسبق له مثيل حتى أصبح المتسول يملك آلاف الدراهم أو مئات الدنانير الأمر الذى لم يسبق له نظير . وأما ظهور القلم وسيادته وهو مستلزم للكتابة والكتاب فإن من ظهوره أن أصبح على جيب كل إنسان بل من الناس من يكون على جيب صدره أقلام لا قلم واحد . وأصبحت أمور الناس ومصالحهم تجرى على أيدي الكتاب أرباب الأقلام . فى كل البلاد ، وبين سائر العباد وهذا ما دل عليه قطعاً الأحاديث التالية :

١ - رواية أحمد والبخاري والطبراني وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه من أن الرسول ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة أن يظهر القلم » .

٢ - رواية ابن المبارك عن الحسن (١) البصرى أن النبي ﷺ قال :
« لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويفيض المال ، ويظهر القلم وتكثر
التجارة » .

٣ - رواية النسائي من حديث عمرو بن تغلب عن النبي ﷺ أنه قال :
« إن من أشراط الساعة أن يفسد المال وتفسد التجارة ، ويظهر القلم »
إلخ

إن الأحاديث الثلاثة قد اشتملت على العلامات الصغرى للساعة ،
وهي العلامات المذكورة أعلاه : ظهور القلم ، رفع العلم ، فيضان
المال .

ومما يلفت النظر : تنافى رفع العلم وظهور القلم ، إن المفروض أن
العلم يكثر مع ظهور القلم ، وإذا به يقل حتى يفسد الجهل . ولذلك كان
رفع العلم مع ظهور القلم علامة من علامات قرب الساعة .

وبالجملة واختصار القول أن العلامات الثلاث التي اشتملت عليها
الروايات الثلاث قد ظهرت كما أخبر بها رسول الله ﷺ فدلت على
حقيقتين : الأولى صحة نبوة محمد ﷺ وصدق رسالته . والثانية قرب
الساعة لوجود أشراطها .

والسؤال الأخير هو هل من تائب ؟ هل من مراجع نفسه ليسير في طريق
الحق لينجو ويسعد ؟ .

(١) الحديث مرسل .

العلامات الواردة في الأنفس

١ - شيوع الربا وأكله :

إن تحريم الربا في الإسلام وأمته من أبرز المظاهر الإسلامية التي جاء الإسلام بها ، فقد حرم الله تعالى الربا في كتابه بصيغ من الكلام بلغت من القوة والشدة ما جعلت أكل الربا من أكبر الكبائر ، ومتعاطيه محارباً لله ورسوله قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ وأعلن رسول الله ﷺ عن تحريم الربا عام الفتح بمكة وقال : « وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضع ربا عمى العباس » وما زال ﷺ يؤكد تحريم الربا ويعلن عن خطورته حتى قال « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه » وقال : « الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه » (١).

وحرم المسلمون الربا بتحريم الله ورسوله له . وأصبحت أمة الإسلام في مأمن من هذه المفسدة ، ولم يبق بينها من يظن أنه يوماً ما من الأيام سيعلن فيه عن إباحة الربا بأكله جهرة وتعاطيه علناً بدون ما خوف ولا حياء . وتمضى الأيام والأعوام وتتوالى القرون ، ويظهر في أمة الإسلام الربا ويفشو تعاطيه بين المسلمين ولم يبق بلد واحد من بلاد المسلمين لم يؤكل فيه الربا ويتعامل به .

وهذا عائد غالباً إلى البنوك التي انتشرت في ديار الإسلام وهي من وضع عبدة العجل اليهود وهم قد أقاموها أساساً على الربا أخذاً وعطاءً فبواسطة هذه البنوك انتشر الربا وعم والعياذ بالله تعالى . وتساءل المسلمون : هل

(١) رواه الحاكم وصححه .

كان الرسول ﷺ قد ذكر أن مثل هذا قد يقع في آخر الزمان ؟ وبالرجوع إلى أبواب الفتن وأشرط الساعة من كتب السنن وجد قطعاً أن النبي ﷺ قد أخبر به ، وأن أمته آكلة الربا لا محالة .

وهذا أبو داود وابن ماجه والحاكم يروون عن أبي هريرة رضى الله عنه قول الرسول ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله ناله من غباره » . وفي رواية أخرى لأبي هريرة : « سيأتى على الناس زمان يأكلون فيه كلهم الربا . فقلنا يا رسول الله ﷺ كلهم ؟ قال : نعم ، ومن لم يأكله أصابه غباره » وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ، فقد أكل المسلمون في هذه الأيام الربا ومن لم يأكله مباشرة فقد أكله بالواسطة ، وهو معنى قوله : ناله من غباره ، إذ أصبحت الأموال كلها تمر بطريق البنوك فلا تصل إلى الموظف ولا إلى العامل فضلا عن التاجر إلا عن طريق البنوك الربوية ، وبذلك أكل الناس الربا عامة ومن لم يأكله أصابه من غباره . والعياذ بالله تعالى وثبت بهذا أن رسول الله حق وأن أشرط الساعة قد ظهرت فهل من تائب منيب فيؤمن برسول الله ويلزم نفسه بحبه واتباعه ويتقيد بسنته ولزوم شريعته ، والإعراض عن الدنيا وقد أصبحت وشيكة الفناء والزوال .

اللهم توبة منك تنقذنا بها من وحلة الآثام ، وفتنة أكل الحرام ، وتحفظنا بها من سوء الختام إنك سميع الدعاء وتعلم السر والنجوى .

٢ - تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال :

التشبه : تفعل من الشبه ، ومعناه : طلب الإنسان وتكلفه أن يكون شبه كذا ممن يريد أن يكون مثله في زيّه أو خلقه أو دينه ؛ لرغبة في نفسه دعتة إلى ذلك أو لغرض يريد تحقيقه من وراء التشبه بمن أراد أن يتشبه والتشبه منه ما هو محمود ، ومنه ما هو مذموم ، فالمحمود ما كان بالصالحين من ذوى الإيثار والتقوى ، والأخلاق الفاضلة كالصلحاء

والأتقياء ، والشجعان والكرماء فيتشبه بهم الرجل فيقلدهم ويحاكيهم في منطقهم وزيمهم وسلوكهم حباً فيهم ورغبة في كمالهم . فيحصل له ذلك إن شاء الله تعالى .

ومثله المرأة تتشبه بفضليات النساء فتحاول تقليدهن في الاحتشام والحياء . والعفة والسخاء وحسن التبعل للزوج وتربية الأولاد والمحافظة على الصلاة وخفض الصوت وغض البصر ، وما إلى ذلك من كمال النساء . في الدين والخلق فهذا تشبه محمود مرغب فيه مدعو إليه .

وأما التشبه المذموم فإن منه ما هو كفر وذلك كالتشبه بالكافرين والمشركين إعجاباً بهم ، وحباً لهم ، ورغبة في أن يكون مثلهم . ومنه ما هو حرام وذلك كتشبه الرجل بالمرأة في تطويل ثيابه ، وحلق وجهه ، وترجيل شعره وإطالته حتى يكون كشعر المرأة ، وكاستعمال المساحيق بتزجيج الحواجب ، ونتف شعر الخدين ، وكالتكسر في المشية والترقيق للصوت . ولبس ما يختص بالنساء من النعال والثياب وغير ذلك .

ومثله تشبه المرأة بالرجل في جعل ثيابها إلى نصف ساقها ، وكشف وجهها ، وتقصير شعر رأسها ، وإغلاظ صوتها ، وتكلف ترك الحشمة والحياء ، والإظهار في مظهر الرجل في المشية والسلوك . ومن ذلك طلب المهام الخاصة بالرجال ومحاولة مزاولتها كأعمال القضاء والشرطة والسفارة والوزارة والمحاماة وقيادة السيارات ، وإلقاء الخطب والمحاضرات في المجمع والحفلات ، أو على أمواج الأثير ، وكالنفور من البيت ، والرغبة في الجلوس في الحدائق العامة والخاصة . والمقاهي والملاهي وما إلى ذلك . فكل هذا تشبه حرام فلا يحل لمؤمن ولا مؤمنة فعله .

عرف المسلمون حكم التشبه الحرام فاجتنبوه طاعة لله ورسول الله فعاشوا قروناً طويلة لا يتشبه رجل بامرأة ولا امرأة برجل ، فضلاً عن التشبه بالكفر وهو التشبه بالمشركين والكافرين ، بيد أنه قد ظهر في هذه الأيام التشبه بالنساء من الرجال وبالرجال من النساء وبصور واضحة .

وبأعداد هائلة بالرغم من قول الرسول ﷺ : « لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » .
وتساءل الناس . هل أخبر الرسول ﷺ بأن هذه المفسدة قد تقع في أمته فتَهبط أمة الإسلام في أخلاقها وتتنكر لآدابها ، وتخرج عن طاعة نبيها ؟ .

ووجدوا الجواب عن أبي نعيم في حليته إذ يروى له عن حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ قوله : قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال » . وبهذا تأكدت نبوة الرسول ﷺ كما تأكد قرب الساعة فهل من تائب يا عباد الله ؟ .

٣ - التشبه باليهود والنصارى :

لقد عرفنا في المسألة الثانية قبل هذه حكم التشبه وعرفنا معناه ، غير أن تلك مسألة أخرى وهى أغرب وأعجب من تلك إلى حد أن تصور وقوع هذه المسألة في عهد الصحابة والتابعين يعتبر تصورا لوقوع شيء مستحيل ، وذلك لأن الله تعالى حذرنا من اليهود والنصارى وحرم علينا موالاتهم ، وذلك لأن الأولين مغضوب عليهم بما ظلموا ، والآخرين ضالون لانحرافهم عن الدين الحق ، وكفرهم بالإسلام الذى هو خاتم الأديان السبوية والذى لا يقبل من إنسان دين غيره . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ ، وقال : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .
فرضاهم عن المسلمين متعذر بل مستحيل ما لم يتبع المسلمون دينهم فيكفروا كما كفروا ، والعياذ بالله تعالى . فإخبار الله تعالى المسلمين بعداوة اليهود والنصارى له وتحريمه تعالى على المسلمين مودتهم وموالاتهم حال تقتضى بالطبع والشرع أن لا يقلد المسلمون اليهود والنصارى ، ولا يتشبهون بهم في شيء ؛ لأن التشبيه المطلوب يكون بالمهتدين الصالحين

واليهود والنصارى لاهداية معهم ولا صلاح فيهم . فكيف يجوز تقليدهم في شيء أو التشبه بهم في آخر .

بيد أن الرسول ﷺ قد أخبر بأن زماناً ما سيأتى يتشبه فيه المسلمون بكل من اليهود والنصارى ويقلدونهم في كل شيء من مظاهر الحياة ، وأن هذا كائن لا محالة ووقوعه يوم يقع يكون آية صدق محمد ﷺ في نبوته ورسالته ، وعلامة من علامات قرب الساعة .

ويعيش المسلمون قروناً عدة ، ولا مناسبة ولا ملاءمة بينهم وبين اليهود والنصارى فضلاً عن المودة والموالة ، وذلك ليحفظ المسلمون قلوبهم من الزيف ، وعقولهم من الضلال ، وأعمالهم من الفساد ، وسلوكهم من الانحراف وأثناء هذه الحماية للمسلمين كان اليهود والمجوس وأخيراً النصارى يتآمرون على المسلمين ويكيدون لهم ويدسون ويمكرون وما زالوا كذلك والمسلمون في غفلة حتى أفسدوا على المسلمين عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ونزل المسلمون من علياء كرامتهم ، وساء مجدهم وكماله بعد أن فقدوا طهرهم وصفاءهم . وفجأة وقعوا فريسة لأعدائهم فمزقوا دولتهم وتقاسموا بلادهم وحكموهم بقانون الكفر وساموهم الخسف والعذاب ، ووجد المسلمون أنفسهم تحت رحمة النصارى المتهودين يذيقونهم مرّ العذاب يتحكمون في رقابهم ويتصرفون في أموالهم ، فكانت هذه حالاً اضطر المسلمون معها إلى إظهار محبة الكافرين ، ومصانعتهم فأدى ذلك بهم إلى التزى بزيمهم ، والعمل بعباداتهم ، والتخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم ، والتعلق إليهم حتى بالتخلي عن الإسلام عقيدة وعبادة وقانوناً . وبهذا وقع المسلمون فيما حذر منه رسول الله ﷺ وحدث به أخيراً بوقوعه ، والرسول ﷺ عندما يخبر عن المستقبل وما يقع فيه إنما قصده تحذير المسلمين ليأخذوا بالحيلة لأنفسهم ودينهم فينجوا . مع ما في ذلك الإخبار من آية النبوة ، وعلامات قرب الساعة ، فيقوى إيمان المؤمنين ويزداد احتياطهم لدينهم وأنفسهم .

وأخيراً إلى القارىء الكريم الأحاديث النبوية المتضمنة لتشبه المسلمين في آخر الزمان باليهود والنصارى التشبه القائم اليوم ومنذ سقوط الخلافة واحتلال النصارى المتهودين لبلادهم ، والتحكم في رقابهم .

١ - حديث البخارى ومسلم ونصه : « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم ^(١) » قيل يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ .

٢ - حديث أحمد عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه عن النبي ﷺ : ونصه كالتالى : « والذي نفسى بيده لتركبن سنن من قبلكم مثلاً بمثل » .

٣ - حديث البزار والحاكم من رواية ابن عباس رضى الله عنهما هكذا : « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ولو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم » .

٤ - حديث الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ونصه هكذا : « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ، ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ، ويضحكون إليه » .

٥ - حديث الحاكم عن حذيفة رضى الله عنه ولفظه مايلى : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتركبن سنن الأمم من قبلكم حذو النعل بالنعل لا تحطئون طريقهم ولا تحطئتنكم حتى إنه لو كان فيهم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها » .

(١) حضرت بمدينة وجدة بالديار المغربية مجلساً فقبل فيه إن الواعظ الفلانى قد فسر جحر الضب فى الحديث بالسروال الضيق الطويل فانتهجت التأويل واستملحته للغاية لأن السروال الطويل الضيق أشبه بجحر الضب ، وقد قلد فيه المسلمون اليهود والنصارى ولبسوه مع أنه يكره فى الصلاة ويناقى الجاه !!

وأخيراً فهذه الأحاديث الخمسة مصرحة كلها بأن هذه الأمة سيطراً عليها من الضعف والفساد في آخر الزمان ما يجعلها تشبه باليهود والنصارى وتقلدهم وتجاريهم في فسادهم حتى ترتكب كل ما ارتكبه من الشر والفساد . وهذه نقاط سود في جسم أمة الإسلام المنكوبة اليوم بالتبعية والتقليد لأعداء الحق ودين الإسلام فلي تأملها القارئ وليستغفر الله له وللمسلمين والمسلمات .

● فسق اليهود والنصارى عن شرائع الله بتحليل الحرام وتحريم الحلال ففعل ذلك المسلمون تقليداً لليهود والنصارى .

● عطل اليهود والنصارى أحكام الشرع الإلهي وفصلوا الدين عن الدولة فأقاموا دولهم على العلمانية البحتة ففعل المسلمون ذلك باستثناء المملكة العربية السعودية حماها الله ووقاها شر الغير إنه قدير .

● استراب اليهود والنصارى في دينهم فاستراب وشك كثير من المسلمين في دينهم ، وذهب عنه الاعتقاد الثابت القوى ، وعاشوا في ذبذبة وحيرة ما هم بالمؤمنين ولا بالكافرين .

● ابتداع اليهود والنصارى البدع في دينهم الأمر الذي خرجوا به حتى عن مسمى الدين ، فابتدع المسلمون البدع في العقائد والعبادات والأحكام مما خرج بكثير منهم عن الإسلام الحق ، والصراط المستقيم .

● تبرج وسفر نساء اليهود والنصارى فسفرت وتبرجت نساء كثير من نساء المسلمين .

هذه أخى القارئ نقاط قليلة وغيرها كثير ، والمقصود من ذكر هذا البعض هو الإشارة إلى أن ما أخبر به الرسول من تشبه هذه الأمة باليهود والنصارى وجعله علامة على قرب الساعة قد وقع كما أخبر حرفياً ، وبذلك ظهرت أعلام النبوة المحمدية ، ولاحت علامات الساعة ، ولم يبق إلا طلب النجاة فالنجاة النجاة يا عباد الله : آمنوا بالله ورسوله وتحفظوا من دنياكم فقد آذنت بالزوال ، وتزودوا لآخرتكم فإنكم على الاعتبار . ويتوب الله على من تاب .

٤ - استحلال المحرمات :

اعلم أيها القارئ الكريم أنه ما إن استقر الرسول الكريم ﷺ بالمدينة النبوية وقد انتشر فيها الإسلام وكثر بها المسلمون حتى أخذت الأحكام الشرعية تنزل والمسلمون يتلقونها ببالغ الفرح وعظيم السرور . ففرض الله تعالى الصيام . والزكاة وحرم الخمر والقمار ، ولبس الذهب والحريز على الرجال ، ونزلت حدود السرقة والقتل والزنا ، وأحكام البغى ، وما إلى ذلك ، وتوالى نزول القرآن ، وبيان السنة ، فعرف المسلمون الحلال والحرام ، والمباح والمحظور من المطاعم والمشارب والمناكح والملابس كما عرفوا العبادات وأحكام المعاملات ، وما أصبح بينهم من يجهل المحرمات مما ذكرنا وما لم نذكر ، وطهرت ديار المسلمين من كل خبث وعبث وحل محل ذلك الحزام والجد ، والطهر والصفاء ، وعاش المسلمون دهرًا طويلاً وهم يعملون أن مستحل الحرام يكفر به وإن الجاحد لمعلوم من الدين بالضرورة كافر بجحوده - ولم يكن يخطر ببال أكثر المسلمين أن زماناً سيأتى يوجد بين المسلمين من يستحل ما حرم الله تعالى . غير أن الرسول ﷺ قد أخبر أن ذلك كائن لا محالة وأنه من أشراط الساعة .

وهذا البخارى رحمه الله تعالى روى لنا قوله ﷺ : « ليكون من أمتى أقوام يستحلون الحر (١) والحريز والخمر والمعازف » .
وكالبخارى الطبرانى إذ يروى عن سهل بن سعد الأنصارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ، ومسوخ ، قيل ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات ، واستحل الخمر » .

(١) الحر : فرج المرأة والمراد به استحلال الزنا .

وبإلقاء نظرة خاطفة أيها القارئ الكريم على بلاد المسلمين من أندونيسيا شرقاً إلى المملكة العربية المغربية غرباً تجد وكأن المذكورات في الحديثين الشريفين قد استحلت فعلاً .

فالخمر تصنع وتصدر وتشرب في كثير من بلاد المسلمين . وتستورد وتباع وتشتري وتشرب في بلاد أخرى من ديار المسلمين أليس هذا باستحلال لها ؟ .
ودور البغاء استمرت معلناً عنها يأتيها المسلمون ليل نهار زمناً غير قصير أليس هذا باستحلال للزنا ؟ .

وفتح دور الحضانة لإيواء أولاد الزنا والتقاط أبناء الخطيئة والتمدح بذلك وإطلاق أبناء الشعب عليهم وتربيتهم لادنياً ولا أخلاقياً للاستعانة بهم على سفك الدماء والقتل ، وفي كثير من بلاد المسلمين أليس هذا استباحة للزنا ؟ .
وإذاعة الأغاني الماجنة الخليعة بأصوات العواهر والمخنثين والزناة طوال الليل والنهار في المنازل والدكاكين والشوارع وفي المراكب حتى الطائرات أليس هذا استباحة للمعازف والقينات ؟ .

لا أحسب أحداً يعرف عن الله ورسوله ليقول في كل التساؤلات : بلى ، بلى ، بلى ، بلى إى وربى إنه لحق ...

وصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به فقد كان كما أخبر فتأكدت بذلك نبوته وتحققت رسالته واقتربت الساعة بظهور أشراتها . فهل من منيب يعباد الله ؟ هل من تائب فيترك الزنا والغناء وشرب الخمر وأكل الربا ؟ .

٥ - طلب العلم لغير الله تعالى :

إن العلم الذى يرفع الله به أهله درجات ، والذى هو غاية للعقلاء من أشرف الغايات ، وهو العلم الدينى الشرعى ، وحقيقته ، معرفة الله تعالى ، ومعرفة ما يقرب إليه زلفى ، وهو العلم الذى يكسب العبد خشية الله وينيله تقواه .

العلم الذى أمر الله تعالى رسوله أن يسأله المزيد فقال : ﴿ وقل رب زدنى علماً ﴾ ، وأهله هم المقول فيهم : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

هذا العلم الشرعى طلبه الأولون وتحملوا في طلبه المشاق ، وصبروا لأجل الحصول عليه على الشدائد وخاضوا في سبيله الأهوال .
هذا العلم ما كان في يوم من الأيام يطلب إلا الله تعالى تقرباً إليه وتوسلاً إلى حبه والقرب منه ، لأنه عبادة من أشرف العبادات ، والعبادات لا تكون إلا لله خالصة . بيّد أن الرسول ﷺ قد أخبر أصحابه أن من أشرط الساعة وعلامات قرب مجيئها طلب العلم لغير الله تعالى ، والتفقه في الدين لأجل الدنيا . والروايات التالية تقرر هذه الحقيقة وتؤكد لها فلننظر فيها .

١ - رواية أبى نعيم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وفيها يقول الرسول ﷺ : « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير . وتتخذ سنة فإذا ترك منها شىء ، قيل : تركت سنة ؟ قالوا : ماهى يا رسول الله ؟ قال : إذا كثر قراؤكم ، وقلّت علمائكم وكثرت أمراؤكم ، وقلّت أمنائكم ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة ، وتفقه لغير الله » .

ففى هذه الرواية دلالة قويّة على ما سقناها لأجله من قرب الساعة إذ تضمنت كثرة من يقرأ ويكتب . وقلة من يعلم ، ثم كثرة الأمراء بتعدد دول المسلمين حتى أصبحت دولهم تزيد على خمس وعشرين دولة ، ثم طلب الدنيا بعمل الآخرة وأخيراً التفقه لغير الله تعالى وهو الشاهد من الحديث إذ هو بمعنى طلب العلم لغير الله تعالى .
وكل هذه المذكورات فى الحديث قد وقعت فعلاً فى المسلمين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢ - رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ونصها : « إن من أشرط الساعة أن يتخذ الفىء دُولاً ، والأمانة مغنياً والزكاة مغرماً ، وتُعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخُمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع » .

٣ - رواية الطبرانى عن عوف بن مالك رضى الله عنه وفيها : « وتُفقه فى الدين لغير الله » .

هذا ولنلق نظرة أخرى على ما تضمنته الأحاديث الثلاثة من علامات الساعة ولنذكر كل علامة إزاء نقطة تحددها بها فنقول :
إن الحديث الأول تضمن ما يلى :

● كثرة القراءة : وليس المقصود كثرة قراءة القرآن الكريم وحفظه ومجوديه ، وإنما كثرة من يقرأ ويكتب ، وما يُعرف اليوم بمحو الأمية ، إذ لم تعرف أمة الإسلام عهداً أكثر فيه من يقرأ ويكتب كما عرفته اليوم . لقد كان فى عهد قريب من أهل القرية لا يجدون من يقرأ لهم كتاباً يرد عليهم حتى يركب أحدهم دابته إلى قرية أخرى يطلب من يقرأ له كتابه ، أما اليوم فإن أكثر المسلمين يقرأون ويكتبون . وهذا معنى قوله ﷺ : « ويكثر قراؤكم » .

● قلة العلماء :

إنه بالرغم من كثرة القراءة فإن العلماء قد قلوا جداً ، وأصبح الناس فى كثير من القرى لا يجدون من يُفْتِيهم فى مسألة من مسائل الشرع ، وهذه هى آية حيث قلَّ العلماء مع كثرة القراءة

● كثرة الأمراء :

وهذه ظاهرة سبق أن ذكرنا أنها من أشراط الساعة . وأنها ناتجة عن تعدد الدول الإسلامية كما أن الاعتماد على الأنظمة الغربية له دخل في هذه الظاهرة ، وذلك عائد إلى انعدام الصدق والإخلاص والوفاء بين أكثر الناس .

● قلة الأمناء :

إن قلة الأمناء أصبحت ظاهرة فاشية يعترف بها كل مسلم وهي ناتجة عن انعدام الأمانة وعن تضييعها بقلة من يرعاها ويحافظ عليها . لقد أصبح الرجل يطلب في أسواق المسلمين عسلاً أو سمناً خالصين من الغش فلا يجدهما .

● طلب الدنيا بعمل الآخرة والتفقه لغير الله :

هاتان العلامتان قد ظهرتتا بصورة واضحة في مدارس العلم ومعاهده وجامعاته على كثرتها لم تفتح أبوابها منذ بداية العهد الجديد عهد الاستقلال عن الاستعمار الغربى من أجل أن يُعرف الله وتعرف محابّه ومكارهه يُعبد عز وجل بفعل محبوه وترك مكروهه . وإنما فتحت من أجل الوظائف والأعمال الدنيوية والدليل على صحة هذا فشو ترك الصلاة واتباع الشهوات من المعلمين والمتعلمين حتى أصبحت التقوى في الأميين اليوم أكثر منها في غيرهم من المعلمين ، وذلك لأن الأعمال بالنيات ، ومن طلب العلم للدنيا كان للدنيا حتى العلم الشرعى أصبح يطلب للدنيا ، وهذا معنى قوله ﷺ : « وتُفقه لغير الله » .

وأما الحديث الثانى فقد تضمن من علامات الساعة أكثر من عشر علامات وإليك هى إزاء النقاط التالية :

● اتخاذ الفىء دولا :

الفىء ما يتركه العدو من مال فيحصل عليه المسلمون بدون قتال واليوم علم الجهاد منكس ، ورايته بين المسلمين ممزقة فلا دعوة إلى الله تعالى ، ولا جهاد في سبيله . فما هو الفىء إذا ؟ لا يبعد أن يكون ما تأخذه الدول الإسلامية من ضرائب فادحة إذا استثنينا دولة الإسلام بالمملكة العربية السعودية إذ هي الوحيدة التى لم تضرب الضرائب على مواطنيها إلا في مجالات محدودة وبمقادير زهيدة . فإن سائر الدول في العالم الإسلامي تضرب الضرائب الفادحة ، وتدور بين رجال السلك الحاكم فهي دول بين الحاكمين ولا يصل منها إلى غيرهم شيء يذكر . والله أعلم .

● اتخاذ الأمانة مغنيا :

هذه العلامة تعرفها بعرضك أمانة مال أو حريم على أى مسلم فإنه لا يتردد في قبولها وتلك علامة أنه يراها غنيمة سيقى إليه ، وإلا لكان يرفض قبولها إلا بإلحاح منك ومن أمثلة العامة : الفارح بالأمانة خائنها . ويتجلى هذا في الوظائف الحكومية ترى الناس يتوسلون بشتى الوسائل للحصول عليها . وأكثرهم لا هم له في إصلاح . ولا محافظة على صلاح ولكن للحصول على شهرة المنصب ، ورغد العيش ، ولهذا فإن أكثرهم يضر بمصالح الدولة ولا ينفعها كأنه عدوها وهو لا يشعر . وهذا ما أشكوه إلى الله تعالى .

● اتخاذ الزكاة مغرما :

ويكفى في ظهور هذه العلامة أن نسية من يؤتى الزكاة اليوم بين المسلمين ضئيلة جداً ولا سيما بين الأثرياء وأرباب الأموال الطائلة ومن يزكى يشعر بتضايق في نفسه حتى كأنه يدفع غرامة لازمة لزكاة يتقرب بها عند الله .

● التعليم لغير الله تعالى :

وهذا محل الشاهد من الحديث فإن هذه العلامة قد ظهرت بصورة متأكدة إذ كل العلوم والمعارف التي تُطلب في هذه الأيام إنما تطلب للدنيا فقط وقلما يحتسب طلبه العلم لله تعالى ليعبده ويعلمه من يعبد الله به .

● طاعة الرجل لامرأته وعقوقه أمه وإدناؤه صديقه وإبعاده والده :

هذه العلامة قد ظهرت أيضاً بين المسلمين في الجملة وإن لم تكن عامة بينهم والحمد لله .

● ارتفاع الأصوات في المساجد :

وهذا صادق بجهل الناس اليوم بآداب المساجد وبالبدع وحلق الذكر بعد الصلوات بأصوات رفيعة وكذا قراءة القرآن جماعة وفردى بأصوات عالية رفيعة ومن هذا مكبرات الصوت التي ارتفعت بها أصوات المدرسين والخطباء .

● سيادة الفساق :

وهي علامة ظاهرة في أن أكثر عمد الأحياء ومشايخ القرى وأمراء الأجناد في العالم الإسلامي لا يحضرون الصلاة جماعة ويحلقون وجوههم ويدخنون ومنهم من لا يصلي بالمرة ويتعاطون الكثير من المحرمات .

● كون زعيم القوم أرذلهم :

وهذا صادق بنواب المجالس حيث يتكلمون باسم القبائل والأحزاب والجماعات وأكثرهم يوجد في الأمة من هو خير منهم وأصلح .

● إكرام الرجل مخافة شره :

هذه علامة ظاهرة لاشك فيها اليوم فإن كثيرا ممن على مصالح الأمة يكرمون لا لشيء إلا دفعاً لشرهم حتى لا يؤذوا مَنْ مصالحهم متعلقة بهم.

● ظهور القينات (المغنيات) والمعازف :

وهي آلات الطرب وشرب الخمر فهذه العلامة قد ظهرت في أمة الإسلام اليوم ومنذ زمن غير قصير .

● لعن آخر هذه الأمة أولها :

هذه العلامة ظاهرة في الروافض (الشيعة) إذ هم الذين يلعنون أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة وقد لا يبعد أن يكون من جزئيات هذه العلامة عدم الاقتداء بسلف الأمة في الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية المختلفة .

وأما الحديث الثالث فهو صريح فيما تضمن من علامة الساعة وهو التفقه لغير الله إذ لا يوجد في الألف اليوم واحد يتفقه لأجل أن يعبد الله تعالى وحده بل لابد من ضميمة طلب الوظيفة للعيش .

وأخيراً فهذه ست عشرة علامة من علامات قرب الساعة قد ظهرت في الجملة فدلّت على صدق النبي ﷺ في رسالته كما دلّت على قرب مجيء الساعة . فهل من تائب قبل فوات الأوان فإن من تاب تاب الله عليه . ولا يهلك عند الله إلا هالك .

٦ - خفة الأحلام ، وذهاب العقول

الأحلام جمع حلم ، وهو ما قابل النزغ والطيش أو الجهل والسّفه وخفة الأحلام معناها انعدام الصبر والأناة والسكون والهدوء عند المرء .
والعقول جمع عقل وهو نور باطنى تدرك به النفس ما لا تدركه بالحواس . وسُمّي العقل عقلاً لأنه يعقل أى يحبس صاحبه عن اعتقاد أو قول أو فعل ما ليس بحق أو خير كما يمنعه من الوقوع فى المهالك . وذهاب العقول معناه : انطماس ذلك النور فى القلب فيصبح العبد يعتقد الباطل ويقول القبيح ويفعل الشر وهو لا يشعر بفساد اعتقاده ولا بقبح قوله ولا فساد عمله والعياذ بالله تعالى وقد جاء فى أشراط الساعة وعلاماتها الصغرى أن من أشراط الساعة ذهاب العقول وخفة الأحلام والروايات التالية تحمل ذلك وتدل عليه .

١ - رواية الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما وفيها أن رسول الله ﷺ قال : « إن من علامات البلاء وأشراط الساعة أن تعزب العقول وتذهب الأحلام ويكثر القتل وتظهر الفتن » والشاهد من الحديث فى قوله تعزب العقول أى تغيب وتذهب ويدل على ظهور هذه العلامة ارتكاس الناس فى الشرور والمفاسد مع اعتقاد أكثرهم الباطل وقولهم غير الحق وفعلهم غير المعروف وهم لا يرون ذلك ولا يشعرون به كما فى قوله وتذهب الأحلام فإن هذه العلامة قد ظهرت أيضا . يدل عليها ما عليه كثير من المسلمين من الطيش وقلة الصبر وانعدام التؤدة وكثرة الجهل والسفه .

٢ - رواية الطبرانى أيضا عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه . ومنها أن من أشراط الساعة ان تنقص العقول وتعزب الأحلام ويكثر الهم .

٣ - رواية احمد والحاكم وابن ماجه من حديث أبى موسى الأشعرى فيه قال رسول الله ﷺ : « أخاف عليكم الهرج . قالوا : وما الهرج يا

رسول الله قال : القتل قالوا : وأكثر مما يقتل اليوم إننا نقتل اليوم المشركين كذا وكذا فقال النبي ﷺ ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً قالوا وفينا كتاب الله ؟ قال وفيكم كتاب الله عز وجل قالوا ومعنا عقولنا : قال : إنه تنتزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء .

لقد دلت هذه الروايات الثلاث على ما عنونا له من ذهاب الأحلام والعقول كما دلت على علامتين أخريين وهما كثرة الهم وكثرة القتل . وكانت العلامات أربعاً وقد ظهرت بصورة لا تحتاج إلى تدليل فذهاب العقول والأحلام لا امتراء فيه ولا جدل وذلك لكثرة اعتقاد الناس الباطل وقوله والعمل كما أن ذهاب الأحلام أمر ظاهر في السفه والطيش عند أكثر الناس أيضاً إذ لم يبق من الصبر على الطاعة ولا عن المعصية ولا على البلاء إلا ما قل ونذر كما أن كثرة القتل يدل عليه أن ما قتل في حروب الإسلام الأولى لم يتجاوز عدد القتلى فيها أكثر من خمسمائة وألفين وهذا العدد يقتل في يوم واحد فيما يدور بين المسلمين أنفسهم من حرب وقتال كما هو معلوم وظاهر . أما كثرة الهم فهو أمر يحمله كل إنسان اليوم وسواء كان غنياً أو فقيراً عالماً أو جاهلاً وصدق رسول الله ﷺ في أخباره وإنها لمعجزة نبوته وآيات رسالته كما هي علامات الساعة وأشراطها . ألا فلننق الله يا عباد الله ولنعجل بالتوبة قبل الفوات فإن الساعة آتية لا ريب فيها وقد أصبحت على الأبواب . والله المستعان .

الخاتمة

وختاماً أقول إن القصد الأول من تأليف هاتين الرسالتين هو التذكير بحق الرسول ﷺ في الإيمان به ، والتصديق بما جاء به ، والعمل بطاعته ، في أمره ونهيه . كما هو التذكير بقرب الساعة ووجوب الإعداد لها بفعل الخيرات ، وترك المنكرات .

والقصد الثانى هو إعلام المسلم بأن ما حدث ويحدث من عجائب المخترعات ، وما ظهر منها من نقائص فى هذه الأمة أو كمالات كل ذلك قد أخبر به الرسول ﷺ وذكره لأصحابه ، فلا يتعجب المسلم من ذلك ولا يندهش ولا يحتار ، وما عليه إلا أن يواصل مسيرة إيمانه وصالح أعماله حتى يفوز بحسن الخاتمة فيلقى ربه مؤمناً فيكرمه فى جواره ويسعده فى دار أوليائه الصالحين وعباده المتقين . حقق الله لنا ذلك ؛ إنه بر رحيم . وصل اللهم على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين ————— ن .

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الموضوع	الصحيفة
المقدمة	٣
العلامات الواردة في الآفاق	٦
وجود دولة اليهود في فلسطين	٦
تعدد الدول الإسلامية	٩
نظرية دارون	١٢
تسلط الكفار على المسلمين	١٤
نظام الشرط « البوليس »	١٦
الحكم بغير ما أنزل الله	١٨
ظهور الكشافة	٢٠
المظاهرات بدل الغزو والجهاد	٢١
فشو التجارة وكثرة المال وظهور القلم	٢٣
العلامات الواردة في الأنفس : شيوع الربا وأكله	٢٥
تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال	٢٦
التشبه باليهود والنصارى	٢٨
استحلال المحرمات	٣٢
طلب العلم لغير الله تعالى	٣٣
خفة الأحلام ، وذهاب العقول	٤٠

الرسالة السادسة عشر
منطلق الفكر الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وعاقبته لمن اتقاه ، وصلاةُ الله وسلامُه على نبيه ومُصطفاه ،
ورضاء الله تعالى على آل وصحابة رسول الله ..

أما بعد - أيها الإخوة والأبناء الحضور - فإن الفكر الإسلاميَّ يمتاز ،
على غيره بخصائص لم تكن لسواه وهى أصالته ، وسموه ، وشموله ،
وصحةُ مُنطلقه وسلامته ..

وها نحن فى هذه الكلمة القصيرة عن منطلق الفكر الإسلامى نشرح
تلك الخصائص للفكر الإسلامى ونجلى حقائقها فنقول :

الفكر بكسر الفاء ، وقد تُفتح وهو أجود : مصدرٌ فِكْرٌ يفكر فِكْراً وفَكْراً
من باب ضرب ، فلذا كان الفتح فيه أجود ، لأنه القياس ؛ اذ مصدر
ضرب الضَرْبُ بالفتح . ومثل الفكر التفكير . وهو إعمال الخاطر فى
الشيء ، والتأمل فيه للوصول إلى معرفة حقيقته .

والإسلامى : معناه المنسوبُ الى الإسلام الذى هو دين الحق الذى جاء
به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .

وبناءً على هذا فالفكر الإسلامى هو إعمال المرء السليم خاطره فى تقويم
الأشياء وإدراك معانيها ، وتعليل أحداثها ، والحكم عليها صحةً وفساداً .
وبعبارة أوضح أو أوسع وأشمل الفكر الإسلامى هو تفكير الإنسان
المسلم فى الكون والحياة وما وراءها من عالم الغيب مما يعرفه غير المسلمين
بما وراء الطبيعة أو بما هو ليس بمادة .

أصالته :

هذا هو- أيها الإخوة والأبناء تعريف الفكر الإسلامى أما أصالته .
فإن الأصالة مصدر أصل الشئ يأصل أصلا وأصاله كان له أصل فهو
فهو ذو أصالة أى ذو أصل شريف فهو أصيل ، وأصاله الرأى : جودته
واصابته ومن هذا كان الفكر الإسلامى ذا أصالة كاملة ؛ لأنه من حيث
الجودة أصيل لكونه تفكيراً لا يخرج عن دائرة الحق والعدل ، والخير ،
 والمعروف بحال من الأحوال ؛ إذا المسلم لا يعمل خاطره فيما هو شر ،
أو فيما يؤذى ويضر . ومن حيث القدم والرسوخ فإنه تفكير عاصر الحياة
البشرية منذ أن كان الإنسان الأول آدم أبو البشر عليه السلام ؛ إذ التفكير
فيما ينفع لإحضاره والانتفاع به ، وفيما يضر لإبعاده وتجنبه تفكير وجد مع
وجود الإنسان على هذه الأرض . فلهذا كله كان الفكر الإسلامى أصيلاً
فى شرفه وجودته ورسوخه وثباته

سموه

وأما سموه فإن الفكر الإسلامى سام لا يهبط ولا يسف وذلك لسمو
مقاصد المسلم ، وارتفاع حاجاته النفسية فوق المستويات المادية الهابطة
التي يقتصر عليها الفكر المادى عادة فى هذه الحياة الدنيا !!
فسمو الفكر الإسلامى يظهر بوضوح فى متطلبات المسلم وتطلعاته وهى
كلها سامية شريفة ؛ إذ متطلبات الإنسان المسلم تدور حول صفاء روحه
وكمال خلقه ، وحسن أدبه وما يهتئ ذلك له ، ويوقر عليه . ومتطلعاته
تتجه دوماً وأبداً نحو سعادة الحياتين وكرامتهما .
ومن هنا كان الفكر الإسلامى سامياً سمواً يتميز به بين سائر الأفكار

المادية الهابطة التي لا يتجاوز بها أصحابها منطقة المادة بحثاً عن الأكل والشرب والتمتع الجنسي ، وما يوفر ذلك لهم وبهيته من أسباب .

شموله

وأما شمول الفكر الإسلامي ، فإن المسلم الحق يفكر مثل كل إنسان ، ولكن تفكيره شامل للحياة والكون ، وما وراء المادة ، أو عالم الغيب ، وغيره يفكر ولكن في حدود المادة غالباً ، فلا يتعدّها إلى غيرها من عالم الروح إلا نادراً ، فلهذا كان الفكر الإسلامي شاملاً ، وكان الفكر المادي قاصراً محدوداً .

إن المسلم لما يفكر لا يفكر في إسعاد نفسه فقط بل يفكر في إسعاد البشرية جمعاء ، ولا في نجاة نفسه دون غيره بل في نجاة كل الناس أما غير المسلم فإنه إن فكر في سعادة أو نجاة من شقاء يقصر تفكيره على نفسه ، وقلما يفكر في غيره من سائر الناس . ولهذا كان الفكر الإسلامي زيادة على أصالته وسموه شاملاً عاماً يعمُّ الحياة ويشمل الكون كل الكون . وعليه فمميّزات الفكر الإسلامي في الجودة والرسوخ والأصالة والسمو والشمول وهي مميزات لا توجد في فكر الإنسان غير المسلم بحال ؛ لأن منطلقات تفكير المسلم غير منطلقات تفكير غيره من سائر الناس .

منطلقات الفكر الإسلامي

إن الفكر الإسلامي لينطلق من مبادئ ثلاثة أثبتتها القرآن الكريم بالبرهان العقلي ، وقررها بالأسلوب العلمي فأمن بها المسلم فكانت منطلق تفكيره في الكون والحياة . وتلك المبادئ هي : مبدأ التوحيد وحتمية

المعاد . وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب في النفس .
وإلى الإخوة والأبناء الحضور شرح هذه المبادئ الثلاثة التى هى منطلق
الفكر الإسلامى قديما وحديثا .

١ - مبدأ التوحيد :

إن مبدأ التوحيد وتمثله كلمة الإخلاص : لا إله إلا الله قائم على أساس
أن الإله الحق الذى يجب أن تؤلفه القلوب ذلّاله ، ومحبة وتعظيما ، والجوارح
طاعة له واستكانة وضراعة هو من كان قبل تأليهه ربّا ، أى كان ربّا قبل أن
يكون إلهاً بمعنى معبود ، وأعنى بكلمة الربّ : خالق المهيولى والطينة
الأولى موجد الحياة وواهبها موات الأشياء ، فكانت بها أحياء . خالق
الأرزاق وأسبابها وهادى الأحياء إلى متطلباتها ، كى يحفظ لها حياتها ، إلى
آجالها التى قدرها لها . مدبراً أمر الأحياء ، المستكين منها فى الأحشاء ،
كالسباح فى الماء ، والساكن الغبراء ، الكل على حدّ سواء . ذاك الذى
أما وأحيا ، ومنع وأعطى ، وأضحك وأبكى ، وأضل وهدى . وأسعد
وأشقى علمه أحاط بكل شىء وقدرته على كل شىء . فالإله الحق إذاً هو
من استجمع هذه الصفات صفات الربوبية الحقّة ، التى هى الخلق
والرزق والتدبير .

وهى صفات عالية لم تتوفر بعد لاي إله فى الأرض ، ولن تتوفر أبداً :
بذهى صفات الربوبية التى اختص بها الله جل جلاله وعظم سلطانه فكان
الإله الحق الذى لا إله غيره ولا ربّ سواه .

ومن هنا كان الفكر الإسلامى أسلم الأفكار الإنسانية وأسماها ؛ إذ
المسلم يفكر من منطلق مبدأ التوحيد الذى جماعه إثبات وجوب وجود الله
تعالى لاستحالة وجود الأكوان بنفسها مع ظهور عجزها وافتقارها الى ذى
ربوبية مطلقة يُمدها بوجودها ، ويدبر أمرها ، ليتنظم ذلك الوجود ويستمر

الى نهاية الأجل المحدود له .

وإثبات ألوهية الله تعالى للعالمين ، تلك الألوهية التى اقتضتها ربوبيته تعالى لكل شيء إذ ما دام الله تعالى خالق كل شيء فهو رب كل شيء ومليكه ، وتحتم أن يكون إله كل شيء ومعبوده .

وتحقيق ذلك بعبادة الله تعالى عبادة قائمة على أساس إخلاصها له تعالى بدءاً وانتهاءً وبما أحب أن يُعبد به من أعمال القلوب والجوارح . وعلى الكيفية التى أمر أن يعبد بها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير .

وانطلاقاً من هذا المبدأ مبدأ التوحيد كان المسلم يرفض الإلحاد ويلعن أهله ؛ إذ الإلحاد باطل وأهله مبطلون . وينكر تعدد الآلهة ويلعن أهله ولا يقره ولا يقر عليه ، وذلك لفساده وبطلانه عقلاً وواقعاً ، إذ لا إله الا الله ذو الربوبية المطلقة لكل شيء فأنى يكون معه آلهة أخرى ؟ ، والكل مفتقر إليه فى وجوده ، وحفظ ذلك الوجود له إلى نهاية أجله المقرر له . وينفى

الشرك بجميع صوره وأنواعه ؛ لأنه ظلم ويمقت أهله لأنهم ظالمون ولهذا كان المسلم ذا قناعة تامة فى أنه لا يستطيع أى عاقل تحت الشمس أن يبطل قضية التوحيد أعنى ما تضمنته كلمة الإخلاص « لا إله الا الله » من حكم صحيح هو إثبات وجود الله تعالى ونفى الألوهية الحقة عن كل ما سواه وإثباتها له تعالى دون غيره من سائر الكائنات .

وذلك لأن نفى وجود الله تعالى - كما هو مذهب الملاحدة الشيوعيين باطل مردود بوجود مخلوقات لا عد لها ولاحد كلها مفتقرة إلى موجد لها ومخصص ولما لم يكن هناك من ادعى خلق هذه الكائنات وتخصيصها بما تتمايز به عن بعضها فى الوجود الذاتى والصفات والأفعال ونوع الحياة وكيفياتها . وهى حتماً مفتقرة الى ذلك كان الله تبارك وتعالى هو الخالق لها وبه أصبح وجود الله واجباً ضرورياً فكيف يصح فى العقول نفيه .

كما أن إثبات تعدد الآلهة كما هو معتقد المشركين ، والنصارى باطل مردود أيضاً ؛ لانعدام صفات الربوبية عند غير الله تعالى والتى هى الخلق

والرزق والتدبير ومالم يكن رباً أى خالقاً رازقاً مدبراً لا يكون إلهاً معبوداً عقلاً ولا شرعاً .

إن قناعة المسلم هذه . . . في أنه لا يستطيع أى عاقل أن يبطل حكم لا إله إلا الله جعلته يجاهر بمعتقده ويفاخر به ؛ لأنه معتقد الحق الذى لا يبطل ولأنه مصدر الكمال الذى لا يعتره نقصان .

وكنتيجة طبيعية لمبدأ التوحيد هذا فإن المسلم يسمو بتفكيره فوق المستويات الأرضية الهابطة كلها ؛ إذ مبدأ لا إله إلا الله لا يُبقى لمعتقد من الناس تفكيراً فى أن من الخلق من ينفع أو يضر بدون إذن الله تعالى فيتوجه إليه بقلبه أو عمله راجياً منه حصول نفع أو دفع ضرر .

ومن هنا كان المسلم يرتفع بتفكيره كله نحو محاب الله تعالى ومكارهه يتعرف إليها قصد أن يتجنب ذلك المكاره فيحتفظ بطهارة روحه وزكاتها وأن يصل الى مستوى من الكمال والمعرفة يصبح معه لا يتحرك الا فى دائرة تلك المحاب يقدمها عملاً صالحاً يرجو به المغفرة والرحمة فى الدنيا والآخرة .

٢ - مبدأ حتمية المعاد :

إن المعاد الآخرى والبعث الآخر كما جاء فى الحديث أيها الإخوة والأبناء لا يتخلف أبداً ؛ لأنه العلة لهذا الكون وهذه الحياة والعلة . . عقلاً - لا تتخلف عن المعلول بحال ؛ ولذا فهو كائن لا محالة وأجله مسمى عند الله أو ساعته محدودة لا تتخطاه .

وهو معتقد أطبقت عليه جميع الأديان الإلهية فلم يكن دين سماوى صحيح يخلو فى أصوله من هذا المعتقد الهام العظيم وذلك لا ليتوقف إصلاح الفرد والمجتمع البشرى عليه فحسب بل لأنه أيضاً الحق الثابت الذى لا يمكن أن يكون غيظه ؛ اذ لولاه لكانت الحياة عبثاً لا معنى لها قال

تعالى « أفحسبتم أنها خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » .

إن مبدأ حتمية المعاد أيها الاخوة والأبناء وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامى الثلاثة يعتبر المكيف لحياة الفرد المسلم والموجه له ، إذ جميع تصرفاته نابعة منه متكيفة به ؛ لأن اعتقاد المرء الجازم بأنه مسئول عن كل تصرفاته محاسب على كل أعماله مجزئ بها . خيرها وشرها ، وقليلها وكثيرها سواء ، من شأنه أن يجعله يفكر قبل أن يقول أو يعمل ، فيتحرى فى كل قوله وعمله مالا إثم فيه ، ولا تبعية يتحملها من أجله وهذه أقل أحواله وإلا فسوف لا يطلب من الأقوال والأعمال إلا ما يعلم أنه سيثاب عليه الحسنى ويجزى عليه الغفرة إنه لأجل هذا كان مبدأ المعاد يمد الفكر الإسلامى بطاقات جديدة تدفعه الى السمو والكمال كلما فتر بملازمة المادة له وهو يعمل فيها كضرورة من ضرورات هذه الحياة المادية يمدد بالصفاء والإشراق ويمده بالقوة والأمل وهذه أى الصفاء والإشراق والقوة والأمل هى موجبات سموه وكماله اللذين يتفوق بهما على كل الأفكار المادية فى هذه الحياة .

إن الفكر الإسلامى وهو ينطلق من مبدأ البعث والجزاء يسمو بصاحبه أن يظلم أو يعتدى أو يكذب أو يفترى أو يفسد أو يجرم ، لإيمان صاحبه الراسخ بأنه اذا مات لا يُترك أبداً ولا يهمل وإنما يبعث ليحاسب ويعاقب ، حكم الله الذى لا يتخلف وقضاؤه الذى لا يرد . كما يرتفع به عن الدنيا والخبائث ليقينه الكامل أنها تلوث نفسه وتحجبها عن معانى الخير والكمال فى الدنيا ، وتحرمها السعادة فى الدار الأخرى . وبالجمله فإن المفكر الإسلامى يسمو بتفكيره الى مستويات من الخير والجمال والسمو والكمال لم يكن لغيره أن يصل إليها بحال من الأحوال وذلك لانطلاق فكره من مبادئ الحق والخير ، وانطلاق فكر غيره من مبادئ الباطل والشر وشتان ما بينهما . . !!

٣ - مبدأ ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب في النفس :

إن هذا المبدأ مأخوذ من القرآن الكريم كتاب الله الحق الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . مأخوذ من قوله تعالى : « قد أفلح من زكاهها ، وقد خاب من دسأها » وهو جواب أكبر قسم لله تعالى فى كتابه العزيز وهو قوله عز وجل « والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دسأها ... »

وشرح هذا المبدأ يقتضى تحليله إلى عناصره الأولى وهى : النفس البشرية ومدى قبولها لتأثير الكسب فيها ومظاهر ذلك التأثير ونتائجه فى الحال والمآل

أما النفس البشرية فهى ذلك الجوهر النورانى العلوى الخفيف المتحرك النافذ فى جوهر الأعضاء والبارى فيها سريان الماء فى الورد أو النار فى الفحم أو الكهرباء فى أسلاكها .

وأما مدى قبولها لتأثير الكسب فيها . فإن النفس البشرية بما أنها جوهر وليست بعرض فإنها حسب سنة الله تعالى فى الجواهر أى الاجسام قابلة لتأثير الكسب فيها بنوعيه أى الخير والشر شأنها شأن سائر الأجسام فالجسم البشرى تؤثر فيه الأحداث الداخلة فيه والخارجة عنه ، فهو يمرض ويداوى فيصح وتظهر عليه أعراض المرض والصحة وفى حال مرضه يظهر عليه الشحوب والاصفرار والهزال ويعجز عن الحركة والقول والعمل كلما

اشتد به المرض ، وفي حال الصحة يظهر عليه الحيوية والنشاط والسمن والقدرة على الحركة والقول والعمل الأمر الذي لا ينكر ولا يجهل بحال .
وإذا كانت الأجسام على هذه السنة في قبول التأثير فان النفس البشرية كذلك فإنها تمرض وتعالج فتصح وتظهر عليها أعراض المرض والصحة ففى حال مرضها يصبح يكذب ويخون ويغش ويخدع ويشح ويبخل ويرائى وينافق ويتكالب على الدنيا ويصارع على الشهوات ويعجز عن فعل المعروف والخير ويكره الطهر والصفاء ويحب الخبث والكدر النفسى ويؤثرهما .

وفي حال صحتها يصبح صاحبها صدوقاً أميناً كريماً رحيماً مخلصاً بعيداً عن النفاق والرياء ، زاهداً فى الدنيا راغباً عن شهواتها قادراً على فعل الخير والمعروف ، يحب الطهر والصفاء ويكره الخبث والخنى وكل الشر والفساد فى الأرض .

الكسب المؤثر فى النفس وشروط ذلك :

إن المراد من الكسب المؤثر فى النفس البشرية أيها الإخوة والابناء هو ماكان من جنس الإيثار والعمل الصالح ، وهذا يؤثر فيها بالزكاة والطهر وما كان من جنس الشرك والمعاصى وهذا يؤثر فيها بالخبث والتدسية .

وشروط الأول :

- أن يكون مما شرع الله تعالى لعباده أن يعتقدوه ، أو يقولوه ويعملوا به .
- وأن يقوم به العبد خالصاً لوجه الله تعالى فلا تشوبه شائبة شرك أو رياء .

● وأن يؤديه العبد المؤمن أداء صحيحاً يوافق فيه مراد الله تعالى المبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

فيراعى فيه هيئته فلا يزيد فيها ولا ينقص منها .
ويراعى فيه كيفيته فلا يقدم فيها ولا يؤخر .
ويراعى زمانه ومكانه فلا يوقعه في غيرهما .

وبذلك يولد هذا العمل الطاقة النورانية المطلوبة للنفس البشرية كي تطيب وتزكو وتطهر .

هذه شروط هذا الكسب الصالح لكى يؤثر في النفس بالزكاة والطهر فإن نقص منها شرط أو أكثر بطل مفعولها ولم تؤثر في النفس التأثير المطلوب لها لتصبح أهلاً لمرضاة الله ومجاورة الصالحين في الملكوت الأعلى . فلو اختل شرط كون العمل مما شرع الله تعالى لعباده من الطاعات والقربات بأن كان بدعة محدثة الصفت بدين الله تعالى فإن العمل لا ينتج الحسنات المطلوبة للنفس لتحسن بها وتشرق .

ولو اختل شرط الإخلاص فيه لله تعالى بأن أشرك فيه العبد غير الله تعالى أو راعى فيه أحداً من الناس بطل مفعول العمل ولم ينتج كذلك .
ولو اختل شرط الأداء الموافق لما شرع الله تعالى وبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لم تراعى فيه الكمية بأن زيد فيها ، أو نقص منها ، كزيادة ركعة أو سجدة في الصلاة المكتوبة ، أو لم تراعى فيها الكيفية بأن قدم فيها بعض أجزائها أو أخر أو غيرت بعض صفاتها من سر أو جهر أو طول أو قصر كأن يقدم السجود في الصلاة على الركوع أو غيرت فيها صفة الجهر بالسر أو العكس أو خافت بها المصلى فلم يطمئن في ركوعها أو سجودها وقيامها .

أو أوقعها صاحبها في غير زمانها أو مكانها كأن أدت الصلاة المكتوبة قبل دخول وقتها أو بعد خروجه أو وقف في الحج في غير تاسع الحجة أو أدت الصلاة في بقعة مغصوبة أو نجسة أو في مقبرة أو مجزرة أو معطن

إبل . أو وقف الحجاج بمكان غير عرفة بدلاً عن عرفة أو طافوا ببیت الله تعالى غير الكعبة بأن طافوا بمسجد من المساجد بطلت العبادة في كل ذلك وفسدت ولم تثمر ما كان مرجوا منها أن تثمره للنفس من زكاة وطهر .

● ومن هنا أيها الإخوة والأبناء اشتد نكير العلماء على البدع والمبتدعين لما عرفوا من فساد البدعة وبطلانها وعدم جدواها وانعدام النفع منها « لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .
وقوله : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .

ومما يجب التنبيه عليه ولفت النظر إليه أيها الإخوة والأبناء هو أنه لا فرق بين المبتدع الذي يضع للمؤمنين أنواعاً من الطاعات ويدعوهم إلى العمل بها لتزكو بها نفوسهم وتطهر فيرضى عنهم ربهم ، ويقرهم . وبين المبتدع الذي يُسمى في عرف أهل العصر بالمشرع القانوني الذي يضع للمسلمين قوانين تحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم وتنشر الرحمة وتشيع الاخاء والمودة بينهم فيشرع السجن المؤبد للقاتل العائد في قتله والسجن المؤقت للزاني المنتهك للحرمت أو للسارق المروع للآمنين والآمنات ويشرع الضرائب المالية الفادحة عوضاً عن الزكوات الواجبة وما إلى ذلك من قوانين العقوبات التي استبدلها الحكام في ديار المسلمين بأحكام الله تعالى وحدوده .

أقول إنه لا فرق بين المبتدع الذي يشرع للروح ما يزكيها ويطهرها وبين من شرع للجسم ما يحفظه به نامياً صالحاً يؤدي وظائفه على الوجه المطلوب له الكل مبتدع متكلف ما ليس له بحق . منازع الله تعالى في حق التشريع الذي هو حق الرب وحده إذ الذي لم يكن خالقاً لم يكن شارعاً ؛ إذ لا يعرف ما يصلح المخلوق إلا خالقه ، فالذي خلق مخلوقاً عليه أن يشرع له من الوظائف التعبدية ما يزكي به روحه ، ومن القوانين القضائية والجنائية ما يربي به جسمه ويحفظه له صالحاً نامياً .

وما دام الإنسان لم يخلق الإنسان فانه لم يكن من حقه أو مما يصح منه وله أن يضع للإنسان المسلم من البدع والقوانين ما يدعى أنه يطهر به روحه ويحفظ به جسمه وعرضه وماله ؛ لأنه لا يملك القدرة الكافية لإيجاد المؤثر الخاص في تلك البدعة الشرعية أو القانونية إذ الذي لا يستطيع أن يوجد غذاء في الخشب أو التراب للإنسان يتغذى به بعد أن أخلاه الله تعالى منه ، لا يستطيع أن يوجد في البدعة التي ابتدعها القوة المؤثرة في النفس أو الجسم لإصلاحها وإسعادها . ومن هنا كان المبتدع والمشرع ظالمين وكان العمل بالبدعة والقانون المناهض لشرع الله تعالى ظلماً وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

● وشروط الثانى وأذكر بأنه الكسب المؤثر في النفس مما هو من جنس الشرك والمعاصى شروطه هى :

(١) أن يكون مما حرم الله تعالى اعتقاده أو قوله أو عمله كسائر الاعتقادات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة مما جاء تحريمه في كتاب الله تعالى أو على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

(٢) أن يصدر هذا الكسب عن مكلف شرعاً وذلك بأن يكون عاقلاً مميزاً يقظاً غير نائم فما يصدر من أعمال أو أقوال عن غير المكلفين كالمجانين والأطفال لا تأثير له على النفس البشرية لخبر « رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم »

(٣) أن يكون الكاسب مريداً مختاراً وأعنى بالمريد : من يصدر عنه الفعل أو القول وهو قاصد فعله أو قوله بحيث لم يقع منه نسيان ولا خطأ . وأعنى بالمختار من لم يقع منه الفعل أو القول مكرهاً عليه مضطراً إليه وإنما وقع منه في حال حرية واختياره ، فغير المريد وغير المختار إذا صدر عنها القول أو الفعل لا يؤثر في نفسها لعل عدم القصد والإكراه . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان »

وما استكروها عليه « وفي القرآن الكريم معنى ذلك قال تعالى من سورة البقرة : « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » . وقال تعالى من سورة النحل : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان » .

مظاهر تأثير الكسب في النفس :

إن للكسب تأثيراً على النفس البشرية متى توفرت له شروطه التي قدمنا بياتها آنفاً ، والجزاء سواء كان دنيوياً أو آخروياً يرتب على تأثير ذلك الكسب في النفس وفي القرآن الكريم « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً » ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ومن مظاهر تأثير الكسب في النفس حب الفضائل والرغبة فيها والعمل على تحصيلها والتحلل بها وبذل الجهد والوسع في ذلك كما هو ظاهر مشاهد في أهل الإيمان والعمل الصالح بين الناس وفي كل زمان ومكان وما ذاك إلا مظهر من مظاهر تأثير الإيمان والعمل الصالح في نفوسهم ، ظهر وكأنه عرض من أعراض نفوسهم لسلامة تلك النفوس وطيبها وطهارتها .

كما أن حب الرذائل والرغبة فيها وطلبها والتلوث بها وبذل الجهد والطاقة في سبيل الوصول إليها كما هو مرئى ومشاهد في أصحاب الشرك والمعاصي والذين يوجدون في كل زمان ومكان ما هو إلا مظهر من مظاهر تأثير الكسب في النفس فالجرائم التي ترتكب في دنيا الناس على اختلافها وتنوعها ما هي إلا أعراض تظهر في سلوك المرء نتيجة تأثير كسبه في نفسه .

هذه نتائج تأثير الكسب في النفس في الحياة الدنيا أما في الآخرة فقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » فقد قضى الله عز وجل بفلاح من زكى نفسه بالإيمان والعمل

الصالح اعتقاداً وعملاً كما قضى بخسران من دسى نفسه بالشرك
والمعاصى اعتقاداً وعملاً أيضاً .

والفلاح المحكوم به لذوى النفوس الزكية هو ما بينه تعالى فى قوله « كل
نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار
وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

والخسران المقضى به لأهل الأرواح الخبيثة والنفوس المدسة الشريرة هو
ما ذكره تعالى فى قوله : « قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم
يوم القيامة . ألا ذلك هو الخسران المبين » .
هـذا

وخلاصة القول فى منطلق الفكر الإسلامى أيها الإخوة والأبناء أن الفكر
الإسلامى من أسلم الأفكار وأسماها وأنه فكر يمتاز بالأصالة والشمول
والسمو فلا يقاس بالأفكار المادية الهابطة بحال من الأحوال ذلك أن
الأفكار المادية منطلقاتها : الأهواء والشهوات وحب التسلط والرغبة فى
القهر والاستعلاء على الناس أما الفكر الإسلامى فإن منطلقاته التوحيد
الذى يربط البشرية لو آمنت كلها برباط العبودية لله تعالى فىسوى بين قوتها
وضعيفها وغنيها وفقيرها وأبيضها وأسودها ويحررها من كل عبودية إلا لله
تعالى فتسمو وتبلغ الكمال الذى خلقت مستعدة له لو آمنت وانقست .

وحتمية المعاد الذى يعتق المؤمن من أسر الشهوات ومخلصه من رق
الرغبة فى الدنيا والتكالب عليها ويكون منه مثلاً صادقاً للعدل والاستقامة
فى الحياة .

وضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب في النفس :

وهو أحد منطلقات الفكر الإسلامي الثلاثة وهو منطلق يوجد من نفس المرء المسلم رقيباً عليه ومهيماً طوال حياته يمنعه من الظلم ومن كل شر وفساد في الأرض ويحدوه إلى فعل الخيرات والإكثار من عمل الصالحات كما ينمي فيه خلق العدل والإنصاف من النفس ويحبب إليه الفضائل ويكره إليه الرذائل ويجعله من أرشد الناس بين الناس .

وكلمة أخيرة في هذا الحديث وهي أن العالم الإنساني اليوم قد سادته الأفكار المادية وهي تقوده إلى هاوية الهلاك والخسران وإن كان هناك أمل في خلاصه مما تردى فيه وما يتوقع له فهو في عودة الفكر الإسلامي المنطلق من ينباع الحق والخير والصادر عن وحى الكتاب والسنة .

أما كيف تعود تلك القيادة ؟ فلنا نقول : إن هناك سبلا كثيرة لذلك ومن أخصرها طريقاً وآمناً وأسلمها سبيلاً أن يتحمل إمام المسلمين خالد ابن عبد العزيز وولى عهده حفظهما الله تعالى وأيدهما بروح منه أن يتحملا دعوة الملوك والرؤساء لمؤتمر قمة يعقد بالمدينة النبوية لاتخاذ قرار بما يلي :

١ - الإعلان عن اتفاق المؤتمرين على ضرورة عودة الحياة الإسلامية في بلاد المسلمين عقيدة وعبادة وأدباً وخلقاً وحكماً ونظاماً وشرعاً لإنقاذ المسلمين مما حل بهم ونزل بديارهم من ضعف وذل وهون ودون .

٢ - تكوين لجنة موسعة من علماء الشريعة في البلاد الإسلامية وأن يعهد إليها بوضع دستور إسلامي لأمة الإسلام تؤخذ كل بنوده ومواده نصاً وروحاً من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة والفقه الإسلامي المستنبط من الوحيين في عصر الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام الصالحين .

٣ - الإعلان عن استئناف الحياة الإسلامية فور صدور هذه القرارات

وذلك بوجوب اقامة الصلاة بين كل أفراد الأمة الإسلامية إقامة إجبارية وبوجوب منع الخمر شرابا وتجارة وإنتاجا بين كل افراد المسلمين وبوجوب إلزام الفتاة المسلمة والمرأة المسلمة بالزى الإسلامى والحجاب الإسلامى ومنع الاختلاط بين النساء والرجال منعاً كلياً وفى كل المجالات وبوجوب تطهير الإعلام فى ديار المسلمين صحافة وإذاعة وتلفازا ومسرحاً تطهيره من نشر وإذاعة وإظهار كل ما يمس العقيدة الإسلامية والخلق الإسلامى أويتنافى مع مبادئ الإسلام وتعاليمه القائمة على اساس الطهر والكمال النفسى والخلقى فى الحياة .

وبوجوب إيقاف سائر المعاملات الربوية وتصفيتها وتستبدل بهذه البنوك الربوية (مصارف وبنوك إسلامية يسهم فيها كل مسلم ، ومسلمة تقوم على أساس منع الربا وحظر التعامل به . وبوجوب تعقب الملاحدة فى بلاد المسلمين واضطرارهم الى العودة الى حياة الإيمان والعمل والجهاد فى الحياة . ومن رفض منهم ذلك يحكم فيه السيف فهو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان .

٤ - الإعلان عن موعد بدء تنفيذ مواد الدستور والأخذ بها وتطبيقها يوم الفراغ من وضعه ، وتقديمه لأعضاء مؤتمر الفقه الإسلامى الذى انعقد أول مرة فيبدأ بتعيين إمام المسلمين ومجلس حكومته المكون من ممثلين صالحين لكل الأقاليم الإسلامية التى رضى حكامها بالوحدة الإسلامية فى ظل الحياة الإسلامية والدستور الإسلامى ، ثم التطبيق الحرفى لكل مواد الدستور وبنوده شريعة وسياسة بكل صدق وجد وإخلاص .

هذا والله أسأل أن يحقق عودة الفكر الإسلامى ليقود ويسود على يد هذه الحكومة الإسلامية فى ديار الإيمان هذه إنه قدير وبالإجابة جدير .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الفهارس

٥ ص	الرسالة الاولى
	الصلاة
	الرسالة الثانية
١٥ ص	الجميل في زكاة العمل
١٧ ص	مقدمة الرسالة
١٩ ص	حكم الزكاة
٢٠ ص	حكمة الزكاة
٢١ ص	عقوبة مانع الزكاة
٢٢ ص	يوم القيامة
٢٣ ص	ما تجب فيه الزكاة من المال
٢٤ ص	شروط وجوب الزكاة
٢٧ ص	بيان كيفية زكاة الماشية
٢٧ ص	الإبل
٢٩ ص	البقر
٢٩ ص	الغنم
٣٠ ص	تنبيهات تتعلق بزكاة الماشية
٣٣ ص	بيان كيفية زكاة الثمار والحبوب
٣٣ ص	الواجب في زكاة الثمار والحبوب
٣٦ ص	بيان كيفية زكاة التقدين
٣٦ ص	الذهب
٣٧ ص	الفضة
٣٨ ص	عروض التجارة
٤٠ ص	الديون
٤١ ص	المال المستفاد

ص ٤٣	زكاة الأوراق المالية
ص ٤٦	مصارف الزكاة
ص ٤٩	صدقة الفطر

الرسالة الثالثة

ص ٥٧	هكذا الحج المبرور والزيارة
ص ٦١	تنبيهات
ص ٦٢	الزيارة
	<u>الرسالة الرابعة</u>

ص ٦٧	حُسن المقال في ثبوت رؤية الهلال
ص ٦٩	الحقيقة الأولى (لا يجب صيام ولا إفطار إلا بيقين الرؤية)
ص ٧٣	الحقيقة الثانية (الشهر تسعة وعشرون يوماً أو ثلاثون)
ص ٧٥	الحقيقة الثالثة (وجوب ترائي الهلال ، وحرمة ترك ذلك للحساب)
ص ٧٨	الحقيقة الرابعة (اختلاف المطالع معتبر شرعاً)
ص ٨٠	الحقيقة الخامسة (اختلاف المسلمين في الصيام والإفطار تبعاً لثبوت الرؤية وعدمها أمر محمود وغير مذموم شرعاً)
ص ٨٢	الحقيقة السادسة (في وجوب التأكد من صحة الرؤية)
ص ٨٤	الحقيقة السابعة (في بيان حكم من رأى الهلال ولم تقبل شهادته)
ص ٨٦	هل توحيد الصيام والإفطار بين المسلمين ممكن ؟

الرسالة الخامسة

ص ٩٣	من المسئول عن ضياع الإسلام
ص ٩٥	بين يدي الرسالة
ص ٩٦	الإسلام الضائع
ص ١٠١	كيف ضاع الإسلام ؟
ص ١٠٣	من المسئول عن ضياع الإسلام ؟
ص ١١١	كيف يحفظ مابقى من الإسلام داخل بلاده وخارجها
ص ١١٥	مهام اللجنة
ص ١١٨	هل يعود الإسلام ، ويكمل الناس ويسعدون عليه ؟؟
ص ١٢١	خلاصة ماجاء في الرسالة من حقائق علمية ثابتة

الرسالة السادسة

ص ١٢٥	الى التصوف يا عباد الله
ص ١٢٧	المقدمة
ص ١٣١	التصوف وأصوله
ص ١٣١	التصوف
ص ١٣٤	أصول التصوف
ص ١٣٥	الأصل الأول (الطريقة)
ص ١٣٧	الأصل الثانى (الشيخ المأذون له)
ص ١٤٣	الأصل الثالث (العهدة أو البيعة والمصافحة والتلقين)
ص ١٤٧	الأصل الرابع (الاوردة الصوفية وما فيها من حق وباطل)
ص ١٥١	الأصل الخامس (الخلوة)
ص ١٥٦	الأصل السادس (الكشف)
ص ١٥٩	الأصل السابع الفناء
ص ١٦١	الأصل الثامن (الظاهر والباطن ، والشرعية والحقيقة
ص ١٦٤	أقطاب الصوفية وأوليائهم
ص ١٦٤	الأقطاب
ص ١٦٥	الأولياء
ص ١٦٩	لمحات من الوجه المظلم للتصوف
ص ١٧٦	الاسلام نعم البديل
ص ١٧٧	حقيقة الاسلام
ص ١٧٧	الايمان بالله ربنا
ص ١٧٧	الايمان بالله الهنا
ص ١٧٧	اسلام القلب للرب
ص ١٧٨	اسلام الجوارح للرب عز وجل
ص ١٧٩	المجاهدة
ص ١٧٩	الصبر
ص ١٧٩	المراقبة
ص ١٨٠	الافتقار
ص ١٨٢	الأوراد النبوية
ص ١٨٢	مشروعية الأوراد
ص ١٨٣	تفاضل الأذكار

ص ١٨٣	من أفضل أنواع الذكر سبعة
ص ١٨٤	من أفضل أنواع المحامد
ص ١٨٥	من أفضل أنواع الاستغفار خمسة
ص ١٨٦	من أفضل أنواع الاستعدادات ثمانية
ص ١٨٨	من أفضل أنواع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ص ١٨٩	من أفضل الأدعية

الرسالة السابعة

ص ١٩٣	فصل الخطاب في المرأة والحجاب
ص ١٩٧	بين يدي الرسالة
ص ١٩٩	حقائق لا بد من بيانها
ص ١٩٩	الحقيقة الأولى
ص ٢٠٠	الحقيقة الثانية
ص ٢٠٢	الحقيقة الثالثة
ص ٢٠٣	الحقيقة الرابعة
ص ٢٠٤	الحقيقة الخامسة
ص ٢٠٦	الحقيقة السادسة
ص ٢٠٧	المرأة
ص ٢٠٧	حقوق المرأة المسلمة
ص ٢١٣	الحجاب
ص ٢١٣	مشروعية الحجاب
ص ٢١٩	وجوب الحجاب على المرأة المسلمة
ص ٢٢٦	الخاتمة

الرسالة الثامنة

ص ٢٣١	الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف
ص ٢٣٢	مقدمة علمية هامة
ص ٢٣٨	تنمية نافعة في بيان السنة والبدعة
ص ٢٤٣	فرع مهم في بيان الفرق بين البدعة والمصالح المرسلة
ص ٢٥٣	المولد النبوي الشريف وحكم الاسلام فيه
ص ٢٥٤	علل غير كافية في إقامة المولد
ص ٢٥٦	شبه ضعيفة احتج بها المرخصون في الاحتفال بالمولد

ص ٢٦١

البديل الخير

ص ٢٦٢

غلو في المولد شائن

ص ٢٦٤

إجحاف غير لائق

ص ٢٦٧

الخاتمة

الرسالة التاسعة

ص ٢٧١

كمال الأمة في صلاح عقيدتها

ص ٢٧٣

مقدمة

ص ٢٧٠

شرح آية « ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها »

ص ٢٧٨

هل استمرار الإصلاح شرط في عدم الفساد

ص ٢٨١

المسألة الاولى

ص ٢٨٢

المسألة الثانية

ص ٢٨٥

المسألة الثالثة

ص ٢٨٧

المسألة الرابعة

ص ٢٨٨

المسألة الخامسة

ص ٢٨٩

المسألة السادسة

ص ٢٩١

المسألة السابعة

ص ٢٩٢

المسألة الثامنة

ص ٢٩٣

المسألة التاسعة

ص ٢٩٤

المسألة العاشرة

ص ٢٩٦

المسألة الحادية عشرة

ص ٢٩٧

المسألة الثانية عشرة

ص ٢٩٩

المسألة الثالثة عشرة

ص ٣٠٠

المسألة الرابعة عشرة

ص ٣٠٣

المسألة الخامسة عشرة

الرسالة العاشرة

ص ٣١٣

النصائح الأزواج قدمت لبيت الله الحجاج

ص ٣١٣

فاتحة

ص ٣١٣

الزوج الأول من النصائح الأزواج الإيمان ، والتقوى

ص ٣١٤

الإيمان

ص ٣١٥

التقوى

الزوج الثاني من النصائح الأزواج الذكر والشكر

الذكر

الشكر

بعض أسرار الشكر وفوائده

الزوج الثالث من النصائح الأزواج الهجرة والجهاد

الهجرة

فضل الهجرة

حكم الهجرة

حكمة الهجرة

الجهاد

الزوج الرابع من النصائح الأزواج العبادة والتوكل

العبادة

التوكل

حكم التوكل

مظاهر التوكل

مظاهر عدم التوكل

الزوج الخامس من النصائح الأزواج الصبر والصلاة

الصبر

الصلاة

لطائف الصلاة

الرسالة الحادية عشرة

عشر وصايا قدمت لوفود بيت الله الحجاج

الوصية الأولى العبادة

الوصية الثانية الإخلاص

الوصية الثالثة العلم

الوصية الرابعة التفكير

الوصية الخامسة الحلم

الوصية السادسة التواضع

الوصية السابعة الصدق

الوصية الثامنة العدل

ص ٣٢١

ص ٣٢١

ص ٣٢٥

ص ٣٢١

ص ٣٢٩

ص ٣٢٩

ص ٣٣١

ص ٣٣١

ص ٣٣٢

ص ٣٣٢

ص ٣٢٧

ص ٣٢٧

ص ٣٤٠

ص ٣٤١

ص ٣٤١

ص ٣٤٠

ص ٣٤٥

ص ٣٤٥

ص ٣٤٨

ص ٣٤٩

ص ٣٥٣

ص ٣٥٥

ص ٣٥٨

ص ٣٦٢

ص ٣٦٥

ص ٣٦٩

ص ٣٧٢

ص ٣٧٦

ص ٣٨٠

ص ٣٨٣

الوصية التاسعة الإحسان

ص ٣٨٦

الوصية العاشرة السلام

الرسالة الثانية عشرة

السنة الوحى الثانى محاضرة القيت بمنى على وفود بيت الله الحجاج ص ٣٩١

الرسالة الثالثة عشر

ص ٤٠٩

حرمة الابتداء فى الدين وكل بدعة ضلالة

ص ٤١١

المقدمة

ص ٤١٥

حكم الابتداء فى الدين

ص ٤١٥

إنكار البدعة

ص ٤١٧

البدعة نوعان حقيقية وإضافية

ص ٤١٨

البدعة المكفرة

ص ٤١٩

البدعة المفسقة

ص ٤٢١

وجوب محاربة البدع

ص ٤٢٣

اسباب الابتداء

ص ٤٢٤

المصالح المرسله

ص ٤٣١

صور من البدع كبيرها وصغيرها

ص ٤٣١

البدع الواردة فى المعتقدات

ص ٤٣٢

البدع الواردة فى العبادات

ص ٤٣٣

البدع الواردة فى المعاملات

ص ٤٣٣

فى التجارة

ص ٤٣٤

فى المطاعم والمشارب والملابس

ص ٤٣٦

طريق الخلاص من البدع

الرسالة الرابعة عشرة

ص ٤٣٩

اللقطات فيما ظهر للساعة من علامات

ص ٤٤١

بين يدى الرسالتين

ص ٤٤٥

المذبياع

ص ٤٤٧

المراكب الحديثة

ص ٤٥٠

الهاتف السلكى واللاسلكى والتغراف والتلكس

ص ٤٥١

آلة التسجيل وكلام الجمادات

ص ٤٥٢	آلة التصوير الفوتوغرافي (الكاميرا)
	الرسالة الخامسة عشرة
ص ٤٥٧	الآحاديث النبوية الشريفة في أعاجيب المخترعات الحديثة
ص ٤٥٩	المقدمة
ص ٤٦٢	العلامات الواردة في الآفاق
ص ٤٦٢	وجود دويلة اليهود في فلسطين
ص ٤٦٥	تعدد الدول الإسلامية
ص ٤٦٨	نظرية داروين
ص ٤٧٠	تسلط الكفار على المسلمين
ص ٤٧٢	نظام الشرطة (البوليس)
ص ٤٧٤	الحكم بغير ما أنزل الله تعالى
ص ٤٧٦	ظهور الكشافة
ص ٤٧٧	المظاهرات بدل الغزو والجهاد
ص ٤٧٩	فسو التجارة ، وكثرة المال وظهور القلم
ص ٤٨١	العلامات الواردة في الأنفس
	شيوخ الربا وأكله
ص ٤٨٢	تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال
ص ٤٨٨	استحلال المحرمات
ص ٤٨٩	طلب العلم لغير الله تعالى
ص ٤٩١	قلة العلماء
ص ٤٩٢	كثرة الأمراء
ص ٤٩٢	قلة الامناء
ص ٤٩٢	طلب الدنيا بعمل الآخرة والتفقه لغير الله
ص ٤٩٣	إتحاذ الفقه دولا
ص ٤٩٣	إتحاذ الامانة مغنما
ص ٤٩٣	إتحاذ الزكاه مغرما
ص ٤٩٤	التعليم لغير الله تعالى
ص ٤٩٤	طاعة الرجل لامراته وعقوفة أمه وإدناؤه صديقه وإبعاد والده
ص ٤٩٤	ارتفاع الأصوات في المساجد
ص ٤٩٤	سيادة الفساق

٤٩٤ ص	كون زعيم القوم أرذلهم
٤٩٥ ص	إكرام الرجل مخافة شره
٤٩٥ ص	ظهور القينات (المغنيات) والمعازف
٤٩٥ ص	لعن آخر هذه الأمة أولها
٤٩٦ ص	خفة الاحلام وذهاب العقول
٤٩٨ ص	الخاتمة
	الرسالة السادسة عشر
٥٠١ ص	منطلق الفكر الإسلامى
٥٠٤ ص	أصالته
٥٠٤ ص	سموه
٥٠٥ ص	شموله
٥٠٥ ص	منطلقات الفكر الإسلامى
٥٠٦ ص	مبدأ التوحيد
٥٠٨ ص	مبدأ حتمية المعاد
	مبدأ ضرورة الجزاء القائم على أساس تأثير الكسب فى النفس
٥١١ ص	الكسب المؤثر فى النفس وشروط ذلك



* وُجِدَتْ فِي الطبعة الأولى بعض الأخطاء المطبعية - الغير مقصودة - لذا وجب التنبيه عليها.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤٦	١٦	ورحتمه	ورحمته
٣٤٨	٦	فيسكثر	فليستكثر
٣٥٦	١٣	أعبدوا اله	اعبدوا الله
٣٦١	١١	إلا له	إلا لله
٣٦٧	٩	وحلال	وإحلال
٤٦٤	١٨	فيكيف	فكيف
٤٨٨	١٢	يعمملون	يعلمون
٥١٣	١٨	وحدوده وحدودهش	وحدوده

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩١ / ٥٢٢٣